منبر الإسلام

العدد السابع - السنة ٢٣

رجب ١٣٨٥ هـ - ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٦٥ م

الثمن ٥ قروش

مع المجلة هدية «كتاب رأى الدين [illegible]

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية
يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
في غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد السابع - السنة ٢٣
رجب ١٣٨٥ - ٢٥ أكتوبر ١٩٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

* خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى احتفال جامعة الاسكندرية بعيد الثورة الثالث عشر
* زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
* أجهزة التنظيمات الشعبية والحكومية ـ للسيد الاستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية
* تنبأت به أرواحنا وتمنيناه قبل أن يظهر فينا ذلكم هو جمال عبد الناصر ـ فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
* الصوفية فى الهامهم ـ الاستاذ حسن كامل الملطاوى
* الأسباب والمسببات فى تقدير الله ـ فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
* لمحات الى جهود المسلمين العلمية ـ الدكتور أحمد الحوفى
* كنوز الجبال ـ الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل
* مالا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين ـ فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
* ماذا تعرف عن العالم الاسلامى دوله وشعوبه ـ الدكتورة عنايات الطحاوى
* من الميثاق ـ الاستاذ محمود كمال
* اللحظات الالهية والمشاهدات المحمدية فى ليلة الاسراء والمعراج ـ فضيلة الشيخ عبد الرحيم فرغل البلينى
* الجانب الذى يجب أن نذكره فى قصة الاسراء ـ فضيلة الشيخ عبد الرحيم فوده.
* ضيافة ربانيـــة فى حادث الاسراء والمعراج ـ فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى
* الازهر بين الماضى والحاضر ـ فضيلة الشيخ عبد العزيز قنديل
* التكافل الاجتماعى أسمى ما يحقق القيم الانسانية ـ الدكتور محمد سلام مدكور
* مواقف فى التاريخ لشعب أبى ـ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور
* الحاقدون (شعر) ـ الشاعر عبدالله شمس الدين
* باب القصة ـ باب الفن الاسلامى ـ باب الافتاء ـ باب الرياضة ـ باب المرأة المسلمة ـ باب التحقيقات ـ باب العلم ـ ندوة الشهر ـ مع القراء ـ بريد التعارف

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة

٤٠ قرشا للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد

خارج الجمهورية العربية المتحدة

وما يساوى

هذه العملة فى البلاد الاخرى

•

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى

ذات القرشين

العنوان

٣ شارع الأمير قدادار المتفرع

من شارع التحرير بالقاهرة

ت ٣٣٩٥٦

معالم الطريق

نص خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر
في احتفال جامعة الإسكندرية مساء ٢٨ يوليو ١٩٦٥
بعيد الثورة الثالث عشر

القى الرئيس جمال عبد الناصر الخطاب التالى فى احتفال جامعة الاسكندرية مساء ٢٨ يولية سنة ١٩٦٥ بعيد الثورة الثالث عشر :

مرة أخرى نجتمع فى هذا المكان للاحتفال بالعيد الثالث عشر للثورة ونحمد الله اننا فى كل سنة وفى كل عام ونحن نحتفل بالثورة نشعر براحة فى ضميرنا .. وراحة الضمير لاننا نكون قد عملنا فى هذه السنة كل ما فى وسعنا حتى نحقق الاهداف التى قامت من أجلها هذه الثورة .. الهدف الاساسى طبعا هو التغيير الاجتماعى الشامل وعملية التغيير الاجتماعى الشامل ليست بالعملية السهلة ولا بالعملية الهينة لاننا كاشتراكيين ننظر الى الاشتراكية على أساس انها المساواة .. المساواة التى نادت بها الاديان والتى نادت بها المثل العليا ..

لو بسطنا الاشتراكية .. نستطيع أن نقول انها المساواة .. ولكن طبعا المساواة عملية عسيرة لاننا لا يمكن أن نساوى بين كل البشر وبين كل الناس .. على أساس اننا لا يمكن أن نساوى بين من يعمل ومن لا يعمل .. وعلى أساس اننا لا يمكن أن نساوى بين كل فرد والآخر من الناحية الفردية .. على أساس ان كلمة المساواة كلمة عامة .. اذن نستطيع أن نفسر المساواة بأنها تكافؤ الفرص بين الناس جميعا .

تغيير المجتمع .. ثورة

ولا يمكن طبعا أن يكون هناك تكافؤ فى الفرص الا اذا صفيت تصفية كاملة المزايا الطبقية أو الا اذا انتهى تقسيم المجتمع الى طبقات .. طبقة لا تعمل وتأخذ كل الربح وتنعم بالراحة والرفاهية والعيش السعيد .. وطبقة تعمل وتكد وتكدح ولا تجد لنفسها الحياة السعيدة أو الراحة أو الرفاهية .

اذن تغيير المجتمع عملية صعبة وعسيرة ولهذا فهى تحتاج الى ثورة مستمرة وتحتاج الى أعمال فى كل الميادين .

مسئولية الجامعات

وكما قال الميثاق بالنسبة للجامعات ان عليها مسئوليات كبرى بالنسبة للمستقبل لاننا اشتراكيين .. واذا أردنا فعلا ان نحقق الاشتراكية وان نحقق المساواة أو تكافؤ الفرص بين الناس ونقضى على الامتيازات الطبقية .. ثم نوفر لكل فرد من ابناء هذه الامة الحياة السعيدة .. حياة الرفاهية والفرصة للراحة والفرصة للعمل الشريف .. علينا أن نغير أسس المجتمع جميعها .

النهاردة بعد ١٣ سنة نقول أننا سرنا مشوار كبير فى هذا الطريق .. ولكن هل تحققت الامانى وهل تحققت الاحلام .. منقدرش نقول ان الامانى والاحلام تحققت فى الـ ١٣ سنة ليه ؟.

لان تغيير المجتمع وتحقيق هذه الصفات وهذه الامتيازات بالنسبة للناس يحتاج منا قاعدة اقتصادية قوية ويحتاج منا أن نعمل أن ننتج انتاجا واسعا فى جميع هذه الميادين فى الوقت اللى يجب أن نداقع عن نفسنا ونوفر جزء من دخلنا للدفاع عن وطننا ضد الاستعمار ومؤامرات الاستعمار وضد الصهيونية .. اذن علينا فى السنين القادمة ان احنا نضاعف عملنا .

واجبكم تعليم الشعب

بالنسبة لرجال الجامعات .. بالنسبة للمتعلمين جميعا .. بالنسبة للفنيين عليهم واجب والشعب ينتظر منهم دائما تضحية .. ما هى هذه التضحية .. ينتظر انهم يدوه .. يدوه بعملهم .. يدوه بمثابرتهم .. ويدوه ايضا بنكرانهم لذاتهم .. الشعب بيدى للمتعلمين المثقفين الجامعيين كل شىء .

النهاردة مثلا التعليم مجانا .. مين اللى بيصرف على كل واحد بيتعلم .. الشعب بيصرف .. كل واحد من ابناء الشعب بيصرف .. اذن اللى بيتخرج من اى جامعة أو اللى بيطلع بعثة برة بتصرف عليها الدولة لازم يفتكر دائما ان الشعب صرف عليه وهو بيتعلم .. وصرف عليه الشعب لما طلع بعثة فى الخارج .. وصرف عليه الشعب علشان يطلع دكتور فى الجامعة .

والشعب ينتظر منه لما يرجع الا يقارن ظروفنا كدولة نامية بظروف دولة متقدمة فعلا كأمريكا .. منقدرش نقول ان فى امريكا بيتعلموا الشىء الفلانى وبيتعاموا الشىء الفلانى .. ان احنا عايزين نأخذ هنا كمتعامين أو كفنيين أو كمثقفين .. نأخذ الامتيازات اللى بيأخذها أمثالنا فى امريكا او فى المانيا او فى انجلترا .

ليه .. لان احنا دولة نامية .. هذه دول مرت بطور النمو واصبحت النهاردة دول متقدمة .. دخلهم القومى عالى .. انتاجهم عالى .. ثروتهم القومية كبيرة تكريم الشعب من ابنائه اللى تعلموا واللى اخذوا الفرصة لان يتعلموا ويأخذوا اماكن قيادية فى الجامعات أو كفنيين فى المصانع أو فى أى مكان آخر .. انهم يفتكروا دائما هذا .. ان احنا دولة نامية ولا يمكن ان احنا نخلق امتيازات كما نرى هذه الامتيازات تحقق لامثالنا فى البلاد الاخرى .

التفاعل الشعبى

الشعب ايضا يطالب التفاعل الشعبى بالتكامل بين المتعلمين بين قيادات فى الجامعة زى ما قال الميثاق : انها مسئولة عن مصنع المستقبل .. مسئولة ايضا عن العمل الشعبى .. مسئولة عن التوعية .. التوعية السياسية مش بس الدعاية للثورة التوعية الاجتماعية .. لان كل واحد النهاردة بيعتقد أن الاشتراكية بتدى له كل مطالبه فى يوم وليلة .. أو تستطيع الاشتراكية انها تقضى على مآسى الناس اللى تكونت فى عشرات السنين وفى مئات السنين فى يوم وليلة .. ابدا واحنا بنقول ان احنا لسه لم نصل الى الاشتراكية .

مرحلة الانتقال للاشتراكية

احنا بنقول ان احنا فى مرحلة انتقال الى الاشتراكية مرحلة الانتقال الى الاشتراكية بتمارس فيها العدل .. العدل ان نقضى على الامتيازات الطبقية وان نقرب الفوارق بين الطبقات ثم نذيب الفوارق بين الطبقات .. طبعا منقدرش نقول العدل .. ان احنا حنعمل الناس كلها فورمة واحدة .. وندى الناس كلها ماهية واحدة .

العدل لكل المجتمع

لان احنا لما بندخر ولما بنستثمر اكثر ولما بنزيد التصنيع ولما بنزيد الزراعة وبنزيد الانشاءات معنى هذا ان ابناءنا بيجدوا فرص للعمل وابناءنا بيجدوا مجتمع فعلا أحسن من المجتمع اللى احنا اتوجدنا فيه .

الواحد طبعا لما يبص لنفسه .. يبص لنفسه ولكن يجب ان يبص لابنائه ثم ينظر ايضا الى المجتمع المحيط به .. والى ابناء الناس المحيطين به سواء كانوا بيشتغلوا معاه او ما بيشتغلوش معاه .. الى ابناء الفلاحين الى ابناء العمال الى ابناء التسعة وعشرين ونصف مليون اللى موجودين فى البلد والى لما نبص فى الشوارع بنجد ان عددهم كبير جدا ..

انا جاى على الكورنيش موجود اطفال كثير جدا .. يعنى متهيأ لى كل واحد ماشى فى الشارع وكل عيلة واحد وواحدة ماشيين معاهم اربع خمس عيال صغيرين شدنهم معاهم على الكورنيش .. طب حنعمل ايه فى هؤلاء الناس بعد عشر سنين وبعد خمستاشر سنة .. دى مشكلة مجتمعنا ودى المشكلة اللى احنا بنفكر فيها .. العملية مش ان الواحد بيفكر فى نفسه وبيفكر فى عماله وبيفكر فى واجبه .. بل يجب ان يفكر فى واجبه بالنسبة لنفسه وبالنسبة لمجتمعه وبالنسبة ايضا لعمله .

انتصاراتنا .. ومشاكلنا

طبعا احنا حققنا الكثير من الانتصارات وفى نفس الوقت قابلنا الكثير من المشاكل .. اعداءنا طبعا يتنكروا دائما ويتناسوا انتصارنا ولكن يركزوا دائما على مشاكلنا .. ليه .. بيركزوا على مشاكلنا .. طبعا لان احنا مهمين .. احنا لو مكناش مهمين ولو مكنوش بيعملوا لنا حساب مكنوش يركزوا على مشاكلنا ومكنوش يضخموا فى مشاكلنا .. التضخيم فى مشاكلنا ومش بس التضخم فى مشاكلنا بل اختراع المشاكل واختراع القصص بالنسبة

لينا وبالنسبة لمجتمعنا .. طبعا احنا تأثيرنا مش محدود بس فى بلدنا تأثيرنا يتسع عن مجال بلدنا تأثيرنا يتجه او يؤثر على كل العالم الثالث والدول النامية فى آسيا وافريقيا .. التأثير اللى احنا بنعمله هنا بتطلع عليه كتب .. وبيتكتب عليه فى كل بلاد العالم الثالث اذن اذا نجحنا فى سيرنا ونحن نتبع سياسة اقتصادية مستقلة .. معنى هذا ان تشجيع الدول الاخرى او الشعوب الاخرى لتسير على أساس سياسة اقتصادية مستقلة .

الجامعات عليها مسئولية التوعية

ده طبعا عمل مستحيل لان الافراد لا يمكن ان يتساووا .. وزى ما قلت اللى عنده دكتوراه مش زى اللى فشل فى تعليمه اللى اخذ دكتوراه لازم يأخذ جزاء عمله وجهده لانه اخذ الدكتوراه .. اللى فشل فى التعليم الثانوى واللى فشل فى تعليمه الجامعى ما نقدرش نقول ان هذا الفرد بيتساوى مع هذا الفرد كذلك اما نتكلم عن المساواة نتكلم عن تصفية الامتيازات الطبقية وتكافؤ الفرص كل واحد ليه فرصة مساوية للآخر .. اللى بيستطيع ان يسير فى هذه الفرصة بنجاح بيأخذ جزاء عمله أما اللى لا يستطيع ان ينجح حينما تتوفر له الفرصة فهو ايضا مسئول عن عمله .. اذن الجامعات عليها ان توعى الناس .. توعى الطلبة أيضا لان الطلبة منتشرين فى كل مكان .. اية مشقة التحويل الاجتماعى الكبير الذى نسير فيه وان التحويل الاجتماعى ده لن يتم فى سنة او سنتين او عشرة .. ابدا .. التحويل الاجتماعى حيأخذ سنين طويلة .. حيأخذ عشرات السنين .. والثورة الاشتراكية ثورة مستمرة وبالاشتراكية والديمقراطية والديمقراطية الاشتراكية نستطيع فعلا ان نطور مجتمعنا بحيث ان احنا نصل الى المجتمع الذى نصبو اليه .

لما نتكلم النهاردة عن زيادة الدخل القومى بنقول ان احنا زودنا الدخل القومى فى الـ ١٣ سنة اللى فاتت بما يقرب من ١١٧ أو ١١٦ر٥ فى المائة زودنا الانتاج زودنا العمل فى كل الميادين .. فى الصناعة .. فى الزراعة .. فى النقل .. فى كل الميادين .

سنعمل اكثر لزيادة الدخل

ولكن هل هذا يمكننا ان نحول مجتمعنا فعلا فى فترة قليلة او فترة قصيرة الى مجتمع اشتراكى .. لا .. لسه عايزين نعمل اكثر .. عايزين نضاعف الدخل القومى فى عشر سنوات زى ما قلنا فى سنة ٦٠ .

فى الخمس سنين الاولى استطعنا ان احنا نحقق ٩٦ ٪ من الخطة .. فى الخمس سنين القادمة قد تقابلنا ظروف صعبة لان كل ما تكبر الخطة وكل ما يكبر الاستثمار وكل ما يكبر حجم الخطة بندخل فى مشاكل معقدة اكثر .. أول الثورة كان عندنا مشاكل العمالة ومشاكل البطالة .. النهاردة ما عندناش مشاكل البطالة ولكن عندنا مشاكل أخرى زى مشاكل زيادة الاستهلاك ومشاكل الوعى الادخارى .. طبعا اما نقول ان احنا بالادخار نستطيع ان نضاعف الدخل القومى فى مدة اقل من عشر سنين ده كلام لازم الناس تفهمه وتقتنع بيه علشان تنفذه ونفهم ان ده مهواش فى صالح الحكومة ولا لصالح رئيس الجمهورية لصالح ابنائهم .

تجربتنا فريدة

يعنى ايه سياسة اقتصادية مستقلة .. يعنى بنبنى الاقتصاد الوطنى القومى .. الاقتصاد الحر اللى مفيش اى تأثير للاقتصاد الاجنبى عليه معنى ايه السياسة الاقتصادية المستقلة .. ان احنا نعيد الى الشعب كل الاموال الاجنبية اللى وجدت واستثمرت فى بلدنا ونهبت بلدنا طبعا هذا مثل لا يقبله الاستعمار العالمى ولا تقبله الرجعية بأى حال من الاحوال .. لا .. ده هم بيحاولوا دايما انهم يختلقوا بالنسبة لنا المشاكل والحكايات واحنا اما بنشوف نفسنا موجودين فى الصحف وفى الانباء كل يوم فى العالم وفى بلاد العالم بنعتقد ان احنا مهمين وفى الحقيقة انا بدى اقولكم ان احنا عندنا هنا فى بلدنا

تجربة فريدة .. وانا شفت ناس كتير درسوا هذه التجربة من الدول المتقدمة وقد ايه اعجبوا بالعمل والانجازات الكبيرة اللى تمت فى السنين اللى فاتت .. قد ايه استغربوا ان فيه قاعدة اقتصادية علشان تبنى الصناعة الثقيلة واد ايه استغربوا ان الناس بتشعر بالعزة والكرامة قد ايه استغربوا ان العمل النهاردة بقى له قيمة ماكانتش موجودة فى الماضى .. العمل بقت له قيمة .

البناء الاقتصادى يحقق المساواة

الناس بتشعر بعزتها وبكرامتها .. الشعب بيشتغل .. بيبنى فى كل مكان .. بيبنى فى المصانع .. بيبنى فى السد العالى .. بيصلح أراضى جديدة .. فيه عمل كبير ولكن احنا طبعا بما ان آمالنا كبيرة جدا ونعتقد ان ده بيحقق آمالنا فى الاشتراكية .. بل نعتقد ان احنا امامنا سنين طويلة علشان نخلق فعلا المجتمع الاشتراكى اللى فعلا كل واحد يحس بالمساواة .. لن يمكن ان نحقق هذه المساواة الا بالبناء الاقتصادى القومى .. بناء القاعدة الاقتصادية السليمة .. وبناء القاعدة الصناعية السليمة .. وبناء القاعدة الزراعية السليمة .. الاشتراكيين ايضا ما ينظروش للمجتمع الاشتراكى على انه بس مجتمع مبنى على الزراعة والصناعة ولكنه مجتمع مبنى على الاخلاق .. مبنى على القيم الاخلاقية .. القيم الروحية ليه .. لان احنا بدون الاخلاق وبدون القيم الاخلاقية والقيم الروحية ماكناش نفكر ابدا فى الناس الآخرين .. المجتمع كل واحد بيفكر فى نفسه .

وقد تكون مصلحة اى واحد على بؤس الآخرين وفى اى بلد من البلاد الراسمالية نجد ان هناك الغنى الفاحش ولكن بنجد ايضا الفقر الفاحش .. والبطالة موجودة رغم الغنى الوافر .

لا بد من التمسك بالاشتراكية

فى المجتمع الاشتراكى كل ما تتقدم وكل ما تتطور القيم الاخلاقية الاشتراكية واللى الاشراكيين لا بد انهم يتمسكوا بها نخليهم ينظروا الى المجتمع ككل بحيث الا نبنى الامتيازات لاى فئة من الناس على أساس بؤس الآخرين او على عمل الآخرين أو على كل الآخرين .

علينا مسئوليات كبيرة

المسئوليات اللى علينا مسئوليات كبيرة بالنسبة للدفاع .. احنا علينا مسئوليات كبيرة بالنسبة للدفاع .. وكلنا نعرف ان اسرائيل تنظر الينا كالهدف الاول .. واللى بيسمع لاذاعات اسرائيل .. واحنا محناش عاملين شوشرة على اذاعات اسرائيل بيشوف اد ايه الهجوم مركز على مصر .. بس مصر .. اذاعات اسرائيل تركز علينا من الصبح لغاية منتصف الليل ليه .. ما بتركزش على حد تانى ليه .. لانهـا تعلم ان القوة الذاتية موجودة .. ولانها تعلم ان الفرصة اللى موجودة للعمل وللنمو موجودة فى مصر .. النهاردة بالنسبة لبناء الصواريخ .. احنا اقمنا الصواريخ من عدة سنوات واعلنا ان احنا نجحنا فى بناء الصواريخ .. انقلبت الدنيا علينا .. اسرائيل ايضا عملت حملة كبيرة علينا .. بل اكثر من كده زى ما قلت يوم ٢٢ .. امريكا طلبت مننا ان احنا نوقف بناء الصواريخ .. ونتعهد بايقاف بناء الصواريخ .

ايه معنى ايقاف بناء الصواريخ .. فيه ناس بيقولوا ان الصواريخ بدون قنبلة ذرية مالهاش فايدة .. ولكن ان دل هذا على شىء فيدل على الجهل المطبق .. لان احنا اذا كنا عملنا قنبلة ذرية وما عملناش صواريخ حيقولوا برضه ان القنبلة الذرية بدون صواريخ مالهاش فايدة .. لكن بناء الصواريخ للناس اللى بتفهم معناه ان فيه فعلا قاعدة صناعية قوية وقاعدة علمية قوية موجودة استطاعت انها تبنى الصواريخ واستطاعت انها تبنى الطيارة النفاثة .. وبهذا نستطيع ان نسير فى كل المجالات .. ده معنى بناء الصواريخ

البقية ص ١٠

زعماء العالم الاسلامى

السيد اسماعيل الأزهرى

رئيس مجلس

السيادة السودانى

فى زيارة خاصة للجمهورية العربية المتحدة وصل السيد اسماعيل الازهرى رئيس مجلس السيادة السودانى الى القاهرة فى ٢١ سبتمبر قادما من الرباط عقب انتهاء مؤتمر القمة العربى .. ويقول سيادته موضحا انطباعه عن مؤتمر الدار البيضاء العربى : انه كان مؤتمرا مركزا ومنظما وقد حدد الاهداف الواضحة للتضامن العربى ووعد الجميع بالالتزام بها . ولعل من أهم الاسباب التى ساعدت على نجاح هذا المؤتمر رئاسة سيادة الرئيس جمال عبد الناصر الحازمة والتنظيم الدقيق للمؤتمر من جلالة الملك الحسن الثانى .

وفى ٣٠ سبتمبر غادر القاهرة الى الخرطوم السيد اسماعيل الازهرى بعد انتهاء زيارته التى استغرقت اسبوعا التقى خلاله بالرئيس جمال عبد الناصر وكبار المسئولين بالقاهرة

وقد تلقى الرئيس جمال عبد الناصر برقية الشكر التالية من رئيس مجلس السيادة السودانى بمناسبة انتهاء زيارته للجمهورية العربية المتحدة :

((.. اننى اذ اتوجه للسودان بعد اقامة أكثر من اسبوع فى رحابكم وكرمكم الفياض لايسعنى الا أن أتقدم لسيادتكم بأجزل شكر على ترحيبكم الحار وتوديعكم القلبى . أسال الله ان يحفظكم ذخرا ودرعا للحرية والعروبة وان يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه انه سميع مجيب)) .

ثم بعث الرئيس جمال عبد الناصر ببرقية الشكر التالية الى اسماعيل الازهرى ردا على برقيته :

تلقيت بالتقدير برقيتكم التى بعثتم بها اثر مغادرتكم الجمهورية العربية المتحدة بعد انتهاء زيارتكم وانى اذ اشكركم على ما عبرتم عنه من صادق المشاعر ارجو الله ان يوفقنا الى ما فيه خير البلدين الشقيقين وعزة العروبة . ومع أخلص تحياتى أبعث اليكم بأطيب تمنيات الصحة والسعادة وللشعب السودانى الشقيق كل عزة وتقدم .

الوفد الاقتصادى السودانى

برئاسة السيد / محمد أحمد المرضى وزير التجارة

من أجل تنمية التبادل التجارى بين الجمهورية العربية المتحدة والسودان الشقيق قدم الى القاهرة الوفد الاقتصادى السودانى

فى القاهرة

السيد الرئيس جمال عبد الناصر يصافح السيد اسماعيل الازهرى رئيس مجلس السيادة السودانى

برياسة محمد احمد المرضى وزير التجارة والصناعة والتموين ـ وقد توصل الجانبان العربى والسودانى فى المباحثات الاقتصادية بين البلدين ، الى اتفاق يقضى بأن تقوم مصانع النسيج بالجمهورية العربية المتحدة بتنفيذ جميع تراخيص الاستيراد التى أصدرها السودان وقيمتها مليونا جنيه ، كما طلب الجانب السودانى أن تهتم الجمهورية العربية المتحدة بالتصدير الى سوق السودان المنسوجات القطنية الفاخرة لاستعداد هذه السوق لاستيعابها نظرا لملاءمتها مع جو السودان الحار .

وبحث الجانبان الرغبات التى أبداها الجانب السودانى من حيث المواصفات المطلوبة للسوق السودانى ، ووعد الجانب السودانى باستيراد كل ما تستطيع الجمهورية العربية المتحدة تصديره من الثلاجات الكهربائية والاثاثات المعدنية ، وابدى الجانب العربى استعداده لتصدير ما يقرب من ثلاثة آلاف ثلاجة ووعد الجانب العربى باجراء جميع التسهيلات اللازمة لتصدير السجاد والكليم والأحذية والمواسير الزهر حتى تصل ارقام التصدير منها الى اكبر قدر تسمح به امكانيات الجمهورية العربية المتحدة بتنفيذه بعد استيفاء حاجة السوق المحلى ، وأن تستورد الجمهورية العربية من السودان جمالا قيمتها مليون و٤٠٠ الف جنيه استرلينى وابقارا بمليون جنيه وكميات من السمسم بمبلغ ٤٠٠ الف جنيه مقابل تصدير اقمشة عربية الى السودان قيمتها ٢ر٥ مليون جنيه و٤٠ الف طن سكر و٣٠ الف طن أرز وثلاث الاف ثلاجة .

وقد غادر الوفد التجارى القاهرة الى الخرطوم بعد ان أمضى فى القاهرة اسبوعين وقد أذيع بيان مشترك عن نتائج المباحثات الاقتصادية بين الجمهورية العربية المتحدة والسودان .

بقيـة معـالـم الطـريـق ص ٧

.. ده معنى بناء الطائرات .. ده معنى بناء العربات .. ده معنى السير فى الصناعة الثقيلة حتى ننتج فى سنة ٧٠ من الصلب اكثر من ٢/١ ٢ مليون طن .. علينا مسئوليات بالنسبة للجيش .. الجيش .. القوات المسلحة .. ومصنع الطائرات والمصانع الحربية ميزانيتها اكثر من ٢٠٠ مليون جنيه هذه الميزانية مثل ميزانية الجمهورية السورية كلها ثلاث مرات أو أكثر من ثلاث مرات .. ميزانية الجمهورية السورية حوالى ٦٠٠ أو اقل من ٦٠٠ الف مليون ليرة .

ميزانية جيشنا

احنا بنصرف على الجيش لوحده قد ميزانية سوريا ثلاث مرات .. بنصرف على التعليم قد ميزانية سوريا ثلاث مرات ، التعليم الجامعى والعالى والتعليم فى جميع مراحله .. ميزانية الجيش ايضا والمصانع ، مصانع الطائرات والمصانع الحربية، قد ميزانية الجيش السورى ٦ مرات .. وكل سنة لا بد مجبرين حنزود ميزانيتنا بالنسبة للدفاع لان اسرائيل اذا وجدت فرصة مع الاستعمار لن تتوانى عن تكرار ما قامت به فى سنة ٥٦ وتعتدى علينا وتضم جزء من اراضينا اليها ولو غفلنا احنا مس بس احنا بنحمى مصر ولكن لو غفلنا ولولا حسابهم لقوات الجمهورية العربية المتحدة اللى هى بتمثل اكبر قوة ضاربة واقوى قوى رادعة لكانوا صفوا حسابهم مع الدول العربية .. ولكن احنا راينا وحينما دعينا الى مؤتمر القمة الاول ان يكون معلوم لاسرائيل ان اسرائيل لن تستطيع ان تنفرد بأى دولة عربية لأن القوات العربية كلها بما فيها قوات الجمهورية العربية المتحدة هى القوات الموجودة كقوات رادعة اذن لا تستطيع اسرائيل اللى بتنادى بأن حدودها من النيل الى الفرات ان تبتلع أى أرض عربية طبعا عندنا مشاكل عربية لا تنتهى .. هذه المشاكل اساسا يغذيها الاستعمار .. هذه المشاكل لن تصرفنا بأى حال من الاحوال عن بناء قوتنا الذاتية فى بلادنا ومن تحقيق الامل الكبير اللى ننظر اليه كاشتراكيين .. وهو تحويل المجتمع وفعلا خلق المجتمع ترفرف عليه الرفاهية .. خلق مجتمع فيه الكفاية والعدل .. الجامعات فى هذا عليها مسئولية كبيرة جدا ، والتعليم العالى فى بلادنا النهاردة عندنا نسبة التعليم العالى من اكبر النسب الموجودة فى العالم ، عندنا اكثر من ١٤٠ الف طالب فى الجامعات كل سنة بيزيد عدد الطلبة .. نعتبر فى عداد الدول الخمس الاول فى نسبة التعليم العالى بالنسبة الى عدد السكان .

التعليم هو جيش السلام

اذن الدولة لم تقصر أبدا فى هذا لأن احنا بنعتبر التعليم هو جيش السلام اللى يخلينا فعلا نستطيع ان احنا نبنى بلادنا .. نبنى المصانع .. نبنى المزارع .. وفعلا تطور القاعدة الاقتصادية بحيث تكون قاعدة اقتصادية قوية تمكننا من ان نقيم الاشتراكية الحقيقية .. الاشتراكية ليست شعارات ومش كلام بس بينقال مش مكتوبة فى الميثاق وبس .. ولكن الاشتراكية بالاضافة الى الميثاق .. الاشتراكية هى عمل .. وعمل مضنى وشاق .. الاشتراكية هى اخلاق .. أخلاق قيم اخلاقية .. وقيم روحية .. وأرجو ان تكون الجامعات دائما هى الطليعة فى بناء المستقبل وحمل أمانة المستقبل .

والله الموفق .. والسلام .

أجهزة التنظيمات الشعبية والحكومية

يتضح من بنيان الأجهزة الشعبية السياسية وهى المتمثلة فى الوحدات الاساسية حتى قمة التنظيم . ترابط الأجهزة فى الاتصال وفى الارشاد وفى الاشراف وذلك ضمانا لدقة العمل .

وهناك ضمانات للديمقراطية السياسية بان لا تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية لقد استقر لأول مرة فى التنظيمات الشعبية تحالف قوى الشعب العاملة ، من فلاحين وعمال وجنود ومثقفين ورأسمالية وطنية .

الوحدة الوطنية التى يصنعها تحالف هذه القوى للشعب هى التى تستطيع أن تقيم الاتحاد الاشتراكى ليكون السلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانيات الثورة .

السيد حسين الشافعى

نائب رئيس الجمهورية

اذا عقدنا المقارنة بين منظمات الاتحاد على مستوى الجمهورية وبين المنظمات المماثلة فى الأحزاب المختلفة ـ كحزب المؤتمر الهندى ، والحزب الشيوعى السوفيتى أو اليوغوسلافى أو حزب العمال البريطانى أو الأحزاب الأخرى نجد أولا أننا لا نكون من التنظيمات الشعبية حزبا وانما نقيم منها تنظيما ، فغايات

الاشتراكية عندنا كما سبق وأسلفنا القول مرارا وفى غير هذه المناسبة اشتراكية ، وديمقراطية أصيلة نابعة من بيئتنا من ظروفنا ومن أوضاعنا ، ونحن نحب دائما أن نؤكد عبارات من المدلول التطبيقى للديمقراطية فى الميثاق .

« ان العمل الثورى الصادق لايمكن بغير شعبية » « أن الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تتحقق فى ظل سيطرة طبقة من الطبقات » (ان السلطة الشعبية توجه راس المال الفردى شأنه فى ذلك شان رأس المال العام » .

الحقيقة اننى فى هذه المحاولة لتجميع النقط الواردة فى الميثاق ، أو فى التطور التاريخى بالنسبة للتنظيمات الشعبية ليس من المهم أن تكون النصوص التى نقرؤها موجودة ولكن المهم اننا فى مناقشتنا لهذه النصوص ، نتصور مراحل التطبيق .

نتكلم الآن عن التطبيق واجراءاته المختلفة فنقول ، أنه فى كل مؤسسة من المؤسسات أو مصلحة من المصالح توجد وحدة اساسية وهناك مواضيع يمكن أن تناقش فى المؤتمرات .. مؤتمر الوحدة الأساسية مفروض أنه ينعقد كل أربعة أشهر ، مؤتمر المحافظة ينعقد كل ستة أشهر ، المؤتمر القومى العام الذى يمثل جميع وحدات الجمهورية ينعقد كل سنة ، فى التكوين الأصلى للوحدات ـ عدا وحدات موظفى الحكومة والكليات وهيئات التدريس ـ كانت دائما نسبة ال ٥٠ ٪ موجودة فى كل المستويات ، فى وحدات الحكومة كانت بنسبة العمال ، فاذا كانت نسبة ال ٥٠ ٪ متوفرة تؤخذ هذه النسبة ، فاذا لم تكن النسبة المذكورة متوفرة ، تؤخذ بالنسبة التى خصصت لها .

لنتصور اليوم بداية العمل ، هناك موضوعات قد تطالب هذه الوحدات فى فى اجتماعها كمؤتمر أن تناقشها ، ولنفرض أن طلب من الوحدات الأساسية فى مصالح الحكومة أن تناقش قانون التوظف ، فمن الممكن ان الجميع يشاركون فى هذه المناقشة، وربما تصل هذه المناقشات الى الملاحظات التى تفيد فى مجال التطبيق .

فى القرى قد تختلف الصورة . فمن الممكن أن تثار أية مشكلة سواء من الوحدة ، أو بتوجيه من قيادة التنظيم بأن موضوعا بالذات يناقش ، ويمكن فى لجنة الوحدة أن يدعى أى فرد من المسئولين اذا لم يكن مشاركا فى لجنة الوحدة ـ للمشاركة فى موضوع معين . واذا دعى فالمفروض أنه يلبى هذه الدعوة ، أو يكلف نيابة عنه من يستطيع أن يناقش هذا الموضوع ـ وأعتقد أن هذه الناحية تحدد أول علاقة بين التنظيمات الشعبية وبين الاجهزة الحكومية سواء كانت فى مصالح أو فى مؤسسات ـ وتصل بهذا الاتصال الى رأى ، أو الى قرار أو الى توعية .

المراحل التالية لذلك تأتى على مستوى القرية ، فالقرية نريد أن نبحث مشاكلها ، الميثاق يتكلم عن المجالس الشعبية : مجالس شعبية منتخبة على مستوى القرية ، مجالس شعبية منتخبة على مستوى المدينة ، مجالس شعبية منتخبة على مستوى المحافظة .. فالمجالس الشعبية كما يحددها الميثاق مفروض أن تكون وسيلة الرقابة ووسيلة التوجيه ، فكيف تكون هى وسيلة الرقابة ؟ من الجائز أن يكون المؤتمر احد الوسائل ويطلب المسئولين من أجل أن يناقشوا موضوعا معينا فى هذه العملية . والمجالس الشعبية ، قد تكون صورتها لم تحدد بعد بالطريقة التى يمكن معها الكلام فيها ولكن قطعا ستكون منبثقة من مؤتمر الاتحاد الاشتراكى فى المنطقة التى تمثلها

فالمجلس الشعبى فى مدينة ما مفروض أنه سينبثق من مؤتمر الاتحاد الاشتراكى لهذه المدينة شأنه فى هذا شأن مجلس الأمة .. واعتقد أن الربط الذى حدث فى انتخاب مجلس الأمة بأن يكون من شروط العضوية أن يكون المرشح عضوا فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، وهذا هو أول التزام يربط هذه التنظيمات الشعبية بالاتحاد الاشتراكى العربى ... أما الالتزام الثانى للربط فهو أن كل من يرشح نفسه ، لابد أ ن يكون فى المحافظة المسجلة بها وحدته الأساسية . وهناك سؤال من الاسئلة التى يمكن التفكير فيها وهو ، اذا كانت ستشكل مجالس شعبية فى المحافظات ،

هل وضع مجلس المحافظة كما نص عليه القانون ١٢٤ الخاص بالادارة المحلية ،سيكون على نفس الوضع ، بمعنى أن تكون أغلبيته من المنتخبين شعبيا كما هو الوضع الآن . أعتقد أن هناك آراء بحثت فى هذا الشأن فى اجتماع السادة المحافظين والوزراء الذى عقد أخيرا ، وكان هناك رأى بأن يشكل مجلس المحافظة من الاداريين ومن الموظفين فقط ، بحيث يكون المجلس الشعبى سلطة ورقابة ، هذا رأى ولكن هذا الرأى يجعل الحكم المحلى فى الصورة المثالية ، او أنه لابد أن يكون فى مجلس المحافظات ممثلون للشعب للتعبير عن المشاكل الموجودة فعلا ، ولكن بدلا من أن يكونوا معينين من المحافظة يعينون من بين اعضاء المجلس الشعبى نفسه حتى لا يكون للادارة سلطان عليهم ، اذا ما أرادوا أن يعبروا عن آرائهم ، وبحيث تكون الرقابة فعالة ، والتعبير حيا . أن كل ما نريده من ذلك هو ان يكون التعبير حيا والصلة موجودة وأجهزة الرقابة تكون محددة ، ولا شك أن المجلس الشعبى لو كان له من يمثله فى التنظيم الادارى - أى فى مجلس المحافظة أو فى مجلس المدينة - كجزء فقد يكون له وعليه ، فالنقطة التى تستحق المناقشة التفصيلية هى ، هل يشارك فى هذه المجالس ، باسم المجلس الشعبى فى داخل مجلس المحافظة أفراد بحيث يؤكدون التعبير الحى عن مطالب الأحياء نفسها ، أو أن يكون مجرد جهاز ادارى ؟ والمقارنة التى تعقد هنا ، **أن مجلس الأمة مفروض أنه يحاسب الحكومة ويسائلها ويستجوبها فبنفس الوضع ، لا يوجد من بين أعضاء مجلس الأمة أحد فى الوزارة ، ولكن الوضع فى الوزارة مختلف ، لأن كل وزير له وضع سياسى مرتبط بالتنظيم أساسا ، هو الذى انتخبه لهذا الوضع ، فله وضع سياسى ، أساسه شعبى فالمقارنة ليست متساوية . بالنسبة لمجلس المحافظات ، ومجلس المدن ، هذه هى الصورة التى يمكن فيها الالتقاء ما بين التنظيمات الشعبية وما بين مجالس المحافظات ، هذه نقطة يمكن أن تناقش هل يكون للتنظيمات الشعبية ممثلون داخل مجالس المحافظات وفى داخل مجالس المدن ، أو تقضى مجالس المحافظات ومجالس المدن على الأجهزة الحكومية ، والأجهزة الادارية وممثلى المصالح والادارات .**

تنبأت به أرواحنا وتمنيناه قبل أن يظهر فينا

ذلكم هو

جمال عبد الناصر

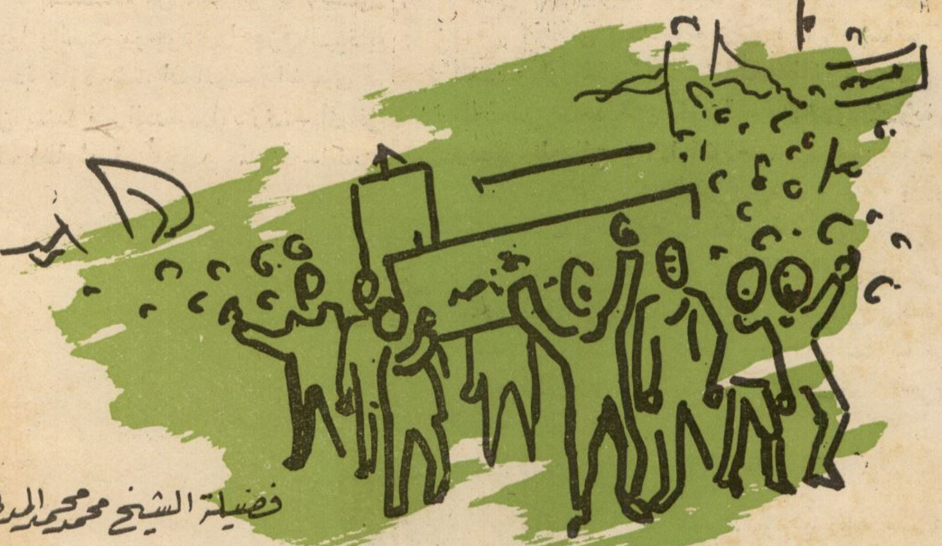

فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

فى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٧ - اى قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ بنحو خمس سنوات ، كتبت مقالا فى مجلة « الشرق العربى » المصرية الأسبوعية تحت عنوان « من مصر الشاكية ، الى فلسطين الباكية » عبرت فيه عن شعورى الفياض بالحزن والأسف على ما صار اليه أمر مصر وفلسطين على يد الانجليز العتاة الطغاة

وكانت مصر يومئذ تجار بالشكوى المريرة الى منظمة الأمم ، وتبعث برئيس وزرائها الى تلك الهيئة ليشرح لها ما تلاقيه من عنت تلك الدولة الباغية ، وكانت فلسطين موضع التآمر الاستعمارى الصهيونى وقد قرروا تمزيقها والتمهيد لاعلان دولة اسرائيل على أنقاضها ، ولم يكن للعرب حينذاك الا أن يذرفوا الدموع

السخينة على هذه الأندلس الجديدة ، وهم لا يستطيعون أن يحركوا ساكنا ، ولا أن يردوا كيد الكائدين ، ولا تدبير الغاصبين .

وقد أجرى الله قلمى فى ذلك المقال الذى كتبته من قلبى وروحى بعبارات قوية مصورة لحالنا ، ولآلامنا وآمالنا ، وكأن هذا المقال كان الهاما سخرنى الله له ، أو سخره لى ، وكأنه وهو الذى كتب فى سنة ١٩٤٧ ، انما كتب بروح الثورة الناصرية ، وفى عهدها ، وعلى ضوء مبادئها وأهدافها .

ومن الموافقات العجيبة فى هذا المقال اننى تمنيت فيه أن ينبت فينا قائد مثل صلاح الدين يثير كامن الايمان فينا ، ويحيى ما مات من عزائمنا ، وينقذ مصر وفلسطين والعروبة

ولم اكن أدرى ، ولم يكن أحد يدرى ، أن الله تعالى برحمته ولطف مقاديره كان يهيىء لنا فى ذلك الوقت هذا القائد الذى تمنيناه ، وتنبأت به نفوسنا ، واتجهت اليه آمالنا ، اذ لم تمض خمس سنوات حتى ظهر السيد الرئيس جمال عبد الناصر حفظه الله وأيده بروح منه ، فقاد الأمة بعزيمته الوثابة وارادته الصلبة الحديدية من نصر الى نصر ، حتى أشعرنا العزة بعد الذلة ، والكرامة بعد المهانة والاستقلال بعد الاحتلال ، والعدالة والانصاف بعد الظلم والاجحاف ، وحتى تبنى قضية فلسطين العزيزة فرفع لواء الجهاد فى سبيلها ، وجمع العرب شعوبا ودولا وحكومات على مبدأ استخلاصها من براثن هؤلاء الغاصبين ، واعادة أهلها اليها — ان شاء الله — آمنين .

وقد رأيت ان أورد هنا هذا المقال ، ليقرأه الناس فى عهد جمال ، بعد أن قرأه قليل منهم فى عهد الاحتلال ، وليعلموا أن ضمير الغيب كان يدخر لنا ذلك القائد الأعظم ليضم صفوفنا فى ميادين النضال .

وهذا هو المقال بنصه كما نشر بالعدد الرابع عشر من السنة الثانية لمجلة « الشرق العربى » الصادر فى ١٩ من سبتمبر .

من مصر الشاكية
الى فلسطين الباكية

أيتها الأخت الكريمة

سلام الله ورحمته وبركاته عليك ، وأبعث بثنائى الحار ، وعواطفى المتأججة ، الى مجاهديك الابطال أولى البأس والشجاعة والصبر ، سواء منهم من كان فى ربوعك مضطهدا ، ومن كن عن ديارك مشردا ، وليس أطهر ولا أزكى من تحية وثناء يزجيهما مظلوم الى مظلوم ، وحدت بينهما الآلام ، وتحالف عليهما ريب الزمان !

أنا وأنت جارتان ملتصقتان ، قد وحد الله بين بلادينا ، فليس بينى وبينك حدود من جبال تفصل ، او أودية تباعد ، ودينى ودينك واحد ، ولغتى ولغتك هى أم اللغات وأبى وأبوك عمرو بن العاص ، بطل الاسلام الذى نشر باسمه العدل ، ومحا الظلم ، وأبطل الاستبداد ، وانى أقول ما قاله الشاعر :

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا
تعالى أقاسمك الهموم تعالى !

— أنا وأنت — أيتها الأخت الكريمة هدفان لحملة ظالمة .. ! يشنها فى وقت واحد ، أعداء الاسلام من أهل الاستعمار وأصحاب المطامع ، أولئك الذين يلبسون ثوب المدنية المهذبة وهم وحوش ، ويتحدثون باسم الاصلاح والعدل وهم لصوص ، وينادون بحقوق الشعوب فى الحرية والاستقلال ، وهم ألد أعداء الحرية والاستقلال !

....

أتذكرين — يا أختاه — يوم أشرقت عليك من سماء العروبة أضواء الاسلام ، فبدلت ظلامك نورا ، وخوفك أمنا ، وظلمك عدلا ، واضطرابك هدوءا وقرارا ؟ لقد كنت من قبل فريسة لقوم من الطغاة العتاة ذوى القلوب المتحجرة ، والأكباد الغليظة ، والأثرة الطاغية الباغية ، ينهبون خيراتك باسم اصلاحك ، ويظلون أهلك وأبناءك باسم حكمك ، ويجثمون على صدرك كما تجثم الوحوش الضارية العادية على الظباء الوادعة المسالمة ، وكانوا يزعمون انهم أرباب المدنية ، وأهل العدل وأصحاب

القوانين ، بينما كانت دولتهم – فى واقع أمرها – دولة تنظم السلب والنهب ، وتضع القواعد لتهذيب حواش الظلم بدل أن يكون فوضى ، وتجعل بين المظلومين والعالم حجابا كثيفا لا تسمع من خلفه الأصوات ، ولا ترى من ثنايا الأشياء !

لقد كنت يومئذ تئنين أنين الثكالى ، وكان العالم عنك فى شغل ، وقد خلى بين الوحش والفريسة ، يسوى أمره معها كما يشاء ، وكنت أنا أيضا أعانى من العذاب مثل ما تعانين ، وأحتمل من الضيم مثل ما تحتملين ، ويعامل أهلى فى ديارى وربوعى معاملة العبيد ، يسامون الخسف ويجرعون كئوس الذل ، ويساقون بالعصا كما تساق البهائم ويضحى بانسانيتهم وكرامتهم وأموالهم وأعراضهم ومصالحهم على مذابح الأغراض الحقيرة ، والشهوات الجامحة ، وقد استمرأ الظالمون ظلمهم ، واستحلى الغاصبون غصبهم ، وخيل الى الناس أن عدالة السماء قد تخلت عن الأرض ، وأن الظلم ثابت راسخ كما يثبت الطود العظيم !

فلما أشرقت على ربوعك شمس الاسلام ، وطهر الله بها أرجاس الماضى وأقذاره ، وأذن للعدل والحرية والحق ، أن تصرع الباطل والظلم والاستبداد وقف العالم مشدوها يعجب من أمر هؤلاء الذين رمت بهم صحراء العرب دولتين عظيمين فى وقت واحد ، وكيف استطاع هؤلاء الغزاة الفقراء فى العدة والعدد أن يكتسحوا القوة والكثرة ، فى هذا الأمد القصير ؟

ووقف العالم يومئذ مشدوها مأخوذا بعظمة هؤلاء الفاتحين ، أما أنا – أنا مصر ، أريكة الروم ، وعنوان مجدها وعظمتها ، ورمز عزها وقوتها – فقد رأيت النور يومئذ منبعثا من الشرق ، عالى السناء ، وهاج الضياء ، وسمعت بعدل العرب ، وشهرتهم فى السماحة وحسن المعاملة ، ودعوتهم الى الاخاء والمساواة بين الناس جميعا ، لا فرق بين عربى وعجمى ، ولا بين مسلم وذمى ، وكنت الى هذا الشراب المرىء ، بل الى هذا الدواء الشافى ، ظمأى كما تظمأ العطاش الهيم الى المورد العذب ، فما ان طرق العرب بابى حتى فتحته لهم على مصراعيه ، كما تفتح الأبواب لضيف عزيز منتظر ، وارتميت بين أحضانهم غير وانية ولا متلبثة ، كذلك كان يومئذ حكم الشعب ، وان كرهه المستعمرون ، وضاق به المستكبرون .

ووقف العالم مرة أخرى يشهد مصرع الظلم والطغيان فى مصر التى كانت تعتبر قلعة الرومان .

وكما هيأ الزمان لى ولك ذلك على عهد الفاتحين الأولين هيأ لنا مثله على عهد صلاح الدين والظاهر ، يوم كسر الله شوكة الصليبيين ، وأطفأ نيرانهم التى أوقدوها بين المسلمين .

أرأيت – ياأختاه – كيف وحد التاريخ بينى وبينك فى الأسر والأسرين ، ثم فى الانقاذ والمنقذين ؟ واذن فليس الجوار بينى وبينك – يافلسطين – مجرد اشتراك فى حدود أو تخوم ، وانما هو جوار الروح الى الروح ، واشتراك الذكريات مع الذكريات !

وها هو ذا التاريخ يعيد نفسه كرة أخرى ، فينظر العالم ليرى الوطنيين المتجاورين يرزحان تحت حكم قاهر لدولة واحدة طاغية باغية ، يؤازرها أحلاف غير أشراف تحالوا على اقتسام الضعفاء وانتهاب الحقوق .

تريد هذه الدولة أن تقتطع من مصر سودانها ، فتمزق الجسد الواحد وتجعل رأسه فى ناحية وأطرافه فى ناحية ، وهى تستتر – لاقرار ذلك – وراء حق السودانيين فى تقرير مصيرهم ، وتوهم أنها تهيئهم للاستقلال وابتناء ملك جديد ، ودولة جديدة ، ويعلم الله أنها أكذوبة الذئب حين يخدع الشاة ، فيستلبها من بين أخواتها لينشب فيها من بعد أظفاره وأنيابه .

وكما تريد ذلك بمصر تريده لفلسطين ، فهى تزمع أن تقسمها بين العرب والصهيونيين ، وتختار للآخرين أخصب بقاعها وأفضلها انتاجا وموقعا ، تريد أن تفعل ذلك استرضاء لليهود على حساب العرب

والمسلمين ، وفى قلب بلادهم ، لتعيد بذلك « الأندلس » ومحنتها ، وتدق أسوأ « اسفين » بين هذه الشعوب المتآخية المتفاهمة ، وهى تخفى هذه الرغبة أيضا وراء ستار شفاف هو الرفق باليهود ، والنزول على حكم « لجنة التحقيق » التى ألفتها هيئة الأمم المتحدة ، وكان أجدر بها وبهذه الهيئة أن تقطع اليهود بقعة من أملاكها أو أملاك أمريكا الواسعة ان كانت من الصادقين ، ولكنها حسنة من « جيب الأغا » كما يقولون .

وها هو ذا عالم القرن العشرين يشهد فلسطين ومصر الشقيقتين، تظلمان كرة أخرى فى وقت واحد ، على يد ظالم واحد كما فعل التاريخ بهما من قبل ، فيقف جامدا ويسكت عامدا ، يجامل القوة ولا يجرؤ على مغاضبة الظالمين !

يا أختاه :

اننا لن ننتظر عمرا جديدا كعمرو بن العاص الذى أنقذنا من محنتنا الماضية بالاسلام ، ولن ننتظر دولة تأتينا من الخارج ، فتمنحنا الانصاف والعدل والرضا ، **وانما ننتظر أن ينبت فينا « صلاح الدين » جديد ، أو « ظاهر » قوى شديد ، يثير كامن الايمان فينا ، ويحيى ما مات من عزائمنا ، ويومئذ نكون مؤمنين كعهدنا يوم قذف الله الايمان فى قلوبنا على يد عمرو وأصحاب عمرو .**

ان الايمان كامن يا أختاه ـ فعلينا أن نثيره ، انه نائم فعلينا أن نوقظه ، ان ستارا خفيفا من الشهوات والاغراض يحجبه فعلينا أن نهتك هذا الستار .

اذا كان الايمان حين ورد الى بلادنا طارئا جديدا قد أنقذنا من الرومان ، فما أجدره ـ اذا استثرنا بعد هذا اللبث الطويل كوانه ، وعدنا الى الاستظلال بلوائه ، أن ينقذنا من الانجليز والأمريكان .

وسلام عليك ـ يا أخت ـ حتى يأذن الله للظلام أن ينجاب ، وللصبح المبين أن يسفر ، وانه ان شاء الله لقريب .

الأسباب، والمسببات فى تقدير

الله سبحانه

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

- ٢ -

١ - ذكرنا فى المقال السابق أن الله - تعالى - رتب الامور على أسبابها ، فليس هناك مقدور دون سبب له ، واذا خفى علينا ذلك الربط أحيانا فلا يكون لانقطاع المسبب عن سببه ، بل يكون لعدم اهتدائنا مبدئيا ، حتى ندركه بعد ، والسبب على أى حال قائم فى ذاته ٠

ويكون السبب والمسبب - أحيانا - من جانب الله : كاثارة الرياح ، فتسوق السحاب الى الأرض الجرز ، فيحيى به الله الأرض بعد موتها ٠

وكبزوغ الشمس ، والقمر ، والنجوم على أسباب علمية تكفل نظامها ، وسيرها فى مجاريها الى مستقرها أو يكون السبب فقط من جانب الانسان ، كحرث الأرض ، والقاء البذور فيها ، وسقيها بالماء ، فتخرج لنا باذن الله زرعا مختلفا أكله ، وزيتونا ورمانا وفواكه أخرى متشابهة ، وغير متشابهة ٠

أو يكون السبب انسانيا فى أمور شخصية ، كما يفعله الانسان فى جلب الخير لنفسه ، أو لغيره ، أو كما يحدثه الانسان من الشر لنفسه أو على غيره ٠

وهكذا من الأعمال الدينية ، أو الاقضية الاجتماعية ، أو الأحداث الفردية ٠ فلكل منها سببه الذى قرر الله أن يبنى عليه مسببه : ظاهرا كان أو خفيا ٠٠ وعلى هذا الأصل كان المرء مطالبا بالعمل وكان عمله مقابلا بجزائه ، ومكافأ بثمراته :

« للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله » ٠

٢ ـ وقديما كان بعض الجدليين يتجاهلون الأسباب ، وينكرون ربطها بالمسببات ٠٠ ويعتبرون الواقع من الأحداث صدفة ، أو خظوظا توات أربابها دون تعلق بأسباب لها وهذه نزعة منحرفة ، أو هى نزعة جحودية خبيثة ، وقد بين العلماء المتحفظون من الشطط مكر هذه النزغة ، وانها ترمى الى التحلل من أمور واقعية فى الدين ٠٠ والى تخذيل الانسان عن عمله النافع ، فمثلا : تكون معجزات الأنبياء ـ فى زعم هذه الفلسفة ـ صدفة ، وحظوظا وقد تحصل لغير الأنبياء صدفه كذلك وتكون كرامات الأولياء صدفة فتحصل للكافر والفاسق المرتكب ، كما تحصل للولى التقى ٠٠ وهذا منطق ضال ، يباعد بين الانسان وبين ما استقرت عليه الحقائق الكونية فى ربط الأسباب بمسبباتها ٠

فما كانت معجزة الله الا بسبب أن صاحبها مبعوث من الله الى خلقه ، وأن الله يؤيده بما يختار له من معجزة ، أو أكثر ، ليقيم حجته على أمته ٠٠ وتلك أسباب الاهية ٠٠ فما حصل لموسى ـ مثلا ـ مع فرعون وقومه ، ومع بنى اسرائيل من فلق البحر ٠٠ ونزول المن والسلوى طعاما لهم ، وسوى ذلك كان بسبب رسالته من عند الله الى فرعون وقومه ، والى بنى اسرائيل ٠

وما حصل لعيسى من احياء الموتى ،وابرائه الأكمه ـ الأعمى ـ والأبرص كان بسبب رسالته ٠٠

وما حصل لمحمد مع قريش وغيرهم : من نزول القرآن وسواه من معجزات ، كان بسبب أنه رسول حقا ٠

وليس شيء من ذلك صدفة ، ولا مجرد حظ ، ولا يمكن حصوله لغير نبى من عند الله ٠٠

٣ ـ وكذلك الكرامات للاولياء ، كانت بسبب صدقهم فى ايمانهم . واستقامتهم على شرائع الله فى عهودهم ، فتكون تكريما الاهيا لمن أراد الله منهم ٠٠ كما كانت كرامة مريم برزقها من السماء ، وحملها فى عيسى من غير أب ٠٠ وكما كانت كرامة أصحاب الكهف ، وأصحاب الأحجار الثلاثة الذين احتبسهم المطر فى مغارة بالجبل ، وكما كانت كرامة جريج العابد الذى أنطق الله الصبى فى المهد ببراءته مما نسب اليه ، وكما كانت كرامة الخضر مع موسى ٠٠ وهكذا ٠

ولا يمكن أن تكون الكرامة الصادقة لكافر ، ولا لفاسق : الا أن تكون صورة باطلة من الخرافات ومن صور السحر ، أوالكهانة التى يستعان فيها بفعل الشياطين « **وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم ، وان أطعتموهم انكم لمشركون** » ٠

ونعود : فنقرر ، ونكرر حقيقة الأسباب للمسببات كما يقررها القرآن ، والسنة ، والواقع ٠

٤ ـ والقرآن : يفيض علينا أمثلة غير محصورة فى تركيز هذه العقيدة ٠٠ وكلما تنقلنا بين آياته ، وتتبعنا أى مقام من مقاماته فى الحديث عن الايمان ، والكفر ، والنفاق ، وعن الأعمال ، وما يترتب عليها من جزاء ٠٠ وجدنا السياق كله ربطا بين الأسباب والمسببات ٠

ووجدنا تقرير ذلك أكيد فى آيات صريحة تقرع الاسماع ، وتثير الوعى ، وتهز القلوب والمشاعر ٠٠

« **٠٠ اليوم تجزون ما كنتم تعملون** » ٠٠ « **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** » ، « **اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ٠ ان الله سريع الحساب** » ، « **كل نفس بما كسبت رهينة** » ، « **الناس مجزيون بأعمالهم** » الحديث ٠

٥ ـ ثم ما الذى تهدف اليه بعد ذلك البيان هو : أن كثيرا من الناس يستسلمون للتواكل فى شأنهم الدينى ، أو فى مقتضيات الحياة ٠٠ فيتخلفون عن أعمال تنفعهم ٠٠ أو يتعرضون لأحداث تنزل بهم ٠٠ دون محاولة للتخلص منها ويتهمون أن المسألة حظوظ تصيب أو لا تصيب ٠٠ وأن الكوارث أقدار حتمية ، فلا معنى لتفاديها من جانبهم ٠

فليكن الموقف الذى يرتضونه لأنفسهم : هو التقاعد .. والاستسلام ، وانتظار الصدف فهل يكون ذلك صوابا فى التفكير ؟ أو يكون أملا يقام له وزن فى حساب الحياة ؟

ان الله قد بين لنا ما نحتاجه ، وما ينبغى لنا الأخذ به ، فهل يكون بيان الله غير صدق .. ويكون التعلل بالآمال الكواذب شرعة يرتضيها العقلاء ..

٦ ـ وهنا حلقة لا يفوتنا ذكرها ـ وهى : ان المنصرفين عن تقدير الأسباب، أو المخادعين للناس يصرفهم عن الأخذ بما بينه القرآن ، وجرت عليه الحقائق الكونية المشهودة .. هؤلاء يرددون كلمة : العبرة بالنيات .. المسألة حظوظ .. الرك على حسن النية .

وهذه مراوغات تافهة ، لا تصدر عن وعى، أو هى استهانة مؤسفة بما بينه القرآن ..

وأكثر ما نسمعها من أفواه غير المسلمين ، وكأنهم يستدرجون البلهاء الى متابعتهم فى ضلالهم ، ويقتلعون من نفوسهم ما يكون من خشية الله ، ويهدرون عندهم رعاية الأسباب، فلا وزن للحسنات ، ولا أثر للسيئات ، والأمر حظوظ لا غير ..

وعلى ذلك التضليل ينفرط النظام ، ويكون اليوم الآخر مرتعا للفوضى ، وصورة من صور الحياة الدنيا فى أقبح أشكالها فرضا وتخيلا ..

مع أن اليوم الآخر هو المنتهى الذى تتجمع فيه الحشود الآدمية منذ وجدت على وجه الدنيا.. وهو الموعد الذى لا مفر منه لحساب لا هوادة فيه .. وفيه الجزاء بالقسطاس **« ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا »** ..

فكلمة : العبرة بالنية ، أو المسألة حظوظ ـ مع تفاهتها ـ كلمة مرنة .. معسولة ، تذيق المخدوع طعم الأمل ، وتنفث فى صدره سموم الشك ، وتهون عليه أن يقتحم مزالق الخطأ ، وربما خرجت به رويدا رويدا عن دينه ، لتكذيبه ما جاء من عند الله ، وهذه غواية ملساء ، تنحدر الينا من غير المسلمين حينما يفشلون فى ترويج باطلهم بحجة ، أو اثبات عقيدتهم بأى كلام .. فحينئذ يكون منطقهم : العبرة بحسن النية ..

ثم ما معنى حسن النية .. وفى أى شىءهو؟ وما محصله واقعيا حتى نقيم له وزنه .. انها كلمات تافهة حقا ، وليس وراءها الا الخداع ، والتبجح فى الضلال .

ان حسن النية يكون فى العمل الحق ، ويكون بالاخلاص فى ذلك العمل .. وعندئذ تكون العبرة بحسن النية لا بالنفاق، ولا مع الرياء والذبذبة.. فضلا عن التحلل من سائر الأعمال ، والتشبث بتلك الجملة الجوفاء من الحق .. والمحشوة بسموم الخداع ..

وقديما كان للكفار مثل هذه المحاولة الملساء مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليستدرجوه الى باطلهم ، وكانت عبادتهم تزين لهم اقناع محمد بعبادة آلهتهم ، ليعبدوا الله مثله .. ولكن محمدا فى مناعة العصمة من الخداع .. وفى القمة من الوعى الحصيف .. وفى رعاية الله بالتوجيه الذى لايتخلف عنه من طريق الوحى : بنحو قول الله سبحانه : **« واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك»، « وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب»، « ولا أنا عابد ما عبدتم .. ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين »** .

وهذه مجالات من التوعية ، نسوقها فى ذكر الأسباب والمسببات : سواء أكانت فى الجانب الروحى ، أو فى نظم الحياة الدنيا ، وهى لا تبعد عن الدين فيما رمز لها من تنظيم وأحكام ، وحدود .. فان الله لم يخلق الناس سدى ، ولم يجعل أمورهم سائبة .. ولا يصح فى حساب الدين ولا فى حساب العقل الرشيد أن ننحدر الى تفاهة القائلين : ان العبرة بالنيات .. أو العبرة بالحظوظ ..ولا يسوغ أن نحسب هذا توكلا على الله .. فان التوكل مشروط برعاية الأسباب .. وهل يترك الانسان بيته مفتوحا للصوص ، وماله عرضة

للنهب ، وأولاده بلا رعاية ، ويحسب ذلك توكلا ؟ أو يكتفى من أسباب الوقاية ، وعن الحراسة ، ويقول : المسألة حظوظ ..

أراد رجل من الصحابة أن يترك ناقته غير معقولة بعقالها ويدخل فى الصلاة مع الرسول وصحبه .. ولما سأله النبى عن اهمال ناقته أجاب بأنه متوكل على الله ، فعلمه النبى أن التوكل على الله لا يغنى عن رعاية السبب فى حفظ الناقة ، وقال له « اعقلها وتوكل » .

وحينما خرج عمر الى الشام ذات يوم ، وعلم أن فى البلد الذى يريده وباء الطاعون ، فعدل عن نزوله الى بلد غيره ، فظن بعض الأصحاب أن العدول ليس من التوكل على الله .. وقال لعمر : أفرارا من قضاء الله يا أمير المؤمنين ؟..

فقال له عمر : نعم ، فرار من قضاء الله الى قضاء الله . يعنى : انه يأخذ بالسبب ليحصل المسبب الذى قدر الله ارتباطه به.. فعمر يتجنب العدوى بالبعد عن مخالطة أهل الوباء ، ويستقر فى مكان غير موبوء ، لتحصل السلامة التى قرر الله حصولها لمن تجنب المكان الموبوء .. فالمرض له سبب وقد تجنبه عمر .. والسلامة لها سبب ، وقد أخذ به عمر فهو يدين بالقضاء خيره وشره ، ويأخذ بالسبب الذى كلف بالتحرى فيه ، ثم اختاره فتحقق له ما سبق فى علم الله أنه يدركه بسببه ..

والايمان بالقضاء ركن أصيل فى تمام العقيدة ، ولكن القضاء لا يظهر للانسان الا بعد اختيار سببه ، وعلى هذا الاختيار يكون الثواب أو العقاب فى المجال الدينى .

ويكون النجاح أو الفشل فى مناكب الحياة الدنيا ، ومساعيها .

وليس لازما أن يكون السبب من جانب الانسان لنفسه ، بل يكون كثيرا من طريق غيره .. فانت ترى انسانا يسعى فى حاجة صاحبه حتى يدركها ، او يسعى فى دفع الظلم عنه حتى يفلت منه، أو يسعى فى الاساءة لغيره أو حرمانه من حقه ، واغتصابه لنفسه أو لسواه ، فالسبب من جانب ، والمسبب فى جانب .

والجزاء على الأول : ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .. والنبى - صلى الله عليه وسلم - يقول :

« من سعى فى حاجة أخيه سعى الله فى حاجته » ، وذلك هو قول الله - تعالى - : « من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها .. ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها» - نصيب من وزرها - وهكذا كل مجهود له أثره فى الوجود ، وفى حساب الجزاء ، وتلك هى الأسباب .. والمسببات .

لمحات إلى جهود المسلمين العلمية

الدكتور احمد الحوفى

للعروبة أعداء ، وللاسلام أعداء ، وهؤلاء وأولئك لا يفتأون يحاولون التهوين من شأن العرب ، والتهجم على الاسلام . ولهم فى ذلك وسائل شتى ، منها زعمهم أن المسلمين لم يقدموا شيئا ذا قيمة فى مجال الانتاج العلمى وانما كانوا تلاميذ لليونان وغيرهم ، يرددون ما ترجموه الى اللغة العربية .

فاذا جبهتهم بالتاريخ الصحيح الذى خلد للمسلمين صحائف مشرقة فى رعاية العلم والعلماء ، حتى لقد كان النشاط العلمى يواكب المسلمين فى كل صقع نزلوه ، زعموا أن علماء المسلمين لم يبتكروا ، بل قلدوا سابقيهم تقليد التلميذ للاستاذ .

والحق أن هذه دعوى باطلة لا تستطيع البقاء أمام التاريخ العلمى المجيد الذى سجله المسلمون على توالى الأعصار .

١ ـ ومن ذا الذى يجهل جهود المسلمين فى التشريع الاسلامى والفقه الاسلامى، ونظرياتهم الدقيقة التى تناولت كل ما يتصل بالفرد والجماعة ، والأسس الانسانية المثلى التى أقاموا عليها تشريعهم ، معتمدين على كتاب الله وسنة رسول الله واجتهادهم الخاص ، حتى صار التشريع الاسلامى أنبل تشريع عرفته البشرية منذ كان تشريع الى اليوم .

٢ ـ فاذا انتقلنا الى علم مثل الجغرافية وجدنا المسلمين صححوا كثيرا من أغلاط اليونان وغيرهم ، ووجدنا كتب العرب التى ألفوها كانت ينابيع لأوربا عدة قرون .

فالمسلمون هم الذين عينوا طول الدرجة الأرضية بمالا يكاد يختلف عن طولها الحقيقى الذى يعرف اليوم .

والمسلمون هم الذين صححوا مواقع المدن الكثيرة التى عينها بطليموس مخالفا للواقع ، حتى بلغ مقدار خطئه فى تعيين طول البحر الأبيض المتوسط وحده أربعمائة فرسخ ، مع أن المسلمين لم يخطئوا فى تحديد طوله بأكثر من عشرين فرسخا .

ويكفى أن نذكر من علماء المسلمين : الشريف الادريسى الذى ولد سنة ٤٨١ هـ

(١٠٨٩ م) ودرس فى جامعة قرطبة ، ثم جاب شمالى افريقية وآسيا الصغرى وغيرهما ثم دعاه زميله فى الدراسة روجر الثانى ملك صقلية وجنوبى ايطاليا ، وكان بلاطه عربى السمات ، فلبى طلبه ، وألف له كتابه القيم « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ورسم صورة الأقاليم على نضد أو على كرة من الفضة الخالصة عظيمة الجرم . وقد ترجم كتابه الى اللاتينية ، وترجمت كل أمة ما يعنيها منه ، وطبع القسم الخاص منه بأسبانيا مع ترجمته سنة ١٧٩٩ م ، ومن هذا الكتاب تعلمت أوروبا علم الجغرافية فى القرون الوسطى ، واستمرت تنسخه ثلاثة قرون كاملة .

ولا يصح فى مجال الانصاف أن ننسى شهاب الدين احمد بن ماجد النجدى الذى كان يلقب فى القرن الخامس عشر الميلادى بأسد البحر ، فانه كان المرشد لفاسكو دى جاما فى رحلته الى الهند سنة ١٤٩٨ م ، والكشف عن الطريق اليها .

٣ ـ وأما علم الفلك فقد تفوق المسلمون فيه تفوقا يتأبى على الانكار ، اذ كثرت مراصدهم فى كل اقليم ، مثل مرصد سمرقند ودمشق والقاهرة وفاس وطليطلة وقرطبة ، وكان للفلك مدارس فى بغداد والقاهرة والأندلس .

وقد استطاع المسلمون فى زمن هارون الرشيد وابنه المأمون أن يصححوا كثيرا من أغلاط بطليموس فى كتابه « المجسطى » فيما يتصل بقياس محيط الأرض والدرجة الارضية ومواقيت اعتدال الليل والنهار ، وطول السنة الشمسية ، كما استطاعوا أن يصلوا الى نتائج مهمة جدا تطابق ما وصل اليه العلم المعاصر ، مثل انحراف سمت الشمس ، وتعيين مدة السنة الشمسية ، وتحديد طول الدرجة الأرضية ، واصلاح التقويم السنوى .. اذ قاموا بارصاد سنة ١٠٧٩م أدت الى خطأ يومين اثنين فى كل عشرة آلاف سنة ، مع أن التقويم الجريجورى الذى تم بعد ذلك بستمائة سنة أدى الى خطأ ثلاثة أيام .

والمسلمون الذين صنعوا الأسطرلاب ، وفى مكتبة باريس ثلاثة منه ، والذى ينعم النظر فيه يتحقق أنه يدل على حذق ومهارة ، حتى ليصعب فى الوقت الحاضر أن يصنع خير منه .

ومن أشهر علمائهم **البتانى** الذى كان له من الشأن بين المسلمين ما لبطليموس بين الاغريق .. وقد وضعه العلامة لالاند فى صف العشرين الذين هم أشهر علماء الفلك فى العالم من القديم الى الحديث .

ومنهم البيرونى الذى عرض لدوران الارض حول محورها وضبط أبعاد خطوط الطول والعرض وله بحوث جعلت المستشرق سنحاو يعتبره أعظم عقلية فلكية .

ومنهم محمد بن موسى الخوارزمى الذى وضع زيجا نقحه بعد قرنين العالم الفلكى الأندلسى مسلمة المجريطى ، ثم نقله الى اللاتينية أولارد أف باث سنة ١١٢٦ م ، وصار هذا التقويم وغيره من التقاويم العربية الاسلامية أساسيا للمؤلفات الفلكية الرياضية التى ظهرت فى أوروبا .

كذلك نفاخر بالمسعودى وبابن بطوطة .

أما المسعودى فقد عاش فى القرن الرابع الهجرى والعاشر الميلادى ، وقضى خمسة وعشرين عاما يطوف بالعالم الاسلامى وماجاوره مثل الهند ، وسجل مشاهداته فى كتابه « **مروج الذهب** » **فذكر البلدان والجبال** والأنهار والبحار والعادات والدول الخ .

وأما ابن بطوطة فقد بدأ رحلته سنة ١٣٢٥ ميلادية ، من طنجة ، فاجتاز شمالى افريقية ومصر والشام والعراق وجزيرة العرب ، ثم عرج على القسطنطينية وايران والهند والصين ، وزار بعض الجزائر مثل سومطرة وجاوه ، ثم عاد الى مراكش بحرا ، وبعد عودته زار الأندلس وجنوبى افريقية حتى وصل الى مدينة تمبكتو ، وكتب هذا كله فى رحلته الممتعة التى ترجمت الى عدة لغات .

« للبحث بقية »

من حضارة الإسلام

كنوز الجبال

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

الماء والحياة - مقالات العلماء - الأشباه والنظائر - يد القدرة - مهابط الوحى لآيات والنذر .

الماء والحياة :

قدر لى أن أذهب فى مقالى السابق الى الماء والحياة والى الصلة بينهما فى كل أدوار الحياة والحضارة وأحوال الأبد الممتد الى مالا ينتهى . وكان الكشف العلمى عن خلية الماء ولجته التى تغطى ثلاثة أرباع الأرض ، وتتخلل غلافها مثبتا لهذه الصلة فى حياتنا الدنيا ، ولما جاء به الخبر عن المياه الأبدية فى الحياة الأخرى .

وكان لا بد من الذهاب وراء كثير من صور الماء العذب وهو يهبط نقيا مصفى أو ثلجا متناثرا على رءوس الجبال وسفوحها حتى اذا ابتلت اسفنجتها وشبعت من المـاء أخذت تسيح منه على السفوح والوديان والى الأنهار والعيون ، ولولا أن هذه الجبال فى أماكنها وعلى هيئتها لما قام تدبير المطر كما قام ولا استقام .

هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة بلا ترتيب ولا نظام فيحسبها الغافل فضلا لا حاجة اليه كان من حكمة خلقها هكذا أن حفظت ماء الشتاء للصيف وأهالت مع الأمطار جوانب من ترابها تكسو البسائط والوديان ودالات الأنهار وجزائر البحار خصبا دائما وحضارة نامية وكأنك لا ترتقى فى نهر ولا واد الا أفضى بك الى جبل ، فأما العيون فانها لا توجد ألبتة الا بالقرب من الجبال ، وكذلك ما يستنبط من القنى وما يجرى مجراها .

وليس هذا من كنوز الجبال وحسب : بل ان بالجبال متاع الحياة والأحياء ، كما قضى به القرآن فى جملة من الأشباه والنظائر المنتظمة فى آيات متفرقة منه ، ثم جاءت الكشوف العلمية أمس واليوم مثبتة ما جاء به القرآن من قضية الجبال والحياة بما لا يدع للشك منفذا فى أن القرآن انما قصد علما ثابتا ، ومهما كان القرآن قد ساقها فى جملة اشكال من اللغة البليغة فانه لم يقصر اعجازه على الشكل اللغوى الذى لا يثبت على قياس ، بل قصد الى الاعجاز العلمى لأنه ثابت القياس مستقيم البرهان .

والجبال ـ كما أخبر القرآن عنها ـ لا تثبت للحياة على كوكبنا بغيرها قدم ولا يستقر لها قرار ولا تدور للحياة رحى ٠٠ ومن ثم فلا يصح أن تكون هذه القضية مهملة القيمة والاعجاز فى مثل قوله ـ سبحانه ـ « **والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم » ، بينما يكون الاعجاز فى كونها جملة اسمية اخبر عنها بفعل ، واستكملت الجملة علتها ، اذ هى كلام لا يطرد قياس بلاغته ، بينما تطرد الحقيقة العلمية اطرادا لا ينكسر ، وهى أن المتاع من ارساء الجبال وانتصابها فى تعاريج وأموت فاذا لم ترس أو ذهبت تعاريجها وأموتها زالت الحياة ٠**

مقالات العلماء :

وقد أوعب علماء الهيئة وعلماء الطبقات ، وعلماء الدين ـ أوعبوا القول ـ قديما وحديثا ـ فى الجبال ، وهو كلام منثور عندنا ـ نحن العرب ـ فى أمثال ما كتبه قديما ثابت بن قرة فى مقاله عن منافع الجبال ، وما كتبه الجاحظ فى الخلق والاعتبار ، وما كتبه أبو حيان التوحيدى ومسكويه فى الهوامل والشوامل ، وما كتبه القزوينى فى عجائب المخلوقات وفى أمثال ما كتبه حديثا كل علمائنا الأحياء فى الهيئة والطبقات والمعادن ٠ وفى أمثال ما كتبه العلماء من غير العرب ، وربما كان هؤلاء أكثر دقة وأوسع استيعابا ، ولا سيما ما كتبوه عن الجبال فى العصر الحديث ٠

وقد سرد الجاحظ منافع الجبال فى ان الثلج يسقط عليها فيبقى فى قللها لمن يحتاج فى القيظ اليه ويذوب ما ذاب منه فتجرى منه العيون الغزيرة التى تجتمع منها الأنهار العظام وينبت منها ضروب من النبات والعقاقير التى لا ينبت مثلها فى السهل ٠ ويكون فيها كهوف ومعاقل للوحش من السباع والعادية ، وتتخذ فيها الحصون والقلاع المنيعة لتتحرز من العدو ٠ وينحت منها الحجارة للبناء والارحاء ٠٠ ويوجد فيها معادن لضروب من الجواهر ، وعسى أن يكون فيها خلال أخرى لا يعرفها الا المقدر لها فى سابق علمه المحيط ٠

ثم قال الجاحظ :

ان المطر جعل ينحدر على السهل من الجبال ليغشى ما غلظ منها وارتفع فيرويه ، ولو كان انما يأتيها من بعض نواحيها لما علا المواضع المشرفة منها ولقل ما يزرع من الأرض ٠

غير أن مسكويه فى اجابته عن أسئلة أبى حيان كان أدق وأوفى فأوضح أن منافع الجبال ووضعها على بسيط من الأرض كثيرة جدا ولولاها ما وجد نبات ولا حيوان وذلك أن سبب وجودهما وبقائهما هو الماء العذب السائح على وجه الأرض من انعقاد البخار فى الجو ، أعنى السحاب وما يعرض له من الانحصار بالبرد حتى يعود منه اما مطر واما ثلج أو برد ٠٠ ثم أنهى مسكويه كلامه بأن الجبال سبب الرطوبة الدائمة على وجه الأرض ، ومن هذا التدبير عمارة العالم ووجود النبات والحيوان فيه ٠

ولكنا لسنا بسبيل التفاصيل التى وصل اليها كل هؤلاء ، ولكنا بسبيل القضية العلمية الجامعة التى تجمل هذه التفاصيل فى كون الجبال بكيفياتها المنتصبة على الأرض ، وما يؤدى اليه هذا الكيان لو بقى وما يحدث لو زال ٠ وما من شك أن ما قاله القرآن فى القضية كان حكما وأن ما قاله العلماء كان بحثا وكشفا ، ولن يختلف هذا عن ذاك الا أنه حجة له ودليل عليه ٠

وقد ربط القرآن بين رسو الجبال وكونها أوتادا وبين الأبخرة والسحب ومجارى الأنهار وانبثاق الينابيع وادرار القوت والرزق ، وضمان المنافع بما يطمس حدة كل كلام جديد ويكسوه بسربال الاعادة والتكرار ٠

الأشباه والنظائر :

وفى كثير من الأشباه والنظائر التى ساقها القرآن فى قضايا الجبال أوضحت آياته أنها أوتاد ورواس فى الأرض لئلا تميد ٠ وليس بدعا ان يكون القرآن قد اراد بالايتاد والارساء منافع الجبال اللازمة لها من خلقها فى اماكنها التى خلقت فيها ، ومن خلقها بالكيفية التى انتصبت بها والعناصر التى تالفت منها ٠

ولقد قرنت نظائر القرآن الجبال والمياه فى قرن ، فاذا لم تذكر الأنهار ذكرت ما يكون من آثارهـا من الخصب والنمـاء والقوت والرزق ، من حيث لم تنس اسما جامعا لكل ما يتصور من منافع الجبال فذكرته فى كلمة « المتاع » .

وفى نحو عشرة من هذه النظائر جاء لفظ الرواسى اسما أو وصفا للجبال . وقد التزم القرآن أن يذكر معها - حينئـذ - الأنهار أو ما يدل على ما تفعله مياهها من نبات وثمر ، وقوت ورزق ، وقد لا يسير الترتيب اللغوى على نسق واحد ، فقد يتأخر لفظ الراسيات أو يتقدم عن الماء أو آثاره ، ولكنهما يتجاوران فى هذه القبلية أو البعدية تجاور التصاق لأن القصد قضية اتصال ما بينهمـا من غير أن يكون للغة البليغة الا الدلالة على الحقيقـة العلمية المقصودة فى قوة ووضوح .

ومن عجيب الاعجاز بذكر الحقائق أنه كان على لسان نبى أمى اتخذ طريقا يطرد قياسه فلا ينكسر، ويستمر فلا يتخلف ، وذلك الاطراد لا يستمر فى قياسات اللغة وقواعدها ، لأنها لا تنبنى على بداهة ولا أوائل ضرورية ، وانما هى صنعة العادة والتجربة ، ولذا لم تستحق اللغة أن ينحصر فيها كل الاعجاز مهما احتال أهل اللغة فى التوجيه والتدليل .

ونظـائر الرواسى فى القـرآن هى قوله - سبحانه - :

« والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم » .

وقوله : « وهو الذى مد الأرض وجعـل فيها رواسى وأنهارا » .

وقوله : « والأرض مددناها وألقينا فيهـا رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون » .

وقوله : « وجعلنا من المـاء كل شئ حى . افلا يؤمنون وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم .

وقوله : « وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا »

وقوله : « أم من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى » .

وقوله : « وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة » .

وقوله : « وجعل فيها رواسى من فوقهـا وبارك فيها وقدر فيها أقواتها » .

وقوله : « والأرض مددناها وألقينا فيهـا رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج »

وقوله : « وجعلنا فيها رواسى شـامخات وأسقيناكم ماء فراتا » .

ولعل من روائع هذه النظائر أنها لم تربط بين الرواسى والأنهار أو ما يتخلف عن الأنهار بغير فعل واحد وهو فعل الجعل لتستبين فى وضوح ارادة القرآن من أنها قضية واحدة فى كيفية الخلق ومشيئة التكوين ، لا انفصال بين جزءيها ولا مباعدة بين طرفيها . ومهمـا لبست اللغة فى القرآن أشكالا بيـانية فان الحقيقة تظل واحدة والقضية تظل فى ثبوت.

وهكذا جاء اقتران الجبال بالمياه امرا ثابتا مؤكدا مكرر التـأكيد ، فان لم يجئ هـذا الاقتران فى آية واحدة فانهمـا يقترنان فى آيتين متتابعتين كما جاء فى سورة الأنبياء من قوله - سبحانه - : **« وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون . وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم » .**

وكل ما يمكن أن يكون فى ضمن هـذه الجبال من منفعة لهذه الخليقة فقد أشار اليه القرآن فى كلمة « متاع » فى قوله - سبحانه - **« والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم » ..** والمتاع يتناول السقى من نهر أو عين ويتناول الخصب من نبات وشجر وحب وثمر ويتناول الحلية والصناعة والفلز والمعدن أو يتنـاول شئون الحياة كلها وشئون الحضارة بمعارجها ودرجاتها .

يد القـدرة :

ومهما بحث الناس وراء الجبال واستخرجوا منها معانى وكنوزا فان قضيتها لا تخرج عما قرره القرآن فيها اذ هى كل القضية . غير أنه لا بد أن يتضح خفى سرها وعظيم خطرها الذى استكن فى اسـتقرارها وكيفيـة انتصابها .

ولعل ذلك السر وذلك الخطر كامنان فى قوله - سـبحانه - « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السمـاء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت » ، ثم هما كامنان كذلك

فى قوله ـ سبحانه ـ « ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا » .

ولأمر ما سبق القرآن بهذا النذير فى أول الاسلام ، ثم أتبعه بالتفصيل والاسهاب فيما جاء بعد فى بقية النظائر والأشباه .

فالجبال تبدو منثورة على سطح الأرض فى آكام من تراب وأحجار وفى تعاريج ملتوية على غير نظام ولا ترتيب ، ولكنهـا حكمة الخالق جرت هكذا لتدل على القدرة البـالغة التى جعلت من الكائن الرخيص والشكل المعيب كل الحياة ، ولو غلا قدره فصـار ذهبا أو استوى شكله فكان كرة مستوية ملسـاء ، لفسدت القضية وما قامت الحياة .

وليس معنى ذلك أنه ليس فى الجبـال ما هو معقد التركيب ، ولكن يد القـادر نثرته هكذا فى الكون نثرا يبدو كأنه مهمل النظام ليبدو لعين الانسان مأنوسـا غير مرهوب ، اذ لو بدت عقده وأنظمته وغرائبـه ومراهبـه لكان الدهش والفزع ملء ما نرى من أرض وسماء ولفر كل قلب من صدره وكل عقل من رأسه ، وهذا ما يكون عند الفزع الأكبر يوم تسير الجبال .

وكأنمـا تنظر عين الصانع البـديع الى ما أبدعته يده من أشياء وألقت به هينا للناس نظرتها الى الهين فى جانب القدرة . ولعل هذه النظرة هى سر التعبير المجمـل عن كل ما صنعته يد الخالق فى الكتب المقدسة ، وفى القرآن . ولكن عين الكاشف لسر الكائن تعجب لما ترى وتدهش لما تكشف ، فمن حيث يكتفى الخالق المقتدر بالتنبيه والاجمـال .. لا يكتفى المتحسس الضعيف بغير البسـط وتفصيل الأحوال .

وصانع الاشياء بقوله « كن » ـ اذا شاء أن تكون ـ أكبر من أن يعجب ويدهش لشىء خلقه طبق علمه ومشيئته مهمـا بلغت دقة الشىء أو سعته لأنه كله عليه سهل هين ـ لا بمعنى السهولة التى هى ضد الصعوبة ولكن بمعنى مجرد توجه المشيئة ـ وهو لا يحتاج زمنـا ليكون . ولكن العقل الضعيف هو الذى يحق له أن يدهش لأنه لا يعلم شيئا من سر أو مدى الا بعد الجهد والضنى والشقوة والعنـاء .. فكانت اندهاشته أشبه الأشـياء بتنفس الصـعداء يتنفسه المتصعد المتعب فى جبل وعر ، أو المترقى اللاهث فى عروج صعب .

ومن أعظم الزيغ ، وأكبر الزلل أن يظن العقل حين يصل الى سر من الأسرار أنه صار فى منزلة المبدع ذاته ـ حتى لو اهتدى العقل الى التحليل والتركيب وأمكنه فيـاد أزمة بعض الكائنات ـ فانه لم يكن ـ ولن يكون ـ الخالق للعناصر التى أمكنته من العمل فيها بالتحليل والتركيب والقياد .

مهابط الوحى :

والطور وجبل الجليـل وأبو قبيس هتفت على روابيها أصوات الرسالات ، وتمثلت بها وبغيرها سير وتواريخ ، وذلك أمر عجيب ، ولا سيما فى شأن رسالات التوحيـد التى جاءت الى البشرية من عهد قريب .

وأنا لا أدعى أنى كشفت السر الذى من أجله كانت مهابط الوحى فى الجبـال ، فان ذلك عند العليم الخبير ، غير أن العقـل البشرى ربما تعلق بأسـباب مخترعة لأدنى المناسبات وأقرب المشابهات فيعقد بها منطقه وينظم دلائله : فلعل علو الجبال يناسب علو الرسالات فاتخذتها منابر لدعوتهـا ومراقى لخطبها ومواعظها ، أو لعل حقائق الرسالات راسخة رسـوخ الجبال وقد قضى أن تكون من أبنية الأرض التى رست عليهـا ، وقد اكتفى الحال بالدلالة على ذلك دون أن يلتمس الأمر سـبيلا من تشبيه لغـوى موجز أو مطنب . أو لعل الجبال لما كانت معـالم يهتدى بها فى السير اتخذتها الشرائع منازل لتكون هى الأخرى معالم يهتدى بهـا الى الطريق ..

وما من قول يشفى فى هذا الأمر العجيب: فلأمر ما أهبـط آدم على ربوة ، وعرضت الأمانة على الجبال ، وأرسيت سفينة نوح على الجودى ، وقطعت على الجبال طير ابراهيم ، وسخرت الجبال لداود يسبحن ، ونتـق

الجبل لموسى ، وكان مأوى أهل الكهف فى الرقيم ..

ولأمر ما كان نسك المسلمين فى الحج حول الجبال يبتدئون الطواف من حجر ويسعون بين الصفا والمروة ويجتمعون على عرفات ، واذا زاروا سعوا الى غار الوحى أو غار الهجرة ، وهما غاران فى صدور الجبال .

ولقد كان حقا ما اعتقده الصوفية من جلال الجبال فاتخذها كثير من الأبدال مساكن ومساجد ، فقد وصفها القرآن بالخشوع والتسبيح والسجود والتأويب ، فلجأوا اليها تقطعهم عن الخلق وتحرمهم من بلوغ الشهوات بينما تصلهم بالخالق وتصرفهم اليه عن كل ما سواه .

ثم اتخذت الأساطير طريقها الى الجبال فصنعت حولها القصص ذات الأخبار ، والأوصاف ذات الأهوال . وبقدر ما يسيل على سفوحها وجوانبها من وحوش وهوام .. استفاضت أحاديث الأقدار والغرائب والفجاءات والعجائب .

ولقد زعمت الكيسانية أن محمد بن الحنفية - وهو مهديهم المنتظر - مقيم على جبل رضوى وأنه حى لم يزل وأنه يعود بعد الغيبة ليملأ الأرض عدلا . وهو ابداع من الخيال أو أمر من المحال .

الآيات والنذر :

وما أجدر أن يحبس كل طامع أمنيته عن أن تتحول هذه الجبال من تراب وصخور الى ذهب وفضة ليقتطع الناس منها الثروة التى يتحرقون اليها والحلية التى يتهافتون عليها .

وما أجدر أن يحبسوا أمنيتهم أيضا عن أن تزول هذه الجبال من أماكنها حتى تكون لهم الأرض مهادا ميسورا وجهدا موفورا .

وليعلموا أنه لو تحققت لهم هذه الأمنية أو تلك لرأوا أنفسهم أمام حياة تزول وكون يفنى ، فان الذهب والفضة لن ينبتا لهم طعاما ولا ظلا ، والمهاد الميسور لن يبقى لهم سحابا ولا مطرا ، بل لن يحبس ماء البحر فى وهدته التى هو فيها وانما سيطغى طوفانا يغرق الأرض كلها من حيث لا يكون الجودى ولا السفينة التى كان اليهما الملجأ وعليهما النجاة .

وتصور أنت حتمية الزوال لو ذاب ربع الأرض الذى هو يابس قابل للغوص والذوبان فى ثلاثة أرباعها التى هى ماء . وعد بربك من أن تصبح أرضنا من بر مغمور فى بحر مسجور .

وانه لأبقى للحياة وأضمن لها أن تظل هذه **الجبال وجددها البيض والحمر وغرابيبها السود فى أماكنها وعلى حالها لتستقيم الحكمة وينتظم أمر العالم على ما هو به موجود .**

وربما تصور الناس الهول من ثورة بركان أو وقعوا فى هوله فأدركوا بما رأوا أو ذاقوا أوائل من نذر القيامة حين تتفجر جوانب الجبال فترمى بالصخر وتقذف باللهب، ولكنهم لا يستطيعون أن يتصوروا الهول كله حين تنهد الجبال وتستوى الأرض كرة ملساء تغمرها المياه كأول ما كانت فى البدء والتكوين ولا يبقى غير روح الله يرف على وجه الغمر كأول ما جاء فى قصة التوراة .

وانه لحق واقع ، ففى نحو من اثنتى عشرة آية من آيات الوعيد ونذر القيامة أخبر القرآن بزوال الجبال حيث تصيبها الرجفة والتسيير والبس والنسف .. وقد جرى كثير من علماء الطبيعة مشاويرطويلة فى البرهنة له والتدليل عليه .

ومهما هبت بالأرض اليوم أعاصير تدمر ما تمر به وتأتى عليه فانما هى نسم ضعيف ، وريح مريضة اذا قيست غدا بنسم الساعة حين تشتد روافدها وتقوى دعائمها .

وهكذا بين وجود الجبال التى هى فى عوج وأمت قامت الحياة ، وفى زوالها وزوال معاوجها وأموتها تزول الحياة ، وهى معادلة علمية ملموسة وقضية صادقة مطردة ومعكوسة .. جاء بها القرآن جاريا على لفظه ومنطقه دون أن يذهب الى طريقة المنطق ومقدماته . غير أنها قضية تبهر العقل والعلم ، وتدهش العقلاء والعلماء ، وتفوت عين الحكمة وعيون الحكماء .

الصوفية في الهامهم

-٥-

الأستاذ حسن كامل الملطاوي

- ٥ -

« ان باء بنعمة الاخلاص اليك انسان ، فقد يكون هذا الضعيف ، الذى يضرع الى الخالق البارىء ، أن يهبنا الاخلاص الكامل ، والقرب الشامل » .

وهكذا ترى فى كلام سيدى الاستاذ العارف بالله الشيخ عبد السلام الحلوانى ، تواضع الأئمة الأتقياء ، فهو يكتب لتلميذه الناشىء بلغة التواضع والتراحم ، ويعلمه أن السعى فى الله تعالى باخلاص كامل ، يوصل الى القرب الشامل ، وهو قرب مكانة لا قرب مكان ، فانه تعالى كما يقول السادة الصوفية :

« يتقدس عن الحدود والأقطار ، والنهاية والمقدار ، ما اتصل به مخلوق ، ولا انفصل عنه حادث مسبوق به ، جلت الصمدية عن قبول الوصل والفصل ، فقرب هو فى نعته محال ، وهو تدانى الذوات ، وقرب هو واجب فى نعته ، وهو قرب بالعلم والرؤية ، وقرب هو جائز فى وصفه ، يخص به من يشاء من عباده ، وهو قرب الفضل باللطف » .

وقرب الفضل باللطف هذا هو مقام فى التصوف يتصل المؤمن فيه بربه « بالروح لا بالبدن » ، ولا تتسع العبارات للتعبير عنه ، وقد قال عنه الامام الغزالى « يضيق نطاق النطق عنه وكل ما أقوله لكم عنه :

فكان ما كان مما لست أذكره
فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

ويزيدنا شيئا من الافصاح عنه أستاذى العارف بالله سيدى الشيخ على فيقول :

قد شربنا من حبه فسكرنا
وعرفنا من أين تأتى الجوارا
ودخلنا دار الكرامة نروى
بيقين الهدى وكنا حيارى
اعذرونا اذا نهيم فانا
فى ديار الهوى خلقنا اسارى
وترانا من حيث نشرب فى الكأس
سكارى ولم نكن بسكارى

نتحلى بالعلم فى كل نـــاد
ونرى بالتقى علينـــا ازارا
فقلوب مثل الكواكب فينـــا
تظهر النور فهو لا يتـوارى

ولسيدى محى الدين بن عربى (الذى يرميه الحاقدون بأنه من أهل الحلول والاتحاد)، قدس الله سره ، كلام نفيس فى ذلك المقام يقول فيه : ومن أعظم دليل على نفى الحلول والاتحاد الذى يتوهمه بعضهم أن نعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شىء ، وأن الشمس ما انتقلت اليه بذاتها ، وانما كان القمر مجلاها ، فكذلك العبد ليس فيه شىء من خالقه ولا حل فيه (باب ٢٥٢ من الفتوحات المكية) ، وكذلك جاء فى شعره ما ينفى الحلول والاتحاد الذى ينسبه اليه أعداؤه فيقول - رضى الله عنه - :

ودع مقالة قول قال عالمهم
بأنه بالاله الواحد اتحـدا
الاتحاد محال لا يقـول به
الا جهول به عن عقله شردا
وعن حقيقته وعن شريعتـه
فاعبد الهك لا تشرك به أحدا

وكان سيدى على وفا - رضى الله عنـه - يقول :

المراد بالاتحاد حيث جاء فى كلام القـوم فناء مراد العبد فى مراد الحق كما يقـال اتحد فلان وفلان اذا عمل كل منهمـا بمراد صاحبه ثم أنشد :

وعلمــك ان كل الأمر أمرى
هو المعنى المسمى باتحـاد

وكان سيدى على البيـومى - رضى الله عنه - يقول :

كل لــه ورد يكون وسـيلة
لمعاشــه ومعاذه ومعـاده
وجعلت وردى فى الخروج عن السوى
وأكون مع مولاى تحت مـراده

أما الاخلاص فهو السر الذى يودعه الله قلب من أحب منه عباده الذين قال فيهم « يحبهم ويحبونه » ويترقى المؤمن فى صلته بربه، على قدر ما وهب من ذلك الاخلاص الذى أودعه الله فيه وقسمه له ، « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

والصدق هو سلم الترقى الذى يستند الى الاخلاص ، وقد قال تعالى : **« رجال صـدقوا ما عاهدوا الله عليه » ، كما قال تعالى : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين »** .. وقد جاء الحض عليهما فى الكتاب والسـنة ، ويشير الى ذلك أستاذى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل - رضى الله عنه - فيقـول الهاما :

ما كل من دخل الطريق اخو هدى
أو كل من صب المدامة سـاق
كم عالم فى نفسه مرض العلا
لم ينتفع بمكارم الأخـلاق
الصدق والاخلاص أسباب الهدى
يا مدعى التقوى بلا اسـتحقاق
احفظ مقام الناس واترك عرضهم
حتى تنال مواهب الخـلاق
انا لى من القـرآن خير معـلم
ومن الحديث منابعى ومذاقى

وأنت ترى من البيت الأخير أن التصوف يجب أن يقوم على الكتاب والسـنة ، ولذلك قال الساد الصوفية اذا رأيتم الرجـل يرتقى فى الهـواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة .. وقال الامام الجنيد - رضى الله عنه - علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة .

ويطلب - رضى الله عنه - العون من ربه ، وهو يجاهد فى سبيله ، ويتشرف بالانتساب اليه تعالى فيقول فى الهامه :

أسعى لخلاقى وأقصـد وجهه
وعن المسـير اليه لن أتخلفـا
يا مالكا روحى ومانحها الهـدى
انظر الى فأنت أكرم من عفـا

ان قيل من قلت أمره فى ربه
ساع وهذا فى انتسابى قد كفى

لا والذى غمر العباد بفضله
انى بغير الله لن اتشرفا

أما اخلاص الأستاذ المربى لتلميذه الناشىء ، فهو من حنان الأبوة الذى يلقاه الأبناء من آبائهم ، وقد كان شيخى العارف بالله سيدى عبد السلام الحلوانى دائم العطف على ، والاحسان الى ، وكان يسره ما يسرنى ، ويؤلمه ما يؤلمنى ، ومن عنايته بى وجهنى الى أخذ حذرى من نفسى التى بين جنبى ، وأسر لى فيما بينى وبينه ، حكمة مأثورة عن السادة الصوفية يقولون فيها « **لا يدخل حضرة القدوس أحد من أرباب النفوس** » .

وكأنما نقشها - رضى الله عنه - على قلبى . فهى لا تبارحنى ، وكلما همت نفسى أن تخادعنى أذكرها بتلك الحكمة الغالية ، فأكسر نخوتها ، وأدعو لسيدى الشيخ بالرضا والرضوان ، ورضوان الله عن سيدى الشيخ على اذ يقول فى الهامه :

آفة النفس ان تظن بها الخير
ولا تعطى للمعلم حقه
درجات الرجال لا يقتنيها
غير من ذل وهو ينكر سبقه

ويقول كذلك فى ضبط النفس وانكسار لقلوب لله تعالى :

يا مريدا للنفس معنى علاها
احفظ النفس بالتقى من اذاها
واقصد الله وحده تواضع
ان فضل الاله لا يتناهى
أحزم الناس من اذا نال رزقا
عاش بالذل وهو لا يتباهى
قد صدقنا الرحمن سرا وجهرا
ونفينا الأمثال والأشباها

ويقول أيضا :

نحن فى عالم اليقين رجال
قد غسلنا نفوسنا ثم غبنا
وشراب الرجال علم وحلم
انما نحن فوق ذاك شربنا
أجد الذل أقرب الباب الى الله
لهذا عن العباد افترقنا
ان قلبا يعيش بالذل للنا
س يعيش الحياة منهم معنى
أيها المستجير بالله طهر
قلبك العمر من سوى الله تغنى
انما الحب رغبة فاتباع
ففناء من البقا فيه معنى

وما يشير اليه - رضى الله عنه - بقوله : « انما نحن فوق ذاك شربنا » هو السر المكنون بينهم وبين بارئهم وواهبهم - جل جلاله - ويقول القطب الكبير سيدى أبو الحسن الشاذلى فى مقام هؤلاء الخواص « أما طريق الخاصة فطريق مسلوك تضمحل العقول فى أقل القليل من وصفه » وقد جاء فى وصف سيدنا الخضر - عليه السلام - « **فوجد عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما** » .

وهى آية من كتاب الله تشهد بالعلم الوهبى للخواص من عباد الله ، وحرص سيدنا موسى - عليه السلام - على الانتفاع من هذا العلم الباطنى فيه دليل شرعى على وجوب طلب علم التصوف من أهله الذين خصهم الله برحمته .

ويقول كذلك فى سعيهم اليه تعالى على صراط الشرع الشريف :

أطوف وأسعى بالعبادة صادقا
وانى بغير الشرع لا أتعبد
وان انا بالأرض اتخذت مساجدى
فقلبى لنور الله بيت ومسجد
وان يعبدوا خوفا عبدتك رغبة
ولى لذة فى رغبتى تتجدد
وأسبغ ثوب الذل فوقى لعلنى
أرى يوم القى الله ما انا أقصد
فقلبك أدبه عن الناس كلهم
ولا تعترض عبدا مسالكه دد
فكم مذنب قد صادفته عناية
فعاد وقورا بالمتابة يسجد

وكم طـائع قد غره سهد ليله
فظن العلا فى نفسه وهو مبعد
ومن لم يعلم نفســه قبل غيره
فليس له نصح يراد ويحمد

وهذا البيت الأخير عبر عن معناه السادة الصوفية الأقدمون بقولهم : من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز .

وهذه حقيقة لا شبهة فيها ، فان نجاح شيخ فى التربية لا يكون الا بعد تهذيب نفســه ، فيعطى من تهذيبه لتلاميذه الدروس العمليه قبل الدروس الكلامية ، فاذا صار التصـوف رسما بلا عمل ، بقيت القلوب على آفاتهـا النفسية فلا تغنى أصحابها شيئا فى كسب آداب الخصوص حتى لو سلمت اجسادهم من العلل الصحية ، والتصوف يقـوم على تربية القلوب والوجدان بهمة لا تعرف الملل ، وبجـد يضعف الركبتين ويحزن القلب ويدمع العين ، ولهذا يقول سيدى الشـيخ على - رضى الله عنه - :

وما التصـوف قول قد نزخرفه
بل التصوف قلب قد وهبنـاه
أمسى على أرق أشـتاق فى حرق
بالدمع فى غرق قصدى محيـاه
ويقول فى وصف الصوفية :
رجـال ولكن علا قـدرهم
تبارك من لهمـو قد خلق
لهم همم كالجبـال الرواسى
وهم عند ربك نور الغسـق
ونارهمـو فى النعيـم المقيم
فيا عجبـا جنة فى حـرق

ويرى السادة الصوفية أن الانسان انما يكون انسانا بنفسه المهذبة العـابدة الذاكرة الشاكرة الراكعة الساجدة المتصلة بربها الذى خلقها لعبادته فاذا لم يكن على صلة عامرة بربه ورابطة طاهرة بيقينه فيه - سبحانه - فلا يعتد به وان كان جسده فى صورة انسان ، ويقـول بعض صوفية الفرس فيما ترجمه الى العربيـة صديقى فضيلة الشيخ الصاوى شعلان :

اذا الورود خلت من طيب نفحتها
فلا تزاحم بها فى الأرض بستانا
اذا الوجوه خلت من نور سجدتها
لم تستحق غداة الموت أكفانا
اذا القلوب خلت من ذكر خالقهـا
فهى الصخور التى تحتل أبدانا
اذا خلا المرء من فهـم ومعرفة
ظلمت نفسك لو تدعوه انسـانا

وأبلغ مما قاله القائلون جميعا فى وصفهم ما سجله الحق تشريفا لعباده الصـالحين فى آخر سورة الفرقان :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا » الى قوله تعالى « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما ، خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما » .

« يتبـع »

مالا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

ثم أعلم ان مدرك التواتر الصحيح ، وغير الصيح دقيق ، قد يخفى على كثير ، اذ قد يظن كثير من الناس أن المستفيض متواتر ، وهذا خطأ .

لأن تعريف التواتر الصحيح هو ما نقله جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عن شيء ادركوه بأنفسهم الى جماعة اخرى مثلها ، وهكذا يستمر منقولا جماعة ، عن جماعة ، حتى يصل الينا .

كالعلم بوجود رجال قالوا عن أنفسهم انهم رسل الله الى خلقه .

وكالعلم بوجود البلاد المشهورة فى العالم .

أما ما يظن انه تواتر وهو فى الحقيقة ليس منه فهو كثير . حصل فى عصور مختلفة ، ولكنه لم يحصل به العلم القاطع لدى الجميع .

وذلك كاتفاق جمع كثير من الناس على أمر جمعتهم على الاتفاق عليه عوامل خاصة ، كرابطة تجمعهم ، أو تعصب تحكم فيهم .

من ذلك ادعاء بعض الشيعة أن هناك نصا من الله سبحانه على احقية على بن أبى طالب رضى الله عنه بالامامة ، وانها فيه ، وفى ذريته فقط .

ويقابل ذلك ما تواتر عند خصومهم بخلاف ما يزعمون .

ومع اننا ننكر قول الشيعة ذلك فاننا لا نكفرهم ، لأن مقالهم هذا وان كان شنيعا ، وظاهر البطلان ، فانه لا يعظم ضرره فى أصل من أصول الدين .

ومن ذلك قولهم ان الامام الثانى عشر من اولاد على رضى الله عنه حى ، مختبىء فى سرداب فى العراق ، وسيظهر ويحكم العالم .

فهذا القول مهما كان سخيفا فانه لا ضرر فيه على الدين وانما ضرره على ذلك الشيعى الأحمق الذى يخرج كل يوم من محل اقامته ليستقبل الامام ، فاذا جن عليه الليل رجع خائبا ، فهذا هذيان لا يضر الا صاحبه .

ثم قال ان من أشد الناس غلوا واسرافا فى التكفير طائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين وزعموا ان من لايعلم علم الكلام الذى ألفوه ، ولم يعرف العقائد الشرعية بالادلة التى ذكروها ، فهو كافر .

فهؤلاء ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده . وجعلوا الجنة وقفا على شرذمة يسيرة من تلاميذهم الذين تربوا على كتبهم .

وجهل هؤلاء ما تواتر من السنة فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذا ما ثبت فى عصر أصحابه من الحكم باسلام طوائف من أجلاف العرب كانوا غرقى فى عبادة الاصنام ، ولم يشتغلوا لحظة واحدة بادلتهم التى الفوها ، ولو اشتغلوا بها لما استطاعوا فهمها .

ومن ظن أن الايمان لا يدرك الا بادلتهم فقد أحدث بدعا غاية فى الابداع ، لأن الايمان نور يقذفه الله سبحانه فى القلب المهيأ له ، تارة بينة من الباطن لا يمكن التعبير عنها .

وتارة بمشاهدة حال رجل متدين وسريان نوره الى من يصاحبه .

وتارة بقرينة حال ، فقد جاء أعرابى الى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم وهو جاحد منكر ، فلما وقع بصره على وجهه الشريف يشع منه نور الصدق ، قال : والله ما هذا بوجه كاذب أبدا ، وطلب من النبى صلى الله عليه وسلم أن يعرض عليه الاسلام ، فاسلم فى الحال .

وجاء اعرابى آخر ممن كانوا يكرهون الكذب ، ولم يعرفوا الا الصدق ، فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم قال : استحلفك بالله ان تصدقنى ، هل الله بعثك نبيا ؟.. فقال صلى الله عليه وسلم : نعم والله ، ان الله بعثنى نبيا ، فصدقه بمجرد يمينه واسلم .

وامثال هؤلاء كثير فى كل زمان ، ولم يشتغل واحد منهم بتعلم الادلة ، بل كان يبدو نور الايمان بمثل هذه القرائن فى قلوبهم لمعة بيضاء ، ثم لا تزال تزداد اشراقا بمشاهدة أحوال كثيرة ، ومن تلاوة القرآن ، ومن غسل القلوب من آثار أمراضها ، الى غير ذلك .

فليت شعرى ، متى نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن احد من أصحابه لهم اذا جاءهم اعرابى يريد الاسلام قالوا له : الدليل على ان الله هو خالق العالم ان هذا العالم حادث ، وكل حادث لا بد له من محدث

والدليل على ان العالم حادث انه متغير ، تعرض له احوال متغيرة ، وكل متغير حادث .

أو قالوا له يجب أن تعتقد ان الله سبحانه عالم بعلم زائد عن ذاته ، وقادر بقدرة كذلك ، لا هى هو ، ولا هى غيره الى غير ذلك مما شحنت به كتب المتكلمين الذين أنفقوا اعمارهم فى ترتيب الأدلة على العقائد الدينية بما لا عهد للسلف به .

ثم قال : ولا ننكر أنه يجوز أن يكون ذكر ادلة المتكلمين احد اسباب ايمان بعض الناس ، ولكن لا يتعين ذلك طريقا مع أنه نادر .

بل الانفع المعهود فى خطاب الجماهير هو الكلام الجارى فى معرض الوعظ المرقق للقلوب ، ككثير من أساليب القرآن .

أما الكلام المحرر على طريقة المتكلمين فربما تشعر النفوس بأن فيه صنعة جدل ، يراد بها اعجاز العامى ، لا لكون الموضوع حقا فى نفسه ، وربما كان ذلك سببا فى رسوخ العناد فى القلب .

ولذلك لا ترى مجلس مناظرة بين المتكلمين ، او بين الفقهاء ، ينكشف عن واحد انتقل من طائفة الى اخرى ، ولا من مذهب الشافعى مثلا الى مذهب الحنفى .

ثم قال : واذا تركنا المداهنة ، وراعينا جانب الله وحده يمكن ان نقول ان الخوض

فى علم الكلام حرام ، لكثرة آفاقه ، الا لأحد رجلين .

رجل وقعت له شبهة لا تزول من قلبه بكلام وعظى ، ولا بخبر نقل عن النبى صلى الله عليه وسلم .

فمثل هذا يجوز ان يكون الكلام المرتب على الطريق المنطقى رافعا شبهته ، فيكون دواء له من مرضه ، فيستعمل معه ذلك . ويصان عنه سمع غيره من الاصحاء الذين لم يصابوا بهذا المرض .

والثانى رجل كامل العقل ، راسخ القدم فى الدين ، ثابت الايمان ، يريد أن يعرف صنعة المتكلمين ،ليداوى بها مريضا وقعت له شبهة ، أو يفحم بها مبتدعا ، أويحرس بها معتقده اذا قصد ضال اغواءه .

فمثل هذا يكون تعلمه طريقة المتكلمين من فرض الكفاية .

ثم قال : والحق الصريح ان كل من اعتقد ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، واشتمل عليه القرآن اعتقادا جازما فهو مؤمن وان لم يعرف أدلة .

ولا يؤكد ايمانه هذا الا لزوم العبادة ، فان من واظب على العبادة ، باخلاص ، وصل الى التقوى التى تطهر الباطن من كدرات الدنيا ، وتشرح الصدر بالنور الالهى .

ثم قال : وأقول : ان اكثر نصارى الروم ، والترك ، فى هذا الزمان (١) ، وهم المقيمون فى اقاصى بلاد الروم ، والترك الذين لم تبلغهم دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ناجون .

بل اقول : حتى الذين بلغتهم دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم مشوهة ، فعلمهم اهلوهم منذ الصبا ان كذابا مدلسا اسمه محمد ادعى النبوة كذبا ، فهؤلاء عندى كالصنف الاول .

وأما سائر الامم الذين كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم بعدما قرع اسماعهم بالتواتر ظهوره ، وصفته ، ومعجزاته الخارقة للعادة كتحقيق كل ما اخبر بأنه سيحصل قبل حصوله بمدد مختلفة ، وقال ذلك بأسلوب قاطع لا يصدر الا من متيقن ، وعلى راس معجزاته القرآن الذى تحدى به أهل الفصاحة وعجزوا عنه .

نقول : فمن قرع سمعه كل ذلك وأعرض عنه ، ولم ينظر فيه متأملا ، فهو جاحد كافر

واما من بلغه ذلك واخذ فى البحث ، والتحرى ، ولم يقصر حتى ادركه الموت قبل الوصول ، فهو مغفور له .

فاستوسع رحمة الله ، ولا تزن الامور الالهية بموازين الخلق المعهودة .

ثم قال : وأبشر ايها الاخ برحمة الله ، وبالنجاة المطلقة اذا أنت جمعت بين الايمان ، والعمل الصالح .

واحذر الهلاك المطلق ان خلوت عنها جميعا. وان كنت صاحب يقين فى أصل التصديق ، وصاحب خطا فى بعض الاعمال ، فلا تطمع فى النجاة المطلقة .

فاجتهد يغنك الله بفضله عن شفاعة الشفعاء ، والله سبحانه هو الموفق فى الاولى والآخرة .

(١) اى زمن الغزالى فى القرن الخامس الهجرى .

من الميثاق

الأستاذ محمود كمال

عندما عدت الى الميثاق ، وانا اعود اليه كثيرا ، فى مناسبات شتى ، وجدته صريحا فى القول بان الشعب المصرى قد وضع لنفسه ، عند قيام ثورة سنة ١٩٥٢ ، مبادىء ستة ، هى : ضرورة القضاء على الاستعمار واعوانه ، وعلى الاقطاع والاحتكار ، وسيطرة راس المال على الحكم ، وضرورة اقامة عدالة اجتماعية ، وجيش وطنى ، وحياة ديمقراطية سليمة .

وهذه المبادىء مجموعة ، كما ترى ، فى عبارات قليلة ، مختصرة ، ولكنها ، فى الواقع ، تطوى بين دفتيها معانى واسعة ، بعيدة الغور ، تملأ صفحات ، بل كتبا اذا اريد تعميقها ، وتفسيرها ، وبيان اهدافها ، واغراضها ، ومراميها .

وهى ذات سلطان ، وقوة ، تملك زمام النفوس ، والقلوب ، والافئدة ، وتحرك العواطف الوطنية الساكنة الهامدة ، وتخرجها الى النور ، نابضة بالحياة ، مندفعة فى تيارات متعددة ، تبتغى الرقى ، والسمو ، والاصلاح الشامل فى شتى صوره ، للافراد ، وللمجتمع ، كما تبتغى القضاء على رواسب الخمول ، والجمود ، والتواكل ، والاستسلام.

وفى جماع من القول فانها تتطلع الى صبغ الحياة العامة بصبغة ديمقراطية سليمة ، تتوافر فيها العدالة ، والمساواة ، وتكافؤ الفرص ، كما تتطلع الى صبغ الحياة الخاصة كذلك ، بصبغة صالحة ، نافعة ، هادفة .

وما دام ان هذه هى المعانى السامية ، التى تنطوى تحت تلك المبادىء ، فقد كان لزاما ان تصاغ فى اطار مضىء ، يهدى الشعب والعاملين على تنفيذ غاياته ، ورغباته ، الى اقوم سبيل ، لتعميقها ، وتأصيل جذورها ، وتأكيد فاعليتها ، كما يهديهم الى الاستفادة

من تطبيقها ، تطبيقا عمليا ، سليما ، خاليا من كل نقص أو شائبة .

والميثاق هو ذلك الاطار ، لان مضمونه عبارة عن تعبير صريح عن تصميم الشعب على تطوير هذه المبادىء ، وتحريكها « بالتجربة والممارسة ، وبالتفاعل الحى مع التاريخ القومى ، تأثرا به وتأثيرا فيه » .

كما انه عبارة عن تلقين « طلائعه الثورية أسرار آماله الكبرى » وتوسيع دائرتها « بأن يمنحها ، مع كل يوم ، عناصر جديدة ، قادرة على المشاركة فى صنع مستقبله » وبهذا الوصف يكون الميثاق قد توخى ابداء الكيفية المؤدية الى تطوير تلك المبادىء .

وانظر اليه حين يقول « ان الثورة الشاملة تحققت بفضل ضمانات معينة منها ، ايمان لا يتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى الى الانسان فى كل زمان ومكان » .

وبهذا الوصف ايضا ، يكون الميثاق قد اقام الاسس الضرورية التى ترتكز عليها الحياة الانسانية ، من الناحية الروحية ، والواقع ان الحياة ترتكز على أسس روحية ومادية معا ، ولا يمكن ان تستكمل حيويتها ما لم يقم التوازن بين الروحانيات والماديات فاذا اختل التوازن بين هذين العنصرين تضاءلت وصارت فارغة ، لا قيمة لها ، وماسخة ، لا طعم لها .

وانظر اليه حين يقول « أن الثورة حققت مقاييس جديدة للعمل الوطنى » وان الشعب مصر « على أن يستخلص للمجتمع الجديد الذى يتطلع اليه علاقات اجتماعية جديدة تقوم عليها قيم اخلاقية جديدة ، وتعبر عنها ثقافة وطنية جديدة »

والمقاييس والقيم التى يعنيها الميثاق ، فى العبارات المتقدمة ، ليست سوى المثل العليا التى يجب أن يستمسك بها الافراد والجماعات

ولا يفوتنا القول بانه ليس بدعا أن تحقق الثورة مقاييس وقيما جديدة ، لان القيم والمثل ليست امورا ثابتة ، بل هى متغيرة ، لانها تختلف باختلاف المجتمعات ، وظروفها التاريخية ، والمادية ، وهذا الاختلاف يجعلها نسبية ، بمعنى ان ما كان منها خيرا ، فى نظر الناس ، فى زمن من الازمان ، قد يصبح شرا ، فى نظرهم ، فى زمن آخر ، « ويكفى - كما يقول بسكال - أن تعبر النهر لتلتقى عند الشاطىء الآخر بعادات ، وأخلاق ، وقيم ، تختلف عن تلك التى خلفتها وراءك عند الشاطىء الاول » .

ومصدر هذه القيم هو الشرع ، والتقديرات العقلية البشرية الخالقة ، وعادات المجتمع وتقاليده ، والظروف الاقتصادية التى تمر به .

على انه لم يكن المقصود من هذا المقال هو شرح شىء من هذه المقاييس والقيم الاجتماعية **وانما المقصود هو الكلام على شىء آخر ممثل فى قول الميثاق بأن الثورة تحققت بفضل ضمانات ، منها « ايمان لايتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية » اذ أن هذه الدعوة الى الايمان تتفق ، كل الاتفاق ، مع حرية الفكر ، وجهاد البشر نحو حياة أفضل، لان الدين يدفع الانسان ، دائما ، الى التفكير الحر ، ويصد عن الجمود ، والتعصب . والقرآن الكريم يقول فى ذلك « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب » .**

وكذلك فان الثقة بالله ، وبالنفس ، مما يمكن الانسان من فرض ارادته على الحياة ليصوغها من جديد ، وفق مبادئه وامانيه .

وشعب مصر يعيش فى المنطقة التى نزلت فيها رسالات السماء ، فلا عجب اذا كان شديد الايمان بالله وبالمثل العليا ايضا .

والرسالات الدينية ذات طبيعة تقدمية ، ولقد كانت التقدمية هى شعار العروبة منذ ظهور الاسلام ، وقد تمكنت الامة العربية ، بعد انتشاره ، بقوة الايمان ، وبفضل تعاليمه السامية ، وعلى هدى من رسالته ومبادئه ، من أن تصل الى الغاية والذروة .

ومنذ ايام ، كنت اقرا فى كتاب ، عن تاريخ افريقيا ، لاحد المؤلفين الانجليز ، تعرض فيه ، فى اختصار بالغ ، الى بعض تاريخ العرب ،

والاسلام ، فى تلك القارة ، وفى اسبانيا ايضا ، وقد عنى فيه بشىء من الوصف عن تلك التقدمية العربية ، فى تلك المناطق ، فى الازمان الماضية ، وكان مما قاله ما ترجمته :

فى سنة ٧١١ قاد احد البربر المسمى « طارق » الذى كان قد اسلم ، جيشا من العرب والبربر ، عبر بوغاز جبل طارق وهزم أسبانيا . وكان العرب هم الذين ادخلوا الدين الاسلامى الى شمال افريقية وصار معظم سكانه ، منذ ذلك الوقت ، مسلمين يتكلمون اللغة العربية .. ولقد اثرى مسلموا اسبانيا ثراء عظيما ، واصبحوا ذوى مدنية عالية ، أعلى بكثير من مدنية غرب اوروبا ... وعرب اسبانيا كانوا اكثر رقيا بمراحل ... من انجلترا ، وفرنسا ، والممالك الاخرى فى غرب اوروبا .

ثم قال .. وماذا نقصد عندما نتكلم عن المدنية وتقول ان مدنية مسلمى اسبانيا كانت اكثر تقدما من مدنية غرب أوروبا ؟.

ويجيب على تساؤله قائلا : اولا - ان المدنية ليست مسالة ثراء أو اختراعات حديثة ، مثل الراديو ، والطيارات ، والكهرباء ، فالناس كانوا متمدينين من قبل ان يفكروا فى هذه الاشياء ، والدولة يمكن ان تكون ذات مدنية عالية ولكنها فقيرة ، فالاغريق القديمة كانت فقيرة ، ولكننا لا نزال الى الآن نتلقن مدنيتها .

والرجل المتمدين غير أنانى ، وهو دائما على استعداد لان يستمع للاخرين ، الذين يخالفونه فى الرأى ، ويعرف القانون ويطيعه حتى ولو وجد فرصة لمخالفته دون ان يكشف أمره ، وحتى لو كان فى ذلك مصلحة خاصة له ، والحكومة المتمدينة تسن قوانين صالحة ، سهل اطاعتها على الناس ، والامن والنظام هما امران مهمان بالنسبة الى المدنية .

ولكن هذا ليس كافيا ، فالناس المتمدينون يحبون اشياء كالعلوم ، والرياضيات ، كما يحبون الفنون ، مثل الشعر ، والموسيقى ، والرسم ، والعمارة ، وعندما نقول ان اسبانيا العربية كانت أكثر تقدما من غرب اوروبا فاننا نقصد انه كان يوجد فيها سلام وأمن أكثر مما هو موجود فى غرب اوروبا - كما أن حكومتها كانت اكثر تنظيما وصلاحية ، وكانت توجد فيها فنون ، وشعر ، ورياضيات ، ومفكرون أكثر ... وعموما فانها كانت أحسن عملا .

*

فالعرب كانوا فى ذلك الزمان اكثر رقيا ، وحضارة ، ومدنية ، من اوروبا ، ليس باعتراف هذا المؤلف وحده ، ولكن باعتراف شامل من التاريخ المدون باقلام الكتاب العرب والافرنج على سواء ، ولم يكن العرب يتصدرون فى هذا الفضل ، الذى يتيهون به على اسبانيا ، باعتبارهم أصل حضارتها . وعلى اوروبا كلها ، فى الواقع ، وعلى كثير من الامم الاخرى ، الا عن الاسلام ، بتعاليمه المتفقة مع معانى الانسانية والبشرية على مدى الاجيال ، ما دامت الحياة ، تلك التعاليم التى ، تدعو أول ما تدعو ، الى الايمان ، والتقدمية ، وتتطلب ، اول ما تتطلب ، الارتقاء فى مدارج الحياة نفسها ، وفى العلم والمعرفة ، كل ذلك رغبة فى سعادة البشر ، وفى استمتاعهم بالحياة فى نطاق الشريعة الغراء .

ولسنا نذكر ، هنا شيئا جديدا ، فى هذا الصدد لان تعاليم الاسلام كانت ، منذ نشاته ، هى الدعامة القوية التى يرتكز عليها المؤمنون فى تطوير حياتهم واستكمال مقومات مدنيتهم مدنيتهم .

*

ونعود الى الميثاق :

فهو اذ يدعو الى الله ، والى الدين ، انما يدعو الى الفضيلة ، والى الخير ، فى سبيل الوطن ، والفرد ، والجماعة على سواء .

ولم يكن ما قدمناه ، فى هذا المقال ، مما اشتمل عليه الميثاق من دعوة الى الله ، والى الايمان ، غير قليل من كثير قد نعود اليه فى فرصة اخرى .

في ليلة الإسراء والمعراج

الأستاذ
عبد الرحيم فرغل البلينى

حار كل نبى من ربه بلحظتين من لحظات التجلى :

كانت أولاهما حين اختياره للنبوة ، التى صقلت عقله بصقال العلم ، وجلت نفسه بجلاء المعرفة ، وجعلت بينه وبين الله سببا موصولا ٠

وكانت ثانيتهما عند اطلاعه على بعض دقائق الكون وخفاياه ، وعجائبه وغرائبه ٠

وكان من ثمرات هاتين اللحظتين أن ارتفع بهما ذكره فى الأولين ، وسما بهما قدره فى الآخرين ، وسبح بهما فى المعارف فكره ، واستنار بنور الحق قلبه ، وتوالت عليه الاشراقات الربانية ، والامدادات الالهية ، والمواهب الصمدانية ٠

والأنبياء فى هاتين اللحظتين قد تمايزت أقدارهم ، وتفاضلت درجاتهم ، وتفاوتت مراتبهم ٠

يدل على هذا قول الله تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات » ٠

فمن الأنبياء من حدد الله رسالته ، ووقت زمانه ، وخصص مشاهداته ٠ ومنهم من وسع رسالته ، وحدد زمانه ، وزاد له فى مشاهداته٠

حتى شاء الله تعالى أن يجعل الفضل الذى لا فضل فوقه ، والشرف الذى لا شرف بعده، لسيدنا محمد بن عبد الله ، أفضل الأنبياء ، وأكمل الأصفياء ، وسيد الأولين والآخرين ٠

لقد تفضل عليه ربه ، فجعل رسالته شاملة للخلق كله ٠ قال تعالى : « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » ٠ وقال تعالى : « قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » ٠ وجعل عهده دارجا على الزمن كله ٠

قال تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ٠

وجعل دينه ظاهرا على الدين كله ٠

قال تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا » ٠

وجعل كتابه برهانا على صدق دعوته ، ونورا يهدى الى الحق والى الصراط المستقيم٠

قال تعالى : « يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا » ٠

ويرحم الله القائل :

جاء النبيون بالآيات فانصرمت
وجئتنا بحكيم غير منصرم
آياته كلما طال المدى جدد
يزينهن جلال العتق والقدم
يكاد فى لفظه منه مشرفة
يوصيك بالحق والتقوى وبالرحم

ثم تفضل عليه ربه ليلة الاسراء والمعراج : فأطلعه على أسرار الكون وما فيه ، وكشف له عن مكنون الغيب وخافيه ، وأراه العجيب من آياته الكبرى ، وأظهر له الدقيق من ملكه الأعلى ، وكان فضل الله عليه عظيما ٠

قال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » ٠

وقال تعالى : « أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى ، اذ يغشى ، السدرة ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

هذا الاسراء والمعراج اذن نفحة من نفحات ذى الجلال والاكرام ، ولحظة من لحظات ذى الطول والانعام ، تجلى بهما على أكرم مبعوث ، ليملأ قلبه بنوافح العلم ، وينير عقله بشوارق المعرفة ، ويبلغه غاية السمو النفسى ، ويرفعه الى منتهى الكمال القدسى، ويصيره نورانيا فى جسمه وروحه ، روحانيا فى صفاته وصفاته، ملكيا فى طاقته واحتماله ، أهلا لأن يتخطى حواجز المادة ، ويخترق طباق السماء ، ويرى من ربه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ويرحم الله القائل :

يا من سموت الى الآفاق تقطعها
وخضت فى النور محفوفا بأمجاد
قد كان موسى كليم الله فى حجب
وأنت كلمته فى المشهد البادى
وأنت ناجيته والنفس هادئة
أما الكليم فقد ولى بارعاد
قد جئت ياسيدى أشدو بمدحتكم
وأملأ الكون تغريدا بانشادى
وأعلم الناس أن الله فضلكم
وأنكم جاههم فى يوم ميعاد

وقد تجلى المولى سبحانه وتعالى من قبل على آدم فجعله خليفة فى الأرض : يشرع لأبنائه طريق الله ، وينير عقولهم بنور الحق ، ويملأ نفوسهم بضياء الحكمة ، ثم علمه الأسماء كلها ، ليظهر للملائكة فضله ، ويبين لهم منزلته وقدره .

قال تعالى : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ... » من سورة البقرة .

وتجلى على ابراهيم عليه السلام ، فجعله للناس اماما : يبين لهم الحق والعدل ، والعلم والحكمة . وأراه ملكوت السموات والأرض ، ليزيده معرفة وتبصرة ، وطمأنينة وثباتا .

قال تعالى : « واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما » .

وقال تعالى : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض ، وليكون من الموقنين » .

وتجلى على موسى عليه السلام ، فكلمه من غير واسطة ، ليملأ قلبه باليقين . ثم أراه من آياته الكبرى ليقيم الحجة ، ويظهر الدليل .

قال تعالى : « وكلم الله موسى تكليما » .

وقال تعالى : « اذهب الى فرعون انه طغى ، فقل هل لك الى أن تزكى ، وأهديك الى ربك فتخشى ، فأراه الآية الكبرى فكذب وعصى » .

وتجلى على غير هؤلاء من الأنبياء والمرسلين بالكثير من المواهب والاشراقات ، والنفحات والواردات .

ولكن لحظة الله لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كانت أتم اللحظات ، وأكمل الاشراقات . وليس بعد رؤية الله غاية ، ولا فوق نجواه مطلب ، ولا منزلة ترام .

فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

المشاهدات فى رحلة الاسراء ..

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهدات فى مسراه ، لم تتح لغيره ، ولم تتهيأ لسواه . أراه فيها ربه عبر الدنيا وعظاتها، وصور له حقائق الأشياء وأسرارها، وضرب له أروع الأمثال على أوزار الناس وأثقالها .

(١) فقد رأى قوما تقرض شفاههم وألسنتهم بمقارض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت ، لا يفتر عنهم . فقال : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال هؤلاء يمثلون خطباء الفتنة من أمتك ، يقولون ما لا يفعلون .

وأقول : ان من خطباء الفتنة ودعاتها بعض دعاة الهزيمة ، الذى يتنكر فى هذه الأيام للعرب ، ويخرج على جمعهم ببياناته الزائفة ، وآرائه المتناقضة ، ويترامى فى أحضان الأعداء ليفوز بالمعونات والامدادات . ظانا ذلك المخلوق أنه يؤثر فى النفوس بما يهرف ، ويحولها عن أهدافها بما يقول . وما درى أن

العرب قوم نضجت عقولهم ، وسمت أفكارهم ، وأنهم لا تنطلى عليهم الأقوال الزائفة ، بل يلفظون أصحابها لفظ النواة من غير مبالاة ٠

(٢) ثم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء سيره خشبة تعترض الناس فى الطريق، فلا تدع راكبا ولا ماشيا الا مزقت ثيابه ، وأدمت اهابه ، فسأل عنها جبريل ؟ فقال له : هذا مثل أناس يقعدون على رءوس الطرق ، فلا يدعون غاديا ولا رائحا الا تناولوه بالعيب أو بالعدوان ، ولا يتركون انسانا الا هاجموه بالنقد أو بالانكار ٠

وأقول : من هذا النوع قوم يتناولون الرؤساء فى مجالسهم ، وينسبون اليهم العيوب كذبا وبهتانا ، ويدبرون لهم المكايد ظلما وعدوانا ٠

وان الشعب الوفى لرؤسائه قد تيقظ منه الوعى ، فلم يعد تنطلى عليه هذه المفتريات ، وانه ينتظر من العدالة الحكم الرادع على هذه الفئة من الناس ، وازالة آثارهم من الوجود٠

(٣) ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما لهم بطون كأمثال البيوت ، كلما هموا لينهضوا أثقلتهم بطونهم ، وعاقتهم عن النهوض ٠ فقال : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء مثل الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ٠

ويدل على هذا قول الله تعالى : « ان الذين يأكلون الربا لا يقومون الى كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » ٠

وأقول : مثل هذا الصنف من الناس فى ذلك الوعيد كل من يأكل أموال الناس بالباطل بأى سبب من الأسباب ، أو يبخل بالحق المفروض عليه فى ماله للسائل والمحروم ، أو يستهين بحق الضعيف الذى يعمل له فى حقله ، فلا ينعم عليه بما يقيم أوده ، ويطرد عنه المسغبة ٠

وان الثورة فى الجمهورية العربية المتحدة بصدد القضاء على البقية من هذا الصنف ، حتى يعيش الجميع فوق صفحة الأرض سواسية فى الحقوق والشئون ٠

وما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى عجائب الآيات ، ويجتلى غرائب الكائنات ، حتى بلغ المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله ، ورفع قدره ، وجعله قبلة للمسلمين قبل البيت الحرام ٠

ونقول : ان الله تعالى قد بارك فيما حول المسجد الأقصى بما احتواه من الخيرات والثمرات ، وقد ملكها - جل وعلا - للعرب ، واختصهم بها ، وورثهم اياها ٠ فاغتصبها المستعمرون ، وطردوا منها اهلها ، وأوجدوا فيها دولة لقيطة جمعوها من شتى البقاع ، كما يجمع المتسولون لتناول الطعام ٠

وان العرب قد عقدوا العزائم فى مؤتمر القمة الثالث وفيما قبله ، على استرداد هذا الجزء السليب من الوطن العربى ، واعادته الى أهله ، وان غدا لناظره قريب ٠

« وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »

ويومئذ يعلم الناس أجمع أن سيادة رئيس الجمهورية العربية المتحدة كان جادا حين دعا الى عقد مؤتمرات القمة للنظر فيما يحيط بالعرب من أحداث ٠٠ وكان صادقا حين قال فى خطبه للعالم : ان العرب سيستردون فلسطين ولو تظاهر عليهم الأعداء ٠٠ وكان حازما حين كون الجنود الكافية ، واعد العدد اللازمة ، ونازل الأعداء غير هياب ٠ ويومئذ يعلم الناس أيضا أن دعاة الهزيمة ، وجنود الشيطان ليسوا من العرب ولا من الاسلام فى شيء ٠ وانى ليطربنى ما قلته من الشعر فى تحدى دولة اسرائيل :

قد هيأ العرب مشيا فى جنازتها
والثأر باق ولو طالت لياليه
والظلم يصرع أهلوه بجائحة
تبقى حديثا لأهل الأرض تحكيه
عما قريب ترى حيفا عواهلها
ويسكن الله منشيه وبانيه
ويصبح التل من آبيت مقبرة
لأهل صهيون تنعاه بواكيه
الله شردهم واليوم جمعهم
وذا قضاء من الجبار يبديه
أرض المعاد لهم قبر
كما ذكرت الواح موسى ، وأمر الله يمضيه

ثم نعود الى تكملة حوادث الاسراء والمعراج فنقول :

كان من دلائل التقدير لجنات رسول الله صلى الله عليه وسلم أن حشر الله سبحانه وتعالى له بعثة من خيار الأنبياء والمرسلين بمسجد بيت المقدس ، لاستقباله وتكريمه ، وتبجيله وتعظيمه ، والحظوة بشرف رؤيته ، والتبرك بصلاته وامامته ٠

وعلى هذا المنهج درج الرؤساء اليوم اذا استقبلوا عظيما ، أو استقدموا كريما ، حيث يجمعون له من خاصة القوم من يستقبله ويكرمه ، ويحييه ويعظمه ٠

وليس بعد تعليم الله تعليم ، ولا فوق تهذيبه تهذيب ، ولا يدانى ارشاده ارشاد ٠

وقد أثنى فى ذلك الحين كل نبى على ربه ثناء عظيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **كلكم أثنى على ربه وأنا مثن على ربى ، ثم شرع يقول :**

الحمد لله الذى ارسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرا ونذيرا ، وأنزل على القرآن فيه تبيان لكل شىء ، وجعل امتى خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتى وسطا ، وجعل هم الأولون والآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ، ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحا خاتما » ٠

فقال سيدنا ابراهيم الخليل : بهذا فضلكم محمد ٠

المعراج :

ثم اجتاز صلى الله عليه وسلم السموات العلى ، مشاهدا عجائبها ، مطالعا غرائبها ، حتى وصل الى مكان سمع فيه صريف الأقلام فى الألواح ٠ وعندئذ ظهر مقامه ، ووضح كماله ، حيث تأخر عنه الأمين جبريل ، وتوقف عن مصاحبته فى المسير ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :

« أيترك الخليل خليله ياجبريل ؟ » فقال : هذا مقامى ، ولو تقدمت لاحترقت بالأنوار :

ثم يتقدم ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ فاذا هو من العرش قاب قوسين أو أدنى ، فيتمتع من ربه بالنجوى والمشاهدة ، ويتلقى أوامره بالصلاة والعبادة ، ويفوز منه بالرضا والاكرام ، والطول والانعام ٠

ثم يعود الى الحرم الأمين فى اقل من خطوة العجلان ، ونظرة الوسنان ، كما يعود البدر الى هالته ، فيكتسح غياهب الليل ، ويبشر بنور الاصباح ٠

أيها القارىء الكريم :

هذه عبقة من شذا الاسراء والمعراج ، فيها لك نفح وطيب ٠ وهذه ومضة من اشعاعاته ٠ فيها لك نور وضياء ٠ وهذا هو محمد بن عبد الله يظهر لك بهذا الحادث الفريد الذى اختص به ، أنه صفوة الله من خلقه ، ومجتباه من عباده ٠

ولما لمحمد صلى الله عليه وسلم لا يكون الخلاصة المصفاة من الموجودات ، والنسمة المصطفاة من المخلوقات ؟ ، وهو الذى بعث وحيدا فقيرا فى أمة لا تماثلها أمة فى جفوة الطبع ، ونفرة الكلمة ، وتوارث البغضاء ، والاسراف فى سفك الدماء ٠

فبدلها أمة لا تبارى فى صفاء الطبع ، وجمع الكلمة ، والاستمساك بأسباب المودة اذا حزب الأمر ، وجد الجد ، ووجب الجهاد ، ولزم الذياد ، واحتاج الوطن الى الكفاح ٠

وما الأمر ببعيد فهذا هو مؤتمر القمة الثالث يجتمع ويطيل اجتماعه ، ويفكر أعضاؤه ويطول تفكيرهم ، ويسهرون ويمحصون ٠ ــ كل ذلك ليصلوا الى أقوم الطرق التى تميت المتحفز ٠ لاغتيال مصالحهم ، وتطرد الدخيل من بلادهم ومساكنهم ٠

ان هذه العزائم المتوثبة ، والأفكار الممحصة ، والارادات الصادقة ، والأخوة الكاملة ، من تعاليم محمد بن عبد الله ، وبها تسترد الحقوق ، وتصان الكرامة ، ويعود للعرب شرف الآباء ومجد الجدود ٠

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه الذكرى فاتحة خير وبركة ، للاسلام والمسلمين فى شتى البقاع والأرجاء ٠ وأن يديم لنا رجل الساعة المجاهد الصادق سيادة رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، وأن يحفظه من كل سوء ، ويجنبه شرور العصاة ، ومكر البغاة ، والله أكرم مسئول ٠ وهو حسبنا ونعم الوكيل ٠

مقارنة الأديان

الإله عند: بني اسرائيل

الدكتور احمد شلبي

معبودات بنى اسرائيل غير « يهوه »

لم يستطع بنو اسرائيل فى أية فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذى دعا له الأنبياء ، وكان اتجاههم الى التجسيم والتعود والنفعية واضحا فى جميع مراحل تاريخهم ، وعلى الرغم من ارتباط وجودهم بابراهيم الا أن البدائية الدينية كانت طابعهم ، وتعد كثرة أنبيائهم دليلا على تجدد الشرك فيهم وبالتالى تجدد الحاجة الى أنبياء يجددون الدعوة الى التوحيد ، وكانت هذه الدعوات قليلة الجدوى على أى حال ، فظهروا للتاريخ بدائيين يعبدون الأرواح ، والأحجار ، وأحيانا مقلدين يعبدون معبودات الأمم المجاورة التى كانت لها حضارة وفكر قلدهما اليهود ويقول : Shotwell

ان اليهود كانوا فى مطلع ظهورهم على شرح التاريخ بدوا رحلا تسيطر عليهم الأفكار البدائية كالخوف من الشياطين ، والاعتقاد فى الأرواح ، وكانوا يعبدون الحجارة والأغنام والأشجار ، ويقول reinoch ان اليهود اتخذوا فى بيوتهم أصناما صغيرة كانوا يعبدونها وينتقلون بها من مكان الى مكان ، وقد ظل بنو اسرائيل على هذا الاعتقاد حتى جاء موسى ودعاهم الى الله وخرج بهم من مصر ، ولكن بنى اسرائيل كما يقول ول ديورانت لم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل ، ولم يستطع موسى أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبى لأن عبادة العجول كانت لاتزال حية فى ذاكرتهم منذ كانوا فى مصر ، وظلوا زمنا طويلا يتخذون هذا الحيوان القوى آكل العشب رمزا لالههم ويذكر الكتاب المقدس قصة العجل الذى عبدوه بعد أن تأخر موسى فى العودة اليهم ، وكيف خلعوا ملابسهم وأخذوا يرقصون عراة أمام هذا الرب ، وقد اعدم موسى ثلاثة الاف منهم عقابا لهم على عبادة هذا الوثن ، وقد بقيت عبادة العجل تتجدد فى حياة بنى اسرائيل من حين الى حين ، فقد عمل يربعام ابن سليمان عجلى ذهب ليعبدهما اتباعه حتى لايحتاجوا الى الذهاب الى الهيكل ، وقد عبد أهاب ملك اسرائيل الابقار بعد سليمان بقرن واحد ، وسنرى فيما بعد مزيدا من التفصيل عن معبودات بنى اسرائيل

وقد كانت الحية معجزة موسى كما هو معروف ، ويروى العهد القديم ان موسى عمل حية من نحاس وأن بنى اسرائيل عبدوها بعد ذلك ، وكانت الأفعى تعد حيوانا مقدسا لأنها — عندهم — تمثل الحكمة والدهاء والانسياب فضلا عن أنها تستطيع أن تجعل طرفيهـا يلتقيان ، وكان من نتيجة معجزة الأفعى التى قدمهـا موسى مايرويه ول ديورانت من أن اليهود نظروا الى موسى وهارون على انهمـا ساحران ومن ثم انتشر السحر بينهم الى عهود متأخرة رغم احتجاج الأنبياء والكهنة .

وبعد موسى وفى عهد القضاة ، تأثر بنو اسرائيل بمعبودات الكنعانيين تأثرا كبيرا ، ويوضح Kent أن اله الكنعانيين بعل أصبح معبودا لبنى اسرائيل فى كثير من قراهم ومن احوال كثيرة أصبح للطائفتين معبدواحد به تمثال يهوه وتمثال بل ، بل أصبح يهوه ينادى : بعل ، وقد ظل ذلك الى عهد يوشع .

يهوه ومراحل عبادته :

يجدر بنا أن نقف وقفة عند (يهوه) الذى شغل دائما فراغا واسعا عند الكلام عن آلهة بنى اسرائيل ، وسنتناول الكلام عن يهوه من عدة نواح :

ا — اشتقاق الاسم « يهوه »

يقول الأستاذ العقاد ان اسم « يهوه » لايعرف اشتقاقه على التحقيق فيصح انه من مادة الحياة ، ويصح انه نداء لضمير الغائب أى « ياهو » لأن موسى علم بنى اسرائيل أن يتقوا ذكره توقيرا له ، وان يكتفوا بالاشارة اليه ، وهذا الاتجاه هو ما ذهب اليه Smith ويضيف هذا احتمالا لاتجاه آخر ، هو ان الكلمة العبرانية المماثلة لكلمة (لورد lord) هى يهوا وكانت اللغة العبرية تكتب بدون حروف علة حتى سنة ٥٠٠ م ثم دخلت هذه الحروف — فأصبحت كلمة يهوا وبذلك فكلمة gehouoh ياهوفا (يهوا) أو (ياهوفا) معناها سيد واله .

ب — صفات يهوة :

للاله أسماء تختلف — بطبيعة الحال — باختلاف اللغات ، ففى اللغة العربيه يسمى الواحد الاحد « الله » وفى اللغة الانجليزية يسمى « God » وفى اللغة الاندونيسية يسمى « tuhan » فهل يهوه هو اسم الاله عند اليهود أو فى اللغة العبرانية ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال تجىء بالنفى القاطع ، لأن الصفات التى ذكرها اليهود ليهوه تبعده كل البعد عما يتصف به الاله عند أى جماعة من جماعات المتدينين ، ويجعله هذه الصفات لا مرشدا هاديا ، وانما انعكاسا لصفاتهم واتجاهاتهم ، ويقول ول ديورانت : « يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا الى احد آلهة كنعان فصاغوه فى الصورة التى كانوا هم عليها ، وجعلوا منه الها ، ويؤيد ذلك أن من بين الآثار التى وجدت فى كنعان سنة ١٩٣١ قطعا من الخزف من بقايا عصر البرنز (٣٠٠٠ ق‌م) عليها اسم اله كنعانى يسمى ياه أو ياهو » ، فيهوه ليس خالقا لهم وانما هو مخلوق لهم ، وهو لايأمرهم . بل يسير على هواهم ، وكثيرا ما يأتمر بأمرهم وفى يهوه صفاتهم الحربية ان هم حاربوا ، وصفات التدمير لأنهم مدمرون ، وهو يأمرهم بالسرقة اذا أرادوا أن يسرقوا ، ويتعلم منهم ما يريدونه أن يعلم ، ولنعد الى المراجع التى بين أيدينا لتقتبس منها مجموعة من هـذه الصفات .

وأول هذه الصفات هو اضطراب الفكـرة التى ترسمها الأسفار عن الاله ، فالوصيـة الثانية من الوصايا العشر تسمو بالاله عن الاحاطة والحصر ، اذ تنص على الآتى : « لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت » ولكن على الرغم من ذلك ترسم اسفار التوراة الخمسة صورة بشرية محضة للاله ، وستتضح هذه الصورة من فيض الأوصاف التى وصف اليهود بها يهوه والتى سنروى بعضها هنا .

فمن الأوصاف الحسية ليهوه أنه كان يسير امام جماعة بنى اسرائيل فى عمود سحاب .. فقد جاء فى سفر الخروج : وارتحلوا من سكوت ونزلوا فى ايثام فى طرف البرية ، وكان الرب يسير أمامهم نهادا فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق ، وليلا فى عمود

نار ليضيء لهم ، ويعلل Smith لهذا بأن شبه جزيرة سيناء منطقة بركانية يكثر فيها الدخان المنبعث من البراكين ، ومن المحتمل أن يكون عمود السحاب الذى تبعه بنو اسرائيل وظنوا الههم يسير فيه ، ليس فى الحقيقة الا دخانا متجمعا من البراكين دفعته الرياح الى الأمام ٠

ومن الأوصاف البشرية المحضة ليهوه ما جاء فى التوارة :

ـ ثم صعد موسى وهارون وناداب وابيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل ورأوا اله اسرائيل وتحت رجليه شبه ضعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء فى النقاوة ولكنه لم يمد يده الى أشراف بنى اسرائيل ،

ـ ٠٠٠ ٠ فيصنعون لى مقدسا لأسكن فى وسطهم ٠

ويهوه لا يدعى أنه عالم ، ويطلب من بنى اسرائيل أن يرشدوه ، فقد قرر حينما كان بنو اسرائيل لايزالون فى مصر « ان يجتاز فى أرض مصر هذه الليلة ويضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم ، ولكن يهوه لايريد أن تنزل ضرباته ببنى اسرائيل ولذلك فانه يطلب منهم ان يميزوا بيوتهم بدماء الكباش المضحاة ، بان يجعلوا الدم على القائمتين والعتبة العليا فى البيوت

ويهوه ليس معصوما ، وكثيرا ما يقع فى الخطأ ، ثم يندم على ما فعل ،وفى نص التوراة « فندم الرب على الشر الذى قال انه يفعله بشعبه » وفى نص آخر « وكان كلام الرب الى صموئيل قائلا : ندمت على أنى قد جعلت شاول ملكا لانه رجع من ورائى ولم يقم كلامى »

والاله يهوه يامر بالسرقة ، وقد اوردت التوراة نصا يامر فيه يهوه بنى اسرائيل « أن تطلب كل امرأة من جارتها من نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين »

ويهوه اله قاس من مر متعصب لشعبه لأنه ليس اله كل الشعوب بل اله بنى اسرائيل فقط ، وهو بهذا عدو للآلهة الآخرين كما أن شعبه عدو للشعوب الأخرى وتصوره المراجع اليهودية كبير الشبه برئيس عصابة فهو يقول : متى أتى لك الرب الهك الى الأرض التى أنت داخل اليها لتملكها ، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك ٠ الحيثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، سبع شعوب أكثر وأعظم منك ، ودفعهم الرب الهك أمامك وضربتهم فانك تحرمهم ، لاتقطع لهم عهدا ولا تشفق بهم ٠

ويقول كذلك : حين تقرب مدينة لكى تحاربها استدعها الى الصلح ، فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ٠ واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة اعدائك التى اعطاك الرب الهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، واما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبا ، فلا تستبق منها نسمة ما ٠

ومن صور القسوة والوحشية التى ينسبها العهد القديم ليهوه ذلك الحوار الذى ورد فى الاصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الأول ٠ فقد كان الرب طلب من شاول ملك اسرائيل تدمير العماليق بل وتدمير مواشيهم وهدم بيوتهم والقضاء على كل ذراريهم ،ومشى شاول بجيش كبير وحاصرهم فى سيناء وانتصر عليهم وقبض على ملكهم واسمه أجاج واهلك هذا الشعب كله ودمر ممتلكاتهم ولم يستبق منها الا جيد الغنم والبقر ليقدم ذبيحة للرب، ولكن يهوه يغضب من ذلك ويقول : استماع كلام الرب أفضل من الذبيحة والطاعة أفضل من شحم الكباش ويندم شاول على هذا ويقتل أجاج ويهلك ماكان قد احتفظ به من الانعام

وليست قسوة يهوه على أعداء بنى اسرائيل وحدهم ، بل انه يقسو أيضا على شعبه ويلعنهم ويتوعدهم ان هم خالفوا شيئا من أوامره ،

ولم يتبعوا كل الوصايا ، وننقل لذلك نصا من نصوص التوراة فى هذا الشأن : ان لم تسمع لصوت الرب الهك لتحرص على أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التى انا أوصيك بها اليوم تأتى عليك جميع اللعنات وتدركك ، ملعونا تكون فى المدينة وملعونا تكون فى الحقل ، ملعونة تكون سلتك ومعجنك ، ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك ، نتاج بقرك واناث غنمك ، ملعونا تكون فى دخولك وملعونا تكون فى خروجك ، يرسل عليك الرب اللعن والاضطراب والزجر فى كل ماتمتد اليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعا ، من أجل سوء أعمالك اذ تركتنى يلصق بك الرب الوباء حتى يبيدك عن الأرض التى أنت داخل اليها لكى تملكها ، يضربك الرب بالسل والحمى والرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبعك حتى تفنيك .. يضربك الرب بالقرحة والبواسير والجرب والحكة والجنون والعمى وحيرة القلب .. ويكون ذلك فيك وفى نسلك الى الابد .

وفى بعض الاحايين نمد الرب وعيده ، وقص العهد القديم قصة من ذلك كمايلى .. من أجل ذلك حمى غضب الرب على شعبه ، ومد يده عليه ، وضربه حتى ارتعدت الجبال وصارت جثثهم كالزبل فى الأزقة ، مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد وكان بنو اسرائيل يرون ماينالونه من نصر على أعدائهم منحة يهوه اليهم ، كما يرون ان ما يقع عليهم من هزائم ليس الا انتقاما من يهوه ينزله بهم لمخالفتهم أوامره . ويقتبس ول ديورانت بعض هذه اللعنات ويعلق عليها بقوله : ان هذه اللعنات لجديرة بأن تكون نماذج فى القدح والسب ، ولعلها هى التى أوحت الى الذين حرقوا الكفرة فى محاكم التفتيش الاسبانية ، أو حكموا على اسبينوزا بالحرمان أن يفعلوا مافعلوه .

وشتان أن نقارن ما يتوعد به هذا الرب شعبه ان أهملوا بعض ماأوصى به ، بالحساب الذى قرره الهنا العظيم الرحيم ، ذلك الحساب الذى تحمل الآلات الآتية اتجاهاته .

- « ان الحسنات يذهبن السيئات »

- « فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية »

- « أن الله يغفر الذنوب جميعا »

وننتقل الى صفه أخرى من صفات يهوه هى أن التوراة تصور موسى ذا سلطان عليه ، ينصحه فينتصح ، ويتخذ موسى وهو ينصحه موقف المرشد المعلم ، فمن ذلك ان يهوه غضب على بنى اسرائيل وقال لموسى : اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم ... فراجعه موسى وقال له : ارجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك ، ماذا يقول عنك الناس اذا سمعوا بفعلتك ؟ ... فندم الرب على الشر الذى قال انه يفعله لشعبه .

وقد قلنا فيما سبق ان اليهود استعاروا كثيرا من المعبودات التى كانت معروفة عند جيرانهم ، ويوضح لنا غوستاف لوبون أن اليهود لم يستعيروا من جيرانهم فى الاتجاهات الدينية والاجتماعية الا أحط ما كان عندهم ، يقول غوستاف لوبون : عندما خرج هؤلاء البدويون الذين لا اثر للثقافة فيهم ، من باديتهم ليستقروا بفلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة من زمن طويل ، فكان أمرهم كأمر جميع العروق الدنيا التى تكون فى احوال مماثلة ، فلم يقتبسوا من تلك الامم العليا سوى أخس ما فى حضارتها ، أى لم يقتبسوا غير عيوبها وعادتها الضاربة ودعارتها وخرافاتها ، فقربوا لجميع آلهة آسيا ، قربوا لعشتروت ، ولبعل ولمولك من القرابين ماهو اكثر جدا مما قربوه لاله قبيلتهم « يهوه » العبوس الحقود الذى لم يثقوا به الا قليلا من الزمن على الرغم من كل انذار جاء به انبياؤهم .

ذلك موجز عن صفات يهوه اقتبسناه من أدق المراجع ، لنعطى صورة واضحة عن اله بنى اسرائيل ، وفى المقال القادم سنتكلم عن أهم مراحل عبادة يهوه .

امام الخطر الصهيوني المستمر ، ظهرت ضرورة التضامن لمواجهة الأخطار الاقتصادية والسياسية التى تتعرض لها البلاد العربية . وهو ما دفع برئيس الجمهورية العربية المتحدة الي توجيه الدعوة فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٣ فى خطابه بمدينة بورسعيد الى عقد اجتماع لملوك ورؤساء الدول العربية لبحث الموقف الذى تواجه به المؤامرات الاسرائيلية لتحويل مجرى الأردن وذلك لمواجهة الموقف على مستوى المسئولية العربية ، والمصلحة العربية والشرف العربى جميعاً . وتوالت بعد ذلك الاجتماعات التى كان آخرها اجتماع مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية فى دور اجتماعه الثالث بالدار البيضاء من يوم ١٣ الى ١٧ سبتمبر ١٩٦٥ .

وفى الاجتماع الأول (من ١٣ ـ ١٦ مارس سنة ١٩٦٤) تدارس رؤساء الدول العربية التهديدات واعمال العدوان المتصلة التى مارستها اسرائيل منذ اخراجها الشعب العربى الفلسطينى من وطنه ، وقيامها قوة احتلال استعمارية لأراضيه ، تمارس التميز العنصرى ضد الأقلية العربية ، وتتخذ سياسة العدوان والأمر الواقع قاعدة لها ، وتمرعلى التنكر لقرارات الأمم المتحدة المؤكدة لحق شعب فلسطين الطبيعى فى العودة الى وطنه وتستهين بالادانات المتكررة التى سجلتها عليها أجهزة المنظمة العالمية .

وبعد أن بحث المجلس ما اوشكت عليه اسرائيل من القيام بعدوان خطير جديد على المياه العربية بتحويل مجرى نهر الاردن ، اتخذ المجلس ـ قياما بواجب الدفاع المشروع وايمانا بحق الشعب العربى الفلسطينى المقدس فى تقرير المصير ، مجموعة من القرارات اللازمة لاتقاء الخطر الصهيوني ، سواء فى الميدان الدفاعي او فى الميدان الفنى ، او ميدان تنظيم الشعب الفلسطينى وتمكينه من القيام بدوره فى تحديد وطنه وتقرير مصيره ، قرر فيها :

اولا : انشاء قيادة عربية موحدة للجيش العربى الموحد تنظم وتنسق التعاون بين الجيوش العربية على اساس موحد وترسم خطط مواجهة المواقف الطارئة وما بعدها وتضع أهدافا محددة للقوة والتسلح ، وتضع البرامج التى تساعد بعض الدول العربية المحيطة باسرائيل على استكمال استعدادها الحربى لمواجهة أى عدوان ، وعلى الأخص سوريا ولبنان والأردن . وقرر المؤتمر وضع ميزانية لتسليح هذه الدول تقدم من جميع الدول العربية مقدارها ١٥ مليون جنيه كل سنة تدفع الكويت ٥ ملايين جنيه ، وتقدم الجمهورية العربية المتحدة ٣ ملايين جنيه وكذلك السعودية وتدفع العراق مليون جنيه ونصف وتتعاون بقية البلاد العربية على دفع الباقى .

هذا وقد تالفت الآن القيادة المشتركة واصبحت حقيقة واقعة وحققت بذلك خطوة كبرى فى طريق الوحدة العسكرية وقد عين الفريق الأول على عامر رئيس اركان حرب جيش الجمهورية العربية المتحدة قائدا لها . وفى مؤتمر الدار البيضاء الأخير قرر مجلس رؤساء الدول العربية ضرورة دعم القيادة العربية الموحدة وخولها الحق فى الاشتراك مع قيادة جيش التحرير الفلسطينى فى السير فى انشاء القوات الفلسطينية المنصوص عليها فى المرحلة الثانية .

والواقع أن التعاون العسكرى بين الدول العربية من اشد الضروريات لسلامتها والدفاع عنها . وقد ازدادت

هذه الأهمية بعد أن اختارت هذه الدول سياسة عدم الانحياز، فلكي تحافظ هذه الدول على حيادها يجب عليها الاعتماد على نفسها وتعزيز قواتها المسلحة والتعاون عسكريا فيما بينها .

ثانيا : اقامة كيان فلسطيني يكون طليعة العودة ، باعتبار أن قضية العودة هى الأساس والأصل فى المعركة الممتدة ، ينظم شعب فلسطين سياسيا وعسكريا واقتصاديا . وفى ٢٩ مايو ١٩٦٤ أعلن المؤتمر القومى الفلسطينى المنعقد فى مدينة القدس - والذى حضره ٤٥٠ مندوبا عن أبناء فلسطين فى مختلف الآفاق العربية وفى العالم الخارجى - مولد منظمة التحريرالفلسطينية كقيادة معبئة لقوى شعب فلسطين لخوض معركة التحرير . وانتخب السيد أحمد الشقيرى ، ممثل فلسطين لدى الجامعة العربية ، رئيسا للمنظمة ، كما قرر وضع ميثاق قومى للشعب الفلسطينى . وقام المؤتمر بارسال برقية الى يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة يبلغه فيها بمولد المنظمة . وتقوم منظمة التحرير على أساس تنظيمين . أحدهما شعبى له لجان فى مختلف الأقطار العربية لتحقيق أغراض المنظمة ، وثانيهما عسكرى عن طريق فتح معسكرات لتدريب جميع القادرين على حمل السلاح من الشعب الفلسطينى رجالا ونساء ، وكذلك بالتوسع فى الحاق الشباب الفلسطينى بالكليات العسكرية العربية وفى البلاد الصديقةوتطبيقنظام المقاومة الشعبيةوانشاء جهازعسكرى تكون له القيادة . وذلك حتى يتولى الشعب الفلسطينى أمر قضيته ويتمكن من تقرير مصيره وممارسة حقوقه الوطنية كاملة . وقد حاولت المنظمة انشاء حكومة لفلسطين غير أنها قابلت صعوبات جمة وضعتها فى مشاكل مع بعض البلاد العربية . وعرضت هذه الصعوبات وبحثت أمام مؤتمر القمة العربى الثانى الذى انعقد بالاسكندرية فى سبتمبر ١٩٦٤ . وقام المؤتمر الأخير بالموافقة على الكيان الفلسطينى بالاجماع وبدون تحفظات، واعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها قائدة للنضال الوطنى لشعب فلسطين ، كما اعتمد قرار المنظمة بانشاء جيش لتحرير فلسطين ، وفى اجتماع الدار البيضاء درس المؤتمرون المطالب التى تقدمت بها منظمة التحرير الفلسطينية والتزموا بتوفير الحرية الكاملة للتنظيم الشعبى لأبناء فلسطين واجراء انتخابات عامة مباشرة للمجلس الوطنى الفلسطينى فىجميع الدول العربية. كما قرر المجلس تفويض القيادة العربيةالمدحدة - كما سبق القول - للاشتراك مع قيادة جيش التحرير الفلسطينى فى السير فى انشاء القوات الفلسطينية . وقد استقر الرأى فى هذا المؤتمر على أن تكون منظمة التحرير الفلسطينية هى المتحدثة الوحيدة بلسان الفلسطينيين أمام الأمم المتحدة وبعدم السماح لجماعة أمين الحسينى بالتحدث امام لجان الامم المتحدة .

ثالثا . اقامة مشروعات على نهر الأردن للاستفادة من المياه العربية لصالح الأرض العربية ، وانشاء هيئة خاصة للاشراف على تنفيذ المشروع العربى لاستخدام مياه نهر الأردن للتنمية فى البلاد العربية . وتضم الهيئة خبراء الدول الأربع المضيفة للاجئين على أن يبدأ العمل فى المشروع فى شهر مايو ١٩٦٤ ويستمر لمدة ١٨ شهرا . وتم فعلا تأليف جهاز فنى أطلق عليه اسم الهيئة الفنية لمياه نهر الأردن وروافده وحجزها عن المنطقة المحتلة . وأصدر مجلس الهيئة فى ٢٥ سبتمبر ١٩٦٤ قرارا ببدء تنفيذ تحويل الروافد العربية لنهر الاردن فى داخل البلادالعربية فى كل من الأردن وسوريا ولبنان ، كما أصدر تعليماته الى كل سلطة محلية فى الدول الثلاث باعطاء الأمر الىالمقاولين لبدء العمل فى المشروعات العربية . وبدأ المقاولون والعمال العرب فعلا فى الاعمال التنفيذية للمشروع فى كل من هذه البلاد .

وفى اجتماع مجلس رؤساء وزارات الدول العربية فى القاهرة فى يناير ١٩٦٥ اتخذ المجلس ٨ قرارات سرية تتصل بخطط استثمار روافد الأردن فى البلاد العربية ، وقرر فيما يتعلق بتنفيذ هذه المشروعات ضرورة مضاعفة

خطط التنفيذ لاختصار المدة المقررة ستة شهور وتنفيذ المشروع الخاص باقامة محطة الوزانى فى الاراضى اللبنانية وأن يستفاد جزئيا من المرحلة الأولى التى تنتهى فى نهاية العام الحالى ، على ان يتم باقى المشروعات فى منتصف عام ١٩٦٦ ، وكان مقررا لها أن تتم فى نهايته ، وأن يتم العمل فى مشروع سد المخيبة خلال عام ١٩٦٧ « وهو مشروع جديد اضافته الهيئة العليا لمشروعات نهر الاردن » وأكد مؤتمر الدار البيضاء ضرورة استمرار العمل فى مشروعات استثمار روافد الأردن وفقا للخطة المرسومة وطبقا لما قرره المؤتمران الاول والثانى فى القاهرة والاسكندرية . كما اتفق المؤتمر على الخطة العربية لتحرير فلسطين والتزم فيه الملوك والرؤساء بميثاق التضامن العربى كأسلوب لوحدة المبادىء والاهداف وتكريس كل الجهود لخدمة المصالح القومية العربية وفى مقدمتها القضيةالفلسطينية. وهو تأكيد لما قرره مؤتمر القاهرة من ضرورة تنفيذالدول العربية لنشاط سياسى عربى موحد ، واسع المدى ، يهدف الى بذل الجهود الموحدة لشرف القضية الفلسطينية امام الرأى العام العالمى ، واعادة النظر فى تنظيم العلاقات العربية بالدول على أساس مواقفها من كفاح العرب المشروع ضد مطامع الصهيونية . كما قرر مؤتمر الدار البيضاء خطة موحدة للدفاع عن القضية الفلسطينية فى الأمم المتحدة ومقاومة جميع المحاولات الرامية الى تصفية قضية اللاجئين العرب . وأكد ضرورة مساندة النضال الوطنى فى الجنوب المحتل والتمسك بتحرير هذه المنطقة العربية وتطبيق قرارات الأمم المتحدة الخاصة باعطاء شعب الجنوب حق تقرير المصير .

ومما لا شك فيه أن قرارات مؤتمرات القمة العربية على جانب كبير من الخطورة ، فمضمونها قوى وكبير ، وتضع أمامنا صورة واضحة لتعاون عربى فعال قريب .

الجانب الذي يجب أن نذكره في قصة الإسراء

فضيلة الشيخ عبد الرحيم فودة

وقع حادث الاسراء قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة بعام على رأى ، أو بعام وبعض عام على راى آخر ، اذ يروى أنها وقعت قبل الهجرة بستة عشر شهرا .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه يعانون من الوان البلاء والعناد ما تنوء بحمله الجبال فى هذه الفترة التى وقعت فيها هذه القصة ، وكان وقوع هذا الحادث العجيب الغريب على كفار مكة مثار دهشتهم واستغرابهم وسخريتهم بالنبى والذين آمنوا به واتبعوه ، فاتخذوا من الحديث عن هذه القصة ذريعة الى متابعة اضطهاد النبى والمسلمين .

ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يطمع فى ان يجد منهم تصديقا له ، بل توقع ما وقع منهم ، كما يفهم من رواية ابن عباس رضى الله عنهما اذ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما كان ليلة اسرى بى فأصبحت بمكة قطعت وعرفت ان الناس مكذبى » ويذكر ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام قعد معتزلا حزينا فمر به عدو الله أبو جهل ، فجاءه حتى جلس اليه فقال كالمستهزىء : هل كان من شىء؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال : وما هو ؟ قال : انى أسرىَ بى الليلة ، قال الى اين ؟ قال : الى بيت المقدس ، قال : ثم اصبحت بين ظهرانينا ؟ . قال : نعم .

فلم ير ابو جهل ان يكذبه مخافة أن يرجع النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا الحديث أمام قومه . فقال أبو جهل : أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . فقال أبو جهل : يا معشر بنى كعب بن لؤى . فانفضت اليه المجالس واقبل عليه الناس من كل جانب حتى جلسوا اليه والى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال أبو جهل : حدث قومك بما حدثتنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى أسرى بى الليلة ، فقالوا : الى أين ؟ قال : الى بيت المقدس ، قالوا : ثم اصبحت بين ظهرانينا؟ قال : نعم .

فأخذتهم الدهشة وكانوا بين مصفق ، وواضع يده على رأسه متعجبا للكذب . ثم قالوا وتستطيع أن تنعت لنا المسجد الاقصى

فقال صلى الله عليه وسلم : نعم . ونعت المسجد ثم التبس عليه بعض صفاته فجلاه الله له حتى وصفه .

فقالوا – وكان فيهم من سافر الى بيت المقدس وشاهده – اما النعت فوالله لقد اصاب فيه ، ولكن صدق الوصف لم يفتح قلوبهم للايمان به ، بل لقد ارتد عن الاسلام بعض من آمن به ، ثم سعوا الى ابى بكر يقولون له : هل لك فى صاحبك ؟ يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس . فقال رضى الله عنه : او قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : لئن ، قال ذلك لقد صدق، قالوا: فتصدقه انه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح ؟ قال : نعم ، انى لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك . أصدقه فى خبر السماء يأتيه فى غدوه او روحه ، ومن ثم سمى أبو بكر الصديق . وكان موقفه من النبى صلى الله عليه وسلم ومن قصة اسراء الله به موقف من يعرف قدره ويشعر بانه جل شأنه لا يعجزه شيء فى الارض ولا فى السماء ، فالاسراء فى نظره ليس مما يثير العجب والريب ، بل انه كما قال شوقى :

مشيئة الخالق البارى وصنعته
وقدرة الله فوق الشك والتهم

من ذلك يظهر ان الاسراء لم يكن يراد به كسب انصار للدعوة الاسلامية ، ولا تحدى المشركين أن ينهضوا لمثله كما هو الشأن فى المعجزات التى يظهرها الله على ايدى الانبياء لتكون دليلا على صدقهم فى كل ما يبلغونه عنه الى الناس ، وانما كان الاسراء كما يقول الله « لنريه من آياتنا » وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة ما ثبت ايمانه ويقينه بمصير رسالته ودعوته ، وتألقت فى نفسه البشرى الكبرى بأن نور دينه الذى يختنق فى أجواء مكة سيظهر ويمتد حتى يغمر المسجد الاقصى وما حوله من ربوع الشام .

اما الخلاف فى ان الاسراء كان بالروح والجسد او الروح دون الجسد فهو كما قلت فى بعض ما كتب اتفه من أن يؤبه له . او يثار اللفظ من حوله ، فقد ورد فى القرآن وفى سائر الكتب السماوية قصة سليمان مع الطير والجن وعرش بلقيس ، وفيها من العجائب والغرائب ما فى قصة الاسراء ، ومع ذلك لم يثر حولها ما أثير حول الاسراء من خلاف ، وفى ذلك ما يشير الى أن يدا خفية – أو يهودية – عملت عملها فى اثارة هذا اللغط المصطنع حول هذا الامر ، لاثارة البلابل فى صدور المسلمين .

وقد جاء فى قصة سليمان مع بلقيس ان سليمان قال لمن حوله : **« يأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين ، قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر »** .

فاذا كان عفريت من الجن يقوى على نقل العرش الى سليمان من اليمن الى حيث كان سليمان وقبل أن يقوم من مقامه ، واذا كان غيره من أهل العلم بالكتاب يستطيع نقله اليه قبل أن يغمض عينيه ، فكيف يستبعد على الله أن يسرى بأفضل أصفيائه وخاتم أنبيائه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ؟. ان كلمة « سبحان » التى صدرت بها سورة الاسراء حيث يقول الله: سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى» تشعر بانه جل شأنه منزه عن العجز والضعف والقصور . فلا يستغرب منه هذا الامر العظيم ، لانه هين عليه يسير على قدرته ، وهو كما يقول سبحانه **« انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »** .

لقد شغلنا بالحديث عن الخلاف فى الاسراء هل كان بالروح او الجسد ، واهملنا جانبا من هذا الموضوع يجب أن يكون فى المكان الاول من اهتمام المسلمين اجمعين .

ذلك ان المسجد الاقصى اقترن ذكره بذكر المسجد الحرام فى القرآن ، وفيما شاهده النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ، وقد كان قبلة المسلمين الاولى قبل ان ينزل

البقية ص ٥٦

الإسراء والمعراج تشريف وتكليف

الأستاذ محمد محمد السباعى

صفت ليلة السابع والعشرين من شهر رجب المعظم صفاء لم يكن له مثيل من قبل وهدأت هدوء لم يكن لأهل مكة عهد به من قبل وظهرت نجوم السماء مشرقة وضاءة وسرى النسيم العطرى فى الأرجاء يحمل فى أردانه الهواء الندى واستعدت بطحاء مكة لاستقبال كوكبة من الملائكة الاطهار جاءت لتهىء ولتعد أشرف مولود وأطهر انسان فى الوجود ليكون فى شرف الحضرة الالهية لتلقى الأوامر القدسية والنفحات الربانية .. هناك هناك عند سدرة المنتهى .. هناك هناك عند العرش .. هناك عند صريف الأقلام .. هناك هناك حيث قال جبريل : سر وحدك يامحمد لأنى لو تقدمت لاحترقت . هناك هناك عند وحدة الوجود حيث اجتمع الخليل بخليله تم ماأراده الله لنبيهومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بعد البعثة بخمسة عشر شهرا وقيل كان قبل الهجرة بنحو سنة . وان شرف مثوله صلى الله عليه وسلم بين يدى ربه لدليل على عظم المهمة التى انتدب لها ولم يحصل ذلك أبدا لنبى أو لرسول غير محمد صلى الله عليه وسلم الذى أرسله ربه للناس شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بأذنه وسراجا منيرا . وجعله رحمة للعالمين.

طلع الصبح وأشرقت الأرض بنور ربها وشاع خبر الاسراء والمعراج الذى ورد ذكره فى القرآن وفى حديث الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام - وكان الناس حيال

هذا الخبر العجيب والنبأ العظيم على صنفين :

فمنهم من صدق ومنهم من كذب .

فأما المصدقون فهم الذين امتلأت قلوبهم بالأيمان وعرفوا أن قدرة الله لايحدها حد وأن الذى رفع السماء بغير عمد وسخر الشمس والقمر والنجوم والكواكب كل يجرى الى أجل مسمى هو الله رب العالمين ، هو القادر الذى خلق آدم من العدم وشق البحر لموسى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظم وهو الذى نجى خليله ابراهيم من النار

واحيى الموتى باذنه لعيسى بن مريم ونقل عرش بلقيس فى طرفة عين من بلدها القاصى الى حيث يوجد نبيه سليمان عليه السلام فلما رأته قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو واسلمت مع سليمان لله رب العالمين - وهو الذى انزل الكتاب قرآنا عربيا غيرذى عوج على عبده النبى الأمى محمد صلى الله عليه وسلم فأخرج به الناس من الظلمات الى النور وفتح به قلوبا غفلا وآذانا صما وعيونا عميا وهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ٠

أولئك المصدقون عرفوا أن القادر على كل شيء صنع ما صنع لحبيبه ومصطفاه حيث استدعاه اليه تكريما له واحتفاء به وأملى عليه ما به سعادة الأمة ورضاء الله وأراه من آياته وأسراره ليحدث الناس عما رأى وشاهد من عظمة الملكوت ومن قدرة الخالق جل شأنه ومن مصير الناس بعد انقضاء آجالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ٠

واما المكذبون الضالون فلو جئتهم كل يوم بآية ما آمنوا وما صدقوا وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ٠

ومازال هذا الحديث العظيم حديث الأسراء والمعراج منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا يحتل المكان السامى من التاريخ الاسلامى لما لهذا الحادث من شأن خطير - ولقد تحدثت عنه الشعراء وكتب فيه المؤلفون من العرب وغير العرب واخص هنا بالذكر من غير العرب المستشرق الفرنسى : الفونس اتين دينييه الذى أسلم عن يقين وايمان فأصبح اسمه ناصر الدين ٠ ولايسع المقام لتقول ما قاله أو ماكتبه هذا المؤرخ المنصف فى هذا الحادث العجيب الا ما تمليه علينا الضرورة فى موضعه ٠

ولقد اختلف بعضهم فى : هل كان الاسراء بروح رسول الله فقط أم بروحه وجسده معا ، والذين يقولون بالرأى الأول قلة والحمد لله اذ يزعمون أن الاسراء عبارة عن رؤيا منامية وهذا القول مردود عليهم لأن الرؤيا المنامية لايعتد بها كثيرا ولاتفرض فيها احكام دينية كأحكام الصلاة وهى أهم ركن فى الاسلام - ولوكان الحادث رؤيا منامية لما عارضه الكفار والمشركون لأن الرؤيا المنامية تعرض لكل انسان ويرى النائم فيها أمورا عجيبة لاتخطر على بال ويكاد لايصدقها العقل ولكنها تقبل على كل حال ولا يقال لروايها (أنت كذاب) اذ كل انسان معرض لذلك فمنذ يومين رأيتنى فى النوم أركب متن طائرة وأحلق بها فى السماء وأنا الذى تهتز أوصالى فرقا من ركوب الدراجة أو ركوب الترام - ومنذ سنين قلائل رأيت فى النوم انسانا كريما ذا وجه مشرق جذاب تعلوه بسمة حلوة احتضنته واحتضننى وقبلته وقبلنى وأفهمنى أنه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وصحوت من نومى والدنيا لاتسعنى من الفرحة والبهجة والانشراح ولو قصصت رؤياى على أى انسان لما كذبنى ولما عارضنى لأن كل ذلك جائز فى الرؤيا المنامية - فمن الناس من يرى نفسه طائرا فى الهواء أو ماشيا على الماء ٠ ولايقال له هذا كذب وهذا افتراء ٠٠

وأما لو ذكرت لك أو لأى انسان أننى رأيت ما رأيت يقظة لابد وان يقال لى : انت كاذب ٠ ولابد من لقاء معارضة لاقبل لى باحتمالها ٠

أما ما كان من شأن الكفار والمشركين والمنافقين حين حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حادث الاسراء والمعراج فقد كذبوه ولكن الله أفحمهم وبين للناس جميعا أنه أسرى بعبده من مكة الى بيت المقدس ليلا وأنزل فى ذلك قرآنا يتلى الى يوم القيامة حيث يقول سبحانه وتعالى ٠

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ٠»

لم يقل سبحانه : (اسرى بروحه) ولكن قال (اسرى بعبده) وليس بعد هذا صراحة فى القول ٠

هذا فضلا عما بهرهم به محمد صلى الله عليه وسلم حين قدم لهم الدليل تلو الدليل على صدق ما حدثهم به وكان ذلك سببا فى اقبال كثير منهم على الدخول فى الاسلام وقلوبهم عامرة بالايمان .

والذين يستبعدون ذلك عقلا – كيف يعقلون الآن نقل الاصوات والصور والصواريخ والانسان من مكان الى مكان فى أقل من لمح البصر اليس ذلك كله بقدرة الله وبفضل الله الذى علم الانسان مالم يعلم .. ؟

هذا عن الاسراء

وأما عن المعراج وهو عروجه صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس الى السماوات فقد أيدته الأحاديث الصحيحة ونزلت فى شأنه آيات بينات فى سورة (النجم) اذ يقول الله تبارك وتعالى مقسما ومؤكدا :

((بسم الله الرحمن الرحيم . والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . افتمارونه على مايرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما أزاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى ..))

وانا نسوق هنا بعض ماراه محمد صلى الله عليه وسلم من آيات ربه الكبرى فى هذه الليلة المباركة نقلا عن المصادر الموثوق بها :

١ – أول ما اسرى به صلى الله عليه وسلم مر بأرض ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل فصلى فقال صليت بيثرب ثم مر بأرض بيضاء فقال انزل فصل فصلى فقال صليت بمدين .. ثم مر ببيت لحم فقال انزل فصل فنزل فصلى فقال صليت حيث ولد عيسى .

٢ – لما جاء جبريل عليه السلام بالبراق اليه صلى الله عليه وسلم فكأنما اصرت أذنيها فقال لها جبريل مه يابراق فوالله ما ركبك مثله . فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو بعجوز على جنب الطريق فقال ماهذا ياجبريل ؟ قال سر يامحمد فسار ماشاء الله أن يسير فاذا هو بشيخ يدعوه متنحيا عن الطريق يقول : هلم يامحمد فقال له جبريل : سر . ومر بجماعة فسلموا عليه فقالوا : السلام عليك ياأول . السلام عليك ياآخر . السلام عليك ياحاشر . فقال له جبريل : اردد عليهم السلام فرد ثم قال له جبريل : أما العجوز التى رأيت جانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا مابقى من عمر تلك العجوز ، والذى دعاك ابليس والعجوز الدنيا أما لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة . وأما الذين سلموا عليك فابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام .

٣ – مر على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل عليه السلام ماهذا ؟ قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة الى سبعمائة ضعف وما أنفقوا من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين . ثم أتى على قوم ترضخ رءوسهم بالضمر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شىء فقال ما هذا ياجبريل ؟ قال هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة . ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام . يأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم . فقال ما هؤلاء ؟ . قال هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وماظلمهم الله وماربك بظلام للعبيد . ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ولحم نىء فى قدر خبيث فجعلوا يأكلون من النىء الخبيث ويدعون النضيج . فقال ما هؤلاء ياجبريل ؟ قال جبريل : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لايستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا ياجبريل ؟ قال هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لايقدر على ادائها

وهو يريد أن يحمل عليها • ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من جديد كلما قرضت عادت كما كانت لايفتر عنهم من ذلك شيء • قال ماهذا ياجبريل ؟ قال هؤلاء خطباء الفتنة • ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع • فقال ما هذا ياجبريل ؟ قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها ثم أتى على واد فوجد فيه ريحا طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا فقال ما هذا ياجبريل ؟ قال هذا صوت الجنة تقول رب آتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقريي ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني وخمري فآتني بما وعدتني • قال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك بي شيئا ولم يتخذ من دوني أندادا ومن خشيني فهو آمن ومن سألني فقد أعطيته ومن أقرضني جازيته ومن توكل على كفيته انني أنا الله لا اله الا أنا لا اخلف الميعاد • قد افلح المؤمنون وتبارك الله احسن الخالقين • قالت قد رضيت •

ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة • فقال ما هذا ياجبريل ؟ قال هذا صوت جهنم تقول : رب آتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فآتني بما وعدتني •

قال : لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار لايؤمن بيوم الحساب • قالت قد رضيت •

وهناك آيات وآيات وعبر وعظات فوق العد وفوق الحصر وحسبنا ما ذكرنا ولكن لا بأس من اقتطاف عبارة وردت على لسان المستشرق الفرنسي اتين دينيه الذى أسلم وتسمى **نصر الدين** ذكرها فى كتابه (محمد رسول الله) وهو يتحدث عن الاسراء والمعراج:

« فما ان اخترق الرسول السموات السبع حتى سمع صرير الأقلام تكتب فى لوح القدر وسمع تسبيح الملائكة وتقديسهم لله تعالى ثم وصل الى سدرة المنتهى وهنا تركه جبريل قائلا :

(هنا حدود المعرفة • وهنا يجب أن اقف• أما انت ياخير الرسل وحبيب رب العالمين فتابع معراجك المبارك واصعد محاطا بنور من أنوارك)

وتابع المصطفى اختراق الحجب التى تحول دون رؤية المساتير الى أن وصل الى حجاب الوحدة فرأى مالا تراه الأعين ولايخطر على قلب بشر • لم تكن حاسة بصره الجسمانية تتحمل هذا البريق الذى يخطف الأبصار ففتح الله عينى قلبه ليمنحه القدرة على مشاهدة هذا الجمال اللانهائى • ثم قربه الله من عرشه حتى أصبح (قاب قوسين أو أدنى)

ولعظم هذه المعجزة الكبيرة التى نجم عنها وجود أعظم ركن فى اركان الاسلام ولتأثيرها فى سلوك المسلمين تحدث عنها الشعراء فى مختلف العصور وفى مختلف الأمصار ومن هؤلاء الأمام البوصيرى رحمه الله تعالى حيث قال فى بردته المشهورة :

سريت من حرم ليلا الى حرم
كما سرى البدر فى داج من الظلم
وبت ترقى الى ان نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
وقدمتك جميع الأنبياء بها
والرسل تقديم مخدوم على خدم
وأنت تخترق السبع الطباق بهم
فى موكب كنت فيه صاحب العلم
حتى اذا لم تدع شأو المستبق
من الدنو ولا مرقى لمستنم
خفضت كل مقام بالأضافة اذ
نوديت بالرفع مثل المفرد العلم
كيما تفوز بوصل أى مستتر
عن العيون وسر أى منكتم
فحزت كل فخار غير مشترك
وجزت كل مقام غير مزدحم
وجل مقدار ما وليت من رتب
وعز ادراك ما أوليت من نعم

ومن هؤلاء أمير الشعراء المرحوم احمد شوقى :

اذ يقولُ فى نهج البردة :

أسرى بك الله ليلا اذ ملائكة
والرسل فى المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به التفوا بسيدهم
كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراك منهم كل ذى خطر
ومن يفز بحبيب الله يأتمم
جبت السماوات أو ما فوقهن بهم
على منورة درية اللجم
ركوبة لك من عز ومن شرف
لا فى الجياد ولا فى الأينق الرسم
مشيئة الخالق البارى وصنعته
وقدرة الله فوق الشك والتهم
حتى بلغت سماء لايطار لها
على جناح ولا يسعى على قدم
وقيل : كل نبى عند رتبته
ويامحمد هذا العرش فاستلم
خططت للدين والدنيا علومهما
يا قارئ اللوح بل يالامس القلم
احطت بينهما بالسر وانكشفت
لك الخزائن من علم ومن حكم
وضاعف القرب ما قلدت من منن
بلا عداد وما طوقت من نعم

وقال فى همزيته :ـ

يأيها المسرى به شرفا الى
ما لاتنال الشمس والجوزاء
يتساءلون ـ وانت أطهر هيكل
بالروح أم بالهيكل الاسراء
بهما ستموت مطهرين كلاهما
نور وروحانية وبهاء
فضل عليك لذى الجلال ومنة
والله يفعل مايرى ويشاء
تغشى الغيوب من العوالم كلما
طويت سماء قلدتك سماء
فى كل منطقة حواشى نورها
نون وأنت النقطة الزهراء
أنت الجمال بها وأنت المجتلى
والكف والمرآة والحسناء
الله هيأ من حظيرة قدسه
نزلا لذاتك لم يجزه علاء
العرش تحتك سدة وقوائما
ومناكب الروح الأمين وطاء

والرسلُ دون العرش لم يؤذن لهم
حاشا لغيرك موعد ولقاء

ومن ذلك ايضا ما قلته مترسما خطى هؤلاء الامجاد مع الفارق العظيم والبون الشاسع بينى وبينهم :ـ

سبحان من أسرى به ليلا وكا
ن الناس قاطبة بمكة نوما
أسرى به فى حندس من ظلمة
للمسجد الأقصى ومنه تسنما
وهناك أم المرسلين وغيرهم
من أنبياء تفضلا وتكرما
وسما به سبعا طباقا للعلا
ما غيره أبدا لها يوما سما
حتى أتى لصريف ورق المنتهى
هى سدرة ما مثلها أبدا نما
فلقد رسا أصل لها فى جنة
وفروعها تعلو على أقصى السما
شكرا لرب العرش خر مسبحا
يدعو الها للخلائق راحما
مازاغ طرف المصطفى بل ما طغى
اذ شاهد المولى الكريم وكلما
فرض الصلاة عليه فى عليائه
خمسين مرة كل يوم ملزما
فسعى لدى رب الورى وكليمه
حتى يخفف للعباد ترحما
فأجاب رب العرش سؤال محمد
خمسا تما قد افاء وانعما
لكنها فى الفضل كالخمسين بل
هى رحمة حقن الرسول بها الدما
صلة لرب العالمين وانها
أمست لطلاب السعادة سلما
من بعد ذا الأسراء قال مكذب
ماذا يقول وكيف يرقى للسما ...؟
وغدا الى الصديق يهلث سائلا
هل كان حقا ساريا أم حالما ؟
فأجاب انى لا اكذب مرسلا
فهو الأمين مقروا ومكلما

طلبوا الى المختار وصف المسجد الأقصى
وظنوا أنه قد افحما
لكنهم دهشوا لما سمعوا وقا
م البعض منهم فورذاك وأسلما

وقلت فيه أيضا :
أسرى الآله بعبده المختار
ليلا ليطلعه على الاسرار
بالقدس صلى ركعتين وخلفه
زمر النبيين الأولى الاطهار
وسما به نحو العلا حتى أتى
للمنتهى وسواطع الأنوار
وأراه من آياته الكبرى التى
جاءت كصاعقة على الكفار
ورأى العجائب والغرائب كلها
نار العصاة وجنة الابرار
وأتى بخمس فضلها لا ينتهى
تنهى عن الفحشاء والأوزار

ومما قلته فى هذا الشأن ايضا ضمن قصيدة طويلة بعنوان (النور المحمدى)

سبحان من أسرى به
ومضى كلمح بالبصر
للمسجد الأقصى سرى
ورأى العجائب والعبر
وهناك أم الانبيا
فى ركعتين على الأثر
ثم ارتقى وسما الى
ما فوق مقدرة البشر
ورأى هنالك جنة المأوى وثم رأى سقر
ورأى كذلك حال من
عبد الآله ومن كفر
للسدرة العليا سما
والله يرفع من شكر
من حضرة المولى دنا
ورأى وما زاغ البصر
وحباه مولاه الرضا
والخير يدرك من صبر
سألوا النبى ادلة
لم تخطرن على فكر
قالوا نصدقه اذا
ساق الدليل على السفر
فأتتهموا الآيات مثل الصبح تكشف ما استتر .
سألو أبا بكر وقالوا هل تصدق ذا الخبر ؟.
فأجاب انى مؤمن
من لم يصدقه كفر

بقية مقال « الجانب الذى يجب أن نذكره فى قصة الاسراء »

على النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام » .

وقد بارك الله هذا المسجد وبارك ما حوله كما بارك المسجد الحرام وجعله مثابة للناس وأمنا ، وذلك حيث يقول الله فيه :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله » .

وحيث يقول فى المسجد الحرام :

« ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » .

وقد فتح بيت المقدس كما فتحت مكة دون قتال وتحقق للمسلمين فى عهد عمر رضى الله عنه ما رآه النبى ليلة الاسراء من آيات ثبت الله بها يقينه وايمانه بانتصار دعوته وانتشار رسالته .

هذا الجانب من موضوع الاسراء وذكرى ليلة الاسراء يجب على المسلمين أن يذكروه ويستحضروه ليثير فى نفوسهم الشعور بالواجب نحو هذه الارض المقدسة التى وكل الله اليهم الحفاظ عليها والدفاع عن شرف الاسلام والمسلمين فيها .

ولينصرن الله من ينصره ، وصلى الله على محمد امام المجاهدين وخاتم الانبياء والمرسلين .

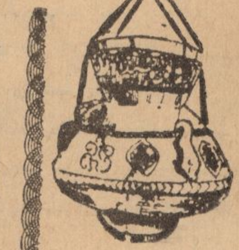

الإسراء والمعراج
فى صور فنية
بين البوصيرى وشوقى

الدكتور سعد الدين الجيزاوى

« سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟ » ٠

كان اسراء الرسول صلوات الله وسلامه عليه من مكة الى بيت المقدس ، ثم معراجه من بيت المقدس الى السماء فى ليلة أو بعض ليلة ، من الأمور التى شغلت الأفكار طوال العصور الاسلامية ، وكتب فيها علماء السيرة النبوية ، وعلماء التفسير ، وغيرهم من مفكرى الأمة الاسلامية ٠٠٠ كثيرا ، وتعددت حولها الأقوال ، وكثرت الخلافات : فالذين يؤمنون بقدرة الله تعالى على فعل ما يشاء دون تقيد بنواميس الكون المألوفة ، ويسلمون تسليما مطلقا ، صدقوا ولم يعارضوا ٠

والذين لايرتضون الا تحكيم التجارب العلمية المحسوسة ، خالفوا وعارضوا ، « ولا خلاف بين أهل العلم ، وجماعة السير ، أن الصلاة انما فرضت على النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فى حين الاسراء ، حين عرج به الى السماء ٠ واختلفوا فى تاريخ الاسراء ، وهيئة الصلاة ، وهل كان الاسراء بروحه أو جسده ٠٠٠٠ وفى نصوص الأخبار الثابتة دلالة واضحة على أن الاسراء كان بالبدن ، واذا ورد الخبر بشىء مجوز فى العقل فى قدرة الله تعالى فلا طريق الى الانكار ، لاسيما فى زمن خرق العوائد »

وللفخر الرازى استدلال منطقى على ثبوت المعراج رأيت أن أثبته هنا ٠ قال « انه كما يستبعد فى العقل صعود الجسم الكثيف من مراكز العالم الى ما فوق العرش ، فكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحانى من فوق العرش الى مركز العالم ، فان كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم فى الليلة الواحدة ممتنعا فى العقول ، كان القول بنزول جبريل عليه الصلاة والسلام ممتنعا ، ولوحكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعنا فى نبوة جميع

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والقول بثبوت المعراج ، فرع على تسليم جواز أصل النبوة »

وقد رد الرازى على اعتراض من يقول : ان المراد بنزول جبريل هو كشف الحجب الجسمانية ، بأن هذا هو قول الحكماء ـ ولعله يقصد الفلاسفة أو علماء التجريب ـ أما جمهور المسلمين فهم مقرون بأن جبريل عليه السلام جسم ـ نورانى ـ وأن نزوله عبارة عن انتقاله من عالم الأفلاك الى مكة ٠

ومرت الأيام ، وظهر فى عالم الكشوف العلمية ما لم يكن معروفا للأولين ، من بعض ملكوت السماوات ، وطبقات الجو ، وسرعة الانتقال بالصواريخ التى لو ذكرت للأولين لم تكن عندهم الا ضربا من الخيال ، الى غير ذلك مما استجد ويستجد ٠

والذى لاشك فيه أنه كلما تقدمت الكشوف العلمية ، فان ذلك سيؤدى الى تقريب مسافة الخلاف بين أهل اليقين وبين علماء التجريب ، فان هؤلاء الذين يحاولون ـ متنافسين ـ اختراق طبقات عليا من الكون ، لم يكن أمر اختراقها ميسورا للأولين ، سيرون من ملكوت الله العظيم مايبهرهم ، ويردهم مستسلمين ، موقنين بعظمة مبدع هذا الكون ، القدير على أن ييسر لرسوله رحلة بعيدة المسافة ، عظيمة المنزلة ، فى ليلة أو بعض ليلة ، فى زمن لم يكن أهله يملكون من الوسائل مايملكه أهل زمننا هذا ٠

والحديث عن الاسراء والمعراج حديث شائق طويل ، ملىء بالدروس والعبر ، غير أن كلمتنا هذه مقصورة على ما جادت به قرائح بعض الشعراء فى تصوير هذا الموضوع ٠

لقد تناول كثير من الشعراء قصة الاسراء والمعراج ، اذ هى جزء من السيرة النبوية ، وصورها كل حسب استعداده الفنى وثقافته ومقدرته ٠٠ وسنكتفى هنا بما صوره شاعران كبيران من شعراء العروبة والاسلام وهما : **الامام البوصيرى (١)** صاحب المدحتين

احمد شوقى (٢) ابرز شعراء عصرنا الحديث

احمد شوقى (٢) أبرز شعراء عصرنا الحديث وصاحب المدائح النبوية الأربعة : نهج البردة ، والهمزية وسلوا قلبى (٣) وذكرى المولد ٠

لقد كان كل من الشاعرين فى عصر يختلف عن الآخر : فالبوصيرى ، شهد أواخر العصر الأيوبى ، وشطرا من أول قيام دولة المماليك حين كانت موجة المحسنات البديعية قد غمرت النثر وبدأت تزحف على الشعر ، أما شوقى فقد عاش فى فترة من عصرنا الحديث ، كانت اللغة العربية قد تخلصت فيها من معظم آثار الضعف الذى غرقت فيه خلال العصر العثمانى، وكان البارودى قدسبق شوقى فأنار له الطريق ورسم أسس التجديد التى سار عليها شوقى فيما يتعلق بديباجة الشعر العامة ، ومخالفتها لما كانت عليه الصورة الشعرية فى العصر العثمانى ٠

كانت همزية شوقى معارضة لهمزية البوصيرى ، غير أنه لم يذكر ذلك ، ولعل هذا راجع الى اختلاف الوزن وعدد الأبيات ، فهمزية البوصيرى من بحر الخفيف وأبياتها ستة وخمسون وأربعمائة ، وهمزية شوقى من بحر الكامل ، وأبياتها واحد وثلاثون ومائة بيت ٠ أما معارضة البردة فانها تتفق فى الوزن وتزيد على بردة البوصيرى ثلاثين بيتا ولذلك أطلق عليها نهج البردة ٠

فى همزية البوصيرى خمسة أبيات عن قصة الاسراء والمعراج هى :

فطوى البيد سائرا والسماوا
ت العلى ، فوقها له اسراء
فصف الليلة التى كان للمخـ
ـتار فيها على البراق استواء
وترقى به الى قاب قوسـ
ـين ، وتلك السعادة القعساء
رتب تسقط الأمانى حسرى
دونها ، ما وراءهن وراء
ثم وافى يحدث الناس شكرا
اذ أتته من ربه النعماء

والصورة هنا وصف عام ليس فيه تفصيل والاهتمام فيها بالمعنى أكثر منه بالمحسوسات ٠

وقد اختار ألفاظا موحية تعبر عن السرعة ... في كلمة « طوى » ثم عن علو المنزلة التي لم ينلها ولن ينالها أحد غير الرسول الكريم في كلمة « جسرى »

أما شوقي فقد ذكر هذه القصة في عشرة أبيات ، وقد انعكست فيها صور البيئة التي عاش فيها من مظاهر الأبهة والفخفخة ولم يكن ذلك التأثر الا بحكم المقام في بيئة معينة ، أما مقام الرسول الكريم عند شوقي فهو أسمى مقام :

يا أيها المسـرى به شرفا الى
مالا تنـال الشـمس والجوزاء
يتسـاءلون ، وأنت أطهر هيكل
بالروح أم بالهيكل الاسـراء
بهما سـموت مطهرين كلاهما
نور ، وريحانيـة ، وبهـاء
فضـل عليك لذى الجلال ، ومنة
والله يفعـل مايرى ويشـاء
تغشى الغيوب من العـوالم كلها
طويت سـماء ، قلدتك سـماء
في كل منطقـة حواشي نورهـا
نون ، وأنت النقطـة الزهـراء
أنت الجمـال بها ، وأنت المجتلى
والكف ، والمرآة ، والحسـناء
الله هيـأ من حظيرة قدسـه
نزلا لذاتك لم يجزه عـلاء
العرش تحتك ، سـدة وقوائما
ومنـاكب الروح الأمين وطـاء
والرسـل دون العرش لم يؤذن لهم
حاشـا لغيرك موعد ولقـاء

نرى هنا صورة مفصلة للرحلة الى السماء ، وان كان عبر عنها بالاسراء . وقد أشار أولا الى ما جرى بين العلماء والمفكرين من خلاف حول هذه الرحلة ، وهل كانت بالروح أو بالبدن ثم أبدى رأيه صراحة بأنها كانت بهما معـا ، لأن ذلك ليس بعيدا عن قدرة الله الذى يفعل ما يشاء .

ثم انتقل الى رسم صـورة محسوسة الى ملكوت السماوات وانتقال الرسول الكريم في هذا الملكوت مرحلة مرحلة ، وأشار الى مايتفق والمقام الأعلى من مظاهر الفخفخة والنعيم ... غير أنه بدلا من أن ينصرف الى حديث الرحمن لرسوله الكريم ، أمعن في ابراز صور الفخامة حتى يخيل للقارىء أنه يصف حفلة عرس ولعله اهتم هنا بالصور المحسوسة لأنه استنفد النواحي المعنوية عن ذلك في نهج البردة

والصورة في البيت الاخير تشير الى تأثر شوقي بمناظر التشريفات التي كان يراها في القصر من حين الى حين حيث يقدم فريق من الناس على فريق ويرضى عن طائفـة ، وتحرم أخرى .

أما بردة البوصيري فقد ذكر فيها تسـعة أبيات عن قصة الاسراء والمعراج هي :

سريت من حرم ليـلا الى حـرم
كما سرى البـدر في داج من الظلم
وبت ترقى الى أن نلت منـزلة
من قاب قوسـين لم تدرك ولم ترم
وقدمتك جميـع الأنبيـاء بهـا
والرسـل تقديم مخدوم على خدم
وأنت تخترق السـبع الطباق بهم
في موكب كنت فيه صـاحب العلم
حتى اذا لم تدع شـأو المستبق
من الدنو ولا مرقى لمسـتنم
خفضت كل مقـام بالاضافة اذ
نوديت بالرفع مثـل المفردة العلم
كيما تفوز بوصـل أى مستتر
عن العيـون ، وسر أى مكتتـم
فحزت كل فخـار غير مشـترك
وجزت كل مقـام غير مزدحم
وجل مقـدار ما وليت من رتب
وعز ادراك ما أوليـت من نعـم

وهنا نرى البوصيري في تصويره غيره في الهمزية ، فقد فصل هنا بين الاسراء من حرم مكة الى حرم بيت القدس ، وبين المعراج الى السماء ، وعبر عن السرعة بسرعة ضوء القمر عندما ينبثق فيبدد الظلام في الكون جميعـا على بعد المسافة بينه وبين الارض .

والخيال البادئ هنا هو تصوير جيش عظيم يتقدمه قائد مظفر ثم تقدم قائده هذا من ولى الأمر لكى يحظى بتخديره وعطفه • والظروف التى عاش فيها البوصيرى كفيلة بأن تجعله يتأثر بمناظر الجيوش •• فقد شهد قيام دولة المماليك وانتهاء عهد الأيوبيين كما حدث فيه أيامه أسر لويس التاسع •

ونرى أثر الثقافة النحوية ، ففى بيت واحد ذكر : خفضت ، بالاضافة والرفع ، المفرد ، العلم • ولم يتعرض الى ما كان حول هــذه القصة من خلاف بين العلماء • والذى ينبغى أن نذكره هنا أن صفاء البوصيرى يجعل لشعره روحانية خاصة تهفو اليها النفوس •

وفى نهج البردة لشوقى أحد عشر بيتا حول هذا الموضوع :

أسرى بك الله ليــــلا ، اذ ملائكة
والرسل فى المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به ، التفــوا بسيدهم
كالشهب بالبدر ، أو كالجند بالعلم
صــلى وراءك كل ذى خطــر
ومن يفــز بحبيــب الله يأتمم
جبت السماوات ، أو مافوقهن بهم
على منــورة درية اللجــم
ركوبة لك من عز ومن شــرف
لافى الجياد ولا فى الأينق الرسـم
مشيئة الخالق البارى ، وصـنعته
وقدرة الله فوق الشــك والتهم
حتى بلغت ســماء لايطــار لها
على جناح ، ولا يسعى على قدم
وقيــل : كل نبى عنــد رتبته
ويا محمــد : هذا العرش فاستلم
خططت للدين والدنيـــا علومهما
يا قارئ اللوح ، بل يالامس القلم
احطت بينهمــا بالسر وانكشفت
لك الخزائن من علم ومن حكـم
وضاعف القرب ما قلــدت من منن
بلا عــداد ، وما طوقت من نعم

كذلك نجد « شوقى » هنا قدفصل ما بين الاسراء والمعراج ، والصورة التى رسمها عندما وصل الرسول الكريم الى بيت المقدس قريبةمن صورة البوصيرى حين اجتمع الانبياء والرسل وصلى بهم قبل أن يعرج الى السماء :

فالبوصيرى يقول :

وقدمتك جميــع الأنبياء بهـــا
والرسل تقديم مخدوم عــلى خدم

وشوقى يقول :

لما خطرت بهم التفــوا بسيدهم
كالشهب بالبدر ، أو كالجند بالعلم

غير أن « شوقى » قد زاد فى بيته بالصورة الفنية التشبيهية ••

ويذكر شوقى أن المعراج الى السماء كان بالبراق « على منورة درية اللجم » والمشهور أن البراق كان الى بيت المقدس وأن المعراج كان على مراق نصبت ما بين السماء والأرض ••• وقد أظهر شوقى تصديقه هنا أيضا بقصة المعراج دون أدنى شك ، لأن ذلك من فعل الله القدير على فعل مايشاء

وهنا نقف عند الصورة التى رسمها شوقى عندما وصل الرسول الكريم الى الملأ الأعلى ، فانها تبرز مكانةالرسول عليه الصلاة والسلام، ومنزلته وتقديمه على سائر الأنبياء باعتبار أن رسالته خاتمة الرسالات • ولم يفت شوقى هنا تسجيل مزايا الرسالة المحمدية ، وجمعها بين مايصلح الدين والدنيا :

خططت للدين والدنيــا علومهمـا
ياقارئ اللوح ، بل يا لامس القلم

أى أن الرسول شرع ماشرع بأمر من الله تعالى ، والله هو العليم بما يصلح شأن عباده •

وهناك ملحوظة على المبالغة عند الشاعرين فى وصف مقام الرسول مع جمع الانبياء وعندى لو أن « شوقى » قال : لما خطرت به التفــوا بخاتمهم ••• لكان أوفق وكذلك البوصيرى لو اختار تعبيرا غير : تقديم مخدوم على خدم لكان أوفق أيضا •

هذه لمحات سريعة عن تصــوير هذين الشاعرين الكبيرين لقصة الاسراء والمعراج ولو أننا تتبعنا شعرنا العربى بعد البوصيرى لوجدنا العدد العديد من الصور لهذه القصة

بعضها موجز وبعضها مفصل . ويكفى أن نشير هنا الى ان **الشاعر عامر بحيرى قد** افراد لها خمسين بيتافى ملحمة «أمير الانبياء» وقد صور فيها تفاصيل كثيرة عن الاسراء ثم عن المعراج وأشار الى فرض الصلاة فى هذه الليلة المباركة التى اتفق فقهاء الاسلام على أن الصلاة قد فرضت فيها . ومن الغريب أن « البوصيرى وشوقى » لم يذكر أحدهما أو كلاهما مسألة فرض الصلاة ولعلهما اكتفيا بالاشارة العامة الى تكريم الرسول وكشف الأسرار له .. أو أنهما اعتبراها أظهر من أن يشار اليها ولكن لما كان تسجيل الأحداث ينبغى أن يكون شاملا ، ولما كانت فرضية الصلاة أبرز ما فى هذه القصة ، حتى قيل أن الله تعالى قد خصص المعراج لابلاغ رسوله الكريم فرض الصلاة تنويها بشأنها ، كان الأوفق أن يشيرا اليها .

ونقتطف هنا بعض أبيات من ملحمة أمير الأنبياء فى تصوير المعراج :

اتى المعراج ملتمع الضياء
فصعد بالنبى الى العلاء

ركاب لا أخيل منه الا
كما خيلت سر الكهرباء

فمر على الكواكب مزهرات
وأوغل فى السماوات الوضاء

فقابل آدم الأعلى مقاما
فذاك أبو الورى والأنبياء

وشاهد بعد ذلك أى جمع
ملائك سجدا أبدا قياما

وقد بدت السماء والأرض طرا
كسمسمة بمزرعة ترامى

وهم ، فكان من ذى العرش قابا
فأدناه ، فأثلجه التزاما

وأوحى بالصلاة اليه وحيا
الهيا ، يبلغه الأناما

هنالك : تمت الصلوات خمسا
وصار أداؤها فرضا لزاما

الخ ...

وقد تحاشى عامر بحيرى المبالغة التى أشرنا اليها عند سابقيه فى تصوير اجتماع الرسول الكريم عند بيت المقدس بالأنبياء فقال :

تقدم انبياء الله طرا
بفضل الله اكراما وجاها

فلم يذكر « مخدووم على خدم » أو «سيدهم» وان كان مقام الرسول الكريم يقتضى ذلك وأكثر منه ، ولكنه صلوات اللهوسلامه عليه كان لا يرتضى مثل هذا الاطراء .

ضيافة ربانية

فى حادث الإسراء والمعراج

فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى

من أعظم الأحداث وأغربها فى تاريخ الدعوة المحمدية ، حدث الاسراء والمعراج ، وهو حدث غريب اذا قيس بالمعايير البشرية أما اذا قيس بالموازين الالهية ، وبالقدرة الربانية فليس فيه غرابة ، وما هو الا خارق من خوارق العادات أجراه الله على يد محمد - صلى الله عليه وسلم - وجعله دليلا على صدقه كما جعل غيره من الخوارق والمعجزات دلالات على صدق غيره من رسله وأصفيائه .

والاسراء لغة : السير ليلا كالسرى والمراد به فى حادث الاسراء سير النبى - صلى الله عليه وسلم - ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، والعروج الصعود ومنه المعراج والمراد بالمعراج فى حادث المعراج الصعود بالنبى الى السماء الدنيا ثم الى ما بعدها من السموات الى مستوى سمع فيه صريف الأقلام ، ويقترن حديث الاسراء بحديث المعراج لأنهما وقعا فى ليلة واحدة قبل الهجرة بسنة وان كان الحديث عنهما فى القرآن وقع متفرقا فى سورتين ، فقد وقع حديث الاسراء فى سورة الاسراء أو سورة بنى اسرائيل ، ووقع حديث المعراج فى سورة النجم .. وفى سورة الاسراء يقول الله تعالى :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » . ويقول - جل جلاله - فى الحديث عن المعراج فى سورة النجم : « ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

ومعنى هذا كما قال المفسرون: ان الرسول - عليه الصلاة والسلام - رأى جبريل مرة أخرى فى صورته الحقيقية الملكية فى السماء عند سدرة المنتهى بعد مرة أولى رآه فيها على تلك الصورة ، وكانت رؤية عينية بصرية كما ينبىء عن ذلك قوله تعالى : ما زاغ البصر وما طغى .

وجمع النبى الحديث عنهما فى أحاديث أخرجها البخارى وغيره من أصحاب الصحاح فى مواضع متعددة مطولة ومختصرة ومن أطول الأحاديث فى ذلك ما أخرجه البخارى فى باب مبعث النبى - صلى الله عليه وسلم - ومما جاء فيه عن مالك بن صعصعة أن النبى - صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال: بينما أنا فى الحطيم وربما قال مضطجعا اذ أتانى آت .. فشق ما بين هذه الى هذه فاستخرج قلبى ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبى ثم حشى ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ، أبيض .. قال الراوى : وهو البراق يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى سماء الدنيا فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . الخ .. وفى الحديث تفصيل طويل عن كيفية فرض الصلوات ليلة الاسراء وعن لقاء الرسول للانبياء فى السموات يضيق المجال هنا عن ذكره .

والاسراء والمعراج رحلتان أرضية وسماوية لرسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - كانتا فى القديم والحديث امتحانا لايمان المؤمنين ونفاق المنافقين والجاحدين .. آمن بهما واطمأن الى وقوعهما أرباب الانصاف والاستعداد للحق ، وكفر بهما وجحد بآيتهما من طمس الله نور بصيرته ، وجعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوا سرهما ومغزاهما .. قال ابن هشام فى سيرته : وكان فى مسراه وما ذكر منه بلاء وتمحيص وأمر من أمر الله فى قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق وكان من أمر الله على يقين فأسرى به كيف شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التى يصنع بها ما يريد .

وذكر ابن هشام فى تفصيل هذا الابتلاء والامتحان أن النبى - صلى الله عليه وسلم - لما أخبرهم بمسراه ، قال أكثر الناس : هذا والله الأمر البين والله ان العير لتطرد شهرا من مكة الى الشام مدبرة وشهرا مقبلة ، أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة ويرجع الى مكة ..

قال : فارتد كثير ممن كان أسلم وذهب الناس الى أبى بكر فقالوا له: هل لك يا أبابكر فى صاحبك .. يزعم أنه قد جاء هذه الليلة ببيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة .. قال : فقال لهم أبو بكر : انكم تكذبون عليه فقالوا : بلى ها هو ذاك فى المسجد يحدث به الناس فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك فوالله انه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه ثم أقبل حتى انتهى الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال يا نبى الله أحدثت هؤلاء القوم أنك أتيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم . قال : يا نبى الله فصفه لى فانى قد جئته .. قال الحسن: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - **فرفع لى حتى نظرت اليه فجعل رسول الله يصفه لأبى بكر ، ويقول أبو بكر : صدقت أشهد أنك رسول الله كلما وصف له منه شيئا قال صدقت وأشهد أنك رسول الله . قال حتى انتهى ، قال رسول الله لأبى بكر : وأنت يا أبا بكر الصديق فيومئذ سماه الصديق ..**

وما زال الناس فى أمر الاسراء والمعراج على مثل حال الناس حين وقع الحادثان فريقين مؤمنين بهما قاطعين بوقوعهما لتوافر الأدلة عليهما .. وجاحدين بهما اما بدافع العناد والمكابرة كما فعل معاندو قريش ، واما بباعث الاغترار بعقولهم القاصرة ومعلوماتهم الضحلة فى ميادين الالهيات والنبوات .

ان الاسراء والمعراج استضافة ربانية من الله ذى الملك والملكوت ، استضاف بهما صفيه وحبيبه محمدا - صلى الله عليه وسلم - وأراد أن يطلعه على عجائب ملكه ويريه من غرائب آياته ويعلمه منازل القرب منه ليشد من عزمه ويفسح له فى آفاق معرفته ويزوده

يزاد ثقافي ونفسي يستمد منهما في جهاده لدعوته فرفع له الحجب وطوى له مسافات الأزمنة والأمكنة وكشف له عن شيء من أسرار الخلق في السموات والأرض وربط على قلبه فلم تذهله الأعاجيب ووقف عند حدود ما رسم له وتادب بآداب النبوة في ضيافته الكريمة وقد حكى القرآن أدب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في فترة ضيافته فقال « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

فحادث الاسراء والمعراج لم يكن الا درجة من درجات التكريم ووسيلة من وسائل التثبيت ولونا من ألوان الاختبار تجلى به ـ سبحانه وتعالى ـ على نبيه وأسبغ عليه من بحار الفيض والامداد ما تمكن به في مدة وجيزة أو ساعات معدودة أن يكشف عن طريق المعاينة كثيرا من آيات ربه وعجائبه في أرضه وسمائه .. تجلى به على نبيه فرفعه وكرمه وثبت فؤاده وشرح صدره ورفع في الملأ الأعلى ذكره وعرفه صادق الايمان من كاذبه وضعيفه من قويه » .

وليس هناك كبير فائدة في أن يعرض الكاتب في حادث الاسراء والمعراج لاختلاف العلماء من متكلمين ومتصوفة وفقهاء في كيفية الاسراء والمعراج وهل كانا بروح محمد وجسده أو بروحه فقط ، أو كان الاسراء بروحه وجسده والمعراج بروحه فقط ، حسب الكاتب أن يذكر المسلمين بأسرارهما ويحاول بما في وسعه أن يتعمق فيهما لعله يضيف جديدا الى ما وصل اليه أسلافنا ولم يصبح المسلمون في حاجة الى سوق الأدلة على وقوعهما على أى صورة كانا وتكيفهما الآيات والأحاديث التى وردت بشأنهما ، وقد أصبح الايمان بهما جزءا من عقائدهم كما أصبحت ذكراهما عيدا عزيزا على المسلمين يحتفلون بها ويستلهمون منها معنى التكريم لنبيهم العظيم اذ خصه الله من بين أنبيائه بهذه الضيافة في رحاب قدسه وتنقل به في آفاق ملكوته ..

ومحاولة بعض الكتاب اقناع المستفسرين لحادثى الاسراء والمعراج أو المنكرين لهما بوسائل العلم الحديث في قطع المسافات وتقريب الأبعاد بالطيارات والصواريخ ومراكب الفضاء ـ محاولة غير موفقة تدعو الى بلبلة الأفكار ـ حين لا تتم المماثلة بين شأن الاسراء والمعراج وشؤون العلم الحديث وتبقى ثغرات للشك والجدل .

ولا سبيل الى التقريب أو الربط بين أمور هى من فعل الانسان يقدر عليها بتفكيره واستنباطه ويتوصل اليها بأسباب مادية تخضع لقوانين علمية ومعارف انسانية وأمور أخرى لا دخل لقدرة الانسان فيها ، وانما هو مظهر كونها ومحل جريانها يخلقها الله فيه ويجريها على يديه .

وأمور الدين وبخاصة الغيبيات منها التى ثبتت بالنقل الصحيح ينبغى أن يكون لها قداستها بعيدة عن مجال العلوم البشرية ، وما زالت عقائد بعض الناس في هذه العصور الا حين حاول بعض الكاتبين بدافع الغيرة أو بسوء القصد أن يفسروا أمور الغيب بقواعد العلم وقوانين الطبيعة .

آن للعلم أن يجد في الكشف عن أسرار الكون ما وسعه جده ونشاطه ، وما وقف دين صحيح دون أن ينطلق ويفتح مغاليق الكون ويستكنه أسراره ومانظن أنه سيصطدم بالدين في قضية من قضاياه ، وما يخاله بعض الناس من تناقض بين العلم والدين في شيء من الأشياء في عصر من العصور ستتكفل العصور المقبلة بعده على دفع هذا التناقض وترده الى انسجام يزداد المؤمنون به ايمانا ويسترد الجاحدين الى صوابهم .. وصدق الله اذ يقول :

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ، ويقول : ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم » .

الاسراء والمعراج

المقدم صلاح الدين محمد عطية

تجلى الله سبحانه وتعالى بفضله على سائر الأنبياء والرسل قديما فعلم آدم الأسماء كلها وأرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض ، وأرى موسى آياته الكبرى وقلب عصاه حية تبتلع حبال السحرة وعصيهم على كثرتها ثم تعود سيرتها الأولى عصا كما كانت ، وانفلق البحر له شطرين يمر قومه بينهما فى أرض يابسة فاذا مر فرعون وقومه من ورائهم انطبق البحر كما كان فأغرقهم كما أخرج ناقة صالح وفصيلها من ورائها من صخرة الجبل ، وعلم سبحانه سيدنا سليمان نطق الأشياء كلها وسخر له الريح فكانت تقطع فى صبيحة اليوم ما تقطعه القوافل فى شهر ، وتقطع ساعة الرواح ما تقطعه فى شهر . ومدة الغداة لا تزيد عن ساعة كما لا تزيد مدة الرواح عن ذلك فكان يطير بها من شرق ملكه الى غربه فى يوم وليلة لقوله تعالى : « **ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر** » **وأعطى الله يحيى الكتاب بقوة وآتاه الحكم صبيا كما علم عيسى الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل .**

وفى ليلة السابع والعشرين من رجب فى السنة الحادية عشرة من البعثة

تلك الليلة المباركة التى شاء الله تعالى أن يكرم فيها الانسانية لتبلغ ذروة السمو فرفع نبيها الأعظم خيرخلقه محمدا صلى الله عليه وسلم الى منزلة لم يبلغها أحد من الأنبياء والمرسلين ، ولا من الملائكة المقربين ، فشرفه بدعوته وحفه بملائكته فأسرى بجسده وروحه بين أقدس بلدين ، وأطهر بيتين ، ورفعه الى الأفق الأعلى وأدناه الى مرتبة المناجاة ليريه من آيات قدرته وعجائب مخلوقاته التى لم يستطع أحد أن يراها ، وتشرف أهل السموات به صلى الله عليه وسلم اسوة بما شرف به أهل الأرض ، فعم الشرف به العالمين ، قال سبحانه وتعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » . ولا شك أن هذه لحظة تجلى الله فيها بفضله على سيدنا محمد كما تجلى قديما على سائر الأنبياء والرسل .

وكان فى الاسراء والمعراج تسلية للرسول لما ألم به وتفريج لبعض كربه حتى تطمئن نفسه بنجاح دعوته فيهون عليه كل ما يلقاه فى سبيلها .

بينما كان النبى صلى الله عليه وسلم مضطجعا فى الحجر عند البيت بين حمزه وعلى اذ أتاه جبريل عليه السلام وشق ما بين ثغرة ونحره الى أسفل بطنه واستخرج قلبه ثم أتى

بطست من ذهب مملوء ايمانا فغسل قلبه في صدره ثم أطبقه وكان معه البراق وهو دابة خلقها الله من آياته المحجبة والمخصصة لرسله وأنبيائه وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون يضع خطوه عند أقصى طرفه فركبه ومشى في ركابه حتى وصلا يثرب فأخبره بأنها ستكون اليها هجرته وسيكون فيها وفاته ثم عرجا على طور سيناء الجبل الذى كلم الله عليه موسى ، وبينما هو في الطريق أراه الله عجائب الدنيا وصور له حقائق الأشياء ، وكشف له صفحتى الخير والشر وضربت له الأمثال البالغة على مصائر الناس ، فقد رأى فيما رأى صورا للمجاهدين في سبيل الله ، وصورا لمانعى الزكاة وصورا للزناة وصورا للضعيف عن حمل الأمانة وصورا لخطباء الفتنة وصورا لشقشقة اللسان ، وصورا لأكلة الربا ، وصورا للغمازين ، الى غير ذلك من العجائب والآيات .

جاء في حديث أبى هريرة والطبرانى والبيهقى وابن جرير وأبى يعلى انه عليه الصلاة والسلام مر ليلة أسرى به على قوم يزرعون ويحصدون في يوم وكلما حصدوا عاد كما كان . فقال لجبريل : ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة سبعمائة ضعف ((وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين)) ثم أتى على قوم تشدخ رؤوسهم بالصخر وكلما شدخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء . فقال : ما هذا ياجبريل ؟ : قال : هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله ، ولكن أنفسهم يظلمون . ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضج في قدر ولحم نيء في قدر فجعلوا يأكلون من النيء والخبيث ويدعون الناضج، فقال : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون له الزوجة حلالا طيبة فيأتى المرأة الخبيثة فيبيت عندها حتى يصبح . وهذه المرأة يقوم عندها زوجها الحلال فتاتى الرجل الخبيث فتبيت عنده حتى تصبح .

ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها . فقال : ما هذا ياجبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات لا يقدر على ادائها وهو يريد أن يحمل عليها .

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد وكلما قرضت عادت لا يفتر عنهم من ذلك شيء . قال : ما هذا ياجبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة الذين يقولون ما لا يفعلون .

ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يعود من حيث خرج فلا يستطيع فقال : ما هذا ياجبريل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها .

وها هو الرسول صلى الله عليه وسلم يرى خشبة تعترض الناس في الطريق فلا تدع راكبا ولا ماشيا الا مزقت ثيابه وأدمت أهابه فيسأل رسول الله عنها ؟ ويجيب جبريل : هذا مثل ناس يقعدون على رؤوس الطريق فلا يدعون غاديا ولا رائحا الا تناولوه بالعيب أو بالعدوان .

ويرى قوما لهم بطون كأمثال البيوت ـ كلما هموا لينهضوا أثقلتهم بطونهم فيسقطون متخبطين تحت أقدام المارين فيقول جبريل : هؤلاء الذين يأكلون الربا ، ولا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس .

ويرى قوما يطعمون النار فتحرق صدورهم، وتمزق أحشائهم وتحرق أمعاءهم ، فيقول جبريل : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما .

ومر عليه الصلاة والسلام بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيطعمون فقال : ما هذا ياجبريل ؟ قال : هم الغمازون اللمازون .

وقد مرا على قبر سيدنا موسى عليه السلام عند الكثيب الأحمر وطلب منه سيدنا جبريل أن يصلى ركعتين لله عز وجل تحية لهذا المكان المبارك ولما وصلا الى قبر شهيدة الأخدود التى رفضت الكفر بالله وألقت أطفالها واحدا بعد واحد في الأخدود فلم تركن الى الكفر فلما

أخذوا رضيعها حنت حنان الأمومة وكادت تطاوعهم فأنطق الله رضيعها عند ذلك وقال لأمه : قعى ولا تقاعسى فانك على الحق • طلب منه سيدنا جبريل أيضا أن يصلى ركعتين لله عز وجل تحية لهذه الشهيدة واعلاء لذكرها حتى يقتدى الناس بها •

وقد رأى الرسول كثيرا من عجائب الكون وتجلى له الشيء الكثير من أسراره لقوله تعالى : « لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » •

وصل صلى الله عليه وسلم وجبريل الى بيت لحم حيث مهبط الرسل ومبعثهم ومتنزل كتبه، حيث ولد عيسى ، ونزل خاتم الأنبياء من على البراق عند باب المسجد الأقصى **« الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله »** لأنه محاط بخيرات الأرض ومبارك بصلاة الرسل والأنبياء ووقوعها وسط الأرض واحاطته الرسالات وانتهت اليه كثير من الحضارات الدينية والروحية • ودخل فوجد المصلين وكان منهم الرسل والأنبياء يتعارفون على بعضهم البعض ينتظرون جميعا من يأمهم فقدمه جبريل وتعارفوا وتذاكروا أحوال الأمم وسألهم المصطفى عما كان من أممهم وعناد البشر لتقوى عزيمته فى مناهضة أهل الكفر والشرك فقد أمره الله تعالى أن يسألهم لقوله تعالى : **« واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون »** سورة الزخرف آية ٤٥ • وصلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بمن حضر ، ثم خرج مع جبريل الى رحبة المسجد وتناول اللبن واليسير من العسل ثم رفعه الله الى الأفق الأعلى لقوله تعالى : « والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى » •

فى السماء الدنيا : لما جاء الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء : افتح • قال : من هذا ؟ قال : هذا جبريل • قال هل معك أحد ؟ قال نعم ، معى محمد صلى الله عليه وسلم • فقال : أرسل اليه ؟ قال نعم ، فلما فتح علوا السماء الدنيا فاذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل يساره بكى فقال :مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح ، فسأل سيدنا محمد جبريل عمن يكون هذا فقال : هذا آدم • وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والاسوده التى عن شماله أهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى •

وسيدنا آدم كان طويل القامة أسمر اللون كأنه من رجال شنوءة (قبيلة من العرب طوال الأجسام) وفى السماء الثانية حدث مع خازنها مثلما حدث مع الأولى وفتح ورحبت به الملائكة واجتمع بسيدنا يحيى وسيدنا عيسى، وهما ابنا الخالة ، وكان سيدنا عيسى فوق الربعة ودون الطويل تعلوه حمرة كأنه يتحادر عن لحيته الجمان ، وصعد الى السماء الثالثة واجتمع فيها بسيدنا يوسف ثم السماء الرابعة واجتمع فيها بسيدنا ادريس ، فالخامسة واجتمع بسيدنا هارون ، فالسادسة واجتمع فيها بسيدنا موسى وكان ضخما ، ولما جاوزه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى •

ووصلا السماء السابعة فاجتمع فيها بسيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام مسندا ظهره الى البيت المعمور وكان كلما وصل الى سماء يستفتح جبريل ايذانا بشرف من هو فى صحبته فترحب به الملائكة •

وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقرئهم السلام فيردون عليه : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح ، عدا آدم والخليل ابراهيم فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح فلنعم المجىء جاء

وبعد مقابلة سيدنا ابراهيم مثلت الجنة أمام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فرأى نعيمها وما فيها من حبايل اللؤلؤ وترابها المسك أعدت للمتقين . ومثلت النار فرأى جحيمها الذى أعد للعصاة والكفرة والضالين ثم رفع الى سدرة المنتهى اليها علم العالمين من رسل وملائكة وقد غشيها بألوان لم يدر الرسول ما هى وسدرة المنتهى من الغيبيات التى تحار فيها العقول ولم تبلغ تصورات المتصورين لها حقيقتها وجاءت فيها أحاديث وقيل أنها شجرة تنتهى اليها أرواح الشهداء والصالحين وتغشاها أنوار الحق سبحانه وتعالى فتجرده من جلال الى جلال وجمال الى جمال فهى شجرة الأسرار ومهبط الأنوار تظهر فيها قدرة العزيز الغفار واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ما هذا ياجبريل : قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات . ثم رفع له صلى الله عليه وسلم البيت المعمور وأوتى باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فأخذ صلى الله عليه وسلم اللبن فقال هى الفطرة أنت عليها وأمتك . وبقى جبريل الأمين ورفع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحده الى حيث يستوى سبحانه على عرشه على الوجه الذى قاله استواء يليق بعز جلاله وقدس كماله وعلو مجده وكبريائه **فسجد الرسول لمولاه يحمده سبحانه وتعالى ويشكر فضله واحسانه فيقول: التحيات الزكيات المباركات الطيبات لله والصلوات لله ، فيتلقى النداء الأعلى من فوق العرش العظيم : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، فقال صلى الله عليه وسلم : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقالت أرواح الملائكة والصالحين من الأمم أجمعين الذين على العرش : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله. وصلت الملائكة والصالحين على سيدنا محمد رسول الله وسيدنا ابراهيم سابق حبه للنبى عليه الصلاة والسلام ولأمته .**

فى هذه اللحظة المباركة شرعت الصلاة ففرض الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته من الصلوات كل يوم وليلة خمسين ، ويتلقى أمر الرب الكريم هبط رسول الله مشرق الوجه بنور الله متوجا برضاه الى سدرة المنتهى حيث كان جبريل الأمين فرافقه هابطا الى السماء السابعة فالسادسة وسأله سيدنا موسى عليه السلام عما فرضه ذو الجلال والاكرام عليه وعلى أمته فأجابه سيدنا محمد بما فرض عليه فقال له سيدنا موسى : ان أمتك لا تستطيع ذلك وقد خبرت الناس قبلك فارجع الى ربك واسأله التخفيف ، فرفع سيدنا محمد طرفه الى جبريل يستشير فأشار عليه بالرجوع الى اللطيف الخبير فلما عاد الى حيث تلقى الأمر خر ساجدا يطلب التخفيف فوضع الله عنه عشر صلوات فعاد الى سيدنا موسى يخبره فأشار عليه بالرجوع لطلب التخفيف ووضع الله عنه عشر صلوات ثم عاد الى سيدنا موسى فأشار عليه بالرجوع لطلب التخفيف فعاد ووضع الله عنه عشر صلوات ورجع الى سيدنا موسى يخبره فأشار عليه بالرجوع ليطلب التخفيف فعاد ووضع الله عنه عشر صلوات وهبط الى سيدنا موسى فأخبره فأشار عليه بالرجوع ليطلب التخفيف فعاد يسجد لله يطلب التخفيف فوضع الله عنه خمس صلوات وخاطبه بقوله : **« هن خمس صلوات كل صلاة بعشر فتلك خمسون » لا يبدل القول لدى « فرجع صلى الله عليه وسلم وبينما هو نازل قال له سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام : أقرىء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة قيعان وغرسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . ووصل الى سيدنا موسى يخبره فقال له سيدنا موسى ان أمتك لا تستطيع ذلك وقد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل على أقل من ذلك وطلب منه الرجوع لطلب التخفيف فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه سأل الله سبحانه وتعالى حتى استحيى وانه يرضى ويسلم وعندئذ سمع النداء « قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى » .**

فودع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيدنا موسى وهبط الى الصخرة المقدسة مع جبريل فودعه المرسلون حيث ارتقى البراق الى البيت

الحرام وقد مر أثناء العودة بعير لقريش قد أضلوا ناقة لهم يبحثون عنها فأرشدهم اليها ونزل صلى الله عليه وسلم فى رحالهم وشرب من قدح مغطى وأعاد عليه الغطاء بعد أن شرب ثم ركب ومر بعير أخرى فسلم عليهم وأجابوه ونفرت عيرهم فكسرت احدى قوائم بعير لهم ومر بعير ثالثة قرب مكة يقدمها جمل أورق عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان ثم وصل صلى الله عليه وسلم قبل انقضاء الليل .

وفى بيت أم هانىء بنت أبى طالب دخل ولما أصبح أخبرها بما حدث فطلبت منه وهى المؤمنة قوية الايمان التى لا يخامرها الشك فى صدق ما قال ولا يداخلها ريب فى صحة ما روى طلبت منه ألا يخبر قريشا لخوفها على رسول الله من الكيد والتكذيب مشفقة عليه من الأذى والاستهزاء وتعلقت به من ثوبه تطلب منه كتم الحديث وحفظ ما رأى بين طيات القلب ولكنه صلى الله عليه وسلم يحمل رسالة البشرية كلها فجذب رداءه وجمع عزمه وخرج .

ذهب غير هياب وفى الحطيم بين الكعبة والحجر الأسود ابتدره أبو جهل قائلا مستهزئا كعادته عن أى أخبار جديدة ؟ فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نعم أسرى بى البارحة الى بيت المقدس . فصاح أبو جهل فى الناس « يامعشر بنى كعب بن لؤى لتسمعوا حديث محمد » فما تجمع الناس أخبرهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بما حدث فى اسرائه وأنه صلى بالمسجد الأقصى بالأنبياء اماما فضج الحاضرون وقال أشقاهم : اننا نضرب أكباد الابل شهرا ذهابا وأخر ايابا لبيت المقدس فكيف تذهب وتعود فى ليلة واحدة ؟

فحاول الرسول أن يقنعهم فلم يقتنعوا وأقبل أبو بكر الصديق فأخبروه بما كان من محمد فأجابهم رضى الله عنه بأنه يصدق محمدا فيما هو أبعد من ذلك فعادوا للنبى يسألونه عن وصف بيت المقدس وهم يعرفون أنه لم يذهب اليه فى حياته ، سألوه عن شكله وعن أبوابه ونوافذه ولم يكن الرسول قد دقق النظر ليلا فى هذه الأوصاف ، ولكن الله سبحانه وتعالى أمر بأن يرفع له المسجد أو تمثل أمامه صورته فطفق رسول الله ينظر للمسجد ويجيبهم وليس ذلك بمستغرب على الله سبحانه وتعالى فان الانسان فى عصرنا توصل لما يشبه ذلك بأجهزة التليفزيون وقدرة الله فوق هذا .

فلما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصفه قالوا أن هذا لسحر وأرادوا اقحامه فسألوه عن عيرهم بالطريق القادمة من الشام فأجابهم رسول الله عنها وعن محلها وما حدث لها . وما أن أتم محمد كلامه حتى طلعت عليهم العير يقدمها الجمل الأورق الذى أخبرهم عنه الرسول عليه الصلاة والسلام وسألوه عن العيرين الآخرين ، متى تصلان ؟ فأجابهم الرسول ولما وصلا سألوهما عما جرى لهم مع النبى عليه السلام وكان جوابهم مطابقا فآمن بمحمد المؤمنون ورماه بالسحر الكافرون .

وهبط جبريل يعلم الرسول والمسلمين كيفية الصلاة فتقدم عليه السلام اماما وخلفه رسول الله والمؤمنون وصلى بهم الظهر حين زالت الشمس ، ثم العصر حين صار الظل كل شىء مثله ثم المغرب حين غربت الشمس ثم العشاء وقت زوال الشفق ثم الصبح حين طلع الفجر ، ثم فى اليوم الثانى صلى بهم الظهر حين كان ظل كل شىء مثله والعصر حين كان ظل كل شىء مثله والمغرب حين غربت الشمس والعشاء عند ثلث الليل والفجر وقت الأسفار أى قبيل طلوع الشمس .

ثم قال جبريل : الوقت ما بين هذين أى ما بين وقت الذى صلى فيه اليوم الأول ولوقت الذى صلى فيه اليوم الثانى .

وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم التحيات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد .

ومنها كانت الصلاة على سيدنا ابراهيم عقب التحيات مكافأة لاقرائه السلام لجميع

الأمة تلك التحيات التى كانت فوق العرش فى نهاية كل ركعتين فهى سنة مؤكدة على ما حققه العلامة المحدث ابن حجر والله أعلم .

الدروس المستفادة من ليلة الاسراء والمعراج :

١ - تميز الرسول صلى الله عليه وسلم بالفضل وخص بعلو القدر فى اجتماعه بالأنبياء وترحيب من لاقاه منهم فى السماء وفى تردده بين موسى ومولاه لطلب التخفيف عن أمته فى عدد الصلوات واجابة الله سبحانه وتعالى وأوضحت هذه الليلة مقام النبى صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله حقا ورؤيته لآيات ربه الكبرى .

٢ - خص الله الصلاة دون سائر العبادات بأن رفع الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم الى أعلى السموات ليسمع بأذنيه الأمر من ربه - دون الوحى - بفرض الصلوات لأنها ركن الدين وعماده وان لها شأنا عند الله عظيما .

٣ - منح الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم البرهان المحسوس القاطع البينة على صدق ما يرويه لقومه بمروره فى العودة على عير قريش فى الطريق وشهاداتهم بعد عودتهم بما أخبر به .

٤ - استئناس النبى صلى الله عليه وسلم بما رأى ليقوى على بث الدعوة والجهاد .

٥ - معرفة أن الأنبياء أحياء عند ربهم يرزقون حياة يعلمها الله تعالى ورسوله جبريل الأمين .

٦ - اعلام من فى السموات والأرض أن خاتم الأنبياء وخيرة الأصفياء قد بعث .

٧ - رؤية النبى صلى الله عليه وسلم ليوم القيامة : الجنة والنار وما اليهامن الآيات لن يشغله عن مقامه يوم القيامة - مقام الشفاعة العظمى .

٨ - اكتشاف الصواريخ والأقمار الصناعية وغزو الفضاء فى عصرنا الحديث يقرب الينا فهم هاتين الحادثتين العظيمتين الاسراء والمعراج .

واكتشاف التليفزيون فى عصرنا يقرب الينا فهم كيف مثل الله المسجد الأقصى لسيدنا محمد بعد عودته ليصفه .

فاذا كان الانسان يمكنه بواسطة العلم أن يصل لمستوى ما فى هذا المضمار « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » افلا يكون سبحانه وهو الخلاق العليم أقدر على أكثر من ذلك وأبعد .

حول الإسراء والمعراج

فضيلة الشيخ عطية صقر

في شهر رجب من كل عام تمر بالعالم الاسلامي ذكرى حادثة الاسراء والمعراج ، تلك الحادثة التي جاءت على أثر الأزمة النفسية التي نزلت بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل هجرته بنحو ثلاث سنوات ، حيث ماتت زوجته البارة خديجة وعمه أبو طالب ، وحيث طلب النصرة بعيدا عن قريش في الطائف فرده السفهاء أسوأ رد ، وحيث ضاقت به السبل فاتجه الى ربه وهو في قمة التأثر النفسي عقب عودته من الطائف ، يشكو اليه ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس ، ثم تطمئن نفسه فيقول قولته الجامعة التي ينبغي أن تكون دستور كل مصلح مجاهد في الحياة « ان لم يكن بك غضب على فلا أبالي » . فيدعوه ربه بعد ذلك الى حفل تكريم يشهده خلاصة البشر في المسجد الأقصى ، وحفل تكريم خاص يخلو فيه الحبيب مع حبيبه فيفرغ في قلبه من الأنس ما تمتلئ به نفسه رضا وطمأنينة ، وصبرا ومصابرة ، وثقة بالنصر على ما تقتضيه سنة الحياة من أن العاقبة للصابرين .

تمر بالمسلمين هذه الذكرى في كل عام ويكثر التساؤل حولها ، ويتشعب السائلون فيركز كل منهم على النقطة التي تهمه ، من الزاوية الخاصة التي نظر اليها في هذا الحادث، وبالعين المتكيفة بتكييف خاص متأثر بالثقافة أو المزاج أو غيرهما من المؤثرات . ويجب الا يعنينا من هذه التساؤلات الا ما يتصل بحاضرنا الذي نمهد به للمستقبل ، والى ما يفيدنا فائدة محققة في معترك حياتنا السياسية والاجتماعية والفكرية . والا نعبأ بالمجادلات البيزنطية التي تقتل الوقت وهو أعز ما نحرص عليه في فترة نهوضنا وتطورنا ، والتي تخلق مشاكل فكرية قد تزل بها الأفهام فتهوى الى هوة سحيقة من الشك والجحود .

ان كثيرا من الناس يضع حادث الاسراء موضع الغرابة ، فكيف يستطيع بشر في بيئة لم تنضج علميا وفنيا أن يقطع نحو خمسمائة كيلو متر في زمن وجيز ، تصوره بعض الروايات بما لا يسمح لفراش النائم أن يبرد اذا تركه وعاد اليه . ويحاولون الخروج من

هذا المأزق – فى نظرهم – بادعاء أنها رحلة روحية فقط لم يفارق فيها الجسد مكانه ، وللروح جولات فى عالمها الخاص تخترق بها السنن الحاكمة لنشاط الأبدان • وقد يشتط ببعض الناس الجدل فينكرون الحادث من أساسه بأى وضع يكون ، وهم بذلك يكفرون لتكذيبهم نصا ورد فى القرآن الكريم •

سأسير مع هؤلاء قليلا لأخرجهم من مأزقهم الذى خلقوه بتصورهم ، وأقول لهم : ان كان الشك قد استولى على عرب الحجاز منذ ثلاثة عشر قرنا فى أمر هذه الرحلة حتى ارتد بعضهم بعد ايمان ، فكيف يتصور ذلك فى عصر السرعة والصواريخ ومحطات الفضاء ؟ على أن محل الدهشة والغرابة أن يكون بشر من الناس هو الذى فعل ذلك ، ولكن الحقيقة أن هذه الرحلة لم تكن بفعل محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنها كانت بفعل الله سبحانه ، يدل عليه تعبير القرآن الكريم « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى** » •

فلم يكن محمد ساريا ولكن مسرى به ، والذى أسرى به هو الله ، واذا كان الأمر كذلك فكيف يكون للشك موضع اذا كان الأمر بيد الله وفى نطاق قدرته وميدان علمه وسلطانه ؟ ان الله سبحانه هو الذى خلق السنن الكونية التى نعيش نحن فى عالمنا على حكمها ، وعالم الملكوت التى يعج بالمخلوقات ذات الأجناس المختلفة والطبائع المتباينة لا يعلم حقيقته الا الله سبحانه ، ولا يدبر أمره الا قدرته وعلمه وحده « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » •

واذا كان الحادث اعجازا فكيف تسلط عليه أضواء العاجزين ، وهم لم يعرفوا بعد أشد الأمور التصاقا بأنفسهم وهو الروح التى تحركهم فى جميع المجالات ، « قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا » •

واذا كان بعض الحذرين فى مناقشتهم لهذه المسألة يلطفون من غرابتها فيقولون : انها كانت رحلة بالروح فقط ، فنقول لهم : اذا كانت كذلك فأى ميزة تكون للنبى صلى الله عليه وسلم بها ، وكل واحد منا على قصر همته فى العلم والعمل يستطيع بروحه أن يقطع المسافات الطوال وأن يتجول فى العالم الفسيح ويشاهد من الغرائب ما لا يمكن أن يصدقه اذا حدث فى عالم الحس والمادة • وما الداعى اذا كانت الرحلة روحية فقط أن يذكرها الله فى القرآن فى مقام الجلال له سبحانه والامتنان على محمد وتكريمه بها ، كما صدر بذلك سورة سميت بها وهى سورة الاسراء ، وكيف تكون الرحلة الروحية فتنة للناس اذا أخبروا بها وهم يرحلون أمثالها وأمثالها ولا يجدون فى ذلك غرابة ولا افتتانا ؟ قال تعالى : « **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس** » •

على أنى أقول لأمثال هؤلاء المستبعدين لحادث الاسراء ، ان كانت عقولكم لا تتحمل أن تصدق هذا الشىء الغريب ظانين أنه مخالف للعقل ، وما خالف العقل يكون كاذبا ، أقول لهؤلاء : ان مخالفة أى أمر للعقل لا تكون مبررا لتكذيبه الا اذا كان التناقض فى الأمور البدهية والقضايا الأولية التى يحس بها الوجدان وتدركها البصائر حتى فى أول مدارك نموها • وذلك ككون الجزء أصغر من الكل ، وكون الواحد أقل من الاثنين ، وكالقضايا الرياضية والهندسية التى بنيت عليها نظم الحياة • أما اذا كان الأمر غريبا فى العادة وبحسب الجو والبيئة والعصر الذى نعيش فيه فلا ينبغى أن ينكر ، فكم أنكرت العقول فى الأزمان السابقة أمورا أصبحت فى عصرنا من البدهيات التى لا يتطاول اليها الشك • وقد تنفست العلوم والاختراعات الحديثة عن مدركات كانت فى طى الجهل قرونا طوالا ، أمكن بها فهم ما عمى علينا من نصوص صادقة فى الوحى لم تواتنا الفرصة اذ ذاك أن ندركها حق الادراك ، وصدق الله اذ يقول « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** » •

واذا كان التساؤل يكثر حول الرحلة الأرضية للرسول من المسجد الحرام فى مكة الى المسجد الأقصى بالشام ، فانه يكثر أيضا

حول المعراج فى رحلته السماوية من الأرض الى الملأ الأعلى .

والتساؤل هنا لا يكون عن السرعة فقط بل عن أمور أخرى تتعلق بالغلاف الجوى وكيف يعيش الانسان وراءه ، وعن الأفلاك وكيف تخرق وينفذ منها جسم آخر هو جسم النبى ورفيقه فى الرحلة ، .. .. .. انهم يقولون - بلغة العلم الحديث ومحطات الفضاء - ألا تكون السرعة الفائقة معرضة للرسول أن يحترق فى احتكاكه الشديد بالهواء ، وكيف يصعد الى الأجواء العالية التى ينقطع فيها الهواء ويستطيع أن يعيش ويتحرك ويصعد الى مسافات بعيدة ، وكيف سلم من الشحنات الكهربية أو من النيازك أو المخلوقات الأخرى التى يعج بها الكون الفسيح .

ولكنا نبادر فنقول لهم : ان العمل ليس عمل محمد ولكنه عمل رب محمد ، انه ليس عمل انسان ولكن عمل خالق الانسان ، فكيف تصفون قدرة الله بقدرتكم وتقيسون علمه بعلمكم ؟ ان هذا لهو الضلال المبين . ثم تعالوا وانظروا ، من أدراكم أن الله لم يكيف نبيه بكيفية خاصة ويعده اعدادا معينا لهذه الرحلة ولم يحطه بالاحتياطات اللازمة ، مع أنه سبحانه غنى عن كل ذلك ، فانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له : كن فيكون . ولكنه وضع بعض الأسباب وجهز نبيه ببعض التجهيزات التى تربط على قلبه فلا يرهب الغرائب التى تصادفه فى رحلته ، وتحفظ عليه حياته البشرية فلا تتأثر بالفراغ وانعدام الوزن والشحنات والنيازك وما اليها ، ولعلك تدرك بعض هذه الاعدادات من التعبير الذى ورد فى الأحاديث الصحيحة التى روت قصة الاسراء والملك الذى أخذ النبى الى المسجد الحرام . يقول النبى صلى الله عليه وسلم عنه : « ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فأفرغه فى صدرى ثم اطبقه » . ما كنه هذه الحكمة وما نوع هذا الايمان ؟ ألا يمكن أن يدل ذلك على احكام الاعداد ودقة الترتيب ، وعلى الأمن والاطمئنان الذى يملأ قلبه فلا يروعه شىء ولا يتأثر جسمه بشىء ، احسب أن ذلك ليس ببعيد وليس فيه تحميل اللفظ ما لا يطيق . ولله أن يفعل ما يشاء ويودع من الحكم فى مخلوقاته ما يشاء ، ان الرسول صلى الله عليه وسلم فى رحلته هذه كان عنده من الاستعدادات والقوى والطاقات ما يفوق محطات الفضاء فى تجهيزاتها المختلفة ، لأن تلك الاستعدادات من صنع الله الذى أتقن كل شىء ، فرأى الرسول فى رحلته آيات الله الكبرى ، وكانت رؤيته لها دقيقة محكمة واعية « ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، أفتمارونه على ما يرى » .

ووصل الرسول بشحنة الايمان وقوة الله الى مدى لا يمكن أن تصل اليه منجزات البشر بوقودهم وطاقتهم وفنهم . فملك الله أوسع من أن يبلغه بشر .

أختم كلمتى بالعبرة من حادث الاسراء التى تفيدنا فى عصرنا الحاضر - وكم فيه من عبر كثيرة انقطع لها بعض العلماء فأوصلها الى مئات - ان تحديد الرحلة الأرضية بمبدأ هو المسجد الحرام ونهاية هى المسجد الأقصى، كأن فيه ايحاء بأن هذه البقعة العزيزة التى اختيرت لتتويج الرسول فى ليلة الاسراء يجب أن يحرص عليها المسلمون أيما حرص ، وألا يدعوها لطغمة آثمة من اليهود يلوثون قدسيتها وينتهكون حرمتها ، وهم قوم قد برئت منهم الأديان جميعا ، ولعنتهم الكتب السماوية فى كثير من آياتها ، وحقت عليهم كلمة الله فى الذلة والمهانة والغضب .

ثم فيها ايحاء أيضا بأن الاسلام ليس دين تعصب ، ولم يجئ لهدم القواعد الأساسية التى جاءت بها الأديان لاصلاح المجتمع ، فدعوته مكملة للدعوات الأولى ، ومطورة للتشريع بما يتفق وحاجات البشر ويعالج مشاكل الساعة . وهو دين سلم جمع الأنبياء والرسل جميعا فى عقد واحد من الاحترام والتقديس ، ولم يقبل من مسلم أبدا أن يكذب رسولا أو يصفه بما لا يليق ، قال تعالى « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل

(البقية ص ٧٦)

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الإسلام

الأستاذ حسنى عبد المجيد

ليست قوة الميثاق الوطنى فى قوة أسلوبه ورصانته . أو في شموله لعلاج مشاكلنا بعد أن عرض ماضينا عرضا أمينا تحليليا . وليست قيمة الميثاق فى كونه أزاح الغطاء عن وجودنا بكافة متناقضاته ثم رسم لنا سبل الحل المؤسسة على دراسات علمية .

وانما قيمة الميثاق فى الواقع نبعت واستمدت اصالتها من ضمير ملايين الشعب العربى فى مصر . وأتت هذه الأصالة لتعكس مبادئنا وتجاربنا وآمالنا واحلامنا . وكلما تعمق الانسان فى دراسة الميثاق وجد فى كل سطر من سطوره . ايمانا راسخا بالانسان وفعاليته وقوته الكامنة فيه جنبا الى جنب مع القيم والأخلاقيات التى تستمد وجودها من الدين الاسلامى الحنيف الذى وضع القاعدة الاساسية للوجود الانسانى الحر . الذى قام عليه الاسلام الصحيح فتكونت الامة الاسلامية ولما يمض على اشراق الاسلام قرن من الزمان .

والميثاق بأبوابه العشرة أو فى رحلته الطويلة بين الماضى البعيد . والماضى القريب وبين حاضرنا ثم ملامح مستقبلنا . يدور حول حقيقة واحدة لا ثانى لها . هي ضرورة التغيير الاساسى العميق فى اتجاه امالنا الانسانية الواسعة . والسؤال اذن ما هى هذه الامال ؟ ولن تكون الاجابة الا حياة أفضل طليقة من كل قيود الاستغلال والتخلف فى جميع صورها المادية والمعنوية فكأن الميثاق اذن يدور حول انسانية الانسان. والحفاظ عليها وترقيتها وتنميتها وسط عوامل متشابكة متناهية فى الصعوبة فرضتها علينا قرونا من التخلف والهوان تفتتت خلالها معالم العالم الاسلامي . ولم يربط بين اجزاء هذا العالم سوى البقية الباقية من الايمان فى صدور المؤمنين المسلمين .. الذين أعياهم الأمل فى الاصلاح وايأسهم امكانية التغيير وقدر لنا الله تبارك وتعالى أن يهب الشعب المصرى فى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى ثورة وطنية كانت فى واقعها استمرارا لكل محاولات النضال الحرة التى قدمت الدماء والتضحيات والشعب بملايينه عندما قام بثورته . أدار ظهره نهائيا لكل الاعتبارات البالية التى كانت تبدد قواه الايجابية وداس كل الرواسب بأقدامه . الرواسب التى تخلفت من بقايا قرون الاستبداد والظلم التى كانت متربصة بكل عود اخضر على ارض الأمة العربية . وهكذا واتتنا الفرصة وقمنا وسط جو يحيط به كل المصاعب والأخطار والظلام مسترشدين بقوله تبارك وتعالي : « ان الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم » وجاءت استراتيجية التغيير متمثلة فى صلابة قيادتنا الثورية وقدرتها على فن ادارة وتوجيه المعارك فى مواجهة الاحداث والمسئوليات . والواقع أن التخطيط الذى نهجت الثورة نهجه منذ أعلنت مبادئها الستة اتضحت معالمه وخطوطه العريضة . من هذه المبادىء نفسها . بمعنى أن سلسلة « القضاء على » أو حتي سلسلة « اقامة .. » هى فى حد ذاتها مخطط انسانى . اسلامى واع اشتمل على خصائص رئيسية ثلاث :

* الالتقاء الجماهيرى الشامل على هذه المبادىء .
* تحديد لمعالم المعركة .
* اعتبار العدالة الاجتماعية أساس العلاقات فى المجتمع بعد تطهيره

وهكذا كان التغيير فى « الخمسينات » تغييرا فى كافة قطاعات مجتمعنا الانسانى المتطلع .. وجاءت « الستينات » لتشهد تغيير مواقع « مركز الثقل الاجتماعى للقوى الشعبية ليستقر بين فئات الشعب العاملة بمفهومها الاشتراكى الصحيح . وكانت المشكلة كيف ندفع بالتغيير الى العمومية والشمول فى كل قطاعات المجتمع ؟ وكيف نقود هذا التغيير وإلى أن يصل بنا بحيث تتمشى سرعته مع ما يناسب مقتضيات مجتمعنا فى الوقت الذى تضغط فيه علينا من كل جانب عوامل ليست من صنعنا ولكننا وجدناها من صنع قرون مضت كتب علينا أن نعالجها وأن نخفف آثارها الحادة ..

واذا عدنا الى تاريخ الثورة القريب . وجدنا الرئيس عبد الناصر فى « فلسفة الثورة » .. يتساءل « ماالذى

نريد أن نصنعه ؟ وما هو الطريق اليه ؟ الحق انى فى معظم الأحيان كنت أعرف الاجابة على السؤال الأول (ما هو الطريق) واخال انى لم اكن وحدى المنفرد بهذه المعرفة وانما كانت تلك المعرفة أملا انعقد عليه اجماع جيلنا كله . أما الاجابة على السؤال الثانى (طريقنا الي هذا الذى نريد) « فانا أعترف أيضا أنها تغيرت فى حياتى كما لم يتغير شىء آخر . وأكاد أعتقد أيضا انها تغير فى حياتى كما لم يتغير شىء اخر وأكاد أعتقد انها موضوع الخلاف الاكبر فى هذا الجيل . وما من شك فى اننا جميعا نحلم بمصر المتحررة القوية ذلك أمر ليس فيه خلاف بين مصرى ومصرى . أما الطريق الي التحرر والقوة فتلك عقدة العقد فى حياتنا »

ويبدو واضحا من تساؤلات السيد الرئيس ومنذ عشرة سنين او يزيد ان السؤال الكبير الذى كان يبحث عن اجابة . هو حرية المواطن . وقوة المواطن . والقوة والحرية هما دعامتى الانسانية . والانسانية بدونهما تصبح أقرب الى القطيع الذليل . الأمر الذى لا يرضاه الاسلام ويأباه .

ونحن اذا ناقشنا قول الرئيس فى فلسفة الثورة . وامله ومفاجآته للتحرر والقوة . ونحن اذا عشنا بين سطور الميثاق بحثنا وراء الحرية والقوة . فان النتيجة الحتمية لهذه الرحلة . هي ان لضمان تكوين المجتمع الحر القوى لابد من توفير العدالة الاجتماعية ، والديموقراطية الاجتماعية والديموقراطية السياسية . وحاجة الدين لهذه المعانى - ليبقى - كحاجة الانسان الى الهواء ليحيا فاذا ضاعت الكرامة والعزة واذا تبددت العدالة الاجتماعية أو روحها ثم قيل أن الدين موجود . فان هذا القول بهتان وافتراء . وعندما ينتشر الاستغلال ويضرب الاحتكار والاقطاع فى مجتمعنا مسترقا كل حر ومصادرا لحريات الرزق . مستوليا على اجور العاملين من الفلاحين والعمال . فلا موضع بعدئذ الا لسخط الله وبطشه . ومن هنا جاء فى الحديث القدسى عن الله عز وجل : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة - ومن كنت خصمه خصمته - رجل أعطى بى ثم غدر - أعطى عهدا أو حكما أو مالا - ورجل باع حرا وأكل ثمنه ورجل استأجر اجيرا فاستوفى حقه من العمل ولم يوفه اجره » هذه كلها أمور يبرأ منها الاسلام وتتنزه عنه تعاليمه وشرائعه .. وحينما يقرر الميثاق فى بابه الأول بل فى صفحاته الأولى . دليل العمل الثورى . نجده دليلا انسانيا . تقوم عناصره كلها علي قواعد الدين الاسلامى الحنيف . ففى القضاء على الاستعمار الذى استشرى في أرضنا . جهاد فى سبيل الله لاستخلاص حريتنا وكرامتنا ووجودنا من يد عدو لايرحم . فكان التشدد ضد العدو الازلى واجبا حتميا تمليه علينا كرامة الجهاد أسوة بالاوامر والتعاليم التى انزلها الله تبارك وتعالى على رسوله العظيم ليتشدد مع الكفار. ففى سورة البقرة قوله « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين : وفى سورة التوبة « يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » وفى موضع آخر « يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » وجاء فى سورة التحريم « يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم »

وفى سورة الممتحنة « يأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور » وفى سورة المائدة « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم »

واى سعى وافساد فى الارض . اكثر من الحجر على الحقوق . وسرقة الجهود وعرق الملايين انه لا شىء ينال من مناعة مجتمعنا وينقص ويفت فى عضده . كفساد النفوس والأوضاع ومظاهر الضياع ضياع القيم والحقوق والأخلاقيات . تلك التي خطط لها المستعمر وأذنابه من الفاسدين المفسدين ومقياسا فى عرض تعاليم الاسلام - بقدر ما يسمح به المقال - هو مقياس علمى تطبيقى فالاسلام يحدد العلاقة بين الانسان وربه فى أكمل وأبهى صورها العملية . والاسلام يحدد العلاقة بين الانسان وأخيه الانسان فى صورة اجتماعية سياسية اقتصادية لم يسبق للبشرية أن عاصرت مثل هذه التعاليم : « وقيل للذين اتقوا : ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير - سورة النحل ».

ولعل الميثاق فى بابه الثاني يلخص كل أمل ملايين المسلمين حينما يقول « ان عهودا من العذاب والأمل بلورت فى نهاية المطاف أهداف النضال العربى واضحة وصادقة في تعبيرها عن الضمير الوطنى وهى الحرية ، والاشتراكية والوحدة ، بل ان طول المعاناه من أجل هذه الاهداف كاد ان يفصل مضمونها ويرسم حدودها» وعهود العذاب التى اشار اليها الميثاق . ليست سوى الضغوط التى حلت بالشعب قرونا كاملة من الزمان . تارة باسم الدين وتارة بالخديعة وتارة بالدس والمؤامرات ولكن روح الشعب لم تستسلم وانما استطاعت تحت المحن العصيبة فى هذه الفترة ان تختزن طاقات تحفزت لاطلاقها فى اللحظة المناسبة وعهود العذاب التى يشير اليها الميثاق ليست سوى عهود الاهمال المتعمد لكل القيم وكل الضرورات لكل الشعب وبداهة أن الجائع لا يحتاج الي وحى من السماء يقول له كل . والعبد الذليل ليس فى حاجة الا لنفسه وعقله ليكسر هذا السجن الذى فرضه عليه الفاسقون المارقون والمريض لا يحتاج الى وحي يشفيه . والقوى المتعالية المتجمدة المهملة . وكانت تحصى بالملايين . لم يكن ممكنا نقلها الى رحاب العمل والانتاج والعرق والكسب الحلال الا بقوة تغيير عاقلة انسانية مدركة لطبيعة الانسان والاسلام . والقرى التي طحنها الاقطاع والمدن التى قضى عليها الاحتكار كان مستحيلا ان نرسل لك جماعات من الوعاظ لتتكلم معهم عن الدين الاسلامى . وآفاقه وعدالته وقوته . وراى الدين واضح كل الوضوح فى حل هذه المشكلات فالفقر فى نظر الدين الاسلامى معصية . يسأل الفرد عن الوقوع فيها كما هو نكبة تحمل الدولة مسئوليته فى العلاج والاصلاح . ويقول تبارك وتعالى « ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى » فالاسلام يعتبر الفقر مصيبة كبرى . بينما رأى الاسلام فى المؤمن انصع من النور فهو الذى يملك شأنه ويحزم أمر نفسه ويستثمر قواه ولا يعيش فى هذه الدنيا قعيدا . وبالله كيف يملك المسلم شأنه دون حرية وكيف يستقطب حريته السياسية دون حرية اجتماعية وكيف يتمتع بحريته الاجتماعية دون ما قرره الميثاق فى بابه السابع « أن تكافؤ الفرصة وهى التعبير عن الحرية الاجتماعية يمكن تحديده فى حقوق اساسية لكل مواطن أولها : حق كل مواطن فى الرعاية الصحية وحيث لا تصبح هذه الرعاية علاجا ودواء مجرد سلعة

تباع وتشترى ثانيها : حق كل مواطن فى العلم بقدر ما يتحمل استعداده ومواهبه ثالثها : حق كل مواطن فى عمل يتناسب مع كفايته واستعداده ومع العلم الذى يحصل عليه ورابعها : التامينات ضد الشيخوخة وضد المرض لابد من توسيع نطاقها بحيث تصبح مظلة واقية للذين أدوا دورهم فى النضال الوطني » واذا كان الله تبارك وتعالى قد أنزل فى سورة التوبة : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة .. » فانه تبارك وتعالى يدفعنا الى أن ندرك أن المال مال الله . وان الانسان مسخر لاحياء الصلاح ونشر الفضائل والاخلاقيات السامية . وان على الحكومات الرشيدة أن تضع من النظم ما ترى أن فيه الوفاء بحاجة الأمة على اختلاف طبقاتها وفاء لا يبقى معه عاطل أو مظلوم . وفاء يصنع مجتمع الرفاهية . هذا المجتمع الذى لا يقدر سواه على أن يصوغ قيما أخلاقية جديدة تصلح اساسا للمعاملات بين الناس لا يؤثر عليها القوى الضاغطة المتخلفة من العلل التى عانى منها مجتمعنا زمانا طويلا وستصبح المعاملات القائمة على العدالة . والضرب بيد من حديد على كل محاولات لاستغلال ولاستبداد ستصبح هذه المعاملات . هي الباب الصحيح للمؤمن القوى الذى وجد من يرعاه صحيا . ومن يكفل له التعلم والعمل ووجد من أمن له غائلة الأيام . من هنا . فقط . من هذه الحقوق المكفولة التى عبر عنها الميثاق بالحقوق الأساسية لكل مواطن . تصبح بالفعل وبالتطبيق وعن ادراك ووعى . تصبح رسالة الدين الاسلامى فى نظر ملايين المواطنين ثورة انسانية - كما نص الميثاق - تستهدف شرف الانسان وسعادته . وان جوهر الدين الاسلامى منذ نشر نوره الاصلاحى على الارض حتى يومنا هذا لا يتصادم مع حقائق الحياة فرسالته انسانية تقدمية . ترفع الظلم . وتطلب المصنع . وتقيم العمران وتدفع للعمل تحت الشمس وتطالبنا بالمزيد والمضاعفة للانتاج . وتؤكد حق الانسان فى الحياة وحقه فى الحرية فان الله تبارك وتعالى وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الاخرة .

هذا هو الاسلام العظيم . وهذه هى مبادىء مجتمعنا الاشتراكى في بساطة وايجاز . كلها نابعة من الاسلام وتسير فى رفق وبناء وعزم تجاه آمال ملايين المسلمين الى سعادة حتمها الاسلام والى رفاهية فرضها الله علينا .. وفقنا الله . »

بقية موضوع « حول الاسراء والمعراج »

الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم **« الأنبياء اخوة من علات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم ، لأنه ليس بينى وبينه نبى »** .

كما لم يقبل الاسلام أن يهان احد من غير المسلمين الذين يعيشون بينهم ما داموا قد التزموا الوفاء بالعهد وتعاونوا على خير المجتمع ، قال تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « من آذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة » .

وبعد .. فان الاسلام دين السلام يجمع الناس جميعا على كلمة سواء هى كلمة الحق والعدل والانصاف ، وقد مد يده اليهم جميعا ليعيش معهم متعاونا على اداء رسالة الخير .

وقد اختار الأنبياء ليلة الاسراء رسول الاسلام اماما وقدوة لهم ، لأن رسالته أنصفتهم جميعا ، وأعادت لهم احترامهم فى النفوس على مر الأجيال ، وأحيت ذكرهم بالحفاظ على الأسس الأولى لدعوتهم الاصلاحية ، ولم يكن الاسلام دين حرب ولا اضطهاد ولا عنصرية . فالاسلام والسلام قد شقا من نبعة واحدة وانحدرا من أصل اشتقاقى واحد ، وهما يهدفان الى غاية واحدة ، هى التمكين للحق أن يحترم ، وللعدل أن يسود ، وللأمن أن ينعم به الناس جميعا .

الأزهر بين الماضى والحاضر

فضيلة الشيخ عبد العزيز قنديل

أكرم الله مصر بالاسلام يوم فتحت قلبها لدعوته ، ومدت ذراعيها مرحبة برسله الذين شرقوا فى بلاد الله وغربوا ، ينشرون دعوة الله فى أرض الله ، لتسعد بها الدنيا وتنعم بها الحياة .

وانه لمما تفخر به كنانة الله وتفاخر ، أنها كانت وما تزال وستظل بمشيئة الله تعالى الحافظة لشريعة الله ، الممكنة لها ، الداعية اليها ، الذائدة عنها .

فقد أراد الله لهذه البقعة الطاهرة من الأرض أن تكون حصن الاسلام وملاذ العروبة بالأزهر الشريف .

ففى ظل الاسلام الحنيف الذى أكرم الله به مصر العزيزة وفى السنة الحادية والستين بعد المائة الثالثة من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم أنشىء الجامع الأزهر مسجدا للعبادة ، ومنارا للعلم والهداية ، وكان من يوم انشائه جامعة اسلامية يسهم فى اداء الرسالة الاسلامية مع اقدم جامعة انشئت فى ظل الاسلام فى مسجد عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط فى السنة الحادية والعشرين من الهجرة . وانفرد الجامع الأزهر يؤدى رسالة السماء عبر القرون . وما زال يؤديها فى اعزاز واكبار منفردا بالزعامة العلمية والدينية حتى اليوم وسيظل — وعين الله ترعاه — حافظا للتراث الاسلامى ناشرا للثقافة الاسلامية محافظا على لغة القرآن الكريم ينشر نور الله فى الأرض مشرقا ومغربا حتى يرث الله الأرض ومن عليها « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ان الجامع الأزهر كعبة العلم وقبلة المسلمين الثانية ، بل هو قبلتهم العلمية الأولى يحجون اليها من شتى بقاع العالم لينهلوا من منابع الاسلام الصافية — كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين — ويتزودوا بذلكم الزاد الخالد على الزمن الباقى على الأيام زاد العلم والمعرفة الذى ينير للسارى سبيل الهداية والرشاد . « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

ان لهذا البيت المعمور تاريخا حافلا ، ولهذا المسجد الجامع أمجادا خالدة .

لقد سلخ الأزهر من عمره المديد ألف سنة بل يزيد ، وهو مركز الأشعاع الروحى تخرج من حول أساطينه هداة مرشدون وقادة مصلحون ، عقد لهم لواء الزعامة فى الدين والدنيا . طهروا البلاد وحرروا العباد ، وجابهوا الظلم ، وحاربوا الفساد ، ومكنوا لدين الله فى الأرض ، وعلموا الدنيا كيف تكون العزة والكرامة وكيف يتحقق قول الله سبحانه « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

ولقد كان الأزهر فى قديمه وحديثه هو الحرم الآمن ، يهرع اليه اذا أدلهمت الخطوب، ونزلت بالناس الحادثات ، فما أن تدوى بين جنباته الصرخات ، وترتفع من فوق منبره الدعوات ، حتى تأتلف القلوب ، وتتوحد الصفوف ، ويكتب الله لهذه الأمة النصر المبين « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » .

وقد أراد الله لهذا البيت العتيق أن يكون جامعة اسلامية كبرى حملت لواء العلم والمعرفة وكانت القبس المضىء الذى انار للعالم طريقه نحو الحضارة الانسانية ، وانقذ الدنيا من ظلمة حالكة ، وجهالة مغرقة ، وصمد للنوازل والخطوب فى عهد الظلم والظلام . وعلى صخرة الأزهر العاتية تحطم كيد الكائدين وفشل مكر الماكرين « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » .

ولقد شارك الأزهر فى حياة الناس هداية وقيادة لا فى مصر وحدها بل فى الأمم العربية والشعوب الاسلامية على السواء .

وللأزهر – على مر العصور – أدوار خالدة صد فيها تيارات شتى من الالحاد والانحرافات والمذاهب الهدامة والحملات التبشيرية ودعاة الفوضى والانحلال .

وكثيرا ما كان الجامع الأزهر ملاذا لعامة الشعب يستجيرون به اذا نزلت بهم النوازل، أو ألمت بهم الحادثات يطلبون فى رحابه راحة النفس ، ويلتمسون من علمائه التوجيه والارشاد ، مسلمين لهم زمام القيادة الرشيدة .

وكان علماء الأزهر عند حسن ظن الشعب بهم ، فكثيرا ما وقفوا كالجبال الشم فى وجه استبداد الحكام وطغيانهم ، وكانوا يعلمون الحكام أن طاعتهم واجبة ما لم يخالفوا شرع الله ، فان حادوا أو انحرفوا فانه « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

وان المقام ليطول بنا ويطول اذا أخذنا فى سرد مآثر الأزهر فى شتى نواحى الحياة .

وحسبنا أن نشير الى مواقفه البطولية الخالدة ايام الحملة الفرنسية ، وضد ظلم المماليك واستبدادهم ثم ثورة عرابى الفلاح الأزهرى وثورة ١٩ بزعامة ابن الأزهر سعد زغلول . وان أنس فلا أنسى التقاء الهلال مع الصليب على منبر الأزهر الخالد . ثم وقفة ابن مصر البار زعيم العروبة وقائدها « جمال » على منبر الأزهر ايام العدوان الثلاثى ونداءه الموجه لمصر ولأبناء العروبة وللعالم الحر « اننا شعب مسالم ولكن اذا فرض علينا القتال فلن نستسلم ابدا بل سنحارب سنحارب سنحارب » ولقد كان لهذا النداء صداه فكتب لنا النصر « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا » .

وفى مجال النهضة العلمية والاصلاح الدينى والاجتماعى نذكر من ابناء الأزهر الامام محمد عبده ورفاعه الطهطاوى وغيرهما .

ولقد كان الأزهر هو أساس النهضة الشاملة التى نعيشها اليوم ، فلم يكن دوره الثقافى مقصورا على العلوم الدينية واللغوية، بل كان يدرس شتى ألوان المعرفة ، وكان من أبناء الأزهر الفقيه ، والنحوى ، والفلكى ، والطبيب ، والمهندس والجغرافى ، والرحالة ، والرياضى وغيرهم .

وكان التعليم فى الأزهر فى عهد الفاطميين تغلب عليه الصبغة الدينية واللغوية ، ولكن كان ذلك بجانب دروس فى المنطق والحساب والهندسة ، والجبر والفلك .

ولما بدأت النهضة العلمية الحديثة فى مصر كان منبعها الوحيد هو الأزهر المعمور فكان معظم المبعوثين الى أوروبا من رجال الأزهر النابغين .

وهؤلاء المبعوثين هم الذين خطوا بالبلاد خطوات جبارة فى سبيل النمو والازدهار بعد عودتهم من أوروبا .

وانا لنذكر على سبيل المثال لا الحصر نهضتنا الطبية فى العصر الحديث ، فان الذين وضعوا أساسها هم أبناء الأزهر النابهون الذين أنشأت لهم البلاد دراسات عليا متخصصة نذكر منهم : ابراهيم النبراوى ، واحمد حسن الرشيدى ، ومأمون بلال .

كما نبغ من الأزهريين قضاة ومستشارون أسسوا للقضاء والمحاماة والتشريع نذكرمنهم : الامام محمد عبده والزعيم سعد زغلول ،والامام المراغى .

وبعد أن اتسعت ميادين النهضة الحديثة كان المبرزون من أبناء الأزهر هم الذين وضعوا الأسس وشيدوا البناء .

فقد كان اساتذة جامعة القاهرة أول انشائها من أعلام علماء الأزهر وما زالت كلية دار العلوم حتى اليوم يغذيها الأزهر بالنابهين من ابنائه .

استمر الأزهر يشيد البناء ويرفع اللواء الى أن مرت بدنيا المسلمين فترة ضعف وانحلال قويت فيها شوكة الصليبية والاستعمار ،فأريد للأزهر أن يبعد عن حياة الناس بتلك الحجة الواهية ، والفردية الكاذبة التى وفدت على بلادنا مع الاستعمار – وهى فصل الدين عن الدنيا – « وما الدين لعمرى الا للحياة » .

نجح الاستعمار بدسائسه والاعيبه فى ان يعوق حركة الأزهر فى النمو والازدهار . واستطاع أن يعزل الأزهر وعلمائه عن المشاركة فى بناء النهضة الحديثة ، لأن الأزهر معقل الدين والوطنية ، فاذا ما حاربه الاستعمار فقد حارب الوطنية فى أمنع حصونها . ولكن الله الذى خلق أزهرنا وحفظ به ديننا يريد للاسلام سيادته وللدين عزته فوجه كثيرا من المصلحين للوقوف فى وجه الاستعمار حتى لا يعبث فسادا فى ازهرنا الشريف .

فكانوا ينادون بالاصلاح ويحاولونه بين الفينة والفينة الى أن من الله على العروبة والاسلام بثورتنا الرشيدة التى تناولت يد الاصلاح جميع مناحى الحياة وكان من الطبيعى أن تمتد يدها الكريمة الى الأزهر فتزيل من طريقه جميع العقبات وتحطم السدود وتكسر القيود .

ولقد كان التعليم فى الأزهر من يوم انشائه يسير على نظام الحلقات التى أنجبت العلماء الأعلام ، والقاده المرشدين ، والزعماء السياسيين ، والمصلحين الاجتماعيين ثم تطور التعليم فى الأزهر ، فصدرت عدة قوانين نظمت التعليم فيه الى أن صدر القانون الثورى ١٠٣ لسنة ١٩٦١ فانشئت كليات عملية كالطب ، والهندسة ،والزراعة ،والتجارة بجانب الكليات النظرية . الشريعة ، واللغة العربية ، وأصول الدين ليزود الأزهر العالم الاسلامى والوطن العربى بالمختصين فى الشريعة الاسلامية والثقافة الدينية والعربية ويخرج علماء عاملين متفقهين فى الدين يجمعون الى الايمان بالله. والثقة بالنفس وقوة الروح كفاية علمية وعملية ، وبذلك يشارك الأزهر فى حياة الناس علما وعملا يكون من أبنائه عالم الدين والدنيا معا ، وبذلك يعيش الأزهر بحق متطورا مع عصر الذرة والصاروخ . كما أنشئت كلية البنات الاسلامية ، ومعهد الفتيات بقسميه الاعدادى والثانوى .

والأمل معقود على كلية البنات أن تخرج للعروبة والاسلام الأم الصالحة والفتاة الرائدة التى تقف فى وجه التيارات الخليعة الماجنة التى ترد علينا من الشرق والغرب ، ونأمل أن يعود بفتاة الأزهر عهد الصديقة بنت الصديق التى قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » .

وانه لمن يمن الطالع وبشير الخير أن تعود الى جامع الأزهر حياته العلمية فيعود كما كان مسجدا يذكر فيه الله ويعبد ، ومنارة لنشر العلم والمعرفة .

فقد أجرى الله الخير على أيدى الغيورين على الثقافة الاسلامية والعربية ، فصدر قرار وزارى بانشاء قسم عال للدراسات الاسلامية والعربية فى الجامع الأزهر تكون الدراسة فيه على نظام الحلقات ، تلك الدراسات الحرة التى أثمرت وآتت أكلها فى القديم والحديث وخرجت علماء فضلاء وجهابذة أعلاما فى ألوان العلم والمعرفة ، وبذلك أصبحت جامعة الأزهر وهى فى ثوبها القشيب وتطورها الحديث محافظة على تقاليدها القديمة متطورة مع الأساليب الحديثة آخذة من القديم أفضله ومن الحديث أنفعه ، وبذلك أصبح الأزهر جامعا بين الطارف والتليد .

حفظ الله الأزهر ومكن له ووفق القائمين على أمره والمسئولين عنه الى مافيه صلاح الدين والدنيا . انه نعم المولى ونعم النصير .

الاسلام عقيدة وعمل

للأستاذ
منصور نسيم

الاسلام كعقيدة وعمل قرر ان الايمان يجب ان يكون منشا للعمل ، كما يكون العمل مظهرا له ، ودليلا عليه ، لذا يقرن القرآن الكريم الايمان دائما بالعمل قال تعالى : « والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » وقال « لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ..

والاسلام فى حقيقته يعد الانسان جسميا وعقليا لان يواجه الحياة وهو بصير باحوالها وخبير بشئونها ؛ فان الايمان بخالق هذا الكون عن صدق وفهم كفيل بان يبعث فى قلب الانسان الشجاعة والاخلاص فى العمل ، ويغرس فى نفسه احترام حقوق الغير ، وعليه فيجب على كل انسان أن يعمل عملا يفيد صاحبه وغيره على حد سواء ، وتظهر هذه الحقيقة النبيلة واضحة فى جميع تعاليم الاسلام التى أكدت بصراحة ووضوح أن الانسان نتيجة عمله ، وأن هذه الحياة حياة عمل وسعى .. « وان ليس للانسان الا ماسعى وان سعيه سوف يرى » « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

وقد شيد الاسلام الحنيف صرح الحياة الناجحة على أسس الايمان الصحيح ، الايمان النابع من العقيدة الصادقة والعمل الصالح ، ولا يكفى الايمان وحده لتحقيق الفوز والظفر فى الدنيا والآخرة ، ولاقرار الاستقرار والطمانينة فى العالم ؛ ولكن يجب أن يكون ذلك الايمان مقرونا بالعمل الصالح ؛ العمل الصالح لله جل وعلاء ، ولنفسه ولوالديه ولاهله ولوطنه وللبشرية جمعاء ، ولاشك ان الايمان منشأ العمل الصالح ، والعمل الصالح مظهره ودليله ؛ فلكل منشأ مظهره ، ومن هنا صارت الاعمال الصالحة بكل معانيها ومظاهرها هى النتيجة الحتمية لمن عمق ايمانه عن فهم وصدق ، دون انحراف عن جادة الصواب ، او مغالاة فى تطبيق التعاليم الاسلامية ..

وفى ضوء كل هذا من الادلة لم يبق أمام الباحثين من حقيقة التعاليم الاسلامية ، وعن مدى قدرتها لبناء الحضارة الانسانية السليمة ، واقرار الامن والطمانينة بين ابناء الجنس البشرى الا الرجوع دائما الى كتاب الله الذى « لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » وهو السجل الخالد المحفوظ من كل تغيير وتبديل ، والمصون من كل تخريف وتحريف .. وسنة رسوله الذى قضت حكمته لان يحمله رسالته الكبرى ، وجعله أسوة حسنة للبشرية كلها « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا »

ونحن بالتالى حينما نعود الى كتاب الله وسنة رسوله نجد الوضوح الكامل ازاء كل مايعترضنا من صعاب ومشاكل ؛ بل ونجد البلسم الشافى والعلاج الناجع لكل مسلك فى حياتنا ، وذلك بالاضافة الى البيان الشامل لرسالة كل فرد من الجنس البشرى .. تلك الرسالة التى تعمق وتتسع على قدر عمق واتساع العقيدة والايمان ممثلة فى القيام بالاعمال الصالحة التى تعود فائدتها عليه وعلى الناس فى حدود العمران والنهوض والتقدم مع التمسك بالتقوى والاحسان والايثار والمحبة ، وحتى لايندفع الانسان الى الافتتان بهذه الحياة المطلية بالغرور الخادع قال تعالى « كنتم خير امة اخرجت للناس » وقوله تعالى « هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس » ..

فهل لنا بعد ذلك ان نتساءل .. أيوجد غموض او تعصب فى التعاليم الاسلامية ؟! واذا كان فهل لدينا من الادلة مايقطع بصحته .. الحقيقة التى لامراء فيها ان الغموض والتعصب لا اثر لهما على الاطلاق ، وبالتالى تبلورت فى اذهاننا تلك المهاترات الكاذبة باسم الدين ووضحت فى عقولنا كل آثار المؤامرة باسم الاسلام ؛ اذ ليس فى الاسلام دعوة الى ما اسماه المنحرفون عن جادة الطريق باسم الاغتيالات الجماعية ونسف المنشآت العمرانية مهما كانت الاسباب والدوافع ، وهم بهذا التصرف الشائن انما يرشدون الى حقيقتهم المؤلمة ، وانهم بعيدون كل البعد عن أهداف الاسلام وتعاليمه ، بل أثبتوا مدى اجرامهم فى حق الله وحق انفسهم وذويهم ووطنهم فاذا أضفنا الى ذلك التسامح عن الذلات السابقة وافساح الطريق الى حياة شريفة نظيفة تكتنفهم كان ذلك منهجا سمحا اعاد لذوى العقل عقله ، وانار الطريق امام هدفه ؛ وحق له أن يسعى ليكون عند حسن الظن به ، وكانت النتيجة عكسية ، نتيجة أصمت آذانهم واعمت ابصارهم فضلوا النهج وساروا فى طريق الشيطان الذى سول لهم مايعملون ووجههم الى سوء السبيل .. وزاد الامر هولا وجسمه امام ابصارنا تلك الروح الشريرة ذات الاهداف الخبيثة والميول المنحرفة ، التى تمثلت ، وهم المتشدقون بمثل الاسلام وتعاليمه - فى مؤامراتهم الدنيئة لمصلحة أعداء الوطن ومن يتربصون بنا فى كل وقت ..

من كل هذا وذاك يمكن قبول القضية دون تفصيل او توضيح الى ان هؤلاء المتآمرين وامثالهم أعداء للدين وللوطن ، بعيدون كل البعد عن الاتصاف بما أسماه الاسلام الحب والتعاون ومآلهم الخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة قال تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

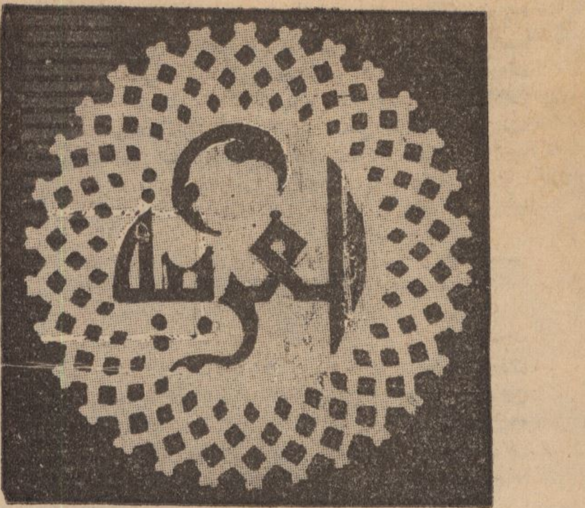

لغة العالم الإسلامي

الأستاذ أنور الجندي

من قلب العالم الاسلامي ، من القاهرة ، في سنوه اليقظة ، والوحدة ، والتقاء مفاهيم الفكر والروح ، تنبعث الدعوة الى ان تكون اللغة العربية ـ بوصفها لغة عالمية ـ هي لغة العالم الاسلامي كله .

ليس هذا مجرد امل ، بل هو حقيقة قائمة ، قادرة على ان تدخل مرحلة التحقيق ، وفي ضوء القدرة البالغة ، والحيوية الدافقة ، لهذه اللغة ، وقدرتها في مجال الفكر والثقافة العربية الاسلامية الواحدة الاساس ، تبدو هذه اللغة وهي عامل ضخم من عوامل الوحدة والتوحيد والالتقاء .

وليس هذا الأمل جديد ، فانه قديم متجدد منذ أخذ العالم الاسلامي (والأمة العربية اجزاء منه) تدخل في مرحلة الوعي بكيانها ، وتعرف الوسيلة الكفيلة بدعم الروابط فيما بينها ، فالفكر في قاعدته الأساسية هو اللغة .

وليس هذا الأمل منبعث من العالم العربي ، أو من القاهرة وحدها ، ولكنه أمل مختلف اجزاء العالم الاسلامي ، وخاصة مسلمو افريقيا ومسلمو آسيا الذين كانت اللغة العربية قبل مستهل هذا القرن هي اللغة الأولى والاساسية لهم ، ثم أستطاع الاستعمار والنفوذ الأجنبي اقصائها والتغلب عليها وايقاف نموها ، وتغليب لغته الأجنبية عليها من ناحية ، وتقليب اللهجات الاقليمية وانمائها لتصبح لغات محلية . ومع ذلك فقد ظلت « اللغة العربية » بوصفها لغة الفكر والدين والثقافة ، هي اللغة الأساسية الضرورية التي لا سبيل الى التخلص منها .

ولقد كانت مختلف فنون الفكر العربي الاسلامي في أجزاء العالم الاسلامي مكتوبة أساسا باللغة العربية ، وما تزال مؤلفات هذا الفكر التي تصدر حتى اليوم تكتب باللغة العربية .

وما تزال اللغة العربية ذات فاعلية ضخمة في مختلف لغات العالم الاسلامي على الاطلاق ، وهي وان أصبحت لغة العالم العربي أساسا ، فهي بالحق مؤثرة ومتفاعلة مع مختلف اللغات في العالم الاسلامي .

ذلك ان اللغة سارت مع الدعوة الاسلامية منذ اليوم الأول الى كل مكان بلغة الاسلام ، ثم لم تلبث بعض اللغات القومية ان استردت مكانتها فتوقفت فتوحات اللغة بينما ظل الاسلام ينتشر ومع ذلك فقد كان انتشار الاسلام انتشارا للغة العربية في كل مكان وصل اليه باعتبارها لغة القرآن والثقافة . ومنذ بدأ الغزو الاستعماري الغربي على العالم الاسلامي كان من اهم مقرراته ، ايقاف نمو اللغة العربية ووضع القيود والسدود أمامها وذلك بتقليب لغته على مختلف مناهج التعليم والبنوك والمحاكم ومختلف المعاملات ، ومن هنا قامت الثقافات القومية في اغلب الأقطار على اللغات الوافدة ، كما حدث في الهند وجنوب شرق آسيا وافريقيا .

وقد دارت معركة مقاومة ضخمة في هذه الأقطار دون الاستسلام للغة الغازية ، ولكن المعركة لم تلبث بفعل الاستعمار ان تحولت الى الصراع بين لغة المستعمر وبين ايجاد لغة قومية وكان الغرم كله الى اللغة العربية ذات النفوذ الأول والأساسي فهي التي تقهقرت .

ومن هنا توقف نمو اللغة العربية في مختلف اقطار اسيا وافريقيا غير العربية وزاد نفوذ اللغتين الانجليزية والفرنسية ، بل ان نفوذ اللغة الانجليزية قد زاد زيادة كبرى عما كان عليه في أوائل هذا القرن وذلك نتيجة تجميد اللغة العربية واقصائها عن مجال التعليم .

ومن هنا كان نمو الاسلام واتساعه في النصف الاخير في افريقيا وآسيا وكسبه عددا ضخما من الملايين ، كان هذا النمو قاصرا على الاسلام وحده دون اللغة العربية التي لم تعد الا لغة الخاصة ، الذين يعملون في مجال الثقافة ، وان بقيت بوصفها لغة القرآن مؤثرة كل التأثير في ثقافات هذه الأمم ، ومعنى هذا انه اذا كان الاستعمار قد قطع الطريق على توسع اللغة العربية فان الاسلام نفسه قد دعم هذه اللغة وحافظ عليها ، وفي ثلاث مجموعات كبيرة في العالم الاسلامي اليوم تبدو اللغة العربية وهي ضرورة أساسية لأن تكون اللغة الأولى وهي المجموعات المسلمة في شبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا ووسط افريقيا وغربيها .

واذا كانت اللغة العربية هي اللغة القومية لمائة مليون عربي ، فانها لغة الفكر والدين ، والثقافة لستمائة مليون ونصف مليون مسلم حسب آخر تعداد للمسلمين بحسبانها لسان القرآن والاسلام ويصور المستشرق برون

اهمية اللغة العربية بالنسبة للمسلم حين يقول : نحن نختلف مع المسلمين فى كوننا نعتبر الانجيل انجيلا سواء اقراناه فى اللغات الأصلية التى يكتب بها أم فى لغتنا الحالية ، اما المسلمون فيعتبرون القرآن كلمة الله ، وانه تنزيل من رب العالمين وأن الله هو الذى يخاطبهم منه وليس النبى محمد ، لذلك فان القرآن لا يمكن ترجمته الى لغة الأخرى لأن المترجم مضطر ان يورد فى ترجمته قدرا من التفسير يستعين به على اظهار معانيه بالاضافة الى ذلك فان المسلم سواء أكان فارسيا أم تركيا ام هنديا أم افغانيا ، ام من اهل الملايو فانه يؤدى القرآن باللغة العربية يضاف الى ذلك اننا نجد أن لغات الشعوب التى اعتنقت الاسلام قد غمرها منذ البداية سيل من الالفاظ العربية يتكون من العبارات الفنية المتعلقة بالدين والفقه .

ولو ان احدا اراد ان يكتب شيئا بالفارسية بحيث تكون كتابته خلوا من الالفاظ العربية لتعسر عليه الأمر كما يتعسر على الذى يريد أن يكتب شيئا بالانجليزية بحيث تكون كتابته خالية من كل كلمة يرجع اشتقاقها الى اصل يونانى او لاتينى ، وقد حاول الامير جلال مثل هذه المحاولة ولكنه باء بالفشل ، عندما كتب كتابه المسمي (خسروان نامه) اى كتاب الملوك سنة ١٨٨٠ م والشاهنامه نفسها وقد الفها الفردوس منذ الف سنة تقريبا وقصه متعمدا كما تدلنا على ذلك المقارنة بينها وبين الشعر المعاصر لها أن يصوغها فى اقدم العبارات والاساليب ، لايستطيع ان يدعى انها خالية من الالفاظ العربية كما يظن ذلك بعض الناس ممن لا قدرة لهم على التحقيق والتمحيص . »

وعلى هذا الضوء نرى كيف كان توقيف الاستعمار للغة العربية عن الانتشار فى اى مكان حل فيه ، انها كان هادفا الى الفصل بين العرب والمسلمين وبين العروبة والاسلام ، وبين لغة القرآن من ان تكون مصدرا اساسيا للثقافة العربية الاسلامية ومحاولة اقامة حدود بين هذه الثقافة الشاملة للعالم الاسلامى كله وبين الثقافات المحلية والقومية ، فضلا عن تعميق ثقافته بنشر لغته وبذلك يستطيع ان يفرض مفاهيمه الغربية على القيم الانسانية الاساسية التى لها مفاهيمها الأصلية فى فكرنا العربى الاسلامي .

وفى عام ١٩٠٠ تقريبا قال المبشر « زويمر » كبير دعاة التغريب فى كتابه « جزيرة العرب مهد الاسلام » :

« يوجد لسانان لهما النصيب الاوفر فى ميدان الاستعمار المادى ومجال الدعوة الى الله ، وهما الانجليزى والعربى ، وهما الآن فى مسابقة وعناد لانهاية لهما لفتح القارة السوداء مستودع النفوذ والمال ، يريد ان يلتهم كل منهما الآخر . وهما العضدان للقوتين المتنافستين فى طلب السيادة علي العالم البشرى : اعنى الغرب والاسلام . »

وكان مفهوم هذا الكلام ان دعوة التغريب التى كان التبشير بعض طلائعها كانت تضع فى مخططها اساسا عن هدفين كبيرين :

الأول : توقيف اللغة العربية عن النمو فى العالم الاسلامى ، وأيضا توقيف نمو الاسلام نفسه .

الثانى : القضاء على اللغة العربية فى العالم العربى واحلال اللغات الاجنبية واللهجات العامية والحروف اللاتينية مكانها وعلينا أن نعرف الي حد استطاع التغريب والنفوذ الاستعمارى أن يصل .

ألفاظ القرآن: اختيارها وايحاؤها وتصويرها

الدكتور حفني شرف

انتهيت بالدراسة النظرية لفكرة اعجاز القرآن الى المرحوم الرافعى فى كتابه « اعجاز القرآن » اى تنقلت عبر الازمنة التى بلغت حوالى ثلاثة عشر قرنا من الزمن التقيت فيها بعدد كبير من العلماء الذين درسوا القرآن واعجازه ولم أكن معتمدا على النقل بل كنت مناقشا لهم وناقدا لرايهم ان كان هناك نقد حتى وصلت الى ان اعجاز القرآن البيانى لا يكون الا :

اولا : بألفاظه المفردة وجزالتها وسلامة بنيتها وفخامتها بحيث تكون مختارة الحروف غير متنافرة مستقرة فى مكانها بحيث لا يصلح فى موضعها غيرها ولا يؤدى معناها واضحا كاملا الا بها .

ثانيا : بائتلاف الالفاظ بعضها مع بعض بمعنى أن يقرن الغريب بمثله والمتداول بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة كقوله تعالى : « تالله تفتا تذكر يوسف حتى تكون حرضا » فلما اتى سبحانه باغرب الفاظ القسم وهى التاء لانها اقل ادوات القسم استعمالا وابعد عن افهام العامة بالنسبة الى الباء والواو اتى باغرب صيغ الافعال التى ترفع الاسماء وتنصب الاخبار وهى تفتا فان الفعل « تزال » أقرب الى الافهام وأكثر استعمالا من تفتا ، ثم اتى باغرب ألفاظ الهلاك وهى « حرضا » فاقتضى حسن الوضع ان تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها فى القرابة توخيا لحسن الجوار . ورغبة فى ائتلاف الألفاظ لتتعادل فى الوضع ، وتتناسب فى النظم .

ومثله قوله تعالى فى تغير اللفظة لتكون فاصلة دون غيرها لأنها مؤتلفة مع ما قبلها من الالفاظ : « ان فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين ، وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ، واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ».

فان البلاغة القرآنية وائتلاف الألفاظ مع بعضها يقتضى أن تكون فاصلة الآية الأولى « للمؤمنين » دون غيرها لانه سبحانه ذكر العالم بجملته حيث قال : السموات والارض ومعرفة مافى العالم من الآيات الدالة على ان مخترعه قادر عالم حكيم مختار فرع على التصديق بوجود صانع على هذه الصفات ، اذ لابد من اعتقاد وجود ذات أولا موصوفة بهذه الصفات واذا اقتضت البلاغة تقديم التصديق بالذات حتى يترتب عليها الصفات ترتجح أن تكون الفاصلة المؤمنين دون غيرها ، ولا سيما والعلم بذلك والايمان به متلقى من الشرع ، فهو موقوف على التصديق بالرسول الذى تلقينا منه ذلك فلا تكون الفاصلة الا لما جاءت .

وكذلك قوله تعالى فى الآية الثانية : « لقوم يوقنون » فان نفس الانسان وتدبر خلق الحيوان اقرب الى فهمه من الأول ، وفكره فى ذلك مما يزيده يقينا فى معتقده الأول ، وكذلك معرفة جزئيات العالم من اختلاف الليل والنهار ، وتعاقبهما بسبب ظهور الشمس للحس من وراء مخروط ظل الأرض ، واستتارها عن الحس بمخروط ظل الارض . فان الاول عبارة عن

النهار ، والثانى عبارة عن الليل ، وانزال الرزق من السماء ، واحياء الأرض بعد موتها ، وتصريف الرياح التى تلقح السحاب ، فتمطر الماء به فينبت به الماء وتعيش الحيوانات يقتضى رجاحة العقل ورصانته ، ليعلم أن من صنع هذه الجزئيات هو الذى صنع الكليات التي هي كرة الافلاك وما اشتملت عليه ، لان هذه الجزئيات من عوارض تلك الكليات ، ولا يجوز أن يكون بعضها صنع بعضا بعد قيام البرهان على أن للعالم الكلى صانعا مختارا ، واذا كان الكلى مركبا من أجزاء ، فالأحكام الجارية عليه من حيث هو كلى جارية على الأجزاء التى هو مركب منها .

فلذلك اقتضى ائتلاف الألفاظ مع بعضها أن تكون فاصلة الآية الثالثة يعقلون ، وان احتيج الى العقل فى الجميع الا أن ذكره ها هنا بالمعنى من الأول ، اذ بعض الناس مع كونه يعتقد أن للعالم صانعا ، أو يرى أن العالم يصنع بعضه بعضا ، كما يزعم الطبيعيون أو الدهريون أن الواحد لا يصدر عنه الا واحد فلابد من التدبر بتدقيق الفكر ، وراجح العقل فى هذه الامور ليعلم أن من قدر على اختراع خلق الفلك التاسع أو العاشر على مايرى بعضهم لايعزب عن قدرته خلق الفلك الثامن ، وهكذا الى أن يستغرق جميع العالم .

اتضح بعد التعليق على هذه الآية من اعجاز الألفاظ القرآنية اختيارها ووضعها فى الاماكن اللائقة بها . بحيث تكون مستقرة فى مكانها مطمئنة فى قرارها لأن اسلوب القرآن يتألق فى اختيار الفاظه ولما بين الالفاظ من فروق دقيقة فى دلالتها يستخدم كل حيث يؤدى معناه فى دقة فائقة فكأنها تؤمن بأن هذا المكان كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها ، وأن كلمة اخرى لا تستطيع توفيق المعنى الذى وقت به أختها ، فكل لفظة من ألفاظ القرآن وضعت لتؤدى نصيبها من المعنى أقوى أداء ، ولذلك لا نجد فيه ترادفا ، بل فيه كل كلمة تحمل اليك معنى جديدا ، ولها فى النفس ايحاءات خاصة ، ولذا دعا القرآن الى عدم استخدام لفظ مكان آخر « قالت الأعراب : آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا : أسلمنا ، ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » ، فهو ـ سبحانه ـ لا يرى التهاون فى استعمال اللفظ ، ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة من غير لبس ولا غموض ، ولذا نهى أيضا عن كلمة « راعنا » لما لها فى العبرية من معنى مذموم فقال : « يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا » فالقرآن شديد الدقة فيما يختار من لفظ يؤدى به المعنى ليصور به ما حدث أو سيحدث أحسن تصوير وأبلغه ، فانظر الى قوله تعالى : « واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ، يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ؛ وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » فاختياره سبحانه الفعل « ذبح » ليصور ما حدث ، وضعف عينه للدلالة على كثرة القتلى من أبناء اسرائيل يومئذ ، ولا نحس بهذا المعنى اذا وضعنا مكانها كلمة « يقتلون »

واستمع الى قوله تعالى : « انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ، ولقاهم نضرة وسرورا » تجد انه استعمل كلمة العبوس أدق استعمال ليكشف عن نظرة الكافرين الى ذلك اليوم فانهم يجدونه عابسا مكفهرا ، وما أشد سوداء اليوم الذى يعقد فيه المرء الأمل والرجاء ، كما أن كلمة قمطريرا بجوارها وثقل طائها تشعر بثقل هذا اليوم ، وفى كلمة النضرة والسرور تعبير دقيق عن المظهر الحسى لهؤلاء المؤمنين ، وما يبدو على وجوههم من الاشراق وعما يملأ قلوبهم من البهجة ، ومن دقة اختيار ألفاظ القرآن والتمييز بين معانيها ما نجده فى التفرقة فى الاستعمال لفظ « يعلمون » ولفظ « يشعرون » وقد كثر دورانهما فى القرآن فنجد أنه فى الأمور التى يرجع الى العقل وحده فى الفصل فيها يستعمل كلمة « يعلمون » لأنها صاحبة الحق فى التعبير عنها ، وأما الامور التى يكون للحواس مدخل فى شأنها تستعمل كلمة « يشعرون » تأمل قوله تعالى : « ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون » تجد أن السفاهة أمر مرجعه العقل فاستعمل معها « يعلمون » وكذلك قوله : « فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم » والايمان مرده العقل ، وكذلك قوله : « أولا يعلمون أن الله يعلم مايسرون وما يعلنون » وقوله تعالى : « والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك الحق » وقوله تعالى : « الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لايعلمون » وقوله : « بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » وقوله : « ويعلمون أن الله هو الحق المبين » وغير ذلك كثير فى القرآن .

وعلى العكس من ذلك أى فيما كان للحواس ما دخل فى شأنها كقوله تعالى : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل احياء ولكن لا تشعرون » فالأحياء ممن يحس بهم ، وكذلك قوله تعالى : « واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون » فالعذاب مما يحس به ويشعر ، وقوله تعالى : « واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض ، قالوا : انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » والافساد فى الارض بالبغى والطغيان واستغلال الانسان للانسان وعدم توفر العدالة الاجتماعية أمور يشعر بها ويحسها الانسان اذ يرى بعينه فساد غيره ويسمع بأذنيه شتائم الناس للناس وغيبتهم لهم ، وقوله تعالى : « قالت نملة : يأيها النمل ادخلوا مساكنكم ، لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » وقوله « وقالت لأخته : قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون » فالمتأمل فى هذه الآيات وغيرهما مما استعمل فيها لفظ « يشعرون » يجد ان الالفاظ مستعمل فى موضعها التى خلقت والتى معها يكون المعنى أوضح مما لو استعمل غيرهما مما يؤدى معناها مكانها .

كذلك نجد القرآن استعمل ألفاظ الفؤاد واللب والقلب ، ولكن المتأمل يحس ويشعر أن هذه الألفاظ مستعملة فى أماكنها التى لو غيرت فيها لتأثر المعنى بهذا التغير فنجد لفظ الفؤاد اذا استعمل فى القرآن فلابد وأن يكون مرادا به تلك الآلة التى منحها الله الانسان ليفكر بها ، ولذا كانت مما سوف يسأل المرء عن مدى انتفاعه بها يوم القيامة : « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » وقوله : « ماكذب الفؤاد ما رأى » وقوله : نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة » .

واللب وجمعه الألباب ، وهو لم يستعمل فى القرآن الا جمعا يراد به التفكير الذى هو من عمل تلك الآلة « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب » وقوله : « وما يذكر الا أولوا الألباب » .

اما القلب وهو اكثر هذه الالفاظ دورانا فى القرآن فاذا أطلق فانه يكون المراد به أداة التفكير .. انظر قوله تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها » وقوله « فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ، كما أنه أداة الوجدان يدل

على ذلك قوله تعالى : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » كما أنه أداة الارادة كما يتضح من قوله تعالى « ان كادت لتبــدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين » وقوله تعالى : « وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » وقــوله : « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم » فالقرآن يستعمل القلبفيما نطلق عليه اليــوم كلمة العقــل ، وجعله فى الجوف مرة فى قوله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفــه » وفى الصدر حيا كما فى قوله : « ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

والى هذا الاختيار فى الفاظ القرآن أشار الجاحظ بقوله : « وقد يستخف ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر فى القرآن « الجوع » الا فى موضع العقاب أو فى موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر ، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع فى حالة القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر لأنك لا تجد القرآن يلفظ به الا فى موضــع الانتقام ، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكــر المطر وذكر الغيث .

وما كان اعجاز القرآن فى اختيار الألفاظ وائتلافها بعضها ببعض الا لايثار الكلمة المعبرة الموحية ، وتفضيل اللفظ المصور للمعنى اكمل تصــوير ، ليشعرك به أتم شعور وأقواه ، تأمل لفظه « يسكن » فى قوله تعالى : « ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهــره » وكلمة « تسوروا » فى قولــه تعالى : وهل أتاك نبأ الخصــم اذ تسوروا المحراب » وكلمة « يسفك » فى قوله تعالى : « واذ قال ربك للملائــكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ؟ » وكلمة « مكبا » فى قوله تعالى : « أفمن يمشى مكبا على وجهه اهــدى ؟ أم من يمشى سويا على صراط مستقيم ؟ » .

وقوله : « مستسلمون » فى قوله تعالى : « مالكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون » تأمل ذلك تجد أن الكلمات وضعت فى موضعها المقسوم لها لتجعــل المعنى المعقول مصورا تكاد العين أن تراه والايدى تلمسه .

مما مر من ألفاظ القرآن التى عددنا بعضــها عليــك تحس تصويرها المعنى من ائتلافها وحسن اختيارها ، وايثارها على غيرها وايحائها الى المعنى ، وهنــاك من الفاظ القرآن ما توحى بحروفها المختارة فهذه الظاء والشين فى قوله تعالى : يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » يوحيان بالشدة والقوة والقهر ، والشين وحدها فى قوله : « اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور » والظاء وحدها فى قــوله تعالى : « فأنذرتكم نارا تلظى » ومثلها الفاء فى قوله : « واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ، اذا رأتهم من مكان بعيــد سـمعوا لها تغيظا وزفيرا » فهــذه حروف تنقل الى السامع صوت النار مغتاظه غاضبة وشــديدة ، وحرف الصاد فى قوله تعالى : « انا أرسلنا عليهم ريحــا صرصرا فى يوم نحس مستمر » يحمل صــوت الريح العاصفة ، كما تحمل الخاء فى قوله تعالى : « وتــرى الفلك فيه مواخر » صوت الفلك تشق عباب الماء « من بلاغة القرآن ٦٩) .

ولقد صدق اليازرى حينما يقول عن سهولة ويسر وعذوبة الفاظ القرآن ووقوعها على السمع فى اتســاق وانسجام « اعلم أن المعنى الواحد قد يخبر عنه بالفاظ بعضها أحسن من بعض ، وكذلك كل واحد من جزأى الجملة قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر ، ولا بد من استحضار معانى الجمل واســـتحضار جميع ما يلائمها من الالفاظ ، ثم استعمال انسبها وافصحها ، واستحضار هذا متعذر على البشر فىاكثر الاحوال ، وذلك عتيد حاصل فى علم الله ، كذلك كان القرآن احســن الحديث وأفصــحه ، وان كان مشــتملا على الفصيح والأفصح ، والمليح والأملح ، ولذلك أمثلة منهــا قوله تعالى : « وجنى الجنتين دان » فلو قال : « وثمــر الجنتين قريب لم يقم مقامه من جهة الجناس بين الجن والجنتين ، ومن جهــة ان الثمر لا يشعر بمصير أى حال يجنى فيها ، وقوله : « وما كنت تتلوا من قبله من كتاب » أحسن من قوله : تقرأ : وقوله « لا ريب فيه » احسن من قولك لا شك فيه لثقل الادغام ولهذا كثر ذكر الريب ، وقوله ولا تهنوا احسن من ولا تضعفوا » لخفة تعبير القرآن ولفظه ومثله « وهن العظم منى » ، وآمن أخف من صدق ولذا كان ذكره أكثر من التصديق وآتى أخف من أعطى ، وأنذر أخف من خوف (الاتقان للسيوطى ٢ : ١٢٥) ووازن ابن الأثير ضــياء الدين بين كلمات استخدمها القرآن واســـتخدمها الشعراء فجاءت فى القرآن جزلة متينــة ، وفى الشعر ركيكة ضعيفة ككلمة « يؤذى » التى جاء فى قوله تعــالى : « فاذا طعمتم فانتشروا ، ولا مستأنسين لحديث ، ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق » .

وجاءت فى قول المتنبى :

تلذ له المــروءة وهى تؤذى
ومن يعشــق يلذ له الغرام

وان كان البيت من ابيات المعانى الشريفة الا ان لفظة « تؤذى قد جاءت فيه ، وجاءت فى آية القرآن ، فحطت من قدر البيت لضعف تركيبها وعدم ائتلافها مع أخواتها ، وحسن موقعها وائتلافها فى تركيب الآية لأنها فى الآية مندرجة مع ما يأتى متعلقة به ، وفى قــول المتنبى منقطعة ومثله لفظة « القمل » فى قوله تعالى : « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات » فالآية تضمنت خمسة الفــاظ « الطوفان ، والجــراد ، والقمل والضفادع ، والدم » تقدمت منها لفظتان هما أخفها وأحسنها ، وأخرت لفظة الدم ، وجعلت لفظة القمل والضــفادع فى الوســط ، ليكون أول ما يطرق السمع اللفظ الحسن ، ولما كانت لفظة الدم أحسن وأخف من لفظتى الطــوفان والجراد جىء بها آخرا ، ومراعاة هذه الأسرار والدقائق فى استعمال الألفاظ ليس من القدرة البشرية ولهذا جاءت هذه اللفظة نابية قلقة فى قول الفرزدق :

من عــزه احتجرت كليب عنده
زريــا كأنهم لديــــه القمــل

لأنها غير متدرجة وانقطع الكلام عندها . (المثــل السائر ١ : ٧٥) وغير هذا كثــير من الألفاظ التى حسنت فى القرآن لحسن اختيارها وساءت فى غيره لسوء اختيارها ولعل ما ذكرته من الأمثلة يكفى بعض الشىء للدلالة على فصــاحة ألفاظ القرآن وبلاغتها حتى تكون دليلا على اعجاز القرآن من جهة ألفاظه التى لا نقف بها عند حسن الاختيار وانما سنتكلم فيما يستقبل عن غريب الألفاظ وما فيه من المعرب ان شاء الله .

الحركات الثقافية في عصور الإسلام الأولى

الأستاذ اسماعيل كشميرى

عاشت شبه جزيرة العرب منذ فجر التاريخ بمعزل عن بقية امم الارض ولم يكن لها اتصال كبير باى دولة بالخارج كما ان ظروفها الداخلية لم تكن توحى باى تحسين او تغيير • وكان المجتمع فى شبه جزيرة العرب جامدا حتى انه لم يعرف معنى التقدم • ومع مضى الزمن نمت الحياة الاجتماعية هناك وان بقيت محدودة الفكر صامدة امام اى تاثير خارجى • وكانت طبيعة الارض والبيئة النطرية مسئولة عن ذلك الى حد كبير لانها حالت دون اتصال هذه الرقعة من الارض باى دولة او اى شعب فى المحيط الخارجى • ولهذا السبب • ولانعزال البلاد عن العالم العربى ؛ اطلق العرب على بلادهم اسم «جزيرة العرب» • ومع ان الحال كان كذلك فى الايام الاولى من فجر التاريخ الا انه كان هناك نوع من الحياة لم تتلون بلون البيئة الخاص التى كانت تسود البلاد يومذاك وحسب بل كونت المرحلة الاولى فى التطور الاجتماعى شانها فى ذلك شان كثير من الامم والدول • وكانت هذه الحياة تقوم على النظام القبلى وكانت بدوية فى طابعها العام • وهذان العاملان هما اللذان اثرا على مستقبل الحياة الاجتماعية فى تلك البقاع الصحراوية • وبقيت داخلية « جزيرة العرب » منعزلة عن غيرها من البلاد ، بل ومن الناس ، الى ان جاء الاسلام الذى جعل من المسلمين – ومن العرب – سادة العصر ومؤسسى نظرية الدولة العالمية •

وبظهور الاسلام ظهرت حياة اجتماعية متقدمة فى اطراف الصحراء ، وقد ظهرت هذه الحياة الجديدة اكثر ماظهرت جنوبى شبه جزيرة العرب وفى العراق وفلسطين وما يسمى الآن الاردن – وقد دل هذا التقدم السريع فى حياة هؤلاء الناس وتفتح ذهنهم للاصلاحات ، دينية كانت او اجتماعية ، على ان العرب – كشعب – لهم كل الامكانيات التى تجعل منهم امة متحضرة متمدينة ، وان كانت داخلية البلاد ، خاصة الحجاز ونجد ، قد بقيت الى عصور طويلة – وحتى ظهور الاسلام – فى حالة من البساطة والفطرة كبيرة •

وحين نزل القرآن اراد الله ان يعرف الناس ويعلمهم حقائق الحياة وحقائق الآخرة من طريق المثال تسهيلا لوصول هذه الحقائق الجديدة على عقول الناس الى نفوسهم وصدورهم • فحين اراد القرآن الكريم ان يشرح النور الالهى مثلا بدا بذكر زيت الزيتون الذى يمثل الوقود ثم المصباح المنير الذى يمثل الضوء وانتهى بذكر المصباح الذى بالزجاجة • قال تعالى : « الله نور السموات والارض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كانها كوكب درى : يوقد من شجرة مباركة زيتونة » • وهذا الوصف الذى سرده القرآن هو وصف الطريقة التى كان يتبعها العرب فى الاضاءة • وكذلك فان القرآن حين اراد ان يشير الى الطريقة العاجلة للحركة والانتقال استخدم كلمة «ضامر» – اى الجمل الهزيل – فيقول : « واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق » • ومع ان القرآن « وسع كل شىء علما » الا انه لم يستعمل كلمة الصاروخ ولا كلمة الكهرباء للتدليل على السرعة وعلى النور والاضاءة •

وكان العرب يستعملون للكتابة عظام كتف الجمال واوراق شجر النخيل وجلود الحيوان والاحجار الملساء •• وكانوا يكتبون بعض العبارات على السهام والاقداح التى كانوا يستخدمونها فى معرفة النصيب والمستقبل• وكان بعض الناس يعلق قصائد لبيد بن ربيعة على ابواب المعابد ، كما كانوا يهتمون بمعرفة انسابهم • وكان بخيبر – التى كانت تعد مركز اليهود العرب – كتب كثيرة لليهود • اما اهم مدرسة لتعليم اليهودية فكانت قريبة من يثرب •

ولم يكن فى قبيلة قريش التى كانت تعد اكبر واهم قبيلة بين العرب سوى سبعة عشر رجلا كانوا وحدهم الذين يعرفون الكتابة والقراءة عند ظهور الاسلام ، وهؤلاء السبعة عشر رجلا – كما ذكرهم البلاذرى – هم عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب وعثمان بن عفان وابو عبيدة بن الجراح وطلحة ويزيد بن ابى سفيان وابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وحاطب بن عمرو وابو سلمة بن عبد العصب المخزومى وابان بن سعد بن العاص وابن امية وخالد بن سعيد وعبد الله بن سعيد بن ابى صرح العامرى وحويطب بن عبد العزيز العامرى وابو سفيان بن حرب ومعاوية بن ابى سفيان وجهيم بن الصلت • اما بين النساء فلم يكن عدد من يعرف منهن القراءة والكتابة الا اقل القليلات منهن السيدة حفصة وام كلثوم زوجتا النبى عليه الصلاة والسلام • اما امهات المؤمنين الشفاء بنت عبدالله العدوية والسيدة عائشة وام سلمه فكن يقران القرآن ولكن ويعرفن الكتابة • وكانت هذه الحالة حالة كل القبيلة التى كانت اقوى واكبر قبائل العرب • اما القبائل الاقل فى الاهمية من قبيلة قريش – مثل الاوس والخزرج – فكانت افقر من قريش فى هذا المضمار ، اذ لم يكن فيهما اكثر من احد عشر رجلا يعرف القراءة والكتابة • ولما كانت الحالة هكذا فان

اى رجل كان يعرف الكتابة او يعرف السباحة او الصيد والقنص كان يعد رجلا كاملا • وفى هذا الميدان تبرز اسماء سعد بن عبيدة واسيد بن خضير وعبد الله بن ابى • وكان لقب الرجل الكامل يطلق ايضاً على سويد ابن الصميت ، وكان ذلك قبل ظهور الاسلام •

وبسبب الكعبة ظلت مكة دائما الارض المقدسة حيث كان على القوافل ان تتوقف فيها عند مرورها بها • وكان من عادة هذه القوافل ان تنقل على ظهور جمالها مجموعات من الكتب • ولما اصبحت مكة عصب العالم الذى يتكلم العربية فقد اصبحت لغة اهلها أصح لغة وايسر على الفهم ؛ وكانت معروفة باسم « العربية المكية » ـ لغة قبيلة قريش • وكانت لغة قريش هى اللغة التى تحوم حولها كل لهجات القبائل الاخرى وتاخذ منها • وكما يذكر المغفور له الدكتور زكى مبارك فى كتابه « النثر الفني » فان الكتاب العرب الذين كانوا يتقنون قواعد اللغة ونحوها وصرفها وكتابتها كانوا يجتمعون فى مكة حتى قبل ظهور خاتم النبيين • وعلى هذا فقد اصبح مجتمع مكة المجتمع المستعد لتلقى العلم والكتب والاحتفاظ بالوضع الادبى ونشر البلاغة والفصاحة ليمكن من طريقهما فهم معانى القرآن الكريم •

وعندما نزل القرآن على النبى الكريم صلوات الله عليه استعان بالصحابة الذين يعرفون الكتابة فى تسجيل آيات الله • واول صحابى اختير لهذه المهمة الكبيرة عبد الله بن سعد بن ابى ساره • اما من بين الانصار فقد اعطى هذا الشرف لابى بن كعب ، وفى حالة غيابه كان يتولى امر كتابة القرآن زيد بن ثابت • وكان الاثنان كثيرا مايكتبان القرآن فى حضرة النبى الكريم ، كما كان يملى عليهما بعض رسائله ايضاً • وكذلك فقد او كلت مهمة كتابة القرآن فيما بعد الى عثمان بن عفان ثم الى خالد بن سعد والعلاء الحضرمى ومعاوية بن ابى سفيان •

ومع ان هؤلاء الصحابة كتبوا القرآن الكريم بايديهم الا انهم كتبوه بعبارات اختلف رسمها بعضها عن البعض ، ولكن بدون مساس بتركيب الجملة او وصفها او معناها • فمثلا كتب بعضهم حرف الالف فى حين استغنى البعض الآخر عنها واكتفى « بالمدة » • وبقى القرآن الكريم يكتب بهذه الصورة ـ بسبب افتقار القوم الى فن الخط ـ الى ان قدر لهذا الفن ان يزدهر •

والاسلام دين يحض على العلم والمعرفة • وما ان كتب القرآن حتى بدىء بتلاوته على المسلمين الذين لم يكونوا يعرفون القراءة والكتابة • ولما كان القرآن قد كتب بعناية ودقة شديدتين فقد كان ضروريا ان تختار جماعة خاصه لتلاوته بعناية ودقة ليعطى التاثير المطلوب على الناس • وفى سبيل نشر العلم امر النبى صلوات الله عليه بتسريح أسرى بدر اذا علم كل واحد منهم عشرة من مسلمى المدينة القراءة والكتابة • وكان النبى الكريم ـ وهو الامى ـ ينصح المسلمين بالتزود من المعرفة وبتعلم بعض اللغات الاجنبية وكان ان تعلم زيد ابن ثابت كاتب النبى ـ اليهودية والسريانية • وبظهور الاسلام اصبحت القراءة والكتابة لازمة للصحابة الاكرمين لانهم كلفوا بنشر الاسلام ، والاسلام لايمكن أن ينتشر فى مجتمع تسوده الجهالة والامية •

والقرآن زاخر بالايات الكريمة التى تحض على العلم والمعرفة ، واول امر نزل من الله جل وعلا على نبيه كان « اقرا » • والقرآن لايقتصر على الدعوة لتلقى العلم والاستزادة من المعرفة وحسب ؛ بل هو يطلب من الناس الغوص فى طبائع الاشياء لان معرفة الانسان بالخلق والخليقة امر من شانه ان ينتهى به الى معرفة الخالق • والدعاء بالاستزادة من العلم موجود فى القرآن « وقل رب زدنى علما » • وكذلك طالب الرسول الكريم المسلمين بالاستزادة من العلم ، لان تلقى العلم عبادة • وفى الحديث : « تزود من العلم ولو فى الصين » اشارة الى وجوب السعى للتزود من العلم حتى ولو فى اقصى المعمورة •

والقرآن زاخر بقصص كثيرة جميلة ، عن سيدنا آدم وعن نوح وابراهيم ويوسف وموسى وداود وسليمان وغيرهم من الانبياء والرسل • وسرد هذه القصص فى القرآن الكريم لايقصد به الرواية والقصة ، وسردها لم يتم بصورة مفصلة ، بل بصورة موجزة قصد بها ترك فرصة لقارىء القرآن ان يعمل فكره فيها وان يستخلص منها العبرة التى يستطيع ان يستخلصها • وكان من طبيعة ذلك ان خلق فى الانسان حب الاستزادة من المعرفة ، سيما وان العرب كانوا يحبون التعرف على قصص غيرهم من الامم ؛ خاصة اليهود والمسيحيين • وقدكان من طبيعة هذه الروح الجديدة ان وجدت بين المسلمين الرغبة فى العلم • ولما تحققت هذه الرغبة وامكن للعرب ان يستدرجوا اليهم غيرهم من الاجناس قدم الى شبه الجزيرة العربية اقوام كثيرة من فارس ومن اليونان والسريان والعراق وحتى من افريقيا ، جاءوا كلهم لينهلوا من معين المعرفة الجديد الذى قام يبشر به رسول الاسلام والانسانية والمعرفة •

ويمكن ان يقال ان الحركة الثقافية فى العصور الاولى للاسلام اتخذت ثلاثة طرق : طريقا دينيا وطريقا تاريخيا ثم طريقا فلسفيا • ولا شك ان الطريق الدينى كان اهمها واخطرها ، لانه بدا ايام النبى الكريم ، واتخذ مكانته المرموقة بعد وفاته حين درس المسلمون الاسلام كما جاء فى كتاب الله وفى احاديث رسوله • وقد احتل اهل الصفة وغيرهم من الصحابة الاكرمين مكانة ممتازة فى ميدان العلم والمعرفة بهدى من الرسول وتوجيه من تعاليمه •

ومن الصحابة الذين لمعوا فى سماء العلم فى صدر الاسلام عمر وعلى وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وزيد بن ثابت والسيدة عائشة ام المؤمنين • ومما اتفق عليه العلماء ان قلة من الصحابة كانت تحتل المكان المرموق فى هذا الميدان يليهم عشرون فى المكان الثانى ونحو مائة فى المكان الثالث •

« للمقال بقية »

من جهود المسلمين

فى خدمة النص القرآنى

ابو زكريا الفراء

-٢- منهجه فى تفسير القرآن

الدكتور مصطفى الصاوى الجوينى

حدثنا فى المقال السابق عن حياة وثقافة ابوزكريا الفراء، وانه قد استكمل من ادوات العربية مايستطيع به بحق ان يتصدى لتفسير القرآن • وموعدنا اليوم مع منهجه فى التفسير •

الملاحظة الكبرى التى تقفنا فى منهجه فى التفسير هو اهتمامه الشديد بالقراءة • والاهتمام بالقراءة من أصل المناهج العملية فى الدراسات القرآنية • ذلك انه يراد بهذا المنهج العمل تصحيح القراءة وضبط التلاوة لانه ينبعث عن تحريف القراءة تغير اللفظ القرآنى المنزل ومن ثم تحريف المعنى ، فالحرص على سلامة النطق حرص فى الوقت عينه على سلامة معنى النص القرآنى وصيانته من شبهة اى تحريف • وهذا المنهج العملى فى القراءة الى جانب قيمته العلمية فى توثيق النص وصيانته من التبديل كان ايضا ذا قيمة حيوية عملية عظيمة فى وقت لم يشع فيه التدوين وكان جل الاعتماد فيه على الحفظ والذاكرة •

ثم هذا الاهتمام بالقراءة يستدعى منطقيا الاهتمام بالصنعة النحوية فى النص القرآنى اذ ان هذا الاهتمام بضبط اواخر الكلمات انما يقصد اساسا الى المعنى ، فعلى المعنى يدور ضبط الكلمة ، الفاعل يرفع ، والمفعول به ينصب ؛ وما لحقه الجر بسبب من اسبابه يجر وهكذا ان رحت تتتبع ابواب النحو • فالالتفات من النحويين الى اعراب القرآن التفات موجه اولا وقبل كل شىء لخدمة معنى القرآن وتجليته ، ولا اعرف جهدا ابرع ولا اصدق فى تحليل النصوص مثل الجهد الذى بذله النحويون العرب فى خدمة النص القرآنى بخاصة والنصوص العربية بعامة • حقا قد تكون لهم اخطاؤهم والتفاتاتهم الجزئية احيانا الى النصوص ، ولكن ما من شك فى ان جهدهم المخلص فى تشقيق النصوص ، وغاياتهم السامية فى اضاءة المعانى ممايبنغى ان يكون موضع فخر واعزاز ، لا بكلام انشائى يزخرف ؛ ولكن بدراسة متعمقة لجهودهم تنبه الى سديدها وتنقد خطاها وتصحح ماهو بحاجة الى تصحيح فى مناهجها •

ونعود الى الفراء لنقول ، ان بين يدى نسخة خطية من معانى القرآن ، تاريخ نسخها القرن الرابع الهجرى مصورة عن مكتبة نور عثمانية وهى تبدا من سورة الزمر الى آخر القرآن • ومن هذه النسخة نحاول ان نتعرف الى منهج ابى زكريا الفراء • منذ اول التفسير نلمح هذا الاهتمام الذى اشرنا اليه بالقراءة •

١ ـ والقراءة المحببة عنده هى تلك التى اجمع عليها القراء •

ا) فيذكر فى الآية « يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين » انه قد اجتمع القراء على يخربون الا ابا عبدالرحمن السلمى فانه قرا « يخربون » •• وكل صواب ؛ والاجتماع من قراءة القراء احب الى •

وهذا الاستحباب منه للقراءة المجمع عليها لان اهل القراء - عنده - الذين يتبعون اعلم بالتاويل القرآني من المحدثين .

ب) لقد يرى الفراء في قراءة انها صواب - لا يتغير بها المعنى ، لكنه حريص - في امانة علمية - ان ينبه على انه لم يقرا بها احد . ففي الاية « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش » يقول قراه يحيى بن وثاب « كبير » وفسر عن ابن عباس ان « كبير الاثم » هو الشرك فهذا موافق لمن قرا كبير الاثم بالتوحيد « يعني مفردا » . وقرا العوام « كبائر الاثم والفواحش » فيجعلون كبائر كانه شيء عام وهو في الاصل واحد . وكاني استحب لمن قرا « كبائر » ان يخفض «الفواحش» « اى يضبطها بالكسر لان القراءة العامة بالفتح » لتكون الكبائر مضافة الى مجموع اذ كانت جمعا . قال ، وما سمعت احدا من القراء خفض الفواحش .

٢ - وكما قلنا فهو يهتم بالقراءات لما لها من اثر خطير في المعنى

ا) ولهذا يحرص دوما على توجيه القراءات توجيها معنويا وان يكشف ما وراء القراءة من جمال المعنى وحلاوة المضمون ولنتبعه في مثال : قوله تبارك وتعالى « ارايتم ما تدعون من دون الله » ثم قال « اروني ماذا خلقوا » ولم يقل خلقت ولا خلقن لانه انها اراد الاصنام فجعل فعلهم كفعل الناس واشباههم لان الاصنام تكلم وتعبد وتعتاد وتعظم كما يعظم الامراء واشباههم فذهب بها الى مثل الناس .

ثم يؤكد الفراء هذا المعنى بقراءة ابن مسعود فيقول : « قراءة عبد الله بن مسعود » من تعبدون من دون الله » فجعلها « من » فهذا تصريح بشبه الناس في الفعل وفي الاسم .

ب) وفي توجيهه للقراءات توجيها معنويا يستعين باحدى وسائل التفسير الهامة ، وهي سبب النزول ففي آية « اليس الله بكاف عبده » قراها يحيى بن وثاب وابوجعفر المدني « اليس الله بكاف عباده » على الجمع وقراها الناس « عبده » . ويفسر الفراء قراءة الناس فيذكر ان قريشا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : اما تخاف ان تخبلك آلهتنا لعيبك اياها ؟ فانزل الله تبارك وتعالى : اليس الله بكاف عبده محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يخوفونك بمن دونه . ثم يوضح الفراء القراءة الاخرى بنظرته العامة الى القصص القرآني : والذين قالوا « عباده » قالوا : قد همت امم الانبياء بهم ووعدوهم مثل هذا فقالوا لشعيب ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء . فقال الله تبارك وتعالى : اليس الله بكاف عباده اى محمدا والانبياء قبله صلى الله عليهم وكل صواب .

٣ - وفي الصنعة النحوية :

ا) قد يستحسن الفراء وجها لجمال معناه . ففي الآية : « والسموات مطويات بيمينه » يقول : ترفع السماوات بالباء التي في يمينه كانه قال : والسماوات في يمينه . وينصب المطويات على الحال والحال اجود .

ب) واحيانا يجرى في تحريه الصنعة النحوية وراء وجوه تفسد المعنى من حيث لم يرد الافساد .

ففي قوله تبارك وتعالى : « فاعبد الله مخلصا له الدين » يقول الفراء : « الدين » منصوب بوقوع الاخلاص عليه .

ثم يذكر وجها آخر يرتفع « الدين » فيه بـ « له » ويجعل « الاخلاص » مكتفيا غير واقع كاننا نقول « اعبد الله مطيعا فله الدين » وهذ الوجه النحوي يقطع سياق المعنى بل ويجعل في المعنى تكرارا بلا زيادة يكسبها المعنى ذلك ان الايه التي تليها مباشرة نصها : « الا لله الدين الخالص » ومعناها هو ما اراده الفراء تماما بوجه الرفع الاعرابي . فلو ربط بين سياق الايتين لما ذكر هذا الوجه الاعرابي الثاني .

ج) رمع ماقد نجده للفراء من مآخذ في وجوهه النحوية فانا نجده احيانا ذا ملحظ بارع كان يقول في قوله عز وجل : « نسي ماكان يدعو اليه » ترك الذى كان يدعوه اذا مسه الضر ، يريد الله تبارك وتعالى . ثم يدير حوارا عن استخدام « ما » بدل « من » : « فان قلت فهلا قال : سى من كان يدعو . قلت : ان « ما » قد تكون في موضع « من » قال الله تبارك وتعالى : قل يايها الكافرون لا اعبد ماتعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد يعني الله تبارك وتعالى . وقال جل وعز : فانكحوا ماطاب لكم من النساء فهذا وجه وبه جاء التفسير .ومثله « أن تسجد لما خلقت بيدى » وقد يكون نسي ما كان يدعو ، يراد به نسي دعاءه الى الله عز وجل من قبل فان شئت جعلت الهاء في « اليه » لما وان شئت جعلتها لله جل وعز وكل مستقيم .

فعلى الوجهين - كما نرى - للمعنى جماله وان كان للمعنى حلاوته على الوجه الثاني مما ذكره الفراء ؛ ففيه اشارة الى مطلوب الناس واستحضار لحال اللهفة والضراعة والاستكانة يوم لجا الانسان الناسي الى الله في ضره .

٤ - والحق ان الفراء رجل معنى ، يدقق فيه ، والدقة من مثل الفراء ليست مستغربة فصنعته منطق الكلام ، يتساءل : كيف قال الله ولا يرضى لعباده الكفر وقد كفروا ؟ ليجيب : قلت انه لا يرضى « ان يكفروا » فمعنى الكفر ان يكفروا وليس معناه الكفر بعينه .

٥ - ولقد وقف الفراء امام الاسلوب القرآني وقفات جمالية اصيلة شدت انتباهه :

ا) فبين اسلوب الاضمار في قوله عز وجل : « .. به نقعا » قال : يريد « بالوادى » ولم يذكر قبل ذلك وهو جائز لان الغبار لا يثار الا من موضع وان لم يذكر واذا عرف اسم الشيء كني عنه وان لم يجر له ذكر . قال الله تعالى : « انا انزلناه في ليلة القدر » يعني القرآن وهو مستانف سوره ، وما استئنافه في سورة الا كذكره في آية قد جرى ذكره فيما قبلها كقوله « حم والكتاب المبين . انا انزلناه » وقال الله تبارك وتعالى : « انى احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب » يريد الشمس ولم يجر لها ذكر .

ب) ويكشف عن جمال التكرار في التعبير القرآني بخاصة والاستخدام العربي بعامة ؛ ففي الاية : « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » .. يقول الكلمة قد تكررها العرب على التغليظ والتخويف فهذا من ذلك وقوله عز وجل : « لترون الجحيم ثم لترونها » مرتين من التغليظ ايضا .

ج) وفتن الفراء بموسيقية التعبير القرآني فكثرت وقفاته امام نصوصه وتنبيهه الى تلك الموسيقية في اساليبه ، فيقول الفراء : « وقوله عز وجل « كالقصر » يريد القصر من قصود مياه العرب . وتوحيده وجمعه عربيان . قال الله تبارك وتعالى « سيهزم الجمع ويولون الدبر » معناه الادبار . وكان القرآن نزل على ما يستحب العرب من موافقة المقاطع الا ترى اله قال « الى شيء نكر » فثقل « يعنى الكاف في نكر » في اقتربت ، لان آياتها مثقلة قال « فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها

عذابا نكرا » فاجتمع القراء على تثقيل الاول وتخفيف هذا، ومثله « الشمس والقمر بحسبان » وقال « جزاء من ربك عطاء حسابا » فاجريت رءوس الايات على هذه المجارى • وهو اكثر من أن يضبطه الكتاب ولكنك تكتفى بهذا منه ان شاء الله •

٦ - وفي تفسير اللفظ القرآني يورد الفراء التفسير النقلى أو تفاسير العرب - ويعنى بهم اللغويين :

ا) فيقول مثلا فى قوله تعالى « وحاق بهم » وهو فى كلام العرب عاد عليهم وجاء فى التفسير « احاط بهسم ونزل بهم » •

ويقول : وقوله جل وعز « وزخرفا » وهو الذهب ، وجاء فى التفسير نجعلها لهم من فضة ومن زخرف •

فهو فى مثل هذه التفاسير ناقل عن الصحابة والتابعين او مورد للتفسير اللغوى مع الايجاز فيما يورد •

ب) وهو فى الوقت عينه حريص على اضاءة معنى النص بذكر سبب النزول او ما اثر من حدث تاريخى يحوط النص فيعقب الاية « وقال الـذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ماسبقونا اليه » بقوله : لما اسلمت مزينة وجهينة واسلم وغفار قالت بنو عامر بن صعصعة وغطفان واشجع واسد : لو كان هذا خيرا ماسبقنا اليه رعاة البهم فهذا تاويل قوله : لو كان خيرا ماسبقونا اليه •

وفى قوله عز وجل « قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة فى القربى » ذكر ان الانصار جمعت للنبى صلى الله عليه وسلم نفقة يستعين بها على ماينوبه فى اصحابه فاتوا بها النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا: ان الله تبارك وتعالى قد هـدانا بك وانت ابن اخينا فاستعن بهذه النفقة على ماينوبك فلم يقبلها وانزل الله تبارك وتعالى فى ذلك : قل لهم لا اسالكم على الرسالة اجرا الا المودة فى قرابتى بكم • وقال ابن عباس : لا اسالكم عليه اجرا الا المودة فى القربى فى قرابتى من قريش • فالفراء فى هذا الجانب من منهجه التفسيرى قد حدد نفسه باطار المفسرين النقليين اذ ينقل عنهم تفاسيرهم ويورد اسباب النزول المأثورة •

٧ - ولكنـه متعاطف مع المعتزلة ، فانت تلمح فى تفسيره - تبعا لهواه الاعتزالى - ميلا الى حرية الارادة الانسانية ؛ لكن فى غير لجاج كلامى ولاتعسف تاويل ، هو تفسير صاف بسيط ، ففى قوله عز وجل : فالهمها فجورها وتقواها » يقول : عرفها سبيل الخير وسبيل الشر وهو مثل قوله : « وهديناه النجدين » •

وفى تفسيره لآيات الصفات يشرحها بما لايجرح عقيدة فيقـول فى آية « يد الله فوق ايديهم » بالـوفاء بالعهد •

وبعد ، فمنهج الفراء فى التفسير قائم اولا وقبل كل شئ على الثقافة العربية الاصيله التى تستمد عناصرها من كتاب العربيه الاول القرآن ،والحديث . ثم التفاسير النقلية عن الرسول والصحابة والتابعين . ثم العربية لغتها وادبها وتاريخها ؛ وهو بهذا كله يعرض لتفسير النص القـرآنى مع الاهتمام فى المحل الاول بتصحيح القراءة وضبط التلاوة والعناية - وهو ذو الحس العربى السليم - باسرار الجمال فى التعبير القرآنى •

الاسلام

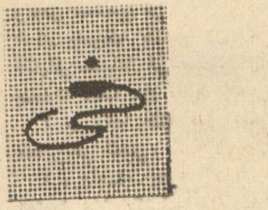

- ٣ -

من يتتبع الادب العربى فى العصر الجاهلى ، يقارن بينه وبين الادب العربى فيما بعد مجيء الاسلام يجد الفرق الكبير بين الادبين •• بحيث لايكون متعسرا ان يميز باحث بين ادب كل من المرحلتين مع مايبدو هناك من اصول ثابتة ، وقوانين مشتركة بين ادب الجاهليين وادب المسلمين ، وتلك هى التى تضفى على الادبين صفة « العربى » •

لقد جمع الاسلام اصحاب آدابه ووحدهم فى تجربتهم الوجودية ، فاصبحت احاسيسهم ومشاعرهم غير احاسيس الجاهليين ومشاعرهم •• وهذه المغايرة تتناول مايؤثر فى الاحاسيس والمشاعر ، كما تتناول الوحدة فى الاستجابة لتلك المؤثرات ، اذ الفارق كبير بين انسان يشعر بأتيه ، ويحس بانه يعيش فى فـراغ ، تخيفه الهواجس ؛ وتفزعه الهواتف • تكسف الشمس فينخلع فؤاده ، وتثور الريح فيتوقع الانتقام • فارق كبير بين هذا الانسان وبين انسان يعرف نفسه ، ويعرف مكانه فى هذا الوجود ، ويعرف علاقته بكل كائن ، فهو يسير على هدى وبصيرة •• ثم ان هذه المعرفة ليست مقصورة على فرد او افراد لذاتهم ؛ ولكنها معرفة عامة شائعة تمتد جذورها فى نفوس كل مسلم باسم الاسلام وفى ظل تعاليمه وقيمه •

ولقد وحد الاسلام اصحاب آدابه فى منازعتهم الفكرية الاساسية ، فجعلهم جميعا يدينون بدين واحد ، ويعتقدون عقيدة واحدة •• ومن ثم فتفكيرهم يسـير فى مخطط واحد ، لايختلف فى موضوعه او فى اساسه من شخص الى شخص آخر ، ولكنه يعتمد على اسس ثابتة واحدة •

وعلى العكس من ذلك كان اصحاب الآداب فى الجاهلية

الأدب العربي

الأستاذ ابراهيم عوضين

فقد كان لكل منزعه الذى يوجه تفكيره ؛ ويشكل ادبه ، وينوعه .. وكان اهم مظاهر ذلك التشعب والاختلاف ماشاع بينهم من تعدد الآلهة وتنوع كنهها ، فمن اوثان متعددة معترف بكل منها الى كواكب الصابئة الى نيران المجوس الى آلهة النصارى واليهود .

وكذلك وحد الاسلام اصحاب آدابه فى الاستجابة الخارجية بانضوائهم تحت سلطان مبادىء تنص على الشكل ، وعلى طريقة التعبير ، لان مبادىء الاسلام التى شملت كل مسلم ليست مبادىء مهوشة ، وليست مبادىء تقتصر على العموميات من دون الجزئيات فى السلوك والفكر وغير ذلك . وهى - ايضا - ليست مبادىء طافية تعيش على السطح وتهرب من القاع ، كما انها ليست مبادىء فلسفية تبحث عن الاغوار لتختفى فيها دون ان تعنى بالمظاهر .

ان مبادىء الاسلام تتسم بالشمول ، وتمتاز بالاستقصاء فهى فى الاعماق تهتم بالمظاهر وتذكر بها ، وهى فوق السطح تبحث عن الخفايا ..

ومن ثم فان هذه المبادىء كما وجهت انسانها الى الفكرة والعقيدة - حرصت على ان تتدخل فى توجيهه الى الشكل وطريقة التعبير فكان ان وسمت آدابها بالوحدة فى ذلك كله .

اضف الى هذا ان اصحاب آداب الاسلام جميعا يشتركون فى الخضوع لنظام سياسى واجتماعى واحد يرتبط بمبادئهم الموحدة ويعتمد على عقيدتهم ويقوم عليها .

وليست سمة الوحدة مقصورة على الآداب ؛ ولكنها تتناول كل مايمكن ان ينشا من التطورات المحلية المتولدة عن الاسلام واخلاقه واعرافه فى كل اجيال الحياة التى تجد بعد ذلك .

ومجمل القول .. ان الناقد يلاحظ ان من اهم ماطرا على العرب بمجىء الاسلام واثره فى ادبهم قيمتين .. احداهما قيمة فنية ، وثانيتهما قيمة سلوكية ، ومن كلا القيمتين اتخذ الادب العربى سمته الجديدة ، واكتسب مميزاته .

ومن ثم ناخذ فى عرض كل من هاتين القيمتين ، وبحث مظاهر تاثيرهما فى الادب العربى اولا ، ثم بعد ذلك نعمل على بحث ذلك التاثير فى الآداب الاخرى غير العربية ان شاء الله تعالى .

وحديثنا عن القيمة الفنية فى الادب العربى الاسلامى يتطلب منا وقفة قصيرة نعرف فيها بمقصودنا من «القيمة الفنية» حتى لايترتب على اختلاف المفهوم اختلاف فيما نذكر بعد ذلك .

والذى نقصده بالقيمة الفنية هو ان الادب العربى طرا عليه - بمجىء الاسلام - اتجاهات فنية جديدة كان لها فى نفوس العرب فى اعمالهم الفنية وتاصل دفعهم الى الاستجابة لها فى اعمالهم الفنية ، فجاءت آدابهم نمطا من تلك الاتجاهات بحيث يستطيع الباحث الناقد ان يستخلص من الادب العربى الاسلامى ما اثر فى الادباء العرب الاسلاميين من مبادىء الاسلام وقيمه ، كما انه يستطيع ان يحدد اتجاهات الادب العربى الاسلامى حين يتعرف على مبادىء الاسلام وقيمه التى تاثر بها الادباء الاسلاميون .. يستوى عند من يتصدى للبحث ان يبدا من هذا الطرف او من ذلك ، لانهما طرفان لشىء واحد .

هذا والقيم الفنية فى الادب العربى الاسلامى تبدو متعددة المظاهر فيه ، متنوعة الميادين ؛ تتكثر مع الزمن وازدياد الوضوح امام الناظر المسلم العربى ، وقوة تغلغلها فى نفسه وتفكيره .

وهى فى تكثرها ذلك لاتتوقف ولايتوقع لها التوقف . ففى كل يوم لابد من ان نتوقع فى الادب العربى جديدا يرجع فى اسبابه ويضرب بجذوره الى القيمة الفنية او بالمعنى الاسلامى فى الادب العربى .

ومن ثم اقرر ان ما سنتعرض له فى هذا البحث من مظاهر تاثر الادب العربى بتلك القيمة الفنية ان هو الا نموذج لذلك التاثر ، وليس حصرا لجوانبه ولا استقصاء لانواعه ، ولا تحديدا لمداه ؛ لان جوانبه ممتدة بامتداد الزمن ، ولان انواعه متعددة باختلاف الزمن ، ولان مداه - تبعا لذلك - لايحد .. فحصر تلك المظاهر او استقصاؤها امر غير ممكن الا اذا امكن ايقاف تاثير الاسلام وفاعليته ، والا اذا امكن قطع التطور الادبى عن تطور الوعى الانسانى وترقى نضج التفكير .

(١) وان من اول مايواجه الباحث فى الادب العربى بعد الاسلام من مظاهر هذا التاثر هو بروز جنس الخطابة ..

والخطابة - كما نقل ابن رشد - صناعة تتكلف الاقناع الممكن فى كل مقولة من المقولات ، وغايتها اقناع الجمهور فيما يحق عليهم ان يصدقوا به من الامور السياسية والوظائف الشرعية .

اوهى - كما قرر ابو البقاء - الكلام النفسى الموجه به نحو الغير للافهام .

وهذا وذاك يتطلب من الخطيب ان يعمل على ارضاء السامعين واقناعهم بالبرهان الذى يقدمه .. وهو لن يتمكن من ذلك الا اذا الم بكل صنوف المعارف ؛ وعرف شيئا عن كل مايحيط به ، وما يجرى من احداث الحياة . ومن ثم اوجب « شيشرون » خطيب الرومان على الخطيب ان يعرف الفنون الادبية والرياضيات والرسم والتصوير والنقش والموسيقى وغير ذلك .

والخطابة بهذا التحديد لم يعرفها الجاهليون العرب، وذلك ـ على مايبدو لى ـ راجع الى ضيق ميدانها فى ذلك الحين .. فالشعر كان فى المرتبة الاولى لديهم ، وهم كانوا بالشعراء اكثر احتفالا .

قال ابو عمر بن علاء : « كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم الى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ، ويفخم شانهم ، ويهول على عدوهم ومن غزاهم ؛ ويهيب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم .

« فلما كثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر مكسبة ، ورحلوا الى السوقة ، وتسرعوا الى اعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر »

وقرر الجاحظ فى كتابه البيان والتبيين هذا المعنى بقوله : « وكان الشاعر ارفع قدرا من الخطيب ، وهم اليه احوج لرده مآثرهم عليهم ، وتذكيرهم بايامهم ؛ فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدرا من الشاعر »

وقال ابن رشيد فى العمدة :« كان الشاعر فى مبتدا الامر ارفع منزلة من الخطيب لحاجتهم الى الشعر فى تخليد المآثر ، وشدة المعارضة ، وحماية العشيرة ، وتهيبهم عند شاعر غيرهم من القبائل فلا يقدم عليهم خوفا من شاعرهم على نفسه وقبيلته فلما تكسبوا به ، وجعلوه طعمة ، وتناولوا به الاعراض صارت الخطابة فوقه » .

فالخطابة ـ كما يتضح من ذلك ـ انما احتفل بها الجاهليون ليس لذاتها وليس لتوفر دواعيها واسبابها ولكن لان الشاعر انحط بشعره الى مستوى انفه العربى الحر ، وابى ان يكون واحدا من هؤلاء الشعراء ، ترفعا عن ان يظن فيه التكسب بالشعر وامتهانه .

ورواج الخطابة لمثل ذلك الداعى لايضمن لها الوجود الذى تخلد معه ، وترقى فى مدارج التطور والنماء .

هذا الى ان الخطابة كانت وسيلة فئة معينة منهم فى اكثر حالاتها. فقد قرر القلقشندى انه لم يكن يتعاطى الخطابة منهم الا القليل النادر من الفصحاء المصاقع ؛ وقد كانت تقوم بها فى الجاهلية سادات العرب ورؤساؤهم ممن فاز بقدح الفضل ، وسبق الى ذرا المجد ، ويخصون ذلك بالمواقف الكرام ، والمشاهد العظام ، والمجالس الكريمة ، والمجامع الحفيلة . »

ومن ثم توقف جنس الخطابة ـ او كاد ـ عن التطور والنمو ؛ فلم يطمح الخطيب فى ان يصل من سامعيه الى اكثر مما يصل اليه الشاعر منهم ، وظلت قصاراه ان يستحوذ على قلوبهم ، ويملك مشاعرهم ، دون ان يهتم بان يتجاوز التاثير الى الاقناع . لان القصد الى الاقناع يحتاج الى التدبر قبل الكلام ، ومراجعة مايقال ؛ وترتيب الحجج ترتيبا تقع به فى مواقعها .. الى غير ذلك .

فالخطبة فى الجاهلية كانت الى الشعر اقرب ، ولولا تحلل الخطيب من بعض قيود الشعر لكانت شعرا ، لان افكارها ومعانيها واغراضها كانت فى اكثرها شعرية ، فاذا ماتحقق فى مبناها البناء الشعرى اصبحت الخطبة قصيدة بكامل مفهومها .

١ ـ وكان نتيجة ذلك ان ضاق اسلوب الخطابة الجاهلية ، واصبح يتردد بين ان يكون حكما وامثالا يسردها الخطيب لتقوم بدور التاثير ؛ وبين ان يكون اسجاعا ذات قيود تقترب بالخطبة من الشعر خطوات ، وبين ان يكون افكارا متباينة لايشدها الى بعضها الا رابط نفسى .

استمع ان شئت الى قول هانىء بن قبيصة الشيبانى فى قومه يوم ذى قار يحرضهم على القتال :

« يامعشر بكر ! هالك معذور خير من ناج فرور . ان الحذر لاينجى من القدر . وان الصبر من اسباب الظفر . المنية ولا الدنية . استقبال الموت خير من استدباره . الطعن فى ثغر النحور اكرم منه فى الاعجاز والظهور .

« يآل بكر ! قاتلوا فما للمنايا من بد . »

فهى ـ كما ترى ـ جملة من حكم شتى لايربطها رابط فنى ، ولكنه يعتمد فيها على التاثير النفسى فحسب .. ولا يؤثر فى تلك القضية انكار من ينكر الخطابة الجاهلية او التشكيك فيما بين ايدينا من نصوص ، فاقل مايجابه به على تلك الاقوال ان صانعى هذه النصوص قد ترسموا فى صنعتهم نمطا للخطابة الجاهلية كان معروفا لديهم وجهلناه نحن .

ومن ثم فان مابين ايدينا من نصوص للخطابة الجاهلية يؤدى الغرض منه ، وان لم يكن نصا صادقا كل الصدق فيما قيل ، فان ذلك لاينفى وجودها ؛ ولكنه يشكك فى صحة النسبة الى من تنسب اليه .

ومن تلك النصوص ـ كذلك ـ قول الاوس بن حارثة يوصى ابنه مالكا :

« يامالك : المنية ولا الدنية . والعتاب قبل العقاب ، والتجلد ولا التبلد . واعلم ان القبر خير من الفقر ، وشر شارب المشتف ، واقبح طاعم المقتف . والدهر يومان ، فيوم لك ويوم عليك ، فاذا كان لك فلا تبطر ؛ واذا كان عليك فاصبر ؛ فكلاهما سينحسر . »

وقال اكثم بن صيفى فى خطبته امام كسرى :

« ان افضل الاشياء اعاليها ، واعلى الرجال ملوكهم وافضل الملوك اعمها نفعا ، وخير الازمنة اخصبها ، وافضل الخطباء اصدقها .

« الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والشر لجاجة ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطىء ..

« آفة الراى الهوى ؛ والعجز مفتاح الفقر ، وخير الامور الصبر ، وحسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة

« اصلاح فساد الرعية خير من اصلاح فساد الراعى ، من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء . شر البلاد بلاد لا امير بها ، شر الملوك من خافه البرىء . »

من توجيهات النبوة

حول... تحديد النسل

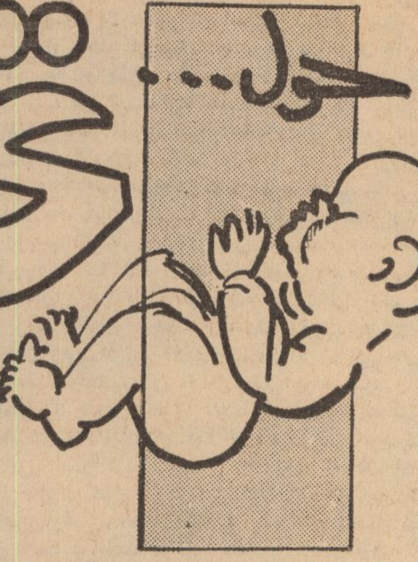

الشيخ عبد الحميد بلبع

نرى فى مجتمعنا الآن اهتماما كبيرا ونقاشا مستفيضا حول مشكلة تزايد عدد السكان مع ضعف الدخل القومى وعدم تكافؤ الانتاج العام واحتياجات الناس وما يترتب على ذلك من اختلال التوازن فى معايير الأمة وحصول هزات عنيفة فى حياة الفرد والمجتمع لا يعلم مداها الا علام الغيوب .

وفيما يبدو أن المشكلة ليست حديثة بل ترجع الى عهد قديم كما انها ليست قاصرة على مجتمع الجمهورية العربية المتحدة فحسب بل يعانيها كذلك كثير من الأمم .

والحق أنها مشكلة جديرة بالاهتمام والعناية خليقة بالبحث والدرس والتحقق من أسبابها ونتائجها والعمل الجاد علي علاجها بالقضاء على بذور أسبابها والاحتياط الكامل للوقاية من نتائجها حتى يسلم الفرد وتنجو الأمة من العطب ومن أجل هذا كان مانراه من الاهتمام الكبير في كل الأوساط والنقاش المستفيض بين المجتمعات فى ندوات تعقد ومؤتمرات تقوم وقد خلص الباحثون الى ان العلاج السريع لهذه الأزمة قبل تفاقمها انما هو تحديد النسل ليوقف تزايد عدد السكان ويوجد التوازن المطلوب بين عدد السكان والدخل القومى وبهذا تؤمن سلامة الأمة فى كيانها وحياتها وأخذ هؤلاء الباحثون يسألون ، ماراى الدين فى تحديد النسل أحلال هو أو ممنوع ثم ماراى علماء الاجتماع والاقتصاد فى حل هذه المشكلة ، وأخذ كل هؤلاء وأولئك يدلى برأيه فى تخصصه ، وانا لنرجو الله عز وجل خاشعين متضرعين أن يوفق الجميع لما فيه خير العباد والبلاد ، وأحب أن أوجه نظر كل من يتصدى للكتابة فى موضوع تحديد النسل أو يبدى فيه رأيا ان يكون رأيه على أساس ثابت من نصوص الشريعة الاسلامية كتابا وسنة أو من أقوال الفقهاء المجتهدين على الاقل حتى لايحدث اضطرابا أو بلبلة فى الافكار توقع المجتمع فى حيرة وحرج فان المسألة ليست مسألة رأى مبناه الاتجاه النفسى أو القدرة البيانية ولكنها مسألة الدين وهى جد خطيرة لايخوضها الا العالمون .

والذى لاريب فيه أن الدين الاسلامى شرع الزواج ونظم مراحله ووضع احكامه ووضح اهدافه قال تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يامعشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » ولمشروعية الزواج أهداف يقصدها الشارع الحكيم منها غض البصر وتحصين الفرج ومنها تكوين الأسرة المنظمة علي النمط الشرعى ومنها حفظ الأنساب من همجية الجاهلية ومنها التناسل وكثرة النسل ومن هذا يتضح ان التناسل أحد أهداف الشارع الحكيم فى مشروعية الزواج لذا يقول الرسول الأمين « تناكحوا تناسلوا تكثروا فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة » ويقول فى شأن الزوجة « سوداء ولود خير من حسناء عقيم » وبما أن التناسل هدف يقصده الشارع فلابد أن يعمل الشارع على تنمية هذا النسل والاكثار منه وعلى تربيته جسما وروحا وعلى صيانته من غوائل المرض ونوازع الفساد والشر ليكون هذا النسل لبنة صالحة فى تكوين مجتمع صالح وأذن لايمكن أن يحد الشارع من النسل أو يدعو الى قلته حتى لايفوت ما يهدف اليه من مشروعية الزواج والا كان اضطرابا فى التشريع

اللهم الا اذا كان هناك ضرورة داعية أو أسباب ملحة تقتضي منع النسل فالشارع لايرى منه مانعا دفعا لهذه الضرورة الداعية ، فالشريعة الاسلامية رغم حثها على التناسل وكثرة النسل على نحو ماتقدم فى الأحاديث النبوية فانها اباحت فى سماحة ويسر منع الحمل اذا قامت عند أحد الزوجين او كليهما ضرورة تتعارض مع الحمل والنسل ، وقد استخلص الفقهاء من نصوص الشريعة امثلة لهذه الضرورة الداعية لمنع الحمل نذكرها فيما يلى (١) ضعف الزوجة عن القيام بأعباء الحمل والوضع والرضاع والتربية (٢) الخوف على الولد من حمل امه أثناء رضاعه منها (٣) مرض أحد الزوجين بمرض وراثى يخشى ضرره علي ذريتهما الى غير ذلك ، وواضح انها كلها ضرورات فردية شخصية ومقتضاها أن منع الحمل لايباح لغير أرباب هذه الضرورات لأن منع الحمل ليس مبدأ عاما للامة كلها من أضطر ومن لم يضطر بل هو خاص بأرباب الأعذار الشخصية كما يؤخذ من نصوص الشريعة ، ومشكلتنا التي نحن بصددها ليست مشكلة فردية انبنت على أعذار شخصية يكون لها حكم ما بينه الفقهاء من اباحة منع الحمل بل هى مشكلة اجتماعية عامة لاتدخل فى نطاق ما أبيح فيه منع الحمل لذا لم ينص عليها الفقهاء ضمن ما بينوا من الأعذار المبيحة لمنع الحمل .

ومن اجل هذا اضطربت آراء الباحثين الآن فى حكم تحديد النسل فى هذه المشكلة بين مجيز له ومانع منه وما زال الموضوع فى اخذ ورد حتى طالعتنا مجلة « منبر الاسلام الغراء برأى فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى عددها الصادر غرة رمضان سنة ١٣٨٤ صحيفة ١٩٧ اذ يقول بعد كلام طويل « لذا فانى ارى أنه لامانع شرعا من النظر فى تنظيم النسل اذا كانت الحاجة تدعو اليه على أن يتم ذلك باختيار الناس واقناعهم دون قهر أو قسر وفى ضوء ظروفهم وعلى ان تكون الوسيلة مشروعة لذلك » انتهي كلام فضيلته وبناء على هذه الفتوى يكون استعمال مانع الحمل فى هذه المشكلة جائزا بعد توفر الشروط التى احتاط بها فضيلة الأستاذ الأكبر ..

وبعد : فقد وضح حكم الدين فى استعمال ما يمنع الحمل وهو أنه جائز اجماعا وليس ممنوعا اذا كان لعذر فردى شخصى وجائز كذلك اذا دعت الضرورة اليه لحل مشكلة اجتماعية عامة حسب فتوى فضيلة شيخ الأزهر السابقة .

وتوصلا لحل المشكلة حلا نهائيا نرى مواصلة السير فى بحث موضوع تحديد النسل لتحقيق الغرض المطلوب لحل المشكلة فان الأمر لم يقف فيها عند اباحة استعمال مانع الحمل شرعا بل هناك شىء لابد من معرفته كذلك رجاء أن يكون حل المشكلة نهائيا ، وهو هل يلزم من استعمال مانع الحمل أن يمنع الحمل فعلا فيقل النسل ويحصل التوازن بين الدخل القومى وعدد السكان وبذلك تنحل المشكلة التي تشغل بال الجميع نهائيا او لايلزم من استعمال مانع الحمل أن يمنع الحمل فعلا وبذلك يبقى الاشكال على ما هو عليه وحينئذ يجب ان يبحث المسئولون عن شىء آخر غير النسل لتحقيق الغرض المطلوب واستخلاص النتائج السليمة . هذا السؤال نطرحه أثناء بحث الموضوع والنقاش فى جميع جوانبه لنحصل على نتيجة وافية بالغرض محققة للامل ويبدو لى من النظر فى النصوص الشرعية ان اباحة استعمال مانع الحمل شرعا لايلزم منه منع الحمل فعلا بل قد يحصل الحمل ولو مع وجود مانع الحمل وسيأتي بيان ذلك شرعا ولكن قبل هذا البيان يجب أن نضع فى الاعتبار امرا جديرا بالملاحظة فى هذا الموضوع وهو انه قد ثبت شرعا ان الله تعالى قد استأثر بالعلم بأحوال النطفة أمخلقة هي أم غير مخلقة وعلى وفق هذا العلم يجرى الله على هذه النطفة مايريد يقرها فى الرحم ويجرى عليها مايريد من الانشاء والتصوير لايصده صاد ولايعوقه معوق أو يقذف بها خارج الرحم دون انشاء ولا تصوير كما استأثر سبحانه وتعالى بالعلم بأحوال الجنين فى بطن امه ـ خلقه واطوار خلقه ونوعه أذكر هو أو أنثى ، قال تعالى (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء الى أجل مسمى) وقال « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وقال « يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير» تفيدنا هذه الآيات أن الحمل وعدم الحمل خاضع لعامل واحد فقط هو ارادة الله تعالى يؤيد هذا ويوضحه ماروواه احمد ومسلم وابو داود عن جابر « أن رجلا أتى النبي فقال « ان لى جارية هى خادمتنا وسانيتنا فى النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل » فقال « اعزل عنها إن شئت فانه سيأتيها ما قدر لها ، يصرح هذا الحديث بأن الرسول اباح العزل لعذر فردى شخصى وأنه أمر السائل أن يفعله اذ قال له أعزل عنها ان شئت ومع أن الرسول اباح العزل وأمر بفعله لم يقطع بأنه مانع للحمل اذ يقول فى الحديث نفسه « فانه سيأتيها ماقدر لها » ويؤيده كذلك ماروى عن أبي سعيد قال « قالت اليهود العزل الموءودة الصغرى فقال النبى ـ كذبت يهود أن الله عز وجل لو أراد أن يخلق شيئا لم يستطع احد أن يصرفه » رواه احمد وابو داود ويؤيده كذلك ماروواه احمد والبزار وابن حبان وصححه عن أنس ان رجلا سأل عن العزل فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لو ان الماء الذى يكون منه الولد اهرقته على صخرة لأخرج الله منها ولدا » فقول الرسول فى حديث أبى سعيد لو اراد ان يخلق شيئا لم يستطع أحد أن يصرفه » صريح فى ان استعمال مانع الحمل لايترتب عليه منع الحمل قطعا بل هو تبع لارادة الله وكذا حديث احمد والبزار وابن حبان المتقدم صريح فى ان أمر الحمل خاضع كل الخضوع لمحض ارادة الله اذ يقول فى شأن الماء الذى يكون منه الولد (لو أهرقته على صخرة لاخرج الله منها ولدا) من هذا يتضح أن امر النسل خاضع لمحض ارادة الله ان أراده كان ولو مع وجود مانع الحمل وان لم يرده لم يكن ولو تعددت اسبابه وتكاتف عليه نوابغ العلم وقد قرر الشوكانى هذا المعنى فى كتابه نيل الاوطار وهو يشرح أحاديث اباحة العزل اذ يقول « وكل ذلك لايغنى شيئا لاحتمال ان يقع الحمل بغير الاختيار » انتهى كلامه .

القائل أن يقول « أن كل ما فى الكون خاضع لارادة الله تعالى النسل وغيره فما اراده الله كان وما لم يرده لم يكن فلم خصصت النسل بذلك ورتبت عليه مارتبت من نتائج ـ نعم أن كل شىء خاضع لارادة الله وهذا حق لامرية فيه فانا نؤمن ايمانا كاملا بأنه لايقع في ملك الله الا ما اراد الله كما نؤمن بأنه تعالى ربط المسببات بأسبابها ورتب وجود هذه المسببات علي وجود أسبابها التي توفرت فيها الامكانيات الخاصة بذلك المسبب كما نؤمن بأنه تعالى استأثر بأشياء من الكون لم يطلع عليها أحدا ولم يخضعها لقانون السببية والمسببية ولكن قانونها الذى تخضع له هو قوله تعالى « انما أمرنا

لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون » فما شاءه من هذه الاشياء التى استاثر بها كان ولو مع وجود المانع منه وما لم يشأ لم يكن ولو كان معه مايقتضيه ومعلوم ان الله تعالى استأثر بالعلم باحوال النطفة وبالجنين فى بطن امه كما سبق وكما استفيد من الآيات والاحاديث التى ذكرت آنفا ، نستخلص من هذا انه لايلزم من استعمال مانع الحمل منع الحمل فعلا بل ذلك راجع لارادة الله ، ونستخلص كذلك ان النتيجة التى ترتب على استعماله قد تكون وافية بالمطلوب فيحصل التوازن وقد تكون غير وافية فلا يحصل التوازن ، واذن لاتزال المشكلة قائمة لان الامر خاضع لارادة الله ولا اطلاع لاحد عليها ، من اجل ذلك نقول انه لاينبغى الوقوف فى البحث عند حد معرفة اباحة الدين استعمال مانع الحمل ولا يحسن السكوت على ذلك خصوصا بعد ان اتضح لنا من النصوص الشرعية انه لايلزم من استعمال مانع الحمل منع الحمل فعلا ، فلنوجه جهودنا الآن الى شيء آخر يمكن من ورائه ان نحصل على حل مرض للمشكلة ولعل انجع الوسائل لحلها هو العمل الجاد علي زيادة الدخل القومي وله ابواب كثيرة ووسائل شتى يعلمها السادة المتخصصون فى ذلك فهم اعلم بما يضاعف الانتاج ويدر الخير من مشروعات زراعية او صناعية وما أكثر فروع الزراعة وشعب الصناعة وناهيك بما فى باطن الارض من ثروات معدنية « البترول والحديد والنحاس » وما الى ذلك مما لو اكتشف وبحث على وجه سليم لتحقق معه ما نرجوه من التوازن بين الانتاج واحتياجات الناس واحتجنا اذن الى ايد عاملة لا الى قلة النسل .

وارى ان القيام بمثل هذه المشروعات فى هذا العهد عهد الثورة المباركة امر ميسور وقد كان قبلها مستحيلا فقد عاصرنا العهدين ولمسنا ما فى كل منهما من اتجاه ، لمسنا ان الثورة بزعامة بطلها الملهم الرئيس جمال عبد الناصر حققت ماكان حلما واحدثت ماكان معجزة خالدة تتغنى بها الاجيال وكانت ثمرتها زيادة الدخل القومى وقد وضحت زيادته فى اوساط العمال بدرجة ملحوظة كما وضحت فى كثير من اوساط الفلاحين واصبحنا نشاهد فى كثير من بيوت هذه الطبقات من وسائل الترف والمعدات الحديثة ما كنا لانشاهده الا فى بيوت الطبقة العليا فهناك التلفزيون والثلاجة والغسالة وغير ذلك مما يدل على زيادة الدخل القومى فى هذا العهد وانا لنرجو المزيد من الانتاج وزيادة الدخل حتى يدخل كل بيت فى الجمهورية العربية المتحدة من هذه الوسائل والمعدات الحديثة ما يتمتع به الآن من نالهم حظ هذه الزيادة حتى يعم الرخاء كما نرجو الله مخلصين لكل من يسهم فى العمل على زيادة الانتاج والدخل القومى المزيد من التوفيق فيما يهدف اليه والبركة فيما يعول عليه لتعيش الامة فى رخاء ويسر وهنالك يكون ما افاء به الله على الامة من مشروعات محتاجا الى ايد عاملة وبعد ان كانت تعمل على الحد من النسل تصبح تتلهف على النسل وعلى الاكثار من النسل والله ولى التوفيق والهادى لاقوم طريق .

عبد الناصر

صانع السلام

الأستاذ كامل عبد المجيد

« ان الوحدة ليست نداء يردد اصداء الماضى ، وانما الوحدة العربية اصلا وأساسا هى نداء بالتجمع .. انطلاقا الى بناء المستقبل وتوفير رخائه » .

(جمال عبد الناصر)

ان الجمهورية العربية المتحدة جزء لا يتجزأ من الامة العربيه تتفاعل معها كما يتفاعل الجسد الحر النابض . وقد ربطت وحدة الهدف بين نضال الدول العربية المتحررة التى تؤمن بالحرية والاشتراكية

والوحدة ، تماما كما يقول الزعيم القائد « اننا جزء لا يتجزأ من أمة عربية واحدة ، تاريخها واحد ونضالها واحد ومصيرها واحد » وكما يحدد دليل عملنا الثورى « ان مسئولية الجمهورية العربية المتحدة فى صنع التقدم وفى تدعيمه وحمايته تمتد لتشمل الأمة العربية كلها » .

وهذا ليس بالغريب او المستغرب لان وحدة الهدف فى الامة العربية تربط بين كل قطعة من أرض الوطن العربى الكبير ، ويدرك الشعب العربى اليوم عن يقين حقيقة ما يكمن وراء الحرب التى توجه ضد الوحدة العربية ، فالوحدة ذاتها تشكل خطرا كبيرا على الاستعمار وتزعزع كيان الرجعية التى كشفت عن نفسها بتهالكها على التعاون معه . ومهما كانت الظروف والأحوال فان وحدة الهدف حقيقة قائمة عند القواعد الشعبية فى الأمة العربية كلها وهى التى ستتكفل بسد الفجوات الناشئة من اختلاف مراحل التطور لتصل بالعمل العربى الخالص الموحد الى الهدف النهائى ، وهو الوحدة الشاملة .

والاستعمار فى حربه ضد الجهود الوحدوية التى تبذل نحو تحقيق امل العرب يلجأ الى كل الوسائل والسبل التى تتيسر له والتى ييسرها لنفسه من خلال التلاعب والتآمر • فهو تارة يلجأ الى القوة والارهاب لاخماد صيحات الحرية ، كما يحدث الآن فى الجنوب العربى ، وكما يتضح من الاجراءات التعسفية وسياسة القمع والارهاب والتنكيل التى تتبعها بريطانيا فى عدن لطمس معالم الطريق نحو الحرية ، وذلك لانهاتعلم تماما أن الحرية هى الخطوة الأولى نحو الوحدة ، وكما أن الاستعمار عدو للوحدة فهو ايضا يبذل قصارى جهده لكى يئد الحرية ويخفق المبشرين لها والداعين اليها من ابناء الوطن العربى حتى يسد الطريق الى الوحدة •

وتارة أخرى يلجأ الى اثارة الفرقة وبذر بذور الخلاف الزائف بين أبناء الوطن العربى ، معتقدا أنه يغلق بذلك جميع المنافذ نحو الوحدة ، ولكن هذه المحاولات الاستعمارية لاشاعة الفرقة التى تستهدف طعن فكرة الوحدة العربية انما تؤكد للشعب العربى أن مجرد وجود هذه الخلافات هو الدليل على قيام هذه الوحدة ذلك « ان هذه الخلافات تنبع من الصراع الاجتماعى فى الواقع العربى •• واللقاء بين القوى التقدمية الشعبية فى كل مكان من العالم العربى ، والتجمع الذى تقوم به العناصر الرجعية والانتهازية فى العالم العربى هوالدليل على وحدة التيارات التى تهب على الأمة العربية وتحرك خطواتها وتنسقها عبر الحدود المصطنعة » ، تلك الحدود التى خلقها واستحدثها الاستعمار على مر التاريخ .

ورغم محاولات الاستعمار التفرقة بين أبناء الوطن العربى الواحد ، فان العرب جميعا قد توحدت كلمتهم والتأم شملهم حين أحسوا بتزايد الخطر الصهيونى ، والذى تمثل فى مؤامرة تحويل مجرى نهر الأردن • فالتقى الزعماء العرب فى القاهرة والاسكندرية والدار البيضاء ، فى مؤتمرات قمة ، قرروا فيها وخططوا ونفذوا سياسية عربية موحدة وعملا عربيا وحدويا موحدا لدرء هذا الخطر الصهيونى ، ونسف هذه المؤامرة الاسرائيلية الاستعمارية المخبولة .. اجتمعوا حول هدف واحد ، هو حماية جزء من الوطن العربى والدفاع عنه بكل الامكانيات رغم كل الاختلافات المظهرية والظاهرية ، مرتفعين بذلك فوق مستوى الاختلاف فى وجهات النظر •• والتقوا عند هدف واحد ، هو رد عدوان اسرائيل •

ولم يحدث ابدا أن غفل الشعب العربى عن مؤامرات الاستعمار والصهيونية والاعيبها ، فكان يقظا ومتنبها دائما الى هذه المؤامرات ، واستطاع أن يوقف كل محاولات التفرقة ومؤامرات الانشقاق .

ومن أوضح دلائل الوحدة المبكرة فى الصف العربى هو وحدة الهدف ، التى تربط الشعب العربى كله اليوم ، كما كانت ـ ولا تزال ـ تربطه منذ الزمان القديم وحدة الآمال والأمانى المشتركة ، والأهداف الواحدة ، والصراع الموحد ضد العدو الخالد ، الاستعمار . ولذلك تساند الشعوب العربية بعضها البعض فى معارك الحرية ضد هذا العدو المشترك .

ولم تتخل الجمهورية العربية المتحدة • ممثلة فى زعيمها وقائدها صانع السلام ـ بحكم وضعها الجغرافى وتاريخها المشترك مع الشعب العربى ـ عن هذا الشعب يوما من الايام . فقد ساندناه وأيدناه فى كفاحه ضد الاستعمار والرجعية ، ولم نزل حتى اليوم ، نمد يد العون لاخوتنا فى العروبة ، فى عدن وفى الجنوب المحتل ، نساعدهم ونشد من أزرهم فى صراعهم ضد هذا الدخيل ، تماما كما وقفنا قبل ذلك بجانب شعب الجزائر وشعب المغرب وشعب تونس وشعب العراق ـ بل وكل الشعوب المتطلعة للحرية والاستقلال ـ ومعركة الشعب اليمنى الشقيق ضد الاستعمار والرجعية ليست بالبعيدة ، فقد ناصرناه وأيدناه بالمال والأرواح والدماء ، جنبا الى جنب مع العدة والسلاح . ولا يزل اخوة لنا هناك ، يلمون الشمل للعودة الى بلادهم ، قلب العروبة النابض ؛ بعد أن أدوا رسالتهم فى الحفاظ على مكاسب الشعب اليمنى الأبى ، التى حققتها له ثورته المجيدة .

وتتدعم هذه الوحدة وتقوى يوما بعد يوم ، وذلك بانفساح الطريق أمام التيارات الفكرية العربية الجديدة التى تلتقى دائما وتمتزج ببعضها على أرض الوطن العربى الكبير وبين أبنائه جميعا ، وذلك ليحدث أثرها المضاد فى محاولات التشتيت والتمزيق الفكرى التى يحاول الاستعمار بثها وفرضها منذ أواخر القرن الماضى ومطلع هذا القرن .

« والجمهورية العربية المتحدة وهى تؤمن بانها جزء من الأمة العربية لا بد لها أن تنقل دعوتها والمبادىء التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى »

وحتما .. ستقود وحدة الهدف ، ووحدة الصف ، الى الأمل العربى الواحد .. الحرية والاشتراكية والوحدة .

القاضي عياض

فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق

فى بلدة سبتة احدى مدن المغرب ولد القاضى عياض اليحصبى السبتى واليحصبى نسبة الى يحصب بن مدرك من حمير والسبتى نسبه الى سبتة ومختطها سبت بن سام ابن نوح عليه السلام أشتق لها اسما من اسمه ودعا لها بالنصر والظفر فما رامها احد بسوء الا رد الله باسه عليه فهو سبتى الدار والمولد يحدثنا عن نفسه فيقول استقر اجداده فى القديم بجهة بسطة من بلاد الاندلس » ثم انتقلوا الى فاس فكان لهم استقرار بالقيروان ، وفى وصف سبتة يقول لسان الدين بن الخطيب ، ومدينة سبتة هى عروس المجلى وثنية الصباح الاجلى ، تبرجت تبرج العقيلة ، ونظرت وجهها من البحر فى المرآة الصقلية ، فكيف لاترغب النفوس فى جوارها ، وتيم

الخواطر بين انجادها واغوارها ، وبعد ان بلغت سمتة منازل العز ؛ وسلمت من شرور الدنيـا واهوالها ، واطلقت فى سمائها نجوما كانت للمردة رجوما ، عدا عليها الزمان بعدوانه ، وسقط شرفيهـا من ايوانه ، واستولى عليها العدو الكافر ، فعظم على اهل الايمان قرحها ؛ واعضل اطباء الملوك الى الآن جرحها ولم يزل بنفوس المؤمنين شجوها وبرحها .

وصف احد الادباء له . وفى وصف عياض يقول ابن خاقان ، جاء على قدر ، وسبق الى نيل المعالى وابتدر ، فاستيقظ لها والناس نيام ، وجلى من المعارف ما اشكل ، واقدم على ما احجم عنه سواه ، فتحلت به للعلوم نحور ، وتجلت له منها نحور ، كانهن اليـاقوت والمرجان ، لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ، فهو صاحب قداح العلوم ومجليا وغرة الايام وتحجيلهـا ، لو ادركه قبس لما قفى للحلم وترا ولا شفعا ، ولو عاصره ابن العاص لما ادعى ضرا ولا نفعا ، حلب الدهر اشطره وتـلا حروفه واسطره ، شيخ المعارف وأمامها ، ومن فى يديه مقودها وزمامها ، لديه تنشد ضوال الاعراب ، وتوجد شوارد اللغات والاعراب ، صاحب وقار وسمت حسن ، وهدى مستحسن وربما تقع منه دعابة كما تقدر من الفضلاء امثاله .

تغربه فى طلب العلم : يقول ابن بشكوال فى صلته ، قدم القاضى عياض الاندلس ، طالبا للعلم فاخذ بقرطبة عن القاضى ابى عبد الله بن حمدين وابى الحسين سراج وعن ابن عتاب واجاز له ابو على الغسانى مارواه ، وعنى بلقاء الشيوخ والاخذ عنهم ، وجمع من الحديث كثيرا وله عناية به واهتمام بجمعه وتقييده وهو من اهل اليقين فى العلم والذكاء واليقظة والفهم ؛ واستقضى ببلده مدة طويلة ، فحمدت سيرته فيها ، ثم تولى عنها الى قضـاء غرناطة فلم يطل مقامه بها ، وسكن بمالقة مدة وتمول بها املاكا .

عبقريته : كان من اعلم الناس بايام العرب وانسابهم واعرفهم بوجوه كلامهم وطرق بيانهم ، رحل الى الاندلس ومنها الى مرسية واخذ عن علمائها فكملت ثقافته وتمت معرفته ، فكان لايدرك شاوه ولا يبلغ مداه فى العناية بضاعة الحديث وتقييد الآثار ؛ وخدمة العلم مع التفنن فى طرقه والتصرف فى معانيه ، الى اضطلاعه بالآداب ، وسبقه فى النظم والنثر ، ومهارته فى الفقه ، ومشاركته فى لغة العرب ، وله مآثر تعقد عليها الخناصر ؛ كتبها الناس عنه وانتفعوا بها وكثر استعمال كل طائفـة لها .

شهرته : كان القاضى عياض جمال العصر ولسـان الدهر ، وينبوع المعرفة ومعدن الافادة ، فاذا عدت رجالات الغرب ، فضلا عن الاندلس حسب فيهم صدرا ، كان معظما للسنة عاملا خاشعا قانتا ؛ قوالا للحق لايخاف فى الله لومة لائم ، حاضر الجواب حاد الذهن متوقد الذكاء جامعا للفنون آخذا منها بالحظ الاوفـر ، وكان بارع الخط المغربى حسن العبارة لطيف الاشارة

سيرة العلماء نبراس هداية : يقول ابو حنيفة رضى الله عنه ، الحكايات عن العلماء احب الى من كثير من الفقه ،لانها آداب القوم ، ويقول الجنيد رضى الله عنه ، الحكايات جند من جنود الله يقـوى الله بها ابدان المريدين ؛ وفى هذا يقول الله تعالى : « وكلا نقص عليك من انباء الرسل مانثبت به فؤادك » فاذا وصف احد بالعلم كان عياض قدوة العلماء ، وعمـدة ارباب المحابر والاقلام ، الذى ذاع صيته فى كل قطر ومصر ، وسارت مآثره مسير الشمس والقمر ، فهو حامل لواء المنثور والمنظوم ، مع يقظة وفهم ؛ وشهرته تغنى عن التعريف به ، ومع ذلك تسابقت الاقـلام وضرب زناد الافهام فى سرد محاسنه وفضائله ، فهو خاتمة اهل العلم بالسنة والانتصار لها ، برز علما وعملا ودراية ورواية ، وجمع خصالا من الفضل فرحـل النـاس الى الاخذ عنه والاستفادة منه

تصانيفه : صنف كتبا يشار اليها بالبنان : منهـا اكمال المعلم فى شرح مسلم ، والشفا فى تعريف حقوق المصطفى ، ابدع فيه كل الابداع وحمله النـاس عنه ، وطارت نسخه شرقا وغربا ، ومشارق الانوار فى تفسير غريب الموطا والبخارى ومسلم ، وضبط الالفاظ وهـو كتاب قيل فيه لو كتب بالذهب ووزن بالجوهر لـكان قليلا فى حقه ؛ والتنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة جمع فيه من غريب ضبط الالفاظ وتحرير المسائل فوق مايوصف ، وترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، والاعلام بحدود قواعد الاسلام ، والالماع فى ضبط الرواية وتقييد السماع ، والعيون الستة فى اخبار سبتة ، وغنية الكاتب وبغية الطالب فى الرسائل والرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد ؛ وازهار الرياض ، وله شعر جيد وديوان خطب رائق .

شيوخه : اخذ عن جلة من الشيوخ كابى الحسـن سراج ، والقاضى ابى عبد الله بن عيسى ، وابى الحسن شريح بن محمد المتوفى سنة ٥٣٩ هـ وابن رشـد ، والصرفى والطرطوشى وابن العـربى ، والبطليموسى والقاضى ابو الوليد بن رشد قاضى الجماعة بقرطبـة وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بها ، والشيخ ابوعبدالله التجيبى القرطبى الشهير بابن الحاج قاضى الجمـاعة بقرطبة ، والقاضى الشهير الحافظ ابو بكر بن العـربى المعافرى الاشبيلى ، والقاضى ابو عبد الله بن حميدين التغلبى ، وابو بكر بن عطيه شيخ العلم وحامل لوائه حافظ الحديث وكوكب سمائه ، والشيخ الامام النحوى الاديب اللغوى ابو محمد البطليموسى ، وابو على الغسانى رئيس المحدثين بقرطبة ؛ والقاضى الشهير الشهيد ابو على الصدفى وهكذا اجتمع له من الشيوخ بين من سـمع منه واجاز له نحو مائة شيخ ، الف فيهم فهرستا سماه الغنية .

علمه وقضاؤه : كان مقدم وقته فى التفسير والحديث والفقه والادب ، والشعر والعلوم ، وله الرحلةفى الاقطار والرياسة فى بلدهفتيا وقضاءوخطيبامجيدا وشاعرا بليغا كامل الاخلاق حليما كريما صلبا فى الحق ، طلب العلم بالمغرب ورحل الى الاندلس ؛ وولى القضاء بقرطبةوسبتة وحمدت سيرته فى ولايته كلها ، ومن الناس من يعتبره راس علماء المغرب فى الاسلام صدق علمه شهرته داخل المغرب فى الاسلام صدق علمه شهرته داخل المغـرب وخارجه .

النهاية : واصابته محنة سياسية فغرب من سبته الى مراكش ، فادركته بها منيته فلفظ بها آخر انفاسه ، ودفن بباب ايلان داخل المدينة وقبره بها مشهور ، وكان ذلك فى جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ وكان مولدهبشعبان سنة ٤٧٦ هـ فتكون مدة عمره ثمان وسـتين سنة ، وهكذا القى عصاهفى وادى العدم ؛ بعدما خلف فى الدنيا علما وفضلا وهداية ورشدا ، فانطفأت شعلة الجسـد وخفت ضوؤها وبقى مصباح الروح ساطعا قويا وهاجا ينير للسالكين طريق النجاة .

دراسات في التاريخ الإسلامي

الفتوح الكبرى في عهد الفاروق عمر بن الخطاب

إتمام فتح الشام وتسليم القدس

الدكتور أحمد ابراهيم الشريف

انتهى القتال النشيط فى جبهة الشام بعد انتصار العرب الحاسم فى اليرموك ، فقد أبيد الجيش البيزنطى الذى بذل هرقل كل الجهد فى اعداده ، وعقد عليه الأمل فى ضرب العرب وطردهم من بلاد الشام ، ولذلك ودع البلاد راحلا يائسا من العودة اليها مرة اخرى . وبسحق الجيش الرومى عادت القوات العربية الى البلاد التى انسحبت منها أمام الحشد الرومى ، فزحف ابو عبيدة شمالا فاستعاد دمشق وحمص وبعلبك وكل المدن الأخرى التي تراجع عنها العرب .. وقد استقبلت الجيوش العربية فى كثير من هذه البلاد استقبالا حافلا بمظاهر الفرح ، معبرة بذلك عن آمالها التى تحققت بخلاصها من الاضطهاد البيزنطى ، وقد أشرنا في مقالنا السابق الى ما كان من خلاف بين الكنيسة الرومية الأرثوذكسية والكنيسة المصرية والشامية اليعقوبية والنسطورية . والحقيقة أن الخلافات المذهبية كانت تمزق الامبراطورية البيزنطية وتؤثر على قوتها تأثيرا خطيرا ، اذ جعلت من اجزائها وحدات ممزقة يتمنى كثير من اجزائها الانفصال عنها والتخلص من ظلمها واضطهادها . وقد حاول هرقل ان يعيد للامبراطورية تماسكها بتوحيدها تحت مذهب واحد فنشا عن ذلك اضطرابات واضطهادات زادت الامبراطورية تفككا . وفى هذه الظروف الداخلية السيئة ووجهت الامبراطورية بالزحف العربى الكاسح فلم تستطع أن تلم شعثها ، بل ان الأجزاء الشرقية التى تعرضت للهجوم العربى كانت اشد الأجزاء تذمرا ورغبة فى التخلص من ظلم الكنيسة الرومية التى تؤيدها الحكومة . وقد انضاف الى ذلك ما قدمت العرب من تسامح وحرية دينية ، بل من انصاف فى المعاملة حتى فى الظروف الحربية التى قد تضطر المحاربين الي التشدد بل والشطط أحيانا ، يذكر المؤرخون أن أهل حمص حين صالحوا العرب فى أول مرة دفعوا لهم الجزية على أن يتولى العرب حمايتهم فان لم يحموهم فلا جزية عليهم ، فلما تقدم جيش هرقل واضطر العرب الى الانسحاب من المدينة رد أبو عبيدة ما تسلمه من الجزية الى اهل حمص معلنا لهم أنه لا حق له فى الجزية ما دام سيجلو عن مدينتهم . ومن أجل ذلك استقبل أهل حمص العرب حين عادوا بعد هزيمة الروم فى اليرموك بالأهازيج والرقص معبرين بذلك عن فرحهم بعودة هؤلاء القوم العادلين فى الحرب وفى السلم عدل الاحرار الشرفاء . ومما يسجله التاريخ كذلك أن العرب لم يفرضوا على أحد من أهل البلاد المفتوحة تغيير ديانته بل انهم اتاحوا للجميع حرية دينية مطلقة ورعوا حق

كل فرد فى تادية شعائر دينه فى حرية تامة تحت حماية الدولة .

وهذا المبدأ الذى سار عليه المسلمون مبدأ جديد على العالم القديم والوسيط فلم تكن الحرية الدينية مكفولة فى أى دولـة من دول العالم القـديم من قبـل وكان الاضطهاد الدينى مظهرا بارزا فى الدولة البيزنطية الأمر الذى فكك أجزاءها وجعلها تموج بالاضطرابات والخلافات الهدامة القاتلة وجعل كثيرا من شـعوبها يقف موقفا سلبيا أمام الغزو العربى ، بدا هذا فى جبهـة الشام وسنراه بعد ذلك اشد وضوحا في مصر حين تقـدم العرب لفتحها . وكان من نتيجة هذا التسامح الديني والعدالة فى المعاملة أن تحولت الشعوب المفتوحة الى الاسلام والى العروبة فلم يمض كبيـر وقت حتى أصبحت الشام ومصر والشمال الافريقى بلادا عربيـة مسلمة ، وما تم فى المغرب تم مثـله فى المشرق حين فتح العرب الامبراطـورية الفارسية وتوغلوا حتى وسـط آسـيا .

لم تكن استجابة مدن الشام كلها سواء فى تقبـل الزحف العربى ، فقد كانت البلاد الســاحلية والمدن الكبيرة متأثرة بالصبغة والثقافة الرومية أكثر من المدن والجهات القريبة من البـاديه والتى كانت تتجه فى ميولها وثقافتها نحو الشرق والتى كانت القبائل العربية قد تسللت اليها منذ أزمان طويلة . فقد قاومت مدينة قنسرين قوات خالد بن الوليد مما اضطره الي فتحها عنوة بعد أن أنزل بالمدافعين عنها هزيمة شديدة . كذلك لقى أبو عبيدة مقاومة من أهل أنطاكية ، وأنطاكية مدينة قديمة كانوا يسمونها ملكة الشرق وكانت تعتبر مع روما والاسكندرية وبيزنطة أعظم مدن العالم القديم ، وكان الأباطرة الرومان العظام من أمثال أوغسطس وطيباريوس وتراجان وأنطونيـوس بايوس وهـدريان قد زانوها بما انشأوا فيها من معابد ومسارح وحمامات وأقنيـة لمياه الشرب ، ولكن الخراب قد لحق بجزء كبير منها أثناء الحروب بين الفرس والـروم . ودخلت قوات أبى عبيدة فى معركة حامية مع القوة المدافعة عن المدينة فى خارج الأسوار ، تلك الغـابات المعروفة بغابات دافنى (غابا تمهروبة) والتى اشـتهرت فى الماضى بجمالهـا وبحفلات الدعارة والفسوق التى كانت تدور فيهـا . واضطرت حامية المدينة أمـام الضربات العربية الى الاحتماء داخـل الأسوار ثم اضطرت أخيـرا الى الاستسلام . وسرعان ما اندفع خالد شمالا حتى وصل الى سفوح جبال مرعش وأورفه وشمشاط بذلك وصل العرب الى الحدود الطبيعية التى تفصـل بين منطقة الشام وآسيا الصغرى . وهكذا اجتـاح العرب كل سوريا حتي جبال الأناضول .

اما الى الجنوب فكانت قيسارية والقدس لا تزالان صامدتين فى وجه العرب . وفى غضـون ذلك أقام العرب لهم معسكرا حربيا فى موقع متوسط هو الجابية . وهى مركز متوسط يستطيع الجيش منه أن يسيطر على كل المنطقة وأن يواجه قوات سريعة الى أى مكان تقوم فيـه ثورة أو يحدث فيه انتقاض . واقامة مثل هذه المواقع العسـكرية التى تقيم فيهـا قوة رئيسـية بعيدة عن الاختلاط بالسكان من ناحية ، وقادرة على السـيطرة التامة على المنطقة كلها من ناحية أخرى ، يدين فيـه العرب الى الخليفة البصير عمر بن الخطاب ، وسنرى كثيرا من هذه المواقع ينشئها العـرب بعد ذلك ، ويتخذون منها عواصم للاقاليم ومراكز لعمليات الجيوش ثم يسمونها أمصارا ، كما حدث في العراق حيث أقاموا مصرى البصرة والكـوفة ، وفى مصر حيث أقامـوا الفسطاط ، وفى أفريقيا حيث أقاموا القيروان .

ولقد كانت فلسطين منذ بداية الحملة على الشام هي المنطقة الخاصة بعمرو بن العـاص وكان فى فترات الأزمات كمعركة اليرموك مثلا ينضم بقواته الى الجيش العربى الرئيسى ولكن عندما يزول الخطر كان يعود الى تلك المنطقة . ولقد شرحنا من قبل خطة العرب التعبوية التى جعلت منهم جيشا لا يقاوم فى المنـاطق المنبسطة لكنهم كانوا يحجمون عن خـوض المعارك فى المناطق الضيقة المحصورة والتى كانوا يرون فيها أنفسهم أقل قدرة من خصومهم . ولهذا السبب ظل عمرو بن العاص يحصر عملياته الحربية فى السهل المنبسـط بين بئر السبع وقيسارية طالما كانت الجيوش البيزنطية القوية موجودة فى الميدان ، الى ما بعد سحق قوات الروم فى اليرموك فقد انتهى أمـر الجيش البيزنطى وأصبح العرب فى حرية ليتحركوا فى المناطق التي كانوا يحجمون عن التحرك فيها ، لهذا ارتقت قوات عمرو جبال القدس (اليهودية) وفرضت حصارها علي مدينة القـدس نفسها ، ولم يبقى هناك أى أمـل فى انقاذ المدينـة وبخاصة بعد أن انسحب هرقل الى ما وراء جبـال طوروس .

وشرع بطريق المدينة صفرنيوس فى الاتصال بعمـرو للمفاوضة فى شروط التسليم ولكنه أصر على أن يكون التسيلم للخليفة عمر بن الخطاب نفسه نظـرا لمكانة المدينة المقدسة . وأبلغ أبو عبيدة الخبر الى الخليفة عمر الذى رأى أنه يجب أن يزور جبهة الشام بنفسه لا لتسليم المدينة فحسب ولـكن لتقرير خطة العمـل ودراسة الموقف فى هذه الجبهة بعد هذا الذى تم .

ورحل عمر الى الشام فى مظهر بالغ غاية التواضع ، فى ملابسه البدوية البسيطة وعلى راحله يعتقبها مـع غلامه . والحقيقة أن عمر كان يمثل طوال خلافته الرجل الذى صرف عقله وقلبه عن الدنيا واتجه بكل امكانياته الى تحقيق المثل العليا وفى الوقت الذى كانت تفيض فيه الدنيا على العرب خيراتها وتمنحهم كنوز الأمم كانت نفس عمر تضطرب خوف مغريات الدنيا وما تجره على نفس الانسان من تهالك وفسـاد وكان يحس احساسا عميقا بانه ما انصرف قوم الي الدنيا الا صرفتهم اليها وأوقعت بأسـهم بينهم . وكان يتمثل الحياة الزاهدة التي عاشها النبى والتى تتبعها من بعـده أبو بكر ، يشهد بذلك قوله حين وردت اليه كنوز كسرى بعد فتح المدائن « اللهم انك منعت هذا رسولك ونبيك ، وكان أحب اليك منى ، وأكرم عليك منى ! ومنعته أبا بكر وكان أحب اليك منى ، وأكرم عليـك منى !. وأعطيتنيه . فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بى ! » لذلك نراه حين يصل الى اذرعات يفزع حين يخرج اليه اهلهـا يستقبلونه بالأهازيج والراقصين بينما تعزف النساء على الدفوف والرقوق ، يقول « امنعوهم » فاذا قال له أبو عبيدة « يا أمير المؤمنين ، هذه سنتهم وانك ان منعتهم منها يرون أن فى نفسك نقضا لعهدهم » . فيقول وفى نفسه ألم « دعوهم » . لكن غيظ عمر وسـخطه على قواده كان أقوى وأشد ، فلقد خرج للقائه أبو عبيدة ويزيد بن أبى سفيان وخالد بن الوليد وهم على ظهور خيولهم تحيط بهم الفرسان وعليهم الحرير والديباج ، فما رآهم حتي نزل عن راحلته يحصبهم بالحجارة ويقول غاضبا « سرعان ما لفتم عن رأيكم .. اياى تستقبلون فى هذا الزى وانما شبعتم منذ سنتين ما أسرع ما ندت

حياة العمر الشهابي

ابن فضل الله العمري

مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية في الجغرافيا والتاريخ والأدب

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

(١٨)

(تتمة مضامين وموضوعات الجزء الأول)

« المسجد الأقصى »

كلمة عامة على الحرم المقدس ، بناء سليمان له ، فتحه في أيام عمر ثم صلاح الدين ، تسليمه للفرنج ثم استنقاذه	١٣٣ - ١٤٠
(وصف الحرم المقدس ومزارته الى سنة ٧٤٣ هـ ، تصنيف خاص به لأحمد بن امين الملك) سماه : « سلسلة المسجد ، في صفة الصخرة والمسجد » الصخرة الشريفة والبناء المحيط بها ، البناء المثمن المحيط بها وطاقاته وشبابيكه ، وصف فني للبناء على الطراز العربي	١٤٠ - ١٤١
وصف السقف ، ارتفاعات القبة الخشب المذهبة من قطبها الى ظاهر الصخرة الشريفة ، صفة الشباك الحديد أبوابه ، أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فيما يقال ، (درقة حمزة مرآة من السبعة معادن)	١٤١ - ١٤٢
المحراب والمغارة ، مقام الخضر ، مقام الخليل ، الباب الشرقي من بناء الصخرة ، بابها الشمالي (باب الجنة) ، الباب الغربي ، الصحن ومساحته ، قبة الميزان ، قبة النجو ، المدرسة المعظمية ، قبة الملك المعظم ، الامام والطلبة احناف بهذه المدرسة ، القرية الموقوفة عليها (بيت لقيا) ، مزولة المدرسة ، قبة للمتصدرين بالحرم المقدس ، خلوتان للفقراء ، درج البراق ، اعمدة القبة ووصفها ، السلسلة المعلقة بين السماء والأرض ، المشاة الموصلة للحرم ، قبة المعراج ، الآبار والصهاريج بصحن الحرم وفي سفله	١٤٣ - ١٥٢

المادة أو الموضوع — صفحة

السور القبلى : مساطبه ومحاريبه ، خزائن القناديل والحوائج ، جامع المغاربة وجامع النساء ... ... ١٥٢ – ١٥٣

السور الشرقى (وفيه مهد عيسى عليه السلام) : مسجد باب الرحمة ، باب الرحمة ، المقبرة خارج هذا السور ، وادى جهنم وما فيه من عجائب المبانى والآثار والنقوش والمعابد القديمة ، وصف الفصول الأربعة بالحرم المقدس . يقول الصاحب تاج الدين أحمد بن أمين الملك : « ولقد مضى على فى مجاورة هذا الحرم الشريف الفصول الأربع ، فرأيت له فى كل فصل محاسن فى غيره لم تجمع ، وهو انه من مبدأ فصل الربيع تبدو فيه من الأزاهر المختلفة الألوان ما يستوقف بحسنه لب الذكى الأروع . وكل أحد ممن له معرفة بالأعشاب يأتى اليه ، ويأخذ من تلك الأزاهر ما على منفعته ومضرته » ... ... ١٥٤ – ١٥٦

السور الشمالى (وفيه عدة أبواب) : باب أسباط ، المدرسة الكريمية ، باب شرف الأنبياء مدرسة آل ملك وخانقاه الاسعردى ، مدرسة الجاولى ... ... ١٥٧ – ١٥٩

السور الغربى : أبوابه ، آثار علاء الدين الأعمى ناظر الحرم (انظر ترجمة حياته فى كتاب نكت الهميان فى نكت العميان للصفدى) ، باب الرباط المنصورى ، مساكن ومجالس وخلوات فى ثخائن الحائط ، باب الحديد ، الباب الحديد ، (وأمامه ممشاة مبلطة يتوصل منها الى سلم لصحن الصخرة الشريفة ، الباب الجديد (استجد فتحه) ، الخلاوى والطهارات والمساكن ، باب الطهارة ، باب السلسلة (وهو باب السحرة) باب حارة المغاربة ، الخلاوى والحواصل تحت الصخرة ... ... ١٦٠ – ١٦٤

قبة سليمان عليه السلام : صفتها ، صخرة سليمان ١٦٥

المجلس الذى بناه سليمان عليه السلام (ويسمى فى عهد ابن فضل الله العمرى : اصطبل سليمان) ، وصفه ، مربط البراق ، (يقال ان البراق ربط فى حلقة فى احدى اسطواناته ليلة الاسراء) ، زيارة ابن فضل الله العمرى له ... ... ١٦٥ – ١٦٧

قبر الخليل ابراهيم عليه السلام ، وما جاوره من قبور بنيه والأزواج : قبر الخليل ابراهيم ، وزوجته سارة ، وابنه اسحاق ١٦٨

زيارة ابن فضل الله العمرى للسرداب الذى فيه قبور الأنبياء ١٦٩

قال ابن فضل الله فى وصف هذا السرداب : « ولقد أتيت الى هذا السرداب ومشيت به زحفا ، لضيقه ، ولتطأطؤ سقفه ، لا يقدر احد على المشى منتصبا به . وهو خطوات يسيرة تنتهى الى فجوة فيها ثلاث نصائب قبور فى حائطه . وهى نحو أربعة أذرع فى مثلها . وهيئة القبور فى قبلة المسجد الآن (عصر ابن فضل الله) قبران : الأيمن قبر اسحاق ، والأيسر قبر زوجته . وفى شماليه مما هو منفصل عن المسجد بقبتين متقابلتين قبران : الأيمن قبر ابراهيم الخليل ، والأيسر قبر سارة زوجته . وفى شمالى الحرم قبة مفردة مسامتة لقبة الخليل ، وفيها قبر يقال انه قبر يعقوب . ولا شك ولا ريب أن ابراهيم (صلوات الله عليه) ومن ذكر معه مدفونون داخل هذا المسور . وأما تعيين موضع القبر ، فالله أعلم » ١٦٩

انكشاف قبور الأنبياء (صلوات الله عليهم) فى أيام احتلال الصليبيين لبلد الخليل فى زمان برد ويل الملك ، كما ذكر على بن أبى بكر الهروى ، عن جماعة من مشايخ بلد الخليل ١٧٠

قبر يوسف عليه السلام ، وسبب وجوده خارج الحرم ١٧٠

زخرفة الحرم الخليلى وضيافاته . قال ابن فضل الله : « وهذا الحرم مؤزر جدره بالرخام الملون والمذهب . وعليه أوقاف جليلة . ويمد فيه كل يوم بعد العصر سماط ويفرق فيه من الخبز على الواردين بحسبهم على قدر كفايتهم » ١٧٠

زيارة ابن فضل الله العمرى لقبر ابراهيم الخليل (صلوات الله عليه وسلم) فى ذى الحجة سنة ٧٤٥ هـ وقال : « أخبرنى جماعة المباشرين أن فى بعض ليالى العشر من هذا الشهر فى هذه السنة فرقوا زيادة على ثلاثة عشر ألف رغيف ، وأن غالب أيام العام

ما بين السبعة آلاف والعشرة آلاف . ويغرق أيضا مع الخبز طعام العدس بالزيت الطيب والسماق . وفى بكرة النهار يطبخ أيضا قدر من الدشيش ، ويغرق على الواردين . وفى بعض أيام الأسبوع ، يطبخ ما هو أفخر من ذلك ... ... ١٧٠ - ١٧١

قمح الضيافة وأهراؤه ١٧١

تفريغ القمح فى الأهراء واخراجه خبزا مخبوزا ، ولم يزل على هـذا مدى الشهور والأعوام والليالى والأيام ، لا ينقطع له مدد ، ولا يحصر بضبط ولا عدد ١٧١

زيادة ملوك الاسلام فيه ١٧١

قصائد لابن فضل الله العمرى فى مدح ابراهيم الخليل (صلوات الله عليه وسلم) ، منها :

هو ذا صـاحب السـماط ولكن
صـاحب الحوض نجـله وذووه !

ذو فنــاء يقـرى به كل ضـيف
لم يخيب تحت الدجى طارقـــوه !

منعم ســيد جـواد كـريم ، ١٧١
منــذ مدوا ســـماطه ما طووه

قصيدته حين زاره فى ذى الحجة سنة خمس وأربعين وسـبعمائة عند الوداع فى هـذه السنة :

هـــذا الخليـل وهـذه أبنـاؤه !
يكفيك بعـــد فراقـه أبنــاؤه !

هيهـــات لا توفى أقل حقـــوقه
ولو ان جفنــك لا يجف بــكاؤه !

فامســـك فؤادك ان ملكت عنـانه !
هيهــات قد طــارت به اهواؤه !

وتعـــز عن أهـل الكئيب وانمـا
ومن أين للصب الكئيب عـزاؤه ! ١٧٢

تفصيل ابن فضل الله العمرى لزيارته ووصفها ... ... ١٧٢ - ١٧٣

استحضار ابن فضل الله العمرى نسخة الاقطاع النبوى لتميم الدارى بعد التماسه من الصاحب ناصر الدين ابى عبد الله محمد بن الخليلى التميمى الدارى ، وهو بقية هـذا البيت الجليل ، والمنتهى اليه النظر على وقف سيدنا محمـد (صلى الله عليه وسلم) وبلد أبيه ابراهيم الخليل ١٧٣

وصف ابن فضل الله العمرى لنسخة الكتاب النبوى الشريف المكتتب به لتميم الدارى واخوته اذ يقول :

« والتمسنا منه (الصاحب ناصر الدين) احضار الكتاب الشريف النبوى المكتتب لهم بهذه النطية ـ أى العطية بلغة اليمن ، وذلك اشارة الى اقطاع تميم الدارى الصحابى ـ والمشرف لهم به على سائر البرية ، فانعم باجابة الملتمس ، وجاء به أقرب من رجع النفس ، وهو فى خرقة سوداء من ملحم قطن وحرير ، من كم الحسن أبى محمد المستضيء بالله أمير المؤمنين ، وبطانتهـا من كتان أبيض ، جعل ضمن أكياس يضمها صندوق من ابنوس يلف فى خرقة من حرير . والكتاب الشريف خرقة من خف من أدم ، أظنها من ظهر القدم . وقد موه سواد الجلد على الخط ، لا أنه أذهبه ، وما أخفى من يد كاتبه المشرفة ما كتبه . وهو بالخط الكوفى المليح القوى . فقبلنا تلك الآثار ، وتمتعنا منه بمدد الانوار . ومعه ورقة كتبها المستضيء بنصه شاهدة لهم بمضمونه ، ومزيلة لشك الشاك المريب وظنونه : ومضمون ما كتب كهيئته وسطوره :

« نسخة كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتبه »
« لتميم الدارى واخوته فى سنة تسع من الهجرة بعد منصرفه »
« من غزوة تبوك فى قطعة أدم من خف أمين المؤمنين على وبخطه »

« نسخته كهيئته »

صفحة « بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا ما انطى محمد رسول الله لتميم »
« الدارى واخوته حبرون والمرطوم »

« وبيت عينون وبيت ابراهيم وما فيهن »
« نطية بت بذمتهم ونفذت وسلمت ذلك لهم »
« ولاعقابهم فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم »
« لعنة الله شهد عتيق بن ابو قحافة وعمر بن »
« الخطاب وعثمان بن عفان وكتب على بن »

« بو طالب وشهد »

هذه نسخة الكتاب الشريف .
و « أبو قحافة » ألف وباء واو ـ ثم « قحافة » ـ و « بو طالب » باء وواو ـ ثم « طالب » . وليس فى « بو » ألف . بين ذلك ليعرف . و « كتب » فى ذكر على رضى الله عنه مقدمة ، و « شهد » مؤخرة ، بين ذلك ايضا ليعرف .

نقل هذه النسخة من خط الخليفة المستضىء

وقد رايت ذلك كله بعينى ، ومن خط المستضىء ، نقلت ، وهو خطه المعروف المالوف . وقد رايته وأعرفه معرفة لا اشك فيها ولا ارتاب . وقرأته من الكتاب النبوى نفسه . وهو موافق لما كتبه المستضىء ، نقلا منه . على أن آثاره كادت تنعفى ، وتحتجب عن الناس لفساد الزمان وتتخفى ... ... ١٧٤ - ١٧٥

تعليق المرحوم زكى باشا :

كتب استاذنا العالم الباحث المحقق المدقق المرحوم احمد زكى باشا تعليقا على هذه العبارة ، يقول ـ رحمه الله وأسكنه فسح جناته ـ :
وقد راى كثير من الناس هذا الكتاب الشريف قبل ابن فضل الله . فمن ذلك ما رواه صلاح الدين الصفدى « فى ورقتى ٢٧ و٢٨ من الجزء ٤٨ من تذكرته ، وهذا الجزء مخطوط ومحفوظ بدار الكتب الخديوية . وهذا نص ما فيه :
قال الفقيه القاضى أبو بكر العربى المعافرى ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتاب القبس له : « وقد كان عند أولاد تميم الدارى ـ رضى الله عنه ـ بحبرون بدمشق ، قرية ابراهيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قطعة من أديم : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أقطع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تميما الدارى . أقطعه قريتى حبرون وعينون قريتى ابراهيم الخليل . بسير فيهما بسيرته ، وكتب على بن ابى طالب ، وشهد فلان وفلان » فبقيتا فى يده يسير بسيرته ، وشاهد الناس كتابه الى أن دخلت الروم سنة ستين ـ لعلها ست وتسعين ـ ولقد اعترضه فيهما بعض الولاة بان يزيلهما من يده ابان كونى بالشام . فحضر مجلسه القاضى حامد الهروى . وكان حنفيا فى الظاهر ، ومعتزليا فى الباطن ، ملحدا شيعيا ، وكان الوالى سمكان بن ارتبك « أزبك ؟ » . فاستظهر أولاد تميم بكتاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال القاضى حامد : هذا الكتاب لا يلزم ، لأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقطع ما لا يملك . فاستفتى الفقهاء ، فقال الطوسى ـ وكان بها حينئذ ـ :
هذا كافر ، والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقطع الجنة ويقول : قصر عمر ، قصر فلان ، فكيف لا يقطع فى الدنيا ؟!
وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « زويت لى الأرض .. الحديث » فوعده صدق ، وكتابه حق . فخزى القاضى والوالى ، وبقى أولاد تميم بكتابهم » .
ومما يدل على وجود هذا الكتاب الى ما بعد ابن فضل الله بثلاثة أرباع القرن أن القلقشندى صاحب « صبح الأعشى » كتب فصلا طويلا على هذا الاقطاع وعلى الكتاب النبوى الكريم . وذكر فى آخره ما نصه :
« وهذه الرقعة التى كتب بها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ موجودة بايدى التميميين خدام حرم الخليل ـ عليه السلام ـ الى الآن (عصر القلقشندى) ، وكلما نازعهم احد ، أتوا بها الى السلطان بالديار المصرية ليقف عليها ويكف عنهم من يظلمهم . وقد أخبرنى برؤيتها غير واحد . والأديم التى هى فيه قد خلق لطول الأمد » .
(انظر صبح الأعشى ج ٧ ص ٢٩ من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بخزانتى) . وذلك يدل على أن الكتاب النبوى كان موجودا الى سنة ٨٢١ هجرية .. ا هـ .

عود الى كلام ابن فضل الله : ١٧٥

وكان التبرك برؤية ذلك على ظهر القبر الصغير الشمالى ، فى الحرم الخليلى الملاصق لقبر زوج يعقوب – عليه السلام – المفضى منه الى المأذنة بحضرة مخزن العدس ... ...

رؤية ابن فضل الله العمرى لهذا الكتاب الشريف سنة ٧٢٩ هـ ١٧٥

وقد كنت رأيت ذلك مرة متقدمة بالحصن مسكن بنى الخليلى ، بظاهر البلد ، لما أتيت زائرا بعد العود من الحج على الدرب المصرى فى المحرم سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . ولكنى اذ ذاك لم أنقله ... ...

قبر يونس بن متى – عليه السلام – بقرية حلحول على يسار الذاهب من القدس الى بلد الخليل – عليه السلام – وزيارة ابن فضل الله العمرى له مرات آخرها سنة ٧٤٥ هجرية ١٧٦

قبر موسى بن عمران الكليم – عليه السلام بالقرب من أريحاء . وتعرف القرية بشيحان ... ١٧٦

رواية فى تحقيق موضعه ، ومنام عجيب ١٧٦

« للترجمة بقية »

بقية مقال « فى التاريخ الاسلامى »

بكم البطنة والله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم » وقال القادة فى خوف وخجل « ياأمير المؤمنين أيها بلامة – أى فى الظاهر – وأن علينا السلاح » ورضى عمرو أن كانت الأيام ما لبست بعد عمر أن حققت صدق مخاوفه .

وجاء وفد يمثل بطريق القدس للقاء عمر فى الجابين وسرعان ما تم عقد الصلح وتسليم المدينة .. وكما جاء عمر رحل من الجابيه الى المدينة المقدسة فى بساطته رافضا كل ما حاول به قواده من اغرائه لتغيير مظهره البسيط . وقد أجاد حافظ ابراهيم فى تصويره لهذا المشهد العمرى اذ يقول :

ماذا رأيت بباب الشام حين رأوا
أن يلبسوك من الأثواب زاهيها
ويركبوك على البرذون تقدمه
خيل مطهمة تحلو مرائيها
مشى فهملج مختالا براكبه
وفى البراذين ما تزهى بعاليها
فصحت يا قوم كاد الزهو يقتلنى
وداخلتنى حال لست أدريها

ردوا ركابى ، فلا أبغى به بدلا
ردوا ثيابى ، فحسبى اليوم باليها

وحين دخل عمر كنيسة القيامة ، وأخذ يتجول فى أرجائها ، حان وقت صلاة الظهر ، وأراد أحد رجاله أن ينشر فراشا للصلاة ، منعه عمر ، ورد على البطريرك الذى دعاه للصلاة داخل الكنيسة متوددا ، « لو صليت هنا لأخذ المسلمون الكنيسة من بعدى وحولوها مسجدا وقالوا هنا صلى عمر بن الخطاب » ثم صلى على درجة باب الكنيسة ، وكتب للبطريرك كتابا : ألا يجمع على الدرجة للصلاة ولا يؤذن عليها . ثم طلب اليه أن يريه مكانا يبنى عليه مسجدا ، فأراه مكان الصخرة فأمر فبنى مسجد الصخرة .

وفى زيارة عمر الى الشام رسم السياسة العامة لادارة المناطق التى تم احتلالها ، ثم رسم مع قواده خطة العمل لحمايتها ، فتقرر فى هذا المؤتمر العسكرى (مؤتمر الجابية) أن تسير القوات العربية لحماية جناح الشام الشمالى فتفتح الجزيرة ، وجناحه الجنوبى فتفتح مصر وبذلك يزول كل تهديد رومى . وهكذا تم فتح بلاد الشام كلها ومنذ ذلك الوقت أصبحت معقلا من معاقل العروبة والاسلام .

أضواء على التاريخ الاسلامي

تطورات الدعوة الإسلامية في الهند

الأستاذ

محيي الدين الالوائي

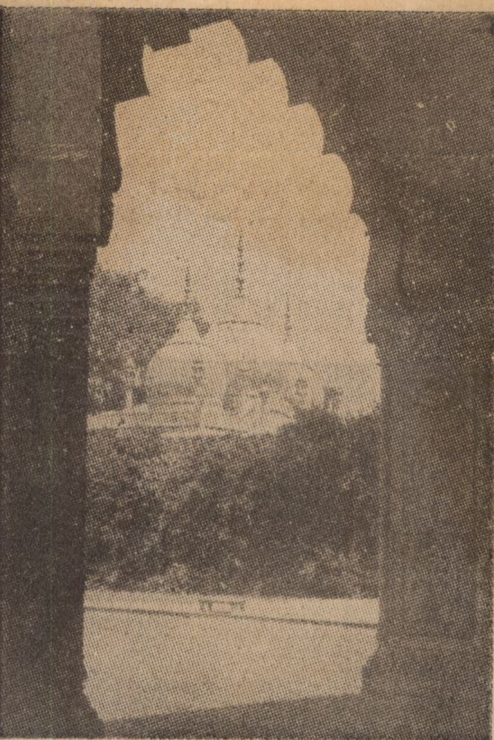

« ٦ »

اشرنا فى المقال الماضى الى قيام ثلاثة من المدارس الفكرية فى البلاد الهندية ، واستهدف كل منها الى النهضة الدينية والتعليمية فى ربوعها ٠ وكانت هذه المدارس الفكرية الثلاث - ان صح هذا التعبير - بمثابة المراكز العلمية لنشر العلوم الاسلامية واللغة العربية بين المسلمين فى القارة الهندية ؛ وخرجت هذه المراكز رجالا بارزين مسلحين بقدر واف من المعارف والعلوم فقاموا بحمل لواء الدعوة الاسلامية فى تلك البقاع ، وعملوا لاعادة الشجاعة الفكرية الى قلوب المسلمين بعد ان اعتراها الفتور والضعف واليأس لسبب اضطهاد الاستعمار الانجليزى ، وتصرفات علماء السوء واعمال ضعاف النفوس الذين لايثبتون فى أوقات المحن ، ولا يجاهدون فى سبيل الله حق جهاده ٠ ولما حدثت الثورة الهندية الكبرى فى سنة ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٧ بأيدى العناصر الوطنية المتحمسة فى الجيش الهندى للقضاء على سلطة الانجليز فى البلاد ، وامتصاصهم لدماء الشعب ؛ نهض المسلمون فى طليعة الثوار لمكافحة الحكم الاجنبى ، فقد بلغ اضطهاد الحكومة الانجليزية للوطنيين اشده ولاسيما المسلمون منهم ، لانهم كانوا فى مقدمة المناضلين لاجل تحرير الوطن ، كما انهم كانوا حكام هذه البلاد قبل حكم الانجليز الغاشم ٠ ومن الاساليب التى استعملوها ضد المسلمين ايجاد الفتن وبث بذور الشقاق فى صفوف المسلمين انفسهم ؛ ثم بينهم وبين اخوانهم المواطنين من الطوائف الاخرى ؛ وكذلك ابعادهم عن المراكز العلمية الهامة ومنابع الاشعاع الثقافى العام ٠ ولما اشتدت وطأتهم بمستقبل المسلمين ، ومحاولتهم للقضاء على كيانهم الخاص قام جماعة من المفكرين المصلحين بعزم وحزم لانتشال المسلمين من هذه الهوة ، وسد الثلمة التى حدثت فى حياتهم الدينية والسياسية ٠

ومن الذين نهضوا بهذه المهمة الخطيرة ، من آثروا فتح المعاهد الدينية الحرة ؛ وتعميم التعليم الدينى المجانى فى المدن والقرى ، بحيث لايكون للحكومة الاستعمارية أى اشراف ولا رقابة فيها ، لانهم رأوا فى الحكومة الانجليزية اضطهادا للشئون الاسلامية ، والحركات الوطنية ؛ ودعاية للمدنية الغربية ٠ وكان فيهم أيضا من دعا الى ضرورة نشر التعليم العصرى بين المسليمن والاقتطاف من ثمراته ، والجمع بين العلوم الدينية والعصرية - على حد تعبيرهم - وفى مقدمة هؤلاء المصلحين ، السيد احمد خان ، الذى دعا المسلمين الهنود الى الاقبال على التعليم العصرى بجانب التعليم الدينى ؛ فأسس كلية كبيرة فى مدينة عليكرة فى عام ١٢٩٣ هـ وهى التى اصبحت الآن جامعة عليكرة الاسلامية الشهيرة فى شبه القارة الهندية ٠ وصارت جامعة عليكرة مركزا للاشعاع الفكرى المزدوج بين الثقافة الاسلامية والثقافة الغربية ، وفى ظل هذا المعهد الثقافى العالى نشأت مدرسة فكرية جديدة فى الهند ، ولم يسبق لها مثيل فى تاريخنا المديد ٠

يعض المخطوطات العربية النادرة فى مكتبه اكاديميه شبلى الاسلاميه فى مدينه اعظم كرة بالهند

وكان لحوادث الثورة الكبرى المضادة للانجليز اثران فى قلوب المصلحين المسلمين ، فبينما افتى جماعة منهم بوجوب مشاركة المسلين فى الثورة نظرا لسياسة الحكومة الاستعمارية القائمة على اضطهاد المسلمين ؛ ونشر الحضارة الغربية فى البلاد بجميع الوسائل ، راى بعضهم انه من المستحسن القيام بازالة سوء التفاهم الذى وقع فى قلوب رجال الحكومة تجاه المسلمين . وللتقريب بين وجهة نظر الطرفين ، واختاروا لذلك سبيل نشر الثقافة المزدوجة من الغربية والشرقية ومحاكاة الانجليز - الى حد ما - فى طرق المعيشة ؛ وكان السيد احمد خان واضرابه من اوائل المؤيدين لهذا الراى .

ولا يمكن لاحد ان ينكر ما لهذا الرجل من فضل على النهضة التعليمية المتوثبة فى المجتمع الاسلامى فى الهند . بواسطة تلك الجامعة التى اسس بنيانها . وثبت كيانها ، وارسى قواعدها اذ كان المسلمون حيارى بين الصراعين الفكريين المتطرفين ؛ فصراع يجذبهم الى النظام التعليمى الغربى الخالص ، وآخر يجرهم الى المنهاج التعليمى العقيم المتبع فى المدارس الهندية القديمة . وعلى رغم العيوب التى يصبها عليه ناقدوه جزافا . والتهم التى يوجهها اليه معارضوه فى مبادئه وفلسفته وآرائه ، وفى طرق اصلاحاته ومناهجه ، فله يد طولى فى تثقيف الامة الاسلامية وتنويرها .

ومن ضمن القائلين بوجوب مقاومة الحكومة البريطانية والمشاركة فى الثورة ضدها : ومقاطعة معاهدها ومدارسها

حلقة دراسية حسب النظام القديم فى المدرسة العربية الاسلامية « بديوبند »

جمع غفير من الشيوخ والعلماء ، ودعوا الى نشر التعليم الدينى على المنهج القديم الذى ورثوه عن شيوخهم جيلا بعد جيل • وراعوا فى ذلك نظام التدريس والالقاء والاملاء والسماع المتبع لدى السلف الصالح • وأول مدرسة دينية أتت الى حيز الوجود من هذا الطراز هى « دار العلوم » فى « ديوبند » • وقد أصبحت الآن هذه المدرسة من أشهر المعاهد الدينية فى الهند • ويأتى اليها الطلاب من شتى بلدان آسيا وأفريقيا ؛ والدراسة والاقامة فيها بالمجان ، فضلا عن أنها تنفق على مئات الطلبة الغرباء • ولعلمائها صفحات مجيدة فى الكفاح الوطنى ؛ ونشر الدعوة الاسلامية فى ربوع البلاد •

وجدير بالذكر ان معظم الزعماء المسلمين السياسيين فى شبه القارة الهندية قد تلقوا علومهم فى جامعة عليكرة ، وتشربت قلوبهم بروح الكفاح فى سبيل الاسلام والوطن والامة ، وساهموا مساهمة فعالة فى تحرير الوطن من الحكم الانجليزى الغاشم •

وكان من جراء الاختلاف فى وجهة نظر هاتين المؤسستين التعليميتين ـ ديوبند ، وعليكرة ان نشأت فى الهند مدرستان فكريتان ، مدرسة تحافظ على منهاج التعليم القديم ؛ وتقفل ابوابها امام الافكار العصرية التى وردت فى طى الاعاصير الغربية وأنظمة التعليم الحديثة ، وتتبع هذه المدرسة الفكرية مئات من دور العلم ومعاهده فى مختلف مدن الهند وقراها • فكما نرى بعض مواطن النقص ومواضع الخلل فى المناهج التعليمية القديمة المتبعة فى هذه المدارس الدينية ، نجد فى مناهج أصحاب المدرسة الفكرية الاولى ميولا متدفقة الى

القاعة الرئيسية بجامعة عليكرة الاسلامية بالهند

النظم الاوروبية المتطرفة ، وان ابوابها مفتوحه على مصاريعها أمام الافكار الاجنبية الطائشة ، فربما لا يتفق هذا وذاك مع طبيعة الروح الاسلامية البعيدة عن مظاهر التقاليد الانجليزية الجوفاء ؛ وحضارة الغرب الفاتنة . لان الدعوة الاسلامية حركة قوية علمية بعيدة عن النظريات الحديثة الملفقة ، وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ولا قيمة فى دائرتها للفوارق اللغوية والعنصرية والجغرافية ، وليس فيها غموض ولا تعقيد ، وتدعو الى الاخوة والمساواة ؛ تعارض التفرقة بين انسان أخيه الانسان ، وليس فيها اجبار ولا اكراه . « لا اكراه فى الدين . قد تبين الرشد من الغى » .

ولا تزال هاتان المدرستان الفكريتان تقومان بخدمات جليلة لمسلمى الهند ، وتسيران بهم الى مدارج العلم والثقافة ، مع اختلاف وسائلهما ؛ ونظم المناهج التعليمية لدى اصحابهما ، والمعاهد التى تتبع طريقة كل منهما . ولكل منهما وزن فى ميزان الخدمات العلمية فى شبه القارة الهندية . والى جانب هاتين المدرستين الرئيسيتين ، نشأت فى البلاد مدرسة ثالثة

مبنى المعهد الاسلامى « مظاهر العلوم » بمدينة « سهارنبور »

تبذل جهودها فى سبيل نشر العلوم الاسلامية واللغة العربية فى أنحاء البلاد ، كما هى تشارك في شتى ميادين النشاط الفكرى الاسلامى بوجه عام .

واتت هذه المدرسة الفكرية بعد مضى حوالى ربع قرن من الزمن على مدرستى عليكرة وديوبند ؛ اذ اسست « دار العلوم » التابعة لندوة العلماء ، فى مدينة « لكهنو » فى شمالى الهند وذلك فى عام ١٣١١ هـ . ومن ميزات دار العلوم هذه ادراج الكتب الحديثة واللغات الاجنبية فى مقرراتها الدراسية ، الى جانب منهج قويم من العلوم الاسلامية والآداب العربية . وتبعتها معاهد عديدة فى مختلف أنحاء البلاد ، سواء فى منهاجها التعليمية ، أو نظمها الدراسية ؛ فبينما تهتم « ديوبند » بالكتب العلمية القديمة ، تهتم « ندوة العلماء » بالكتب العلمية الحديثة . ويقال ان خريجى الاولى يمتازون بتمكنهم فى الفقه الاسلامى وعلم الحديث ويمتاز خريجو الاخرى بتمكينهم فى التاريخ والادب العربى .

وكما راينا اختلافا فى وجهة نظر « ديوبند ، وعليكرة » واهدافهما وأفكارهما ونظم التعليم فيهما ؛ نرى فرقا فى آراء مدرستى « ديوبندولكهنو » الفكرتين فى ميادين النظم التعليمية ، والآراء المذهبية ، مع أن كلا منهما يتوق الى الخدمات الدينية والعلمية ، وانشاء المجتمع الاسلامى المتدين . وأنجب كل منهما رجالا فى حقول الدين والعلم والاصلاح . ولا يتم تاريخ الحركة الاسلامية فى القارة الهندية فى القرن الاخير الا من الاشارة :ن خدمات هذه المدارس الفكرية الثلاثوتوابعها وتسجيل جلائل اعمالها فى صفحات من النور . وهى التى تطورت بها الدعوة الاسلامية فى الهند ، واخذت بيدها الى مدارج الرقى والنهوض ؛ وفتحت آفاقا جديدة فى سبيل الدين والعلم والخلق فى تلك البقاع الشاسعة . وكما ان لها فضلا مشتركا فى ربط الهند ، ولا سيما الهند الاسلامية . بالعالم العربى والاسلامى وفى توثيق عرى الروابط الودية مع تلك الاقطار النائية

« يتبع »

القيم في الثورة العربية

الاستاذة

سهيلة الريماوي

ان كل بحث جاد فى « القيم » ، يؤكدها ويجددها ، هو بحث ثورى .

وكل ثورة تكون جـديرة باسمها ، كثورة ، الى المدى الذى تؤكد « القيم » وتجددها .

« فالقيم » و « الثـورة » فى مجالى النظرية والتطبيق يتفاعلان تفاعلا حيا لاعادة صنع الحياة تقدما وحضارة .

ان « القيم » كلمة كثيرا ما تحاط بهـالات من الغموض ، لابد وأن تجلى ، سيما وأننا ، فى هذه المرحلة من عمر الثورة العربية ، نواجه ، بصورة مباشرة ، او بصورة غير مباشرة ، صراعا شاملا حول تحديد « القيم » التى تستهدف الثورة العربية تحقيقها ، وحول انعكاس الايمان بهذه « القيم » على العمل الثورى العـربى فى اشكاله ومضامينه ومناهجه .

ان عبارة « القيم » تنصرف الى « حاجات » او « علاقات » أو « مثل » ، أثبت تاريخ الانسان الحضارى أنها تحرك ارادة الانسان وفعاليته طلبا لها . فيتحقق ببلوغها صلاح الانسان وسعادته فى مجتمعه ، ويتوفر بها « تحقيق ذاته » بصـورة متطورة تطورا او تغيرا تقدميين .

ومعنى هذا ، أن « الحاجات والعلاقات والمثل » ترتفع الى صعيد القيم من حيث كونها تنبع من مقومات انسانية الانسان وعن ضرورات وجوده الاجتمـاعى ، وتقدمه الحياتى الحضارى .

وغير عسير ان ندرك ، فى ضـوء ماتقـدم . ان « القيم» ، ، على تعددها وتطورها ، لا تقوم او تنشا الا بالانسان .. فهى طبيعة منشئها قيم انسانية .

وغير عسير ان ندرك ، ايضا ، أن القيم هى فى الوقت نفسه « اجتمـاعية » ذلك ان الوجود الانسانى الحق هو وجود اجتماعى .. فلا تنشأ القيم او تقـوم الا فى المجتمع ، لأن الانسان لا يوجد وجودا حيا الا فى مجتمعه وبه .

وقد تختلف « الحاجات والعلاقات والمثل » التى تكون القيم السائدة من مجتمع الى آخر ، ومن عصر الى عصر ، تبعا لعوامل متعددة اهمها العلاقات الانتاجية التى يقوم عليها هذا المجمع ، والعقاندية السائدة فيه . وهما وجها الوجود الاجتماعى اللذان يتفاعلان بصورة جدليه ليقرر الواقع الاجتماعى فى شكله ومضمونه .

وفى ضوء هذا التقديم الموجز فى مدلول عبارة « القيم » وفى منبعها الانسانى الاجتماعى ، وتطـورها التاريخى الحضارى ، يمكننا ان نصنف القيم بصورة عامة الى صنفين رئيسيين :

١ ـ القيم المادية .

٢ ـ القيم المعنوية أو الروحية .

وكلاهما ـ القيم المادية ، والقيم الروحية ـ أساسية وأولية للانسان ، لانه بطبيعته كائن حى يعطى الاشياء « قيمتها » من حيث أنها توفر له مقومات الحيـاة ، فتكون قيما مادية ، أو توفر له مضمون الحياة وغاياتها ، فتكون قيما روحية .

أما القيم المادية الأسـاسية فتتركز فى حصـول الانسان ، بصورة كريمة ومضمونة ، على مقومات وجوده الحى .. من ماكل وملبس وغذاء ودواء .. الخ .

وهى قيم متطورة نامية بتقدم الانســـان ، ونمو حاجاته المادية .

ومن السقم والتنكر للحياة والواقع ، انكار أهمية توفير هذه الحاجات للانسان ، اى إنكار كونها قيمـا حياتيه أساسية تحرك ارادة الانسان وتدفعه للعمل من أجل الحصول عليها وضمانها .

فكل اتجاه لانكار هذه القيم أو التنـكر لها ، أو وضعها فى مكان ثانوى بالنسبة للحياة والانسان ، انما يتبلور فى تيار معاكس لمنطق الحياة والانسان فتهزمه الحياة ويسقطه الانسان .

بل اننا بشىء من التحليل التاريخى العميق ، نجد أن الدعوات والتيارات والنظم ، التى تقلل من شأن هذه القيم المادية ، ومن أثرها على المجتمع وفى حركة التاريخ ، انما هى ، فى الواقع ، دعـوات وتيارات ونظم ، تتولاها الطبقات المستغلة التى لا تؤمن بغير القيم المادية ، فتحققها لنفسها على حساب المجتمع وقواه العاملة وتسـعى فى الوقت ذاته لكى تخفى حقيقتها الطبقية المادية الاستغلالية البشعة ، وتحاول أن تضلل جماهير الشعوب التى تعانى الاستغلال المادى بؤسا وتخلفا ماديين وظلما وكبتا معنويين روحيين .

وأما القيم الروحية ، فهى القيم التى تنبـع من أن الانسان ليس كائنا حيا يتطلب وجوده توفير المقومات المادية فحسب ، وانما هو كائن حى يتميز عن غيره من الكائنات بانه ذو عقل وقلب وارادة ، حياته الانسانية أكثر من مجرد بقائه الحيوانى ، فهو يعطى للحياة معنى ، ويطلب لها هدفا ، فيصنع الحياة وهو يتطلع بالمعانى والاهداف الى مابعد حياته .

اليس الانسان هو الكائن الحى الوحيد الذى يضحى منه الفرد من أجل مجتمع ، والجيل القائم من أجل أجيال ستاتى ؟ وتبلغ التضحية ، احيانا ، الاستشهاد الذى يقدم به « الانسان ، حياته ، راضيا ، فى سبيل « قيمه » معنوية روحية تتجسم فى « مثل أعلى » يؤمن به ؟ » .

واذا كان سلم القيم المعنوية والروحية ، سلما مدرجا وطويلا ، فمما لا شك فيه أن قيمتى : الحرية والمساواة ، تقفان من هذا السلم فى القمة سواء أكانت الحرية هى حرية الفرد أو الأمة ، أو كانت المساواة هى المساواة بين الانسان والانسان فى الأمة الواحدة ، أو بين الأمة والأمة فى الأسرة الانسانية .

ولعل نضال الانسان تحت لواء الحرية ، وتحت علم المساواة - تأكيدا لهاتين القيمتين ، وطلبا لتحقيقهما هو عامل يرجح على غيره من عوامل دفع التاريخ وحركته فى أكثر عصوره ، وبصفة خاصة فى هذا العصر .

فتحت أعلام الحرية ومن أجل المسـاواة ، عرف التاريخ مواكب طـويلة من مواكب الشهداء ، وسجل صفحات مشرقة من نضال الانسان ، وهو لا يزال حتى اليوم ، يشهد هذه المواكب ويسجل هذه الصفحات .

فكل اتجاه لأفكار هذه القيم أو التنكر لها أيضا ، أو وضعها فى مكان ثانوى بالنسبة للحياة والانسان ، انما يتبلور فى تيار معاكس لمنطق الحيـاة والانسان فهزمه الحياة ويسقطه الانسان .

ويثبت التاريخ ، من خـلال التجارب الاجتماعية الثورية التى شهدها فى العصر الحاضر ، أن كل اتجاه أو تيار مادى بحت ،يحاول اعادة صنع الحياة الانسانية الاجتماعية ليوفر لجماهير الشعب القيم المادية الحياتية بغير اعتراف بالقيم المعنوية الروحية كقيم أولية غير مشتقة ، انما هو اتجاه أو تيـار واجه مقاومة من « الانسان » فاضطر للتراجع الصريح المعلن ، أو للتراجع الضمنى غير المعلن عن نهجه المادى البحت .

ان تفاعل القيم المادية ، والقيم المعنوية والروحية ، فى حياة الانسان فى مجتمعه عبر تاريخه تفاعلا جدليا محركا للحياة ، ودافعا لمسيرة التاريخ على طريق التقدم والحضارة .. هو السـنة الكبرى لتقييم الانسان والمجتمع ، ولفهم التاريخ وادراك منطقه .

من هنـا : فان النظام الاجتماعى بكل أبعاده الاقتصادية والسياسية انما يحقق ويحمى فى كل مجتمع وعصر ، قيما مادية ومعنوية روحية معينة .

ومن هنا أيضا : فان الثورات عبر التاريخ هى محاولات الانسان فى مجتمعه ان يقيم نظما جديدة على انقاض نظم قديمة تاكيدا وتجديدا لقيم مادية ومعنوية روحية ، يعجز النظام القديم عن توفيرها وصيانتها .

والثورة العربية التى تنطلق فى هذا العصر - عصر الذرة والفضاء - وعصر انتصار الاشتراكية ، واستقراء العبر والدروس النابعة من التجارب الاشتراكية المتطورة المتعاظمة فى هذا العصر - هذه الثورة تجسم بالنظرية والهدف والمناهج ، تاكيدا وتجديدا للقيم المادية والمعنوية الروحية ولتفاعلها المتبـادل . وهما تأكيدا وتجديدا للقيم يبدوان ويتركزان فى الحل « القومى الاشتراكى الديموقراطى » الذى تطرحه وترفع لواءه هذه الثورة فى نضالها المتواصل - بمنجزاته ونكساته - على طريق تحقيق الهدف الكبير الذى تتطلع اليه جماهير هذه الأمة بآمالها وارادتها ، وبنضالها وحركتها ألا وهو : الدولة العـربية الواحدة ذات المحتـوى الاشتراكى الديموقراطى التى تعيـد للأمة فى وطنها وحدتها ، وتستر لها أجزاء وطنها السليب والتى تحقق للمواطن فى الأمة بالاشتراكية الديموقراطية الثورية القيم المادية والمعنوية الروحيـة الضاربة فى أعماق التاريخ العربى بل التاريخ الانسانى عموما .

ان الثورة العربية فى طلبها العنيد للوحدة العربية ، انما تؤكد قيما مادية ، ومعنوية روحية انسانية اجتماعية تجسم حق الأمة - كل أمة - فى تقرير مصيرها وفى سيادتها ، فى نطاق وطنها سيادة شاملة تمارسها ، فى احترام لحقوق الأمم الأخرى ، وفى تفاعل متفتح مع هذه الأمم لصالح الانسانية فى سلامها وتقدمها المادى والمعنوى والروحى .

كذلك فان الثورة العربية فى نضالها العنيد من أجل الاشتراكية ، والديموقراطية ، كوجهين متلازمين فى مجتمع عربى منشود كمحتوى لهـذه الوحدة انما تؤكد التفاعل الحى بين القيم المادية وبين القيم الروحية المعنوية .

فهى تؤكد بالاشـتراكية حاجات الانسـان المادية وضرورة توفيرها له بصورة كافية ومتطورة ، كما تؤكد بالديموقراطية قيم الحرية والمساواة كقيم معنوية روحية لابد من تحقيقها وصيانتها للانسان كذلك .. فتؤكد بالاشتراكية الديموقراطية وحدة هـذه القيم وتفاعلها كما تؤكد كذلك ان حتمية انتصار الاشتراكية تحقيقا للكفاية بالعـدل ، وتحريرا للانسان فى مجتمعه من الاستغلال هى حتمية يواكبها بنفس القوة وفى الوقت

ذات حتمية انتصار الديموقراطية تحقيقا للكفاية تحت اعلام الحرية ، وللعدل القائم على المساواة الانسانية .

من هنا فان الثـورة العربية صريحة فى تاكيدها للقيم المادية والروحية فى الصيغ التالية الواردة فى ميثاق الجمهورية العربية المتحدة .

ان العبيد يقدرون على حمل الاحجـار .. وأما الاحرار فهم وحدهم القادرون على التحليق الى آفاق النجوم .

* ان الحرية وحـدها هى القادرة على تحريك الانسان الى ملاحقة التقدم وعلى دفعه .

* والانسان الحر هو أساس المجتمع الحـر وهو بناؤه المقتدر .

* ان الديموقراطية هى الترجمة الصحيحة لكون الثورة عملا شعبيا ان الديموقراطية هى توكيد السيادة للشعب .. ووضع السـلطة كلها فى يده وتكريسها لتحقيق اهدافه .

كذلك فان الاشتراكية هى الترجمة الصحيحة لكون الثورة عملا تقدميا فان الاشتراكية هى اقامة مجتمع الكفاية والعدل . مجتمع العمل وتكافؤ الفرص . مجتمع الانتاج ومجتمع الخدمات .

ان الديموقراطية والاشتراكية من هذا التصور تصبحان امتدادا واحدا للعمل الثورى ..

ان الديمقراطية هى الحرية السياسية ، والاشتراكية هى الحرية الاجتماعية ، ولا يمكن الفصل بين الاثنتين . انهما جناحا الحرية الحقيقية وبدونهما او بدون اى منهما لا تستطيع الحـرية ان تحلق الى آفاق الغد المرتقب .

* ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنـور الايمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة .

ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسـعادته .. وان واجب المفكرين الدينيين الأكبـر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته .

ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة وانما ينتج التصـادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية ان تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية .

لقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقدمية ولكن الرجعية التى أرادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها .. أقدمت على جريمة سـتر مطامعها بالدين وراحت تلتمس فيـه ما يتعارض مع روحه ذاتها لكى توقف تيار التقدم .

ان جوهر الأديان يؤكد حق الانسان فى الحيـاة وفى الحرية بل ان اساس الثواب والعقاب فى الدين وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم .

ان كل بشر يبدأ حياته امام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر ولا يرضى الدين بطبقية تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم .

ان الله .. جلت حكمته .. وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمـل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة .

مكانة العرب في

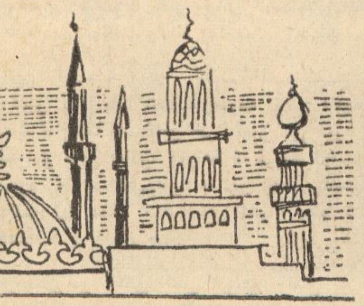

يمثل العرب ، احدى الشعوب ، والأمم التي شملها العالم الاسلامى فى نطاقه ، وتمتد اراضى العالم الاسلامى من المحيـط للمحيط ، من المحيط الهادى ؛ الباسفيكى - للمحيط الأطلنطى ، من الشرق للغرب ، ومن أواسط آسيا ، شمالا ، الي السواحل الشرقيـة الافريقيـة جنوبا .

وهو فى كل هذا الامتداد ، وحدة ، يجمع بينه الاسلام بروابطه القوية ، ومشاعره وأحاسيسه العامة ، وقبلته الموحدة ، والحج لبيت الله الحـرام . واظهر ما تكون هـذه الوحدة ، فى مؤتمر الحج السنوى ؛ الذى تتلاقى عنده الحجاج والوفود من كل صوب وحدب من أركان واجزاء وأراضى وبلاد العالم الاسلامى .

يوحد الاسلام بين الأمم والشعوب ، والجمـاعات والافراد ، التى تدين به ويربط بينها ، ويجعل منهـا كتلة بشرية عالميـة ، لها أهميتها الواضحة فى العالم .. وليس أدل على ذلك ، من المساحة الكبـرى التى يشغلها المجتمع الاسلامى ، فى العالم ، والاعداد الوفيرة التي يمثلها ، والمكانة الجغرافية المميزة التى يتسم بها

ووحدة ، المجتمع الاسلامى ، فى ارجاء العالم الاسلامى واضحة ، كل الوضوح ، وخاصة ، وان الاسلام ، ليس مجـرد دين ، بمعنى المفهوم الغربى عن الدين ؛ يقتصر على الناحية الروحية ، فحسب ، بل يشمل الاسلام ، تنظيما شاملا للحياة الانسانية فى مختلف اتجاهاتهـا ومجالاتها ، وفى تنظيمه للمعاملات بين افراد المجتمع بعضهم بعضا ، فهو دين حياة ومجتمع ، دين عمـلى واقعى يرتسم فى الحياة ، وهـو فى كل هـذا ، يربط

العالم الإسلامي

الدكتور محمود جلال الدين الجمل

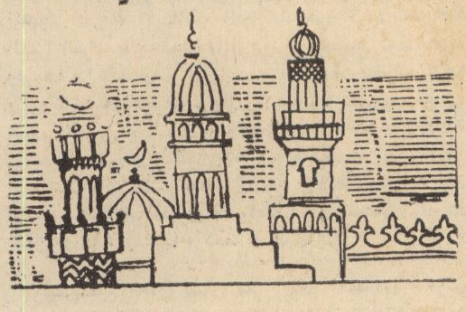

العالم الاسلامي بروابط روحية ، واجتماعية ، وحضارية وثقافية وعلمية مشتركة .

ومهما تنوعت الامم والشعوب . والجماعات والافراد الاسلامية ، فى مشاربها وفى ظروف بيئتهـا ، وظروف حياتها ، التى مرت ، وتمر بها ، وفى تغير أوضـاعها الاجتماعية والسياسية ، وتغير ظروفها التاريخيـة ، فالرابطة الاسلامية ، تربط بينهم ، وتوحد اتجاهاتهم ومشاعرهم ، واحاسيسهم .

واذا كانت شعوب وأمم العالم الاسلامى ، متنوعة ، عديدة ، واذا كانت هذه الشعوب والامم مترابطة ، متساندة ، فى اطار واحد ، هو العالم الاسلامي ، كمـا هو معروف ، واذا كان العـرب ، احد الشعوب والامم الاسلامية ؛ فما هو حظ العرب ومكانتهم فى ربوع عالمنا الاسلامى ؟ ولعله يوضح اهمية هذا الاستفسار ما مر به العالم الاسلامى ، من ادوار .

لقد مر العالم الاسلامي ، بعدة أدوار ومراحـل ، شملت ، التزايد المتوالى فى مساحاته ، فقد تطور العالم الاسلامى ، منذ بدء ظهوره ، فى جزء صغير محـدود المساحة للغاية ، فى الحجاز ، فى الأراضى الاسـلامية المقدسة ، فى شبه الجزيرة العربية ، فى القرن السابع الميلادى ، وتوالت ادوار ومراحل تطوره ، مـع ثبات عقيدته وكيانه ، باستمرار ، حتى القـرن العشرين ، وشملت ادوار مراحل التطور ، تزايد مساحاته تباعا ، وبصفة عامة ، بعد ان كان منتشرا فى ربوع العالم العربى فحسب ، فى مبدأ أمره ، أصبح يضم غيرهم ، وانتظم فى اطاره ، شعوبا وأمما وجماعات وأفراد عـديدة ، افريقية وأسيوية ، وأوروبية ، وتزايدت اعدادهم بوفرة عددية هائلة ، لم تكن معروفة من قبل .

لقد تطور العالم الاسلامي ، فى حياته ، وذلك مـع احتفاظه بعقيدته وكيانه ، عبر العصور ، تطـور فى أوضاعه المختلفة النواحى ، فى احواله الاقتصادية وفي أحواله السياسية ، التى شملت ، فيما شملته ، الدور القيادى العربى الاسلامى ، وتكوين الامبراطـوريات العـربية الاسلامية ، وعهـد الاستعمار ، وعهـد التحرر . وهو فى كل أدوار التطور ، ومراحله ، شامل لبلاد العالم الاسلامى ، وأراضيه كلها ، فمع ثبات كيانه وعقيدته ، تطورت أحواله ، فما هو حظ ومكانة العرب فى هذا التطور ؟

ولعله ، تؤكد ادوار ومراحل هذا التطور ، اهميـة موضوع مكانة العرب ، فى العالم الاسلامى ، وخاصة على ضوء ، أن هناك شعوبا ، وأمما ، وجمـاعات ، وكتل بشرية عديدة ، تفوق فى مجموعها العددى ، العـالم العربى ، فى اعـداد سكانه ؛ لقد ظهر جليا ان مركز الثقل السكانى ، حيث يوجد اكثر المسلمين عددا ، قد انتقل الى الجزء الجنوبي الشرقى ـ والجنـوبي ، من آسيا ، حيث توجد أندونيسيا ، وباكستان يقسميهما ، الشرقى والغربى ، فى شبه القارة الهندية ، وحيث يصل عدد السكان ، فى هذا النطاق الاسيوى ، ما يفوق عدد سكان العالم العربى كله ، وحيث توجد اعداد هائلة من المسلمين هذا فضلا عن اعداد المسلمين الوفيرة الاخرى ، التى تفوق فى مجموعها ، تفوقا هائلا عن اعداد سكان العالم العربى ، وقد اصبح العرب ، والعالم العربى ، احدى المجموعات الامم ، التى يشملها العالم الاسلامى .

واذا كان لكل شعب وأمة ، من الشعـوب والامم العربية اهميتها ، وسماتها ، ودورها ، ومكانتها ، فتبدو مكانة العرب ، فى العالم الاسلامي وتطوره ، من وجوه عديدة ، تشمل :

الموقع الجغرافى للعالم العربى

يستأثر العالم العربى ؛ فى جملته ، كوحدة اساسية من الوحدات الجغرافية ، والاقاليم الجغرافية الكبرى بامتداده من الخليج العربى ، للمحيط الاطلنطى ، ومن سوريا شمالا ، الى السودان جنوبا ، بجوهر الاهميـة والخطورة ، والحيوية ، من ناحية موقعه العالمى الوسيط وان كانت هذه مساحة العالم الاسلامى ، فى مجموعه ، ولكن تتمثل خلاصة وبؤرة ، ومركز هذا الموقع فى اراضى العالم العربى الاسلامى .

فمن المعروف ، أنه ، يمتد فى ، العالم القديم بقاراته الثلاث ، افريقيا ، وآسيا ، واوروبا ، ممتدا ؛ من جنوب غرب آسيا الى شمال افريقيا ، شاملا وحدة مساحية أرضية ، فى مركز العالم ، ويحيط بها ، بحار ، ومياه محيطية ، وتتجون فيها اذرع بحرية هامة (للخليج العربى ، والبحر الأحمر) ، مما جعل مسلك الصلات البرية ، منشرق العالم وغربه ، وشماله وجنوبه ؛ تمر به وكذلك انتظم مسالك الصلات البحرية ، وركائزها ، من مضيق جبل طارق ، وقناة السـويس ، وعـدن ، والمواصلات الجوية العالمية ، فمثله فى ربوع العالم العربي الاسلامى .

واذا كانت صـلات العالم ، ومواصلاته ، البرية ؛ والبحرية والجوية ، لابد لها من المرور فى الموقـع العالمى الوسيط ، التى تمثل بوضوح فى العالم العربى ، اسلامية اخرى ، فقد أسهم موقع العالم العربى ، فى هذه

الاهمية بمكانة لها الصدارة ، وان كان تكميل هذه الصورة أراضى أخرى من العالم الاسلامى .

ولو امكن تصور - ان هذه الاراضى العربية الاسلامية - اراضى العالم العربى - قد تلاشت سمتها العالية ، من ناحية الموقع العالمى الوسيط ، او المتوسط ، فانه لايكون ، فى هذه الحالة ، للعالم الاسلامى ؛ فى جملته مثل هذه الاهمية الملحوظة ، فى الموقع الجغرافى العالمى بصرف النظر ، عما ألم بالموقع من ناحية أهميته ، وقيمته الجغرافية ، من تغيرات وتطورات

لقد مثل العالم العربى ، منذ اول ، واقدم عهود الاتصالات والعلاقات «العلمية» ومنذ عهد طرق القوافل الهامة ، اهمية جوهرية فى دوره الاساسى ، العالمى ؛ فى عصور ازدهارها ، الى عهد افتتاح قناة السويس ، ومابعدها ، للعهد الحاضر المعاصر ، وكان العالم العربى ، الجزء الأساسى ، فى صلات المجتمع البشرى العالمى ، فى صلاته الاساسية ، التجارية ؛ والسياسية والحربية ، والعسكرية . مثل هذا فى الماضى ، كما مثله فى الحاضر .

والموقع الجغرافى للعالم العربى ، بحيويته ، واهميته ، وفاعليته ، مركز للعالم الاسلامى أهمية موقعه ، العالمى الوسيط ، ويضفى اهمية ، يتسم بها العالم العربى من سائر الجهات الاسلامية الاخرى ، والتى وان شاركته فى ميزة التوسط العالمى ، فانها لا تتفوق عليه فى هذه الميزة ، بل هى مكملة ، لما يتركز ويتبلور ، ويتمثل فى بؤرته وهذا مما يعمل على تأكيد اهمية وحدة العالم الاسلامى

ولتأكيد وتوضيح ، وبيان الصفة الجوهرية المركزة ، فى اراضى العالم العربى ، من ناحية الموقع الجغرافى ، فلعله يكفى الاشارة هنا ، لأهمية جزء صغير المساحة ، - قناة السويس - ذلك المنفذ الرئيسى للتجارة العالمية ، والصلات الدولية ، بمختلف صورها ووجوهها ، والركيزة الخطيرة ، فى الشريان الحيوى الهام ، البحرى ، والصلات البحرية الهامة العالمية ، كما هو معروف .

وتتجسم قيمة قناة السويس ، واهميتها ، وخطورتها ، فى جملة ، أندريه سيجفريد -

عند تناوله لدراسة قناة السويس وقد أشار - « اذا اخبرتنى ، من الذى يسيطر على قناة السويس ، أخبرتك من هو الذى يسيطر على العالم » .

العالم العربى ، ركيزة الصلات العالمية ، ركيزة الوسط العالمى ، ركيزة الاهمية العالمية ، فى موقعه الجغرافى ، وهو فى هذا مكمل ويتكامل ، مع الجهات الاسلامية المترامية الأطراف ، وان كان هذا مما يضفى تأكيد على أراضى الوحدة ، والمجتمع الاسلامى ، فهو ، فى الوقت نفسه ، يؤكد تميز أراضى العالم العربى بموقعها العالمى المنفرد .

واذا كانت اهمية ، وقيمة الموقع الجغرافى ، من بين الحقائق التى تفرض أهميتها على التاريخ ، وعلى الحياة البشرية ، فقد ارتبط ، بالموقع الجغرافى للعالم العربى ، أمور ومظاهر عديدة .

فقد ترتب على الموقع الجغرافى ، للعالم العربى ، واستند اليه ، اهمية الدور العالمى ، العربى ، فى الوساطة التجارية ، بين «شرق» العالم «وغربه» ، بين آسيا الموسمية ، فى الشرق ، واوروبا فى الغرب . تلك الوساطة التجارية التى أسهم فيها العرب ، اسهاما ، ملحوظا ، واستمرت ناحية وزمام تلك السيطرة على هذه التجارة ، قرونا عديدة متوالية ، وازدهرت عدة مدن لنشاطها التجارى عربية اسلامية .

ومرة اخرى ، تؤكد مسالك طرق القوافل ، الحقائق السابقة ، فى تكامل الاهمية العالمية للعالم الاسلامى ، فى اهمية موقع اراضيه ، ومع بروز اهمية العالم العربى ، فان كانت هذه التجارة ، تجارة القوافل ، تمر بأراضى اسلامية اخرى ، وتمر بمياه محيطية ، وبحرية أخرى تشرف عليها الجهات الاسلامية الاخرى ، فمما لا شك فيه ، أنه قد تمثل أن ملتقى ، هذا كله ، ملتقى تجمعه ، ومصدر توزيعه الى الجهات التى تقصدها المتاجر ، أساسا ، فى اطار العالم العربى ، أليس هو ركيزة الصلات ، وركيزة التوسط ، وركيزة الاهمية العلمية ، وهو فى هذا يكمل ويتكامل مع الصورة العامة لاهمية العالم الاسلامى ، فى مكانها العلمى الوسيط .

لقد يسر موقع العالم العربى ، وجعل فى الامكان ان تكون أراضيه ، ملتقى الثقافات والحضارات ، العديدة ، الشرقية ، والغربية ، الأمر الذى تمثل بوضوح وجلاء ، فى العهود العربية الاسلامية الاولى ، المزدهرة ، وذلك ، عندما التقى العرب ، بحضارة الفرس ، والحضارات الهنديه ، وغيرها من الشرق ، كما التقى العرب ، بحضارة الاغريق والرومان ، من الغرب ، وليس بخاف ، على كل من يتابع الدور العربى ، الثقافى ، والحضارى ، أهميته العالمية ، فى قصة ومضمار التطور العالمى ، وأهمية الدور العربى الاسلامى ، فى هضم الحضارات ، والافادة منها ، وأمكن ان يكون لتراثهم الفكرى ، أثراعلميا ، فى العصور الوسطى ، شمل أوربا ، ودفعها ، دفعا لنهضتها .

وليس هنا مجال لبيان أثر الموقع الجغرافى ، من حيث الالتقاء ، الثقافى الحضارى العالمى ، كما بدا ذلك ، فى عهد او عصر معين ، بقدر ما هو ، منصب ، على بيان ارتباط قيمة الموقع الجغرافى ، وأثره ، وما ترتب عليه من الدور الثقافى الحضارى العالمى الذى قام به ويقوم به العرب فى أعباء الدور الجغرافى ، والموقع الجغرافى ، الذى ارتسمت أراضيهم فى نطاقه .

وقد خدم العالم العربى ، فى هذا ، العالم الاسلامى ، ورفده ، بتيارات فكرية اسلامية متجددة ، فبحكم الموقع الجغرافى للعالم العربى ، مثل التقاء ، ثقافيا ، حضاريا ، علميا ، وتمثل هذا ، فى حياته ، تمثيلا صادقا ، واعيا ، حيا ، جليا ، عمليا ، داعيا ، واقعيا ، كما هو واضح ، وان كان يمتاز هذا الالتقاء ، الحضارى ، فضلا عن الثقافى العلمى ، عن أى جزء آخر ، من أجزاء العالم ، فقد كان هذا الدور ، فى ثماره ، فى خدمة العالم الاسلامى ، مما يجعل العالم الاسلامى ، مترابطا فى مجموعه ، ترابطا متماسكا ، مع بعضه البعض الآخر ، هذا من جهة ، كما يساعده على التعرف على ثقافات وحضارات علمية ، من جهة أخرى ، وبذلك يتيسر للعالم الاسلامى ، أن لا يكون منقطعا او معزولا عنها .

وكما خدم العالم العربى ، بموقعه ، سائر جهات العالم الاسلامى الأخرى ، تجاريا ، وفى الصلات العالمية المختلفة الموحدة ، وفى شتى العصور ، ما دعم ترابط العالم الاسلامى ، فقد خدمه فى التيارات الثقافية الحضارية ، كما خدمه وساعد على حفظ كيانه وثباته ، أمام التيارات العلمية والخارجية التى اتسمت بالعدوان . ومن هنا يتسم العالم العربى ، فى موقعه الجغرافى ، بسمة جوهرية تنم عن خصائص معينة ، مميزة ، فى خدمة الاسلام ، ليس من اقلها اهمية ، ذلك التصارع الهائل ، المروع ، بين

العرب ، وما ترامى اليهم ، من حروب صليبية ، استمرت عشرات السنين ، ترامت من الغرب ، وافدة من أوربا ، سالكة عدة مسالك ، وكانت نهايتها أو فصلها الأخير ، بعد أدوار مد وجزر التصارع المتوالى المتتابع ، هو رائع حاسم ، الممثل فى نصر العرب ، على الصليبيين ، وردهم لبلادهم ، ويصح الاشارة هنا كذلك ، ان دوافع الحروب الصليبية ، كانت مرتبطة ، فيما هى مرتبطة به بالموقع الجغرافى الممتاز لاراضى العالم العربى ، والذى يسر للعرب ، تملك سيطرة التجارة والقوافل بين آسيا واوروبا ولايغفل منصف فى التاريخ اهمية وقيمة وخطورة العامل الاقتصادى او الدافع الاقتصادى هذا ، وبعبارة اصح ، فى الحروب الصليبية المتوالية .

وان كان العالم العربى ، قد استهدف للحروب الصليبية من الغرب ، فقد استهدف كذلك ، من الشرق ، لغارات المغول والتتار ، منذ القرن الثالث عشر ،واجتياحهم لأراضى اسلامية ، وعربية اسلامية ، فى آسيا ، واذ توجه هجومهم ، فى مقصده نحو مصر ، أمكنها أن تدفع ، وتصدى وتدفع عادية هذا الخطر ، قبل أن يصل لأراضيها العربية الاسلامية .

بل لقد جاء وقت ، تعاصر فيه الخطران ، والمصدرين للغارات ، من الغرب « الصليبيين » ومن الشرق ، التتار والمغول ، ولا يبدو ، فى اى مكان آخر ، فى أراضى العالم الاسلامى ، مايتمثل فيه خطرين المشرق ، والمغرب ،كما تمثل هذا ، بوضعه ، وخطورته المروعة ، على الحياة العربية فى موقعها العالمى الوسيط .

فان كان موقع العالم العربى ، فى اطار العالم الاسلامى فى جملته ، قد تميز بسمة بارزة ، عالمية لامته ، فقد دفع العرب الثمن ، فى خدمة العالم الاسلامى ، بعد تعرض العالم العربى ، بحكم موقعه الجغرافى ، لاخطار من جانبيه، وأمكنه أن يكافح ، ويصارع ، وأن يكون فى النهاية قلعة ، بعيدة عن هذين الخطرين ، المتراميين ، من « الغرب » و « الشرق » .

وان حفظ العروبة لكيانها ، حفظ لمقومات الامم والشعوب الاسلامية ، التى ترتبط بالعروبة ، والتى ترتبط العروبة معها ، بوشائج الصلات الراسخة ، الثابتة المدعمة .

وان تمثلت الاطماع الاستعمارية الغربية ، بوجه عام ، على ربوع العالم الاسلامى ، فقد تمثل هذا ، فى العالم العربى ، دواما ، ولقد سبق فى هذا الاستهداف للخطر ، لجهات العالم الاسلامى الأخرى ، فلم يعرف الأوربيون الصلات المباشرة ، ولم يمكنهم الاستعمار الا بعد عدة مراحل ، بدأت بالكشف الجغرافى فى القرن الخامس عشر، حيث أمكنهم الوصول بسفنهم الى أقصى المشرق الاسلامى الآسيوى ، وهكذا تمثل فى العالم العربى ، دواما ، بثورة التقاء هذه الاطماع ، لما يتمتع به من سمات وخصائص ، وميزات .

وتبدو اهمية انعكاس قيمة الموقع الجغرافى ، على حياة العالم العربى ، من أنه بحكم ، هذا الموقع ، لا يمكنه اطلاقا ، أن يكون منزويا ، بعيدا عن الأحوال والتيارات ، والاتجاهات العلمية . وهذا واضح فى الماضى كما هو واضح فى الحاضر. فقد تطاحن الفرس « من الشرق » والاغريق « فى الغرب » وتطاحن الانجليز ، والفرنسيون ، واى تطاحن لاحق ، فيما بعد ، فى زمن حدوثه ، انما تترامى آثاره ، بل يتخذ مسرحه على أراضى العالم العربى .

وعلى سبيل المثال ، ليس ادل على هذا ، من أحداث الحرب العالمية الثانية ، فقد رأت أراضيه ، معارك أساسية ، وصورا من مد الحروب ، وجزرها ، وعلى أراضى العالم العربى الاسلامية ، تمثلت المعركة الحربية الحاسمة ، معركة العلمين ، وذلك فى الوقت الذى دارت فيه الحرب ، بين دول أوروبية وشاركت جهات اخرى من العالم الاسلامى ، فى المسرح ، والتطاحن ، العلمى ، ولكن من مجسم فى أراضى العالم العربى .

العالم العربى ، اما ، فى دور قيادى ، فى العالم وأحواله ، وتياراته ، أو معرضا لامواجها ، واما مراقبا لها، أو ظاهرا عليها ، مسيطرا ، بحكم الموقع الجغرافى ،تشابك العالم العربى مع العالم أجمع .

الموقع الجغرافى ، للعالم العربى ، يجعل للعالم العربى، مكانة أساسية جوهرية ملحوظة ، كجزء من العالم الاسلامى، فى العالم أجمع ، ويؤهله لدور قيادى ، هذا الدور الذى كان أساسا ، للعالم الاسلامى ، فى الماضى ، فعلى أرضه أشرق الاسلام ، بهديه ، وعلى أرضه ، انتشر ، ومنها زحف على الجهات الاسلامية الاخرى ، وعلى أرضه ، تمثلت الفصول والأدوار الاساسية الاولى ، والجوهرية ، الرافعة ، للمجتمع الاسلامى ، وبقى رمزا حيا ، للعالم الاسلامى ، الذى هو جزء مترابط معه .

الإسلام بين العقل والنقل

الأستاذ محمد أبو الفيض المنوفي

« كتاب أنزلناه اليك مباركا ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الألباب) .

ان للمعتـزلة رايهم الخاص فى النظـر العقلى وتساميهم بالفصل الى اعلى مراتب التسـامى ، حتى كادوا أن يقدسوه ، فالعقل عندهم هو مجلى المعرفة وهو مدرك الحقائق الالهية دون سمع أو نقل ، فلقد جعلوا العقل والادراك العقلى فوق المسموع والمنقول بل فوق القلب وفوق البصيرة .

وفى اطلاق هذه التسمية عليهم اراء ، فيقـول البغدادى :

اهل السنة هم الذين دعوهم بالمعتزلة لاعتزالهم قول الأمة بأسرها فى مرتكب الكبيرة من المسلمين ، وتقريرهم انه لا مؤمن ولا كافر بل هـو فى منزلة بين منزلتى الايمان والكفر .

وروى الشهرستانى سببا آخر هو : أن واصل بن عطاء مؤسس المدرسـة حينما اختلف مع الحسن البصرى فى مسألة مرتكبى الـكبائر وأدلى برأيه فيها واعتزل المجلس وهو وبعض من وافقه على ذلك الرأى وجلس بعيدا يشرحه لهم ، فقال الحسن البصرى « اعتزل عنا واصل » فسمى هو واصحابه بالمعتزلة .

ولكن الدكتور نيبـرج المستشرق يعترض على التسمية ، ويرى أنها غير معقولة ولا وجه لها ، اذ ورد فى تسـمية هذه المدرسـة بأهل الاعتزال وبمن قال بالاعتزال ، فلو كان معنى الكلمة ما زعموه لما جاز مثل هذه التسمية ، ثم أن لها عدة نظائر فى عـرف ذلك الزمان « كالمرجئة » يراد بها اهل الارجاء ، وهم الذين قالوا بالارجاء « والرافضة » التى قابلها اهل الرفض « ومن قال بالرفض .

ويؤيد هذا الاعتراض ما أورده المسعودى . من ان كلمة اعتزال فى اصـطلاح مذهب المعتزلة ، هو القول بالمنزلة بين المنزلتين ، أى باعتزال صاحب الكبيرة عن المؤمنين والكافرين .

ولقد افترقت المعتزلة فيما بينهم الى عشرين فرقة كل منها تكفر سائرها وهم :

الواصلية ـ العمـرية ـ الهزيلية ـ الهاشمية ـ التميمية ـ الجاحظيـة ـ الجابلية ـ المريسـية ـ الشحامية ـ الكعبية ـ الجبائية ـ البهشمية المنسوبة الى ابن هاشم الجبائى ـ المداديه ـ النظامية ـ ومن جملة الغلاة فى الكفر فرقتـان يذكرهما البغدادى فى كتابه فى البـاب من فرق الغلاة وهما : الجـابلية والعمرية .

واجمعت المعتزلة على ان الله واحد ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

واتفق المعتزلة على ان أصول المعرفة وشكر النعمة واجب قبل ورود السمع واعتنـاق الحسن واجتناب القبيح يجب معرفتهما بالعقل ، واجب كذلك وورود التكاليف وألطاف البارى تعـالى ارسلها الى العباد بتوسط ، والحق ان المعتزلة هم الذين خلقوا علم الكلام فى الاسلام ، وانهم أول من تسلح من المسلمين بسلاح خصومهم فى الدين .

وذلك أنه فى اوائل القرن الثانى للهجرة ظهر أثر من دخل فى الاسلام من اليهود والنصارى والمجوس

والدهرية ، فكثير من هؤلاء أسلموا ورؤوسهم مملوءة بأديانهم القديمة لم يزد عليهم الا النطق بالشهادتين ، فسرعان ما أثاروا فى الاسلام المسائل التى كانت تثار فى أديانهم ، كل هذا دعا المعتزلة لان يتسلحوا بسلاح عدوهم فجادلوهم جدلا علميا وردوا هجمات القائلين بالجبر والمفكرين فى ذات الله نفيا واثباتا .

فان المعتزلة كما علمنا اصطنعوا علم الكلام لذلك وكانت غايتهم ان يستخدموا العقل فى الدفاع عما جاء به النقل ، ثم ابتعدوا عن تلك الغاية وصاروا يشتغلون بالتوفيق بين العقل وبين النقل على اعتبار أنهما متفقان متساويان فى الحقيقة ، وأخيرا شطوا أكثر فاعتقدوا بأسبقية العقل وأفضليته على النقل .

فلما قام الأشاعرة رجعوا على الخطوة الأولى التى خطاها المعتزلة نقدا وتجريحا وأعادوا تنظيم علم الكلام على قاعدة : أن النقل هو الأساس ، وأن العقل خادم للنقل ووسيلة لاثباته والبرهان على صحته .

وتتلخص تعاليم المعتزلة فى الاصول الآتية : والتى قدمناها .

١ - القول بالمنزلة بين المنزلتين ، أى أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن لكنه فاسق ، والفاسق يستحق النار بفسقه .

٢ - القول بالقدرية ، وأن الله لا يخلق أفعال الناس وانما هم الذين يخلقون أعمالهم وانهم من أجل ذلك يثابون أو يعاقبون ، ولهذا وحده يستحق أن يوصف الله بالعدل .

٣ - القول بالتوحيد ، فنفوا ان يكون لله تعالى صفات أزلية من علم وقدرة وحياة وسمع وبصر وغير ذاته ، بل الله عالم وقادر ومريد وسميع وبصير بذاته وليست هناك صفات زائدة على ذاته ، والقول بوجود صفات قديمة قول بالتعدد والله واحد لا شريك له من أى جهة كان ولا كثرة فى ذاته البته .

٤ - قولهم بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقبيح ولو لم يرد به شرع .

وذكروا الخلاف بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، ولم يذكروا من أنواع الخلاف سوى ما كان متصلا بعلم الكلام وهو

أولا : الاختلاف بين الأنصار والمهاجرين حول الامامة ، وانتهاء ذلك بمبايعة أبى بكر الصديق .

ثانيا : فتنة مقتل عثمان بن عفان مما حدا ببعض المارقين الى تكفيره لأمور أخذت عليه .

ثالثا : الاختلاف على امامة على بن ابى طالب كرم الله وجهه وحربه مع معاويه فى صفين ، وطلب تحكيم كتاب الله ، وظهور الخوارج الذين كفروا عليا لقبوله التحكيم .

ولكن كتب المقالات التى ألفت فيما بعد زادت على هذه الأنواع الثلاثة أصنافا أخرى كما فعل الشهرستانى فى كتابه « الملل والنحل » اذ ذكر اختلافات حدثت فى مرض الرسول حين تنازع المسلمون فى كتابة ما يوصى به وفى تجهيز جيش أسامة .

ولفظ المتكلمين بالمعنى الاصطلاحى انما نشأ من الخائضين فى العقيدة الاسلامية وتأليفهم الكتب التى كانوا يعنونونها « الكلام فى كذا » والكلام فى كذا .

وذكرنا أنه بدأ بالكلام عن فرق الشيعة ، فقسم الشيعة الى ثلاثة أصناف هى :

الامامية وتحتها خمس عشرة فرقة ، والرافضة وتمثل أربعا وعشرين فرقة ، والزيدية ست فرق .

والمؤرخون للمقالات يضطربون فى تسمية فرق الشيعة ، فالأشعرى يجعل الامامية ، رفضه لانهم رفضوا امامة أبى بكر وعمر ، والمشهور أن الروافض هم الزيدية اتباع زيد بن على الذى بويع له بالكوفة فى أيام هشام بن عبد الملك ، وسمع زيد من أتباعه الطعن على أبى بكر وعمر فانكر ذلك منهم ، فتفرقوا عنه بعد أن بايعوه فقال لهم : رفضتمونى . ولذلك سموا الرافضة ، وقد ذكر هذه الحكاية الأشعرى نفسه .

ويذهب البغدادى فى كتابه « الفرق بين الفرق » الى تسمية كل فرق الشيعة بالروافض فمنهم الغلاة ومنهم الزيدية ومنهم الامامية ، وكذلك فعل الاسفراينى . أما الشهرستانى فلا يسمى الشيعة رافضة فيما عدا من رفضوا زيد بن على .

والغالية انما سموا كذلك لأنهم غلوا فى على وقالوا فيه قولا عظيما . وأول فرقهم التى ذكرها الأشعرى : البيانية أصحاب بيان ابن سمعان القائلون بأن الله عز وجل على صورة الانسان فى شخص على .

ولسنا نبغى ذكر الفرق الخمس عشرة الواقعة تحت الغالية ، وانما نود الاشارة الى أن الأشعرى يذكر الغلاة من جملة « مقالات الاسلاميين ولا يرد عليهم أو يطعن فيهم اتباعا للمنهج الذى استنته فى أول الكتاب . أما أصحاب كتب المقالات المتأخرون فانهم يخرجون الغلاة من جماعة المسلمين ، فهذا الاسفراينى مثلا يقول : فأما البيانية والمغيرية والحلولية فلا يعدون فى زمرة المسلمين لأنهم كلهم يقولون بألوهية الأئمة .

والصنف الثانى من الشيعة هم الرافضة الامامية ، وهم مجمعون على أن الامامة لا تكون الا بالنص والتوقيف وأن النبى نص على امامة على ويقولون بالتقيه وأن الامام أفضل الناس . واختلاف فرقهم المتعددة انما نشأ من طريق سوق الامامة من على فى ابنائه .

ولكنه بعد انتهاء الكلام عن الفرق الأربع والعشرين من الروافض الامامية انتقل الى عرض موضوعى لآراء الامامية بالتجسيم فقال : واختلفت الروافض أصحاب الامامة فى التجسيم وهم ست فرق ، فالفرقة الأولى الهشامية أصحاب هشام بن الحكم الرافضى يزعمون أن معبودهم جسم وله نهاية وحد وطول وعرض وعمق .. الخ . ويتعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا .

وفى الواقع ان المذهب الأشعرى الذى أصبح مذهب أهل السنة والجماعة ، وارتضاه جمهرة المسلمين منذ القرن الرابع حتى الآن لم يكن ليظفر بهذا التأييد الا لأنه اعتمد على أسس عقلية اكتسبها من ايغال المعتزلة فى النظر العقلى حينما كان بينهم وقبل ان ينفصل عنهم فاذا طرحت مسألة من مسائل أصول الدين كرؤية الله أهى ممكنة أم غير ممكنة ، لابد أن يخضع الذهن للقياس على الرؤية الطبيعية ، وكذلك الأمر فى مباحث الزمان والمكان والحركة والجسم والنهاية واللانهاية . وان اراد التوسط .

وقد كان المعتزلة ينظرون الى المسألة من زاوية ، وكان أهل الأثر ينظرون اليها من زاوية أخرى ، ومنهم أحمد بن حنبل مثلا حينما امتنع بتاتا عن القول بخلق

القرآن ، ووجهة نظر المعتزلة ان القـرآن المكتوب فى المصاحف والمنطوق عند التلاوة حين تادية الصلاة ، كل ذلك صادر عن أفعالنا ومتعلق بنا ، والمتعلق بالمخلوق مخلوق على رأيهم .

وابن حنبل قد رفض بتاتا ان ينطق بكلمة مخلوق كصفة للقرآن ، وانما كان يسميه بالاسم الذى ورد فى كتاب الله ((كلام الله)) .

والاشعرى لم يتطرف فى التأويل العقلى كالمعتزلة ، وان كان اعتمد على الحجة العقلية واشبع شراهة العقل للمعرفة ، وقد قضى على مذهب المعتزلة وحل محله لتوفيقه بين المعقول والمنقول .

ولما كان المذهب الاشعرى تطويرا للاعتزال فلا سبيل الى فهمه دون الرجوع الى أصول المعتزلة وان كان يناصر أهل الأثر واتباع السنة .

وأما الأمور الأساسية التى افترق الاشعرى فيها عن المعتزلة فهى أربعة .

صفات الله ـ القضاء والقدر ـ السمعيات كالشفاعة وعذاب القبر ـ عدم تكفير احد من اهل القبلة .

ولما كان اثبات وجود الله عند المتكلمين من معتزلة واشاعره يعتمد على اثبات حدوث العالم ذهب معظم المعتزلة الى ان الاجسام التى يتالف منها هـذا العالم تتكون من جواهر واعراض . ويقصدون بالجوهر الجزء الذى لا يتجزأ كما فى الفلسفة ، وتابع كثير من المعتزلة الفلاسفة فى أن الأجسام مركبة من مادة وصورة وهو مذهب ارسطو .

والصنف الرابع عشر من الغلاة هم السبئيه اصحاب عبد الله بن سبأ الذى كان يهوديا واسلم ، ويزعمون ان عليا لم يمت وانه يرجع الى الدنيا قبل يوم القيامة ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، والسبئية يرون الالوهية فى شخص على ويقولون بالرجعة ، أى الاموات يرجعون الى الدنيا ، وسنتكلم عنهم فى مكان آخر .

وأما الخوارج فمن القابهم . الخوارج ، والحرورية ، والشراة ، والمارقة ، والمحكمة ، وسبب تسميتهم بالخوارج خروجهم على على بن أبى طالب فى التحكيم ، وأما الحرورية بنزولهم بحروراء بأول امرهم .

وانحاز المعتزلة الى جانب العقل فقط ، وتجاوب السلف وأهل السنة مع الوحى مرشد الروح ومهذب النفس ، ووجد بين هؤلاء وأولئك الاشاعرة وعلى رأسهم ابو الحسن الأشعرى فحاول التوفيق بين اهل الاعتزال والسلف ، فلقد كان من اهل الاعتزال ونشأ فى حجر أبى هاشم الجبائى من شيوخ المعتزلة ، ثم عاد الى اهل السنة فجمع بين صريح المذهب العقلى وصحيح المذهب النقلى ، وحاول التوفيق بينهما فى جمعهما فى مذهب واحـد .

فلقد اخطأ المعتزلة لاطلاق الحرية العقلية وجعلها فوق النقل ، كمـا اخطأ المتمسكون بظواهر الفـاظ النصوص النقلية من اهل السـنة . دون استعمال العقل .

اما خطأ المعتزلة فقد كان من حيث اطلاق الحرية للعقل فى النقل مما ادى الى التجريد ، وحسبك فى هذا الباب تعطيل الصـفات الالهية وبالتالى تعطيل الأسماء .

واخطأ اهل الظاهر من الآخذين بظواهر النصوص فى النقل من حيث الجمود الذى لا يسـمح للعقل بالتدخل للفهم مع أنه المخاطب الحقيقى بالنقل . مما جاء فى القرآن الكريم من انه انزل لقوم يعقلون .

المبذرون إخوان الشياطين

الأستاذ علي العماري

هؤلاء صنف من الناس وصفهم القران الكريم بهذا الوصف الذى جعلناه عنوانا لهذه الكلمة ؛ ولم يصف احدا غيرهم به .

وهذا الوصف (اخوان الشياطين) جامع لكل خصال الشر ، وفيه من الازعاج النفسى لهؤلاء الناس ، ومن الايحاء المنفر ما ينبغى ان يملا نفوسهم كراهية لهذا الخلق الذى جعل القرآن الكريم يضمهم فى منزلة الشياطين ، ويقرنهم معهم فى قرن واحد ، وليس عند النفس أبغض من صوت الشيطان ، ومن فعله .

اما هؤلاء الموسومون بهذا الوسم الموجع فهم : « المبذرون » . قال تعالى فى سورة الاسراء « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » .

والتبذير هو الانفاق (الباطل ، او هو مجاوزة الحد فى كل لون من الوان الانفاق ما لم يكن انفاقا فى سبيل الخير ـ على ما اشتهر عند العلماء ـ ولذلك قيل : لا خير فى السرف ، ولا سرف فى الخير .

وسياق الآية يدل على ان التبذير يكون فى الانفاق للخير سواء كان واجبا ، او مندوبا ، فقد ابتدات بالامر باعطاء ذى القربى حقه ، واعطاء المسكين ، وابن السبيل حقهما ـ كذلك ـ وكلمة « حقه » هنا تحدد فلا ينبغى أن ينقصهم من هذا الحق شيئا ، واذا زاد فلا ينبغى ان تبلغ الزيادة حد التبذير ، فصاحب المال مطالب بأ نيلتزم اداء الحقوق .

ومن الطبيعى أن يكون بجانب هؤلاء اصحاب حقوق آخرون كاولاده ؛ وكل من يمكن ان يرثه بعد موته ، والاثر المشهور يقول : انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس .

واذا كانت الزيادة فى اعطاء ذوى القربى حقوقهم وفى اعطاء ابن السبيل حقه تعد تبذيرا فمن البدهى ان تكون مجاوزة الحد فى الانفاق على النفس ، او على الاولاد والاصدقاء تبذيرا ايضا .

والآية الكريمة لم تكتف بوصف هذا الصنف بانه من قرناء الشياطين ، ومتشابهيهم ، بل اتبعته بذكر صفة هى من اخص صفات الشياطين ، ومن اجمعها لخصال الشر ايضا ، ومن ادل الصفات على سوء العقبى : « وكان الشيطان لربه كفورا » .

وكان الآية تشير الى ان هذه الصفة هى أبرز وجوه الشبه بين المبذرين والشياطين ، فالشيطان يكفر نعم الله عليه ، ويكفر بالله فهل بلغ الحد بالمبذر هذا المبلغ ؟!

قبل ان نجيب على هذا السؤال نذكر ان القرآن الكريم وصف المبذرين بوصف آخر لا يقل شناعة عن هذا الوصف ، فقد سماهم « السفهاء » فقال تعالى فى سورة النساء : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا » .

والسفه اضطراب فى التفكير ، واضطراب فى التدبير ، واهتزاز فى العقل ، وهو ضلال ، وتنكب لطريق الحق والواجب .

وفى هذه الآية مباحث :

فكلمة « اموالكم » . هكذا باضافة الاموال الى المخاطبين فى حين أنها اموال هؤلاء السفهاء تشعر بان مال الفرد ليس خالصا له ، وانما تشركه فيه الجماعة من حيث أن نفعه – اذا انفق فى طرقه المشروعة – يعم الجميع ، وضرره – اذا عمل فيه التبذير – يحيق بجميع الأمة ، وفى هذا اشعار – كما ذهب اليه بعض المفسرين – بالتكافل الاجتماعى .

والقول المعروف فى الآية هو الارشاد والنصح ، ومحاولة التوجيه السليم لهؤلاء الضالين قصد السبيل .

اما الاجابة عن السؤال الذى اوردناه فتجمله كلمة واحدة فى الآية ، وهى كلمة « قياما » ، فان الله – سبحانه – جعل الأموال قوام الحياة ، حياة الأفراد ، وحياة الأمم ، به يتحقق وجودهم ، وبقاؤهم ، وبه تتحقق سعادتهم ، وأمنهم ، ومجدهم وعزهم ، واذا كان المال بهذه المثابة – وهو كذلك ولا شك – كان من العبث العابث ان ينفق فى باطل ، وفيما لايفيد ، وان يجاوز به الحد أيا كان ، فكل سرف وراءه حق مضيع ..

والسرف لا يتفق مع الفطرة السليمة ، فان الانسان مجبول على الاعتدال وعلى الاحتفاظ بما يحفظ عليه ذاته ، وكل جهاده فى الحياة انما ينبع من هذه الغريزة غريزة حفظ الذات .

ناهيك بما يحل بالمسرفين انفسهم ، وبما يحل بأممهم ، من ضعف ، وخزى ، وخذلان .

فمن اول ادواء « الترف » فساد الطبائع السليمة ، وخور العزائم القوية ، والخلود الى الجانب اللين من الحياة ، والسكون الى الدون من حظوظ النفس ، فان هؤلاء المترفين لا هم لهم الا لذة يسعون فى تحصيلها ، او شهوة يركضون وراءها ، فاذا دعا داعى الاصلاح تخلفوا ، وكرهوا الكفاح والمجالدة ، وهم مشدودون بامراس كتان الى ما كان عليه آباؤهم ، لايريدون ولا يستطيعون أن يصنعوا لانفسهم حياة مستقلة .

فقد كان رسول السلام صلى الله عليه وسلم يدعو اصحابه الى الجهاد فيلبون راضين ، مستهينين بكل ما يتوقعون من اخطار ، ولكن فريقا من اغنيائهم كانوا يتخلفون عن الجهاد : « واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله، استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون » .

وهذا التعبير من القرآن الكريم : « رضوا بان يكونوا مع الخوالف » فيه ما فيه من الزراية عليهم ، والحط من شانهم ، والطعن فى رجولتهم ، فهم لا يجاهدون كما يجاهد الأصحاء من الرجال ، ولا يعتذرون عذر المرضى والضعفاء منهم ، وانما يتخلفون من غير عذر ، شانهم شأن الخوالف من النساء ، وهم – مع ذلك – راضون عن هذا الوضع ، مستريحون له ، فما اهون شانهم ، وما اصغر أمرهم ، وما احقر نفوسهم !

ولم يزل هذا الخلق فى الاغنياء المترفين – كما كان منذ بدء الخليقة – ينكلون عن الجلى ، ويجبنون عن اقتحام اية معركة ، تشبثا باذيال المال ، وحرصا على النعيم الواسع الذى يعيشون فيه .

وتاريخ الكفاح فى الشعوب لم يعرف الا اولئك الذين لم تغمرهم النعمة ، ولم يخدر أعصابهم الترف ، وربما وجد فى التاريخ ابطال نشأوا فى الغنى والنعيم ، ولكن أولئك – مع قلتهم – لم يكونوا مترفين ، وانما عزفوا منذ عقلوا الحياة عن حياة الدعة واللهو .

وهذا بدهى ، لأن المترف الذى لم يعرف ، ولم يألف الا الجانب اللين من الحياة لا يستطيع بطبيعته المنحرفة أن يصبر على الجانب الخشن منها ، وبلواه الكبرى انه لابد مضطر الى هذا الجانب يوما ما ، لأن الحياة فيها الحلو والمر ، واليسر والعسر ، وحينئذ يدرك جناية الترف عليه فىخاصة نفسه قبل أن يدركها فى مجتمعه .

والمترف لايزن الامور بميزانها الصحيح ، ولا يقدر كبريات المكارم قدرها ، لأن تفكيره كله منحصر فى جانب واحد من أخلاق الحياة ، فلا تجذب نفسه العظائم ، ولا يرى من السداد أن يكافح فى سبيلها ، وقد صدق الشاعر العربى عروة بن الورد حين وصف المترفين من الصعاليك ، اذ كل واحد منهم :

يعد الغنى من نفسه كل ليلة
اصاب قراها من صديق ميسر

ينام عشاء ثم يصبح نائما
يحت الحصا عن جنبه المتعفر

وحين وصف أصحاب الهمة الكبيرة منهم بانهم يخيفون اعداءهم ، ووجوههم تتألق كالشهاب المنور . وهكذا وصفهم حاتم الطائى :

ولله صعلوك يساور همه
ويمضى على الاحداث والدهر مقدما

فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة
ولا شبعة ان نالها عد مغنما

اذا ما رأى يوما مكارم أعرضت
تيمم كبراهن ثمت صمما

ويغشى اذا ما كان يوم كريهة
صدور العوالى فهو مختضب دما

فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه
وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما

والله سبحانه وتعالى يقول : « وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون » .

« يتبع ص ٥٨١ »

أسس إسلامية لـ إشتراكية

الدكتور محمد كمال شبانة

ما من شك فى أن لقصة الهجرة مواقف تستدعينا النظر والاعتبار ، من هذه المواقف قيام الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالمؤاخاة بين مهاجرى مكة وبين انصار المدينة ، تلك المؤاخاة التى اتسمت بروح الانسانية الحقة ، واضحى فيها البذل ونكران الذات مضرب الامثال ، حتى حق فيها الانصار بانهم ممن يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ..

وفى مناسبة هذا الموقف الانسانى الكبير ؛ من تلك الذكرى ذات التاريخ ، أقدم المثل التالى من أمثلة محمد صلى الله عليه وسلم فى مجال تنظيمه الاجتماعى نحو حياة تسودها أسس اسلامية اشتراكية ، ومثل تذوب فيها الفوارق الطبقية البغيضة ..

روى البخارى عن المعرور قال: «لقيت اباذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك . فقال : انى سابيت رجلا فعيرته بامه ، فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : يا أباذر أعيرته بامه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية ، اخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت ايديكم ، فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم» رواه البخارى فى كتاب « الايمان » .

روى هذا الحديث ايضا مسلم عن المعرور وغيره من طرق متعددة ، وكذا رواه ابو داود والترمذى واختلفت الروايات فى بعض عبارات الحديث وسنعرض لها فى حينها .

قوله « لقيت اباذر بالربذة » الربذة موضع بين المدينة والبادية بينه وبين المدينة ثلاث مراحل . قوله وعليه حلة وعلى غلامه حلة .. الحلة فى الاصل ثوبان من جنس واحد ، وظاهر حديثنا يدل على أن كلا منهما كان يلبس ثوبا واحدا ، اذ جاء فيها « رأيت عليه بردا وعلى غلامه بردا » فقال :« لو اخذت هذا فلبسته كانت حلة » ومثل هذا ما جاء فى رواية مسلم . فقلنا ياأباذر لو جمعت بينهما كانت حلة . وكذلك جاء فى رواية أبى داود « فقال القوم » ياأباذر لو أخذت الذى على غلامك فجعلته مع الذى عليك لكانت حلة » وحينئذ يجب التوفيق بين هذه الروايات والرواية الاولى للبخارى ، وذلك يتاتى بانه أطلق فى حديثنا الحلة على الثوب الواحد ، من باب اطلاق الكل على الجزء تجوزا كاطلاق الاصابع على الانامل « يجعلون أصابعهم فى آذانهم » فالحديث بظاهره يدل على أن ما كان يلبسه الغلام من جنس ما يلبسه ابو ذر لان الحال التى كان عليها ابوذر وغلامه استلفتت نظر القوم لانها كانت غير مألوفة لهم فأجابهم ابو ذر بما يدل على انه اتبع فى ذلك نص الحديث « وليلبسه مما يلبس » ، اى من جنسه .

وقوله « سألته عن ذلك » يراد منه أنه ساله عن سبب الباسه الغلام من جنس ما يلبس ، لا عن شىء آخر كنوع الملبوس او وصفه ، وباقى الحديث يدل على أن هذا هو المراد ، وانما ساله عن هذا السبب لان ذلك كان غير المألوف من عادات الناس فى ذلك الحين ، اذ كان من عادتهم ان تكون ثياب المملوك دون ثياب سيده .

قوله « انى سابيت رجلا .. الخ » ليس فى هذه العبارة ما يدل على كنه الرجل الذى سابه ابوذر .. اعظيم هو أم حقير ؟ سيد أم عبد ؟ او خادم ليس بعبد ، ولكن آخر الحديث ظاهر فى أنه كان من الخدم والخدم أكثر ما كانوا من العبيد ، وذلك قوله « اخوانكم خولكم » ورواية أبى داود تدل على أن هذا الخادم كان عبدا ، اذ جاء فيها « فشكانى الى رسول الله ، فقال : يا أباذر انك امرؤ فيك جاهلية ، قال « انهم اخوانكم فضلكم الله عليهم . فمن لم يلائمكم فبيعوه ، ولا تعذبوا خلق الله » .

فقوله « فبيعوه » يدل على انه كان عبدا وقد قال صاحب « منهج الراغبين » « الذى نعرفه انه بلال »

وقد زاد مسلم في رواية فقال « ساببت رجلا من اخواني » اى من اخوان أبى ذر ، وهذا يشعر بأن الرجل كان عظيما ، وليس بخادم ، وعلى هذا تكون رواية البخاري جاءت مطلقة ورواية مسلم قيدت الرجل بأنه من اخوانه ، أو تكون رواية مسلم في ظاهرها متعارضة مع رواية أبى داود ، لما أشعرت به رواية مسلم من عظمة الرجل وما نصت عليه رواية أبى داود من أنه كان عبدا ، غير أن هذا الظاهر من التناقض يذهب متى علمنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال « اخوانكم خولكم » في كل من رواية مسلم وأبى داود وغيرهما ، فقد بين أن العبيد اخوان السادة ، اذ لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وقد نبه الله الى ذلك بقوله « انما المؤمنون أخوة » ولم يفرق بين سيد وخادم في ذلك .

قوله « ساببت رجلا » معناه . وقعت بيني وبينه مسابة ، اى شاتمته والمسابة مأخوذة من السب وهو القطع ، فالمسابة فيها مقاطعة بين المتسابين ، أو قطع للمسبوب عن اللحاق بمن سبه ، ولفظ الحديث يدل على أن السب قد حصل من الجانبين ، أخذا من المفاعلة ، وقد صرحت رواية مسلم بما يفيد هذا اذ جاء فيها ..

« قال : أعيرته بأمه ؟ » فقلت « من سب الرجال سبوا أباه وأمه »

قوله « أعيرته بأمه ؟ » أى نسبته الى العار بسبب امه ، وذلك لانه قال له : يا ابن السوداء ، كما يدل على ذلك قوله في رواية أخرى « قلت له : يا ابن السوداء » أو لانه قال له : يا ابن الاعجمية ، كما يدل عليه ما جاء في رواية أبى داود « وكانت امه أعجمية فعيرته بأمه » والفاء في قوله « فعيرته » تفسيرية ، ومعنى ذلك أن السب من أبى ذر كان التعبير بالام ، وقد يؤيد هذا الاخير ما جاء في رواية مسلم ، قال « أعيرته بأمه ؟ فقلت : « من سب الرجال سبوا أباه وأمه » فقوله « وأمه » يشعر بأنه زاد بتعييره بأمه ، اذ لو كان التعبير غير زائد على السب لقال « من سب الرجال سبوه » .

قوله : « أعيرته بأمه ؟ » قول للرسول عليه السلام ، وظاهر أن الاستفهام انكارى ، أراد منه الرسول توبيخ أبى ذر على ما حصل منه ، وذلك لان التعيير بما يحط بالامهات قبيح ، لا يتفق مع خصال الاسلام ، ولهذا قال الرسول عليه السلام - عقب هذا الانكار - « انك امرؤ فيك جاهلية » ، ولم يتبين من حديثنا ما اذا كان الرسول كان سامعا لهذا السب فتكلم بناء على ذلك مع أبى ذر أم بلغه فقال ما قال ، ولكن رواية أبى داود تبين وجه المسألة ، اذ جاء فيها « فعيرته بأمه فشكاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم » فقال : « يا أباذر .. الخ » .

قوله : « فيك جاهلية » أصل الجاهلية زمن الفترة قبل الاسلام ، ولكن المراد هنا فيك خصلة من خصال الجاهلية ، فالرسول يزيد على التوبيخ في الجملة السابقة بالافصاح في هذه الجملة عن أن التعيير بالامهات من الخصال التى تتنافى مع خصال الاسلام فيكون من قوله « أعيرته بأمه ؟ » .

وفي قوله : « انك امرؤ فيك جاهلية » كمال الانفصال ، نظرا الى ان الثانية جاءت في مركز التأكيد المعنوى للاولى من حيث أنها جاءت مقررة للمراد منها وان خالفتها في اللفظ ، ومن هنا فصلت عنها ولم تعطف عليها ، ونحن اذا استعرضنا خصال الجاهلية التى هى معاصى وجدناها الشرك وما هو دون الشرك ، مما عده الاسلام من كبائر الذنوب أو صغائرها ، ولا جائز المراد هنا الشرك ونحوه كالكفر ، لان منزلة أبى ذر رضى الله عنه من الايمان كانت في الذروة ، وليس من المعاصى غير الشرك ما يجعل صاحبه كافرا ، اللهم عند الخوارج فانهم يكفرون ببعض الذنوب ، ولكن النص القرآنى يرد هذا الزعم بقوله : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ، فقد اعتبر المعاصى قسمين : أولا .. قسم لا يغفره الله وهو الشرك ، وثانيا .. قسم يغفره ان شاء وهو ما دون الشرك ، ولسنا نريد بالشرك الذى لايغفره مالا يعم الكفر ؛ بل المراد منه مايعمه ، ضرورة أن من آمن بالوحدانية وكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم يكون ممن لا يغفر لهم ، لقوله تعالى في آية أخرى « ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها ، أولئك هم شر البرية » .

والظاهر أن هذا التعيير الذى حدث من ابى ذر كان قبل أن يعرف أن هذا محرم ، فكانت هذه الخصلة لا تزال باقية عنده ، ويشير الى هذا ما جاء في رواية البخارى لهذا الحديث في كتاب الادب « قلت : على ساعتى هذه من كبر السن ؟ قال .. نعم » ، فان هذا يشعر بأنه تعجب من خفاء هذا الحكم عليه مع كبر سنه .

قوله : « اخوانكم خولكم » الاخوة هنا مجاز عن مطلق القرابة ، لان الكل أولاد آدم ، أو مجاز عن اخوة الاسلام ، وعلى الاخير يكون المماليك الكفرة تابعين للمماليك المؤمنين في هذا الحكم قياسا عليهم ، أى أنهم يكونون كالمماليك المؤمنين في مستلزمات الاخوة الاسلامية كحسن المعاملة ، واعانتهم فيما يثقل عليهم ، والخول جمع خايل وهو الراعى أو الخادم أو العبد ، وكل هؤلاء يقومون بالخدمة ، فهم يتخولون شئون مخدوميهم ، أى يصلحونها ، اخذا من قولهم خال المال يخوله اذا اصلحه وأحسن القيام عليه ، والظاهر من سياق الحديث أنه يريد أن يخبر عن « الخول » بأنهم اخوان لمخدوميهم فكان مقتضى هذا الظاهر أن يقول : « خولكم اخوانكم » ، ولكن عدل عن هذا بتقديم الخبر على المبتدأ للاهتمام بالاخوة التى يريد أن يسبغها على هؤلاء الخادمين ، وليكون في ذلك افادة قصر الخول على كونهم اخوانا ، أى ليسوا الا اخوانا ، وهذا مما يستوجب الاحسان اليهم ، وترشيح هذا وصايته بهم بقوله في آخر الحديث : فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل .. الخ . وكذا قوله : « المؤمن أخو المؤمن ، سبابه فسوق وقتاله كفر » ، فلم يفرق بين الخدم وغيرهم ولكن كثير منا تأخذه العزة بالاثم ، فيظن الخدم جنسا دون جنسه فمثل هؤلاء مخالفون لاصول الدين التى لو راعيناها لحمتنا من أدواء الشيوعية ، وحفظتنا من المبادىء الهدامة .

قوله : « جعلهم الله تحت أيديكم » أى أن أيديكم مبسوطة عليهم ، وهذا مجاز عن قدرة السادة أو تملكهم لعبيدهم .

قوله : « فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس » الاصل في الامر أن يكون لايجاد المطلوب لكنهم قالوا :

ان الامر هنا خرج عن أصله الى الاستحباب ، وسندهم في هذا ما حكوه من الاجماع على ذلك . فيكون المعنى يستحب أن يطعمه من جنس ما يأكل ويلبسه .. الخ » ، ولو أطعمه ما يقوته ولم يكن من جنس ما يأكل لكان قد أدى الواجب ، وكذا لو ألبسه ما يقيه الحر

والبرد وان لم يكن من جنس ما يلبس ، فيكون أبوذر فى عمله متورعا ، يأتى بأوسع مما يستلزمه الامر .

قوله : «ولاتكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم» التكليف الامر بما فيـه كلفة ومشقة ، وليست مطلق المشقة فى العمل مما يجعله داخلا تحت النهى الذى هنا ، بل يجعله داخلا هنا المشقة التى يصعب معهـا العمـل ، ولذا قال « ما يغلبهم » أى لا تأمروهم أن يقوموا بمـا يغلبهم وتعجز قدرهم عن القيام به ، ثم استدرك على هذا فقال : « فان كلفتموهم ، أى مايغلبهم فاعينوهم ، أى ساعدوهم على عمله ، فمفعول «كلفتموهم» محذوف ، لدلالة ما قبله عليه .

ما يستنبط من هذا الحديث :

١ ـ الكف عن سب الخدم أحرارا كانوا أم عبيدا ، وكذا من يماثلهم فى الخدمة من الاجراء الذى قد يحتاج اليهم لاداء عمل ما . فلا يجوز لاحدهم تعييرهم بشىء من مكروه يعرفه فى خاصة أنفسهم أو ابائهم .

٢ ـ عدم الترفع على المسلم ولو كان عبدا أو خادما أو نحوهم من الضعفاء ، فقد تضافرت الادلة على التلطف بهم وعدم احتقارهم ، ولقد أمر الرسول نفسه ـ وهو من هو فى علو الخلق ـ بخفض الجناح للمؤمنين فى قوله تعالى : « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » فان فى ذلك تقديسا للوحدة وتوثيقا للتعاون ، ولاصلاح للامة الا بذلك .

٣ ـ العمل على اطعام الخدم مما يطعم مخدومهم ، والباسهم مما يلبسون بحيث ترضى نفوسهم ؛ ولا يتولد الحقد فى قلوبهم على اسيادهم .

٤ ـ عدم تكليفهم ما لا يطيقون من الاعمال ، سواء أكانت عدم الطاقة ناشئة من استدامة العمل ، أو عدم القدرة عليه من الاصل ، فان كلفناهم بذلك وجب علينا اعانتهم ، وعلى هـذا يكون أرباب الاعمـال الذين يستخدمون الاجراء ويضطرونهم الى العمل المتواصل ساعات طويلة من الليل ، فلا يتركون لاجرائهم من الوقت ما يقضون فيه حوائجهم مخالفين لمقتضى هـذا الامر العظيم .

بقية مقال « المبذرون اخوان الشياطين »

تقليد للآباء ، وكفر بما جاء به الرسل ، وليس السر فى ذلك الا ان الايمان يدعوهم الى الحياة الجادة ، وهم حريصون على حياتهم الرخوة المريضة .

ومن شأن الترف أن يحدث اضطرابا فى الاعصاب ، لأن انهماك المرء فى الملذات ، واعطـاء النفس كل حظوظها ، وشهواتها ، يبطل عمل الارادة ، ويجعل المرء عبدا لشهواته : (والنفس راغبة اذا رغبتها) .

قالت احـدى صحف التربية بامريكا : ان نسبة حوادث الانتحار بين المراهقين الأمريكيين تتزايد بصورة مستمرة ، وانها أصبحت تقع بمعدل حادثين فى اليوم الواحد ، وقالت ان سبب هذه الزيادة يرجع الى حدة الصراع الذى يدور فى نفوس المراهقين .

وقد علل بعض الكاتبين هذه الظاهرة بالترف الذى يعيش فيه الناس فى أمريكا فهم ـ كما قال احد رجال التربية عندهم ـ يريدون المال ، ويحصلون عليه بسرعة وينفقونه بسرعة ، كل ما يريده الشباب هو وسـائل الترف والراحة ، ان الشباب بلا غد ، وشباب بلا غد ، ولا امل ، ولا حنان دافىء ، ولديهـم الترف والمتعة ، والثروة لابد ان تصيبهم الاضطرابات النفسية ، وبخاصة فى سن المراهقة .

ان مشـكلة الوفرة شبيهة بمشكلة القلة ، الغنى الشديد كالفقر الشديد ، كلاهما مجلبة للفساد ، الأول فساد الامتلاء ، والثانى فساد الفراغ .

ولـو ان هؤلاء الشباب أعدوا الى أن يدافعـوا عن الوطن وكان الخيار فى أيديهم لكان شأنهم شأن أولئك الذين كانوا فى عهد الرسول و (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) .

وهذا بعض نكبة المجتمعات والامم بهؤلاء المترفين ، فانهم ـ مع ضعفهم وتخاذلهم ـ سبب البـلاء ومنبع الفساد حين يضلون السبيل .

يشيع الغنى فى بلد من البلدان ، ويكثر فيهم الترف ويسكت الآخرون فلا ينكرون عليهم فيعميهم الله بنقمته ، وهذا مصداق قوله تعالى : « واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

اعترافات الأجانب

بالدين الإسلامي

سماحة الاستاذ مبشر الطرازي الحسيني

(٢)

لقد روينا فى بحثنا السابق تحت هذا العنوان ، جانبا من اعترافات الاجانب فى موضوع « سرعة انتشار الاسلام » وهنا نروى لقراء « منبر الاسلام » اعترافاتهم التى تتعلق بشان « القرآن المجيد » .

١ ـ تقول دائرة المعارف البريطانية ، فى مفتتح كلامها عن « القرآن » ما نص ترجمته :

« ان كتاب الاسلام المقدس ، يقوم عليه دين أكثر من مائتى مليون من المسلمين (والصحيح ما يقرب من سبعمائة مليون) ويعتبرونه كلمة الله المباشرة ، واستعماله فى العبادة والمدارس دعا لزيادة انتشاره الى أبعد حدود الانتشار ، حتى انه ليتفوق من هذه الجهة على الانجيل تفوقا واضحا ، فهو بحق احفل الكتب بالتداول فى الدنيا بأسرها . وهذا وحده يكفى لتتجه اليه عناية واسعة عميقة ، وليبحث عن وجوه ملاءمته لذوق المسيحيين ، واتفاقه مع دينهم وفلسفتهم ، وهو الى جانب هذا ، من أكبر العوامل التى مكنت النبى محمدا من أن يدعو لدينه ، وأن ينجح فى دعايته ، الى درجة مكنته من أن يكون أكثر الانبياء نجاحا . ولقد تناوله افاضل علماء الغرب بالبحث والدرس ، حتى ان فلوجل الالمانى عمل قاموسا تستطيع به أن تعرف مكان كل كلمة فى القرآن سورة وآية حتى الحروف » .

٢ ـ وجاء فى تقرير الحكومة البريطانية المرفوع لجامعة الامم ما يلى :

« ان تعاليم القرآن التى صانت فلسطين قبل الحرب من شرور الخمر وويلاتها لا تزال تعصمها من التردى اليها بعد الاحتلال » .

٣ ـ وورد فى مجلة « اليقين » البغدادية ص ٣٤١ من ج ٣ ما نصه :

« حينما اجتمع الفرنسيون لاعلان حقوق الانسان سنة ١٧٨٩ ، صرح احد حكمائهم قائلا : السلام عليك أيها العربى العظيم (يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم) فقد تفضلت على العالم بقواعد الحرية والمساواة (يريد تعاليم القرآن) حتى لم تترك زيادة لمستزيد » .

٤ ـ قال تشامبر فى دائرة معارفه ما يل :

٥ ـ تلك الاداب العالية لا توجد فقط فى سورة واحدة ، أو اثنتين أو ثلاث من القرآن لكنها مثل الخيوط الذهبية . قد نسجت فى المنسج المحمدى الدينى العظيم ، فالظلم والكذب والكبر وحب الانتقام والغيبة والسخرية والشح والتبذير والفسق وسوء الظن وعدم الثقة مذمومة جدا ومعتبرة موبقات وفسقا عل امر الله ، فى حين ان فعل الخير والجود والعفة والاحتمال والصبر وكظم الغيظ والتقشف والاخلاص والاستقامة وحب السلام والحق ، وفوق الكل الثقة بالله والاذعان لارادته ، قد اعتبرت اركان التقوى » .

٦ ـ وقال دفنبورت فى كتابه «محمد» مايلى :

« ان آداب القرآن قد هوجمت بظلم وتعسف ، لم يكن اقل من التحامل والجور الذى هوجمت به عقائده ، لقد شدد ـ القرآن ـ النكير على الفسق والاستهتار بالذات بجميع انواعه ، والربا والشح والكبر والغيبة والنميمة والرياء والتلهف على حطام الدنيا ، وبعكس ذلك قد أمر بالصدقة ، والحنو على الاولاد ، والشكر لله ، والوفاء بالعهد ، وخصوصا فى أمر اليتامى ، وبغير محاباة ولا استثناء أمر بالعفة والصون ، حتى فى الالفاظ ،

وعتق الرقاب ، والصبر والانابة وفعل الخير وغفر الذنوب ودرء السيئة بالحسنة ، والسير فى طريق الفضيلة ، لا رياء للناس وطلبا لمرضاتهم ، بل لنيل القبول عند الله » .

٧ ـ وجاء فى دائرة معارف بوبيولز القسم السابع ص ٢٢٦ مايلى :

« لغة القرآن تعتبر المثل الاعلى للبلاغة ، ولها أسلوب ساحر شعرى بديع الجمال ، الى حد أن بقى طول الدهور ولا يستطيع أحد ان ياتى بمثله ، أما قواعده الادبية ـ الاخلاقية ـ فهى واضحة عالية ، فأى رجل عمل بها فانه يحيى حياة طيبة مملوءة بالتقوى » .

٨ ـ وقال بن ستانلى فى كتابه « الكنيسة الشرقية » ص ٢٧٩ ما يلى :

« فى دائرة محدودة قد عملت شريعة القرآن بلا ريب تاثيرا أعمق من الذى عملته النصرانية وشريعة التوراة » .

٩ ـ وقال ارفنج فى كتابه « محمد » ص ٢١٨ ما يلى :

« القرآن يشتمل على قواعد كفيلة بالطهارة والرقى والاحسان »

١٠ ـ وقال القسيس دوبرتسن ما نصه

« لم يبق ولم يذر القرآن شيئا ، فى انكاره للحسد والنفاق والحقد والكبر والتفاخر والحكم القاسى وما أشبه ذلك ، ومن أوضح أموره أنه بحث على فضيلة الصبر والشكر والاخلاص والخوف من الله سبحانه » .

١١ ـ وجاء فى دائرة المعارف البريطانية أيضا ـ ١٦ : ٥٩٩ ـ مايلى :

« محتويات أقسام القرآن المختلفة متنوعة جدا ، فكثير من المواضيع يشتمل على الالهيات ، والاداب ، يذكرنا بالعظمة والاحسان وتقوى الله ، بواسطة الطبيعة ، والتاريخ ، وما أنزل على الانبياء من الوحى ـ ولا سيما ما أنزل على محمد ـ ويعظم الله بانه واحد على كل شىء قدير ، وينظر الوثنيـة وتاليه المخلوق كعبادة المسيح على أنه ابن الله ، انكارا شديدا » .

١٢ ـ وقال سروموير :

« القرآن مشحون بالحجج الماخوذة من الطبيعة ومن الحكمة الربانية ، المبرهنة على وجود الله وانه هو الحاكم الاعلى (فى السموات والارض) ويحتم وجوب رد الحكم اليه ، وطاعته وشكره على النوع الانسانى ، والجزاء فى الدار الاخرة على الخير والشر ، ووجوب اتباع الفضائل وتجنب الرذائل ، واداء الواجب وكون سعادة الخلق فى تقوى الخالق وعبادته ، وما أشبه هذه الامور ، وكذلك أثبت القرآن البعث بحجج قوية معقولة ، واستدل عليه بدلائل قوية ، ولا سيما قياس البعث باراضى الجهات الجنوبية ، التى تكون يابسة ميتة زمانا ، ثم تحيى بغتة وتهتز وتربو حينما ينزل عليها المطر الغزير من السماء ، فتنبت من كل زوج بهيج » .

١٣ ـ وقال غوته الالمانى :

« مهما نظرنا وأكثرنا النظر فى القرآن ، تشمئز منه انفسنا لاول وهلة ، لكنه لايلبث يستميلنا ويدهشنا ، وفى النهاية يجبرنا على تعظيمه ، أسلوبه فى مطابقته لمعانيه واغراضه ، قوى عظيم رائع ، شيئا فشيئا يجذبك الى أن تتحقق علوه ، وهكذا يستمر هذا الكتاب عظيم التاثير فى جميع العصور .

١٤ ـ وقال نولديكى :

« لئن خاطب القرآن بقوة واقناع ، قلوب سامعيه ، ولم يزل يتسلط على العناصر البعيدة منه المتعادية المتضادة ، ويربطها ويجعلها جسما واحدا ، وينفخ فيها روح الحياة التى كانت ولا تزال مستولية على الفكر العربى ، فذلك لان بلاغته بالغة أوج الكمال مع السذاجة وبذلك خلق امة متمدنة من قبائل متوحشة ، والحم بلحمة جديدة مدى التاريخ » .

١٥ ـ وقال القس كمرون د ، د :

« لقد اوجد القرآن للشرقيين اكمل صورة للكلام واعلى وحى شعرى ناله الانسان ، لكن الاوربيين ايضا اذا قرءوه لايحرمون من نيل فوائد جديرة بالاعجاب ، ومقوية لادب لغاتهم ، بل الادب العالى الذى يقتبسونه منه » .

١٦ ـ وقال جونسون

« ان القرآن لصوت نبى سامى (نسبة الى سام بن نوح) نافذ الى صميم الفؤاد ، يحمل معنى عاليا ابديا ، وستحمله جميع الاصوات فى العصور شاءت ام أبت ، وسيسمع صداه فوق القصور العالية ، والصحارى المقفرة ، والمدن ، والممالك (الامبراطوريات) لقد أضاء نور القرآن أولا فى القلوب المختارة لفتح العالم ، ثم جمع نفسه فى قوة مجددة كل نور فى آسيا واليونان ، فاخترق ظلمة أوربا النصرانية ، حينما لم تكن النصرانية الا ملكة الليل . (آلهة قديمة للنور عند الايطاليين) .

١٧ ـ وقال توماس ويتاكر فى كتابه « مصادر النصرانية » ما يلى :

« ان القرآن هو الكتاب التاريخى الوحيد ، دون سائر كتب الاديان الاخرى » .

١٨ ـ وقال ا . هـ . يامر :

« لا ينبغى ان ينسى ان تحدى القرآن بمعجزة البلاغة كان ـ ولا يزال ـ عند العرب مما لا نزاع فيه »

١٩ ـ وقال الاستاذ عبد المسيح الانطاكى بعدما اتى بآيات القتال من القرآن :

« وفى هذه الآيات الكريمة ، تتجلى روح الاسلام السامية العادلة ، باجلى تجليها لدى المنصفين » .

٢٠ ـ وقال مسيو هوداس :

« ان القرآن يحيط بجميع العلوم والدين والشريعة ومكارم الاخلاق ، التى يمكن للعقل البشرى ادراكها » .

٢١ ـ وقال مستر ادوارد الامريكى :

« هكذا انزل القرآن الكريم (كتاب الله المقدس) للناس فى زمن كانوا فيه بحاجة شديدة اليه ، فاوقع فرقان الحق والرعب والهلع فى افئدة الرجال واخضعهم بحقائقه التى لاتدحض ، وبلاغته وفصاحته وجلاله ونقائه وسمو آرائه ، حتى صمم العرب أن يكفروا عن سيئاتهم الماضية ، فكانت النتيجة أن اهتدى كل سكان شبه الجزيرة الى الاسلام .

وهكذا تغيرت بلاد العرب تغيرا فجائيا عجيبا ، خلال مدة وجيزة ، اذ بدلا من الكفر والالحاد وانكار الوحي والتعصب الديني النعيم ، اخذ الناس يعبدون الله الواحد العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، وبدلا من الاتوقراطية ونظام الاقطاع ، انشئت الديمقراطية الحقيقية ، والاخوة التي لم تر الدنيا مثلها قط ، وبدلا من معاملة الاطفال والنساء ، المعاملة القظيعة القاسية اخذ الرجال يجلونهم ويحبونهم ، وبدلا من الهمجية والتوحش أصبح المسلمون يحملون نور العلم والمعارف ، وبدلا من انشقاق القبائل وانفصام عرى المودة بينهم ، اتحدوا واصبحوا امة واحدة وكتلة عظيمة لا تتجزأ ، وكان لها في الواقع قوة وسيادة وسيطرة غير محدودة ، وبدلا من ذلك المجتمع الفاسد المهين ، وجد مجتمع آخر ذو مواهب عقلية واخلاق سامية ورابطة متينة ، لم يلبث ان اصبح فيما بعد أعجوبة للعالم أجمع ، ولا شك في ان التحول العجيب من أحط دركات الجهل والرذيلة ، الى أعلى درجات الحضارة والمدنية ، لم يكن الا نتيجة الوصايا والفرائض والاوامر التي احتوى عليها القرآن المجيد » .

٢٢ ـ قال مسيو بيرك في بعض خطاباته في البرلمان الانجليزي :

« ان تعاليم القرآن ، احكم وأعقل وأرحم تشريع عرفه التاريخ » .

أقول : هذه مقتطفات من الاعترافات الكثيرة ، التي صرح بها الاجانب المنصفون ، في موضوع « القرآن المجيد » اكتفينا بروايتها لقراء (المنبر) الفضلاء ، وخاصة لابناء الجيل الناشيء الاعزاء ، رجال مستقبل الاسلام .

لقد انزل الله كتابه المجيد على نبيه ورسوله وخاتم أنبيائه ورسله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، لا ليهدي به من كانوا حول رسوله من الناس ، أو من كانوا يعيشون في جزيرة العرب ، من قبائل العرب فحسب ، وانما أنزل كتابه ليهدي به عالم البشرية كافة الى ما فيه سعادته في الدنيا والاخرة .

فقد قال سبحانه في وصفه « ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم » الآية .

وليردع كافة النـــاس (على اختلاف أجناسهم وعناصرهم) عن الزيغ والضلالة في العقيدة والمبدأ ، وعن الخروج عن الخطة الصحيحة والطريق المستقيم في سبيل الحياة والتقدم نحو الغاية المنشودة ، وقد اشار اليه حيث قال « فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى » الآية .

ان هداية القرآن وأثره البـــاهر في اخراج عالم الانسانية ، من الوحشية الى الانس ، ومن البربرية الى التمدن المعقول والحضارة الصحيحة ، ومن حضيض الجهل الى ذروة العلم والمعرفة ، مما لا ينكر (ولايجوز ان ينكر) وكيف ؟ وقد أثبتت الحقايق الواقعة مدى العصور ، واقره التـــاريخ البشري في أدواره ، ومن المعلوم المبرهن أن انكار ما تثبت بالحقايق الواقعة جهل وتحكم فارغ ، وان مما اتفق عليه أرباب العلم والانصاف انه لا يمكن انـــكار ما اعترف به التـــاريخ واقره في سطوره ، كما ان دخول نور العلم (تحت تعـــاليم القرآن) الى قارة اوربا عن طريق الاندلس وايطاليا ، مما اعترف به المؤرخون الاجانب .

حتى ان قارة الغرب قد استمدت روح نهضتهـــا (المعقولة) في شئون الحياة وتطورها ، من النهضـة الاسلامية ، التي تبتنى على تعاليم القرآن وارشاده الحكيم وهديه المستقيم .

ولا مرية في ذلك ، فان نفس المؤرخين من الاوربيين قد صرحوا قائلين : ان علوم القرآن وادابه هي التي ايقظت أوربا من سباتها العميق ، ورقدتها المديدة .

وها هو القرآن (كتاب الله المجيد) في عصرنا هذا (عصر العلم والكشف) يظهر ظهورا أبرز من ذي قبل ، فقد أثرت تعاليمه القدسية واحكامه الحكيمة في وضع القوانين الوضعية في سائر الملل والنحل في أنحـــاء المعمورة ، وأحدث انقلابا واضحا وتطورا ملموسا في جميع نواحي التقنين في الدول الراقية ، وكيف لا ؟ وقد تجسمت تعاليمه (أو قل قوانينه السماوية) لدى عقول من درسها من فلاسفة الدنيا وحكمائها ، بحكمتها البالغة وفلسفتها الرائعة ، وتجسمت بما فيها من العطف على الفقراء والمساكين ، والعجزة والمعوزين ، مع التفكير الصحيح والتدبير الناجح المعقول لحياتهم المعيشية ، وتجسمت بما لها من الفوائد الصحية في معالجة كثير من الامراض وانقاذ الانسانية وحمايتها عن فتكها ، وعلى الاقل في وقايتها عن اصـــابتها ، ولا سيما الادواء النفسية ، وتجسمت بما فيها من الديانة الحقـة مع السماحة والتيسير ، وتقدير ظروف المعذور ؛ وعـدم التكليف فوق الطاقة ، وتجسمت بما فيها من الدعوة الى النهوض بالانسان نحو المثل العليا والاخـــلاق الفاضلة ، والوطنية النزيهة . وتجسمت بمناهضتهـا الاستعمار بجميع أشكاله وألوانه ، وبمكافحتها الفعالة ضد الشيوعية وغيرها من المبادىء الهدامة .

اريد ان اقول : تجسمت تعاليم القرآن واحكامهـا بهذا وذلك أمام الباحثين ، فاخذت بمجـــامع قلوبهم واسرت عقولهم ، واضـطرت المنصفين منهم (جاذبة بجاذبيتها الروحية) للانصاف ، وانطقتهم بالاعتراف ، ودفعتهم نحو الخضوع لديها ، والانحنـــاء والتعظيم لمنزلها ، الا وهو خالق السموات والارض ، خالق هذا الكون ، خالق الانسان ، الذي علمه البيان ، وهـداه الى ما ينفعه وما يضره من الشان .

وأزيد وأقول : وها هو القرآن المجيد في العصـر العشرين (عصر القنابل الذرية ، والهيدروجينية . عصر الصواريخ والاقمار الصناعية ، عصر التطلع والاستطلاع عصر الاسفار نحو القمر الطبيعي وسائر الكواكب) يطبق على الانسانية الراهنة والبشرية الناهضة ، ما وعد الله سبحانه بقوله « سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » الآية .

ومن آيات وجـوده ووحـدانيته ، ودلائل قـدرته وعظمته ، في افاق الدنيا وفي أنفس افراد الانسانية ، ذلك لكي يتبين لهم (ولا سيما الملحدين وضعفاء الدين) ان القرآن وتعاليمه حق لا يسوغ انكاره ، وان خالق هذه الافاق والانفس ، وخالق هذا الكون العجيب المتقن حق يجب الايمان به حق الايمان !

« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ، ان آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسـلك ولا تخزنا يوم القيامة ، انك لا تخلف الميعاد » .

« للبحث بقية »

مع موكب النور

فضيلة الشيخ حسين محمد هاشم

من الاحداث الجليلة السابقة فى تاريخ رسولنا صلوات الله وسلامه عليه الاسراء والمعراج ، ولذلك كان لزاما على الباحث أن يفتح قلبه وفؤاده حتى يستشف ما فى هذا الموضوع فهو ليس بالامر الهين اليسير .

ومهما حاولنا أن نصف هذه الحادثة التى حدثت فى جزء من ليلة .. لو حاولنا جاهدين او حاول من ياتى عبر الاجيال والقرون ما استطاع أن يوفيها بعض حقها وهى التى تبين بعض فضل النبى صلى الله عليه وسلم لانها معجزة خالدة قد تفرد بها دون سائر الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

الاسراء بالروح والجسد

لقد اختلف العلماء فى أن الاسراء كان بالروح فقط أم كان بالروح والجسد ؟.

ومن أصحاب الراى الاول السيدة عائشة رضى الله عنها ، فلقد قالت « ولم نفقد جسده » .

وليس مراد أصحاب هذا الراى ان الاسراء كان مناما ولكنهم ارادوا انه كان بالروح وفرق كبير بينهما ، فان ما يراه النائم قد يكون أمثالا للصور المحسوسة ضربها ملك الرؤيا فيرى نفسه وكأنه اسرى به الى المسجد الاقصى ثم عرج به الى السموات وروحه لم يسر بها .

ولكن رواية السيدة عائشة لم تثبت وضعفت .

ويؤيد ذلك أن السيدة عائشة لم تكن دخلت بالنبى صلى الله عليه وسلم آنذاك لأن هذه الحادثة كانت قبل الهجرة والنبى صلى الله عليه وسلم لم يدخل بها الا بعد الهجرة ، ولكنه كان قد عقد عليها فقط قبل الهجرة وسنها سبع سنوات .

والراى الثانى وهو أن الاسراء والمعراج كانا بالروح والجسد وهو لجمهور أهل السنة وهذا الراى هو الصحيح لانه ثبت بالاحاديث الصحيحة ..

وهل يبعد على قدرة الله تعالى وحتى تتم المعجزة أن نراه سبحانه وقد اسرى بروح نبيه وجسده ؟

وفى ضوء ذلك يتلاءم التعبير القرآنى الكريم الذى يدل على التنزيه والقدرة الخارقة فتوج الله سبحانه وتعالى هذه القصة بقوله :

« سبحان الذى أسرى » مما يدل على ان الاسراء مخالف لمجريات الامور العادية ولا يكون ذلك الا بالروح والجسد معجزة الهية وفضلا من الله المنزه عن المثيل فى قدرته والا لما كان هناك مجال للتعبير بـ « سبحان » تنزيها ، لو كان الامر بالروح فقط .

واذا نظرنا الى « سبحان الذى أسرى بعبده » ، « فأوحى الى عبده » افلا يعطينا هذا التعبير - « بعبده » - ، « الى عبده » - أن الاسراء والمعراج كانا بالروح والجسد ؟ لان لفظ عبد لا يصدق على الروح فقط وانما يصدق على الروح والجسد .

ولقد كانت رحلة سماوية فى هدوء الليل حيث الصفاء والطهر .

وجلت قدرة الله تعالى فكان كل ذلك فى جزء قليل من الليل كما يفيد التعبير القرآنى بقوله (ليلا) ويلاحظ أن الاسراء لا يكون الا فى الليل .

واستاذنا مصطفى صادق الرافعى فى كتابه « وحى القلم » ص ٣٢ فى الاسراء والمعراج يقول : « والحكمة - فى ذكر ليلا فى الآية - هى الاشارة الى ان القصة قصة النجم الانسانى العظيم الذى تحول من انسانيته الى نوره السماوى فى المعجزة ، ويتمم هذه العجيبة ان آيات المعراج لم تجىء الا فى سورة (والنجم) » .

واما القصة فهى كما جاءت فى صحيح السنة واصح احاديثها ما رواه البخارى ومسلم ونقله القاضى عياض فى شفائه عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطه بالحلقة التى تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتانى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل: اخترت الفطرة . ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت ؟ قال جبريل .. قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا آدم فرحب بى ودعالى بخير ، ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت ؟ قال جبريل . قيل ومن معك قال : محمد ، قيل وقد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه . ففتح لنا فاذا انا بابنى الخالة يحيى وعيسى ابن مريم فرحبا بى ودعوا لى بخير . ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا واذا انا بيوسف واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير . ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بى ودعا لى بخير . ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بى ودعا لى بخير . ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بى ودعا لى بخير . ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه. ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فاذا أوراقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر ربى ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها **فأوحى الله الى ما أوحى ففرض على وعلى أمتى خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة ، قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم .**

قال : فرجعت الى ربى وقلت له يا ربى خفف عن أمتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى فقلت : حط عنى خمسا . قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف . قال فلم ازل أرجع بين ربى تعالى وبين موسى حتى قال سبحانه : يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة فلم

يعملها لم تكتب له شيئا ، ومن هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة . قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف . فقلت قد رجعت الى ربى حتى استحييت منـــه . هذه هى القصة كما وردت فى الصحيحين .

فقد شق خير المرسلين طريقه
بليل فكأن الليل من اجله ظهرا
وجاء براق النور للنور خاشعا
ذلولا ليرقى ظهره لم ير العسرا
واسرى بالمختار من قلب مكة
الى المسجد الاقصى فسبحان من اسرى
تهلل وجه الرسل بشرا وفرحة
وقالوا له أهلا بمن جاءنا ذخرا
تقدم امام الرسل صل بجمعنا
فان اله الناس أعلى لكم قدرا
فصلى اماما والنبيون خلفه
وبواه الرحمن فى المسجد الصدرا
وبعد صلاة الانبياء سما الى
سماوات رب العرش يعلوها طهرا
راى المصطفى جبريل عند مكانة
توقف فيها لم يطق بعدها سيرا
فقال تقدم يا أمين معى الى
ضيافة رب العرش نلق بها خيرا
فقال أنا جبريل خادم أحمد
وما جبريل ليعصى لكم امرا
ولكن مقامى ها هنا ان تركته
وجاوزت حدى فيه لم أر لى عمرا
رقى المصطفى فوق السماوات دانيا
فكان قريبا قاب قوسين او شبرا
رات عينه فى ذلك الوقت ما رات
من النعم العظمى وآياته الكبرى
فاوحى الـــه الله انى غـــافر
فبلغ ايا مختار امتك البشرى

جانب العقيدة في الاسراء

الأستاذ سعد شاكر

يحسن بنا قبل أن نعرض لجانب العقيدة فى الاسراء أن نتناول العقيدة نفسها بشىء من البيان والتوضيح وأن نلم بالأطوار التى مرت بها والمراحل التى اجتازتها لنعرف حق المعرفة أنها عقيدة واحدة لم تتبدل أبدا منذ عهد آدم أبى البشر عليه السلام الى وقتنا هذا .

هذه العقيدة هى وحدانية الله سبحانه وتعالى .

فقد أرسل الله رسله أجمعين بدعوات تقوم على أصل واحد وهو التوحيد وان اختلفت فى الفروع والأحكام فكان التوحيد أصل الدين فى جميع الرسالات ومن الأدلة على هذا قوله تعالى « ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك » وقوله سبحانه « قل ما كنت بدعا من الرسل » وقوله جل شأنه « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

غير أن هذه العقيدة مرت بطورين اثنين فى تاريخها الطويل أما الطور الأول فيبتدىء بعهد آدم ويمتد الى عهد ابراهيم خليل الله عليهما السلام وقد كانت فى هذا الطور تعرف باسم (الايمان) فكل موحد فهو مؤمن ولم يتخذ المؤمنون فيه مراكز ثابتة فى الأرض لتكون مثابة للمؤمنين ومقصدا لهم ومتجها يتجهون اليه .

واما الطور الثانى فهو من عهد ابراهيم الى وقتنا هذا . ويختلف هذا الطور عن سابقه بما أحيطت به العقيدة من رعاية وما لقيت فيه من عناية فى الجانبين الحسى والمعنوى .

فقد بنى ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام بمكة المكرمة مركزا ثابتا للناس يفدون اليه من كل صوب وتهوى اليه قلوبهم وأفئدتهم فكان مثابة للناس وأمنا وكان رمزا للعقيدة ودليلا عليها وهو أول بيت وضع للناس « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » .

وحين وضع قواعد البيت وضع لهذه العقيدة اسما آخر جديدا أضيف الى اسمها القديم فسمى التوحيد اسلاما وسمى الموحد مسلما وحكى هذا كتاب الله فى قوله تعالى « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا

انك أنت التواب الرحيم » « ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » ولما كانت التسمية الجديدة حين وضع قواعد البيت حدث ما يشبه التلازم بين الاسلام والمساجد فلا يوجد مسجد بغير اسلام ولا يوجد اسلام بغير مسجد ٠

فلما من الله على داود بالملك بنى هو وابنه سليمان عليهما السلام ثانى بيت للناس فى الأرض المقدسة التى باركها الله سبحانه وتعالى فأصبح ولد اسحاق قد وضع لهم بيت بفلسطين كالذى وضع لولد اسماعيل فى مكة من قبل ٠

بيد أن العقيدة لم تظل ثابتة وانما صارت الى وثنية فى مكة لم تبق على شىء من دين ابراهيم الا النزر اليسير فيما يتصل بحج البيت وتقديسه فخرجت عن وحدانيتها المنزلة الى تعدد ، تعالى الله عنه ٠ كما خرجت عن الوحدانية فى ولد اسحاق ايضا حين أله اليهود عزيرا وحين أله النصارى عيسى عليه السلام ٠ كما يحدثنا القرآن الكريم « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذى كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون »

ولعل هذا هو الذى طمأن الوثنيين من العرب على عقيدتهم فقد وجدوا أهل الكتاب يذهبون الى التعدد الذين يدينون هم به فاحدث هذا التشابه كثيرا من التقارب ومحى كثيرا من الفروق ٠ وكان اسم التوحيد (الاسلام) قد زال بانتساب اتباع موسى الى اليهودية لأنهم هادوا الى الله وبانتساب أتباع عيسى الى الناصرة حينا فقد « قالوا انا نصارى » كما نسبوا أنفسهم الى المسيح عليه السلام حينا آخر فكانوا مسيحيين

وقد بعث الرسول والحالة هذه فظهر الاسلام القديم ملة ابراهيم جديدا كل الجدة وغريبا كل الغرابة وأصبح التوحيد أمرا بعيدا يعجب منه ويدهش له ولا يكاد يكون مألوفا ٠ فاخذ المشركون ينكرونه على رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجعل الآلهة الها واحدا أن هذا لشىء عجاب » ٠٠ « ما سمعنا بهذا (بالتوحيد) فى الملة الآخرة (ملة اتباع المسيح عليه السلام) ان هـذا الا اختلاق

فكان الاسراء اذا تأييدا للتوحيد وتثبيتا له فى الأرض اذ انتقل الرسول من أول بيت وضع للناس الى ثانى بيت وضع للناس «من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى » فوضحت الصلة بين المسجدين واستبان الغرض منهما فهما آيتان على التوحيد وشاهدا صدق على ملة ابراهيم ويؤيد هذا أن سورة الاسراء قد صدرت بكلمة (سبحان) وهى فى الاستعمال العربى ذات وجهين ٠

الوجه الأول التعجب تقول اذا رأيت شيئا عجيبا سبحان الله ٠

والوجه الثانى التنزيه تقول سبحان الله تريد أنزهه سبحانه عما لايليق بجلاله تعالى ٠ ويقوى أنهـا مستعملة للتنزيه آن الاسراء وان كان عجيبا فى ذاته وخاصة فى زمانه الا أن المعراج أعجب منه ومع هـذا فلم يصدر بمثل ذلك وقد كان هو الأولى به

على أن السورة شرعت فى الكلام عن بنى اسرائيل ابتداء من الآية الثانية فتكلمت عن نبى الله موسى وعن كتاب الله التوراة معا فيه من هدى ونور وعن التوحيد بحيث لا يتخذ من دون الله وكيلا « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا »

فكأن السورة منذ البداية تقول لنا تنزه الله تعالى عما فعل المشركون (من اتخاذهم أندادا لله) وعما فعل أهل الكتاب (من جعلهم لله ولدا) وتجد هذا واضحا جليا اذا لمست التعانق بين أول آية من السورة وبين آخر آية منها فقد ختمت السورة بنفس التنزيه الذى بدئت به لكن فى صورة واضحة وفى أسلوب صريح فكانت آخر آية منها قوله تعالى « وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا (كما ذهب أهل الكتاب) ولم يكن له شريك فى الملك (كما ذهب الوثنيون والصابئة والمجوس) ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا »

التكافل الاجتماعى فى الاسلام اسمى ما وصلت اليه القيم الانسانية

الدكتور محمد سلام مدكور

بينا قبل ان دعوة الاسلام كانت ثورة اصلاحية كبرى ، وانها وجهت الناس الى التعاون الصادق والتكافل الاجتماعى الشامل الذى لم يقف عند المال فقط، وانما تناول كل النواحى والصلات .

كما تكلمنا فى العدد السابق عن التكافل فى محيط الاسرة ، واشرنا الى ما يتطلبه الشارع الاسلامى من تكافل وتعاون بين الزوجين ؛ وان الاب يتكفل بالانفاق على افراد اسرته وتوجيهها التوجيه الصالح ، والام تقوم بالارضاع والحضانة ، والانفاق احيانا ، والاولاد يتعاونون فى الانفاق على ابويهم عند الحاجة ، والاقارب عموما يعين الغنى الفقير بامر الشرع . فافراد الاسرة جميعا يتعاونون ويتكافلون بحكم الشرع .

٣ ـ التكافل فى محيط العلم والمعرفة :

العلم والمعرفة هو السبيل الى بناء العقيدة على اساس سليم ، والسبيل الى هداية الانسان وسعادته فى الدنيا والاخرة ، وهما اساس التفوق والتقدم والرقى فى شتى الميادين .

الحديث عن العلم يطيب ويحلو كلما كرر ، فهو اعظم ميزة ترفع مستوى الانسان ، وبمقدار ماعنده يظهر فضله ، ولذا فان الاسلام رفع من شانه ونوه بمكانته وحث الناس على بذله وامر بالتكافل فى ايصاله ونشره ، وماكان ذلك كذلك الا لان طبيعة الدعوة لا تعيش فى عقول مظلمة ، وفى هذا المعنى يقول الله تعالى لرسوله الكريم « كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور » .

ولم يعن دين او تشريع عناية الاسلام بالعلم ، ولم يعن الاسلام بشىء عنايته بالعلم ، فاول ما جاء به الوحى الدعوة الى العلم ؛ كما يظهر ذلك من قول الله تعالى فى اول ما نزل به الوحى من القرآن « اقرا باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم » ويؤيد هذه العناية ويؤكدها ان يقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم ومايكتب فيقول « ن والقلم وما يسطرون » .

هذا تنويه بالعلم فوق الوصف ، واشعار باهميته الكبرى ، وفيه لفتة كريمة الى اهتمام الاسلام به وحرصه على الاخذ به . فالقسم به من الله سبحانه تنويه كبير بفضله ؛ وتوجيه عظيم الى مكانته، ولقد امتن الله سبحانه على نبيه محمد الذى اصطفاه من بين خلقه وارتضاه لتبليغ رسالته . امتن عليه بان انزل عليه الكتاب والحكمة وعلمه مالم يكن يعلم ، بل كانت معجزة النبى الخالدة هى من جنس العلم والمعرفة ، فلقد تحدى الرسول صلوات الله عليه البلغاء والادباء بما انزله عليه ربه ان ياتوا بمماثل لشىء منه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فما استطاعوا ان يصلوا الى ذلك المستوى العلمى الرفيع ، فكان اعجازه بذلك الكتاب المبين باسلوبه ومايحويه من مختلف الثقافات والمعارف .

ولقد انطبع هذا الاتجاه فى نفس الرسول مما جعله يقول حين وجد فى المسجد حلقتين احداهما تذكر الله والاخرى تتذاكر بالعلم « انما بعثت معلما ويجلس الى اهل العلم » ويقول « فضل العلم خير من فضل العبادة » ؛ ومن اجل هذا وصفت الامة الاسلامية بالوسطية وكانت خير امة اخرجت للناس لانها تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وهذا يتضمن نشر العلم يقول الله تعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

ولقد مثل التشريع الاسلامى بنور يمشى به صاحبه فى الحياة قاطعا كل فيافيها على بينة وهدى وعلى صراط مستقيم ، ومثل الجهل بالظلمة التى تجعل صاحبها خابطا فى مسيره مضطربا فى سلوكه غير مهتد الى طريقه قد تدركه هلكة قبل الوصول الى غايته اذ يقول « ومايستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور » تنويها بالعلم ورفعا من شانه فهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

وهكذا نجد مجد الاسلام العلم واحاطه بجو من التكريم حتى اخرج اولئك الاميين من جهالة الجاهلية وبدلهم من ضعفهم قوة ومن خوفهم امنا ومن ضلالهم رشداً ويقينا حتى كانت لهم الصدارة بين الشعوب والامم عند ما تغلغل الايمان فى قلوبهم فانساحوا فى الارض يعمرونها بالعدل ويصلحونها بما استخرجوا من الكتاب والسنة من علوم ومعارف كانت مشرق النور فى المشرق والمغرب ، وكانت الموقظ للوعى المتفاعل مع تفكير العقل فصاروا نفوسا ربانية سماوية اخضعت الاكوان وسخرت العوالم بما فتح مجال البحث والنظر للعالم .

ولقد بلغ من شدة تقدير الاسلام للعلم والعلماء انجعل مصادر التشريع فى الغالب مجملة ووضع دلائل وامارات يهتدى بها العلماء الى التعرف على حكم الله فى كل مايحدث لهم من اقضية ومايقع لهم من امور وحوادث ويوجههم الى ذلك بقوله « فاعتبروا يااولى الابصار » ويامر الناس الى الرجوع الى العلماء والتعلم عليهم والتعرف منهم بقوله « فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .

ومن تقدير الاسلام للعلم وحث الناس على التعلم سمو نظرته للعلماء ووضعهم فى الدرجة الرفيعة والمكانة السامية يقول الله سبحانه « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » ويقول « وما يعقلها الا العالمون » بل وضع الله سبحانه شهادتهم مع شهادته جل شانه والملائكة فيقول « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم » ثم يقول « انما يخشى الله من عباده العلماء » . وروى البخارى فى صحيحه ان الرسول صلوات الله عليه قال العلماء ورثة الانبياء ورثوا العلم . من اخذه اخذ بحظ وافر ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا الى الجنة » .

اما التكافل فى العلم والمعرفة والتعاون علىتحصيلهما وتيسير السبيل لنشرهما فقد عنى الاسلام بذلك اكبر عناية اذ العلم فى نظر الاسلام حق مشترك بين الناس يتعاونون فى التعرف عليه والتزود به فياخذه بعضهم من بعض حتى يسير الناس فى الحياة على اسس منتجة مثمرة وينظموا تفكيرهم ويرتبوا شئونهم فتجيء اعمالهم سليمةقويمة وتقع مجهوداتهمفى مواقعها المنشودة ويصلوا الى مآربهم فى الحياة من اقرب الطرق واعظمها اثرا وغاية ولذا فقد الزم الاسلام العالم ان يعلم غيره من الناس والا يبخل عليهم بما عنده وحرم كتمان العلم تحريما مؤكدا ووصف كاتم العلم بانه ملعون لما فى ذلك الكتمان من الحرمان منمشاعل الحياة التى تنير السبيل للعابرين ، وفى ذلك الحرمان تخبط واضطراب وفوضى تضل الناس عن سبيل الحق وتعوق سير المدنية وتقدمها اقرا قول الله تعالى فى هذا المعنى « ان الذين يكتمون ما انزل الله من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» وقوله سبحانه « واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون »

وهكذا ينظر الاسلام الى كاتم العلم ومن يمنع من وصوله الى المستحقين من الطلاب والراغبين ، او يمتنع عن ايصاله اليهم ولايتعاون فى نشره بين الناس لتنوير بصائرهم بمختلف انواع الثقافات دون الوقوف عند مسائل العقائد والعبادات ونحوها ، ولذا قال الرسول صلوات الله عليه قال : « كاتم العلم ملعون » واللعنة فى الاسلام وصف قبيح لايكون الا عن فسق عن امر ربه واساء الى جماعته ونفسه ؛ ويقول صلوات الله عليه « من كتم علما لجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » ويقول الغزالى وهو من ائمة الصوفية العارفين » ان تعلم علوم الصناعات وكل ما ينهض بشئون الحياة من فروض الكفايات حتى تكفى الامة حاجياتها من جميع ماتحتاج اليه .

ومن جهة اخرى فان الاسلام يجعل العلم للجميع ولا يخصه بفرد ولا طائفة ولا يجعل اى حائل يحول بين العلم والراغبين فيه ، بل التزود به امر واجب يفرضه الدين على كل فرد يقول صلوات الله عليه « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »

ولقد ارشد الله سبحانه الىالتكافل فى العلم والمعرفة والثقافة والارشاد بقوله جل شانه « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم .. » كما ارشدنا محمد صلوات الله عليه الى هذا النوع من التكافل ونبهنا الى ضرورة التعاون فى هذا وان العلماء مسئولون عن تثقيف مواطنيهم وارشادهم ، وان الجاهليين ملزمون بالتعرف من العلماء على مايرشدهم ويثقفهم ، وقد توعد الذين لايتعاونون فى هذا اذ يقول : « ما بال اقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يامرونهم ولا ينهونهم ، وما بال اقوام لا يتعلمون من جيرانهم ؛ ولا يتفقهون ولا يتعظون ، والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويامرونهم وينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون او ليعاجلنهم الله العقوبة » .

بل لما وقع فى ايدى المسلمين بعض الاسرى ممن يقرءون ويكتبون جعل الرسول صلوات الله عليه فداء كل منهم ان يعلم عشرة من المسلمين القراءةوالكتابة وفضل هذا على افتدائهم بالمال رغم شدة حاجتهم اليه وخصوصا وهم فى بدء التكوين .

وكان من الضرورى ان يكون من مبادىء التشريع الاسلامى التكافل الاجتماعى فى المعرفة لانه تشريع جاء يخاطب العقل واعتبره مناط التكاليف ، ولذا قال الرسول : « من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة ؛ وقال : « من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لاينقص ذلك من اجورهم شيئا .

ولقد شبه النبى ما بعثه الله به من العلم بالغيث الكثير اصاب ارضا ثم جعل هذه الارض منها ماهو طيب يقبل الماء فينبت الكلا والعشب الكثير . ومنها مايمسك الماء للناس لينتفعوا به شربا وزراعة وكلاهما خير ، ومنها ارض لاتمسك ماء ، ولاتنبت كلا وهذه شر لا خير فيها . فيقول صلوات الله عليه فيما رواه البخارى فى صحيحه بسند « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغث الكثير اصاب ارضا ، فكان منها نقية « طيبة طاهرة » قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير ، وكانت منها اجادب « من الجدب الذى هو القحط » امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ؛ واصابت منها طائفة اخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه مابعثنى الله به فعلم وعلم ، ومثل من

لم يرفع بذلك راسا « اى من الكبرياء والتغطرس » ولم يقبل هدى الله الذى ارسلت به » •

ومعنى هذا التمثيل - كما يقول الكرمانى شارح صحيح البخارى - ان الارض ثلاثة انواع فكذلك الناس• فالنوع الاول من الارض ينتفع بالمطر فيحيا بعد ان كان ميتا ، والنوع الاول من الناس يبلغه الهدى والعلم فيحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع وينفع • النوع الثانى من الارض مالا تقبل الانتفاع فى نفسها لكن فيها فائدة بامساك الماء لغيرها فينتفع بها الناس والدواب ؛ وكذلك النوع الثانى من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليست لهم اذهان ثاقبة ولا رسوخ لهم فى العلم انما يحفظونه حتى يجنى اهل العلم فياخذونه منهم فينتفعون به وينفعون الناس •

والنوع الثالث من الارض هى السبخ التى لاتنبت ولا تمسك الماء لينتفع به غيرها فكذلك الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا افهام واعية فاذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ولا يحفظونه لنفع غيرهم •

وبتوجيهات الشرع نحو التكافل فى العلم قد انساح العلماء من الصحابة والتابعين : منهم من ينشر العلم ومنهم من يطلب المزيد منه ، ثم شاعت حركة الدرس فى المساجد والمدارس كما شاعت مؤلفات العلم وترجمة المعلومات ولم تخمد للعلم فى دولة الاسلام جذوة الا فى عهد الضعف والذلة والاستكانة لان العلم لا يعيش فى الذلة والضيق وانما هو يرفع الراس ويفتح الافاق ويحرر النفوس •

وكذلك فان الاسلام لم يعرف فى عصوره الزاهية المزدهرة تعاطى الاجر من الطلاب والمتعلمين ، ولا الزام المتعلم بدفع اجر على تعليمه حتى لبيت المال او الدولة عامة ، وانما كانت تقدم الاجور احيانا والمكافآت للمعلم والمتعلم معا فى بيت المال نظير تفرغ الاول لهذا العمل ولتشجيع الثانى على طلب العلم والتزود به . وكان الجميع يتكاتفون ويتعاونون بنفس راضية لتحقيق امر الشرع وتيسير سبل التعليم • يقول الامام على : « ما اخذ الله العهد على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ العهد على اهل العلم ان يعلموا » ،

ونقل عن بعض العلماء انه قال : « كما ان الاستفادة نافلة للمتعلم فكذلك الافادة فريضة على المعلم •

ولقد كانت العناية فى صدر الاسلام بالمعونة والتكافل الاجتماعى فيها مما يصح ان يكون مضرب الامثال ومفخرة الاجيال فكانوا يشجعون العلماء على البحث والنظر والتاليف وتثقيف المواطنين فانشأوا دور الكتب والمدارس والمساجد التى كان من اهم مقاصدها تعليم العلم ونشر المعرفة ، وكانوا يجرون الارزاق الكثيرة من بيت المال على كل من المعلم والمتعلم على ما اشرنا • ومنعوا الاجر الخاص على تعليم القرآن وعلوم الدين حتى يكون العلم ميسورا لكل فرد لايمنعه عن تحصيله والوصول اليه حاجة ولا مال •

وهكذا فالاسلام سهل موارد العلم واوجب تعليمه وحرم كتمانه واخذ السادة والقادة باذاعته ونشره بكل سبيل وجعله حقا للناس جميعا تتزود به عقولهم كما تتزود ابدانهم بالماء والهواء ، وامر بالتعاون فى تحصيله والاسترشاد به بل فرض على المتعلمين نشر العلم والمعرفة وجعل فضل ذلك فوق فضل العبادة ، وان الاسلام ليبارك التكافل فى العلم لانه اول داع اليه وحافز على تحقيقه وان الله سبحانه ليبارك كل مجهود يرفع مستوى العلم ولقد روى ان الرسول عليه السلام قال : « اذا اتى على يوم لا ازداد فيه علما فلا بورك فى طلوع شمس ذلك اليوم » ويقول الله تعالى « وقل رب زدنى علما » •

وهانحن الان فى عهد يعمل جاهدا على توسيع دائرة المعارف فى مختلف نواحيها فاصبح التعليم فى جميع مراحله ميسرا لكل انسان دون ان يطلب منه بذل شىء من المال ، بل رصدت المكافآت التشجيعية للمعلم والمتعلم ؛ واتخذ للعلم عيدا يحتفى فيه به ، وتقدم للمبرزين فى الاشتغال به الجوائز والمكافآت • وفق الله امتنا للتعاون والتكافل فى كل مايرفع شان الانسانية ، ووفق العالم الانسانى الى استخدام العلم فيما يعود على الانسانية بالخير ويحقق لها الامن والسلام •

والى اللقاء فى المقال القادم حيث نتكلم عن التكافل الاجتماعى فى الاسلام فى محيط العمل •

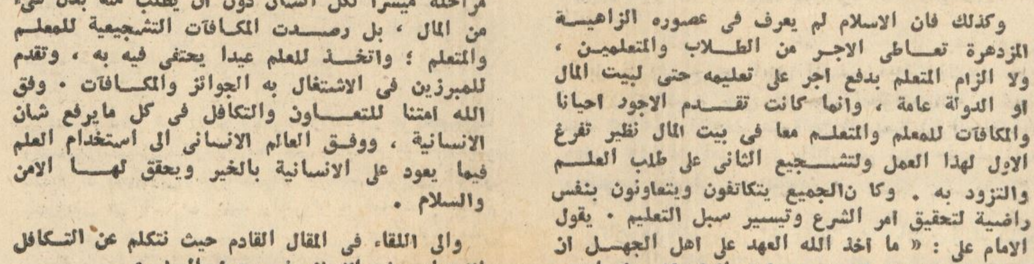

حديث السيف

الجهاد ... والمجاهدون في الإسلام

الأستاذ محمد فرج

عندما تقرر ان يحمل المسلمون السيف وان يواجهوا اعداءهم ليدافعوا عن انفسهم ودعوتهم وحريتهم وامنهم ، تقرر الجهاد . ودعى المسلمون ليجاهدوا فى سبيل الله بانفسهم واموالهم ، واصبح الجهاد فريضة واجبة الاداء على كل مسلم حماية للدعوة وردا للمعتدين وصونا لحياة المسلمين ودفعا للظلم والبغى والفساد ؛ ولم يكن الجهاد للاكراه على الدين او للاجبار على الاسلام • او للانتقام من مخالفيه ومعارضيه ، ولم يكن القتل من طبيعة الاسلام ، وانما قام الاسلام على الصفو والمسامحة والحكمة والموعظة الحسنة « خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين » •• « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن »

ولم يكن الجهاد يستهدف اجبار الناس على الاسلام فقد جاء الرسول داعيا ومبلغا « فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين اأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » •• « قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »

والجهاد يعنى بذل الجهد اى الطاقة والقدرة فى سبيل الله بالنفس والمال والراى ومداواة الجرحى وتهيئة الطعام او الشراب واعداد السلاح •

وفرض الجهاد على المسلمين فرض كفاية وفرض عين وفرض الكفاية يفرض على جميع المسلمين الموجودين فى جميع انحاء الارض من اهل القتال فان قام البعض بالجهاد سقط الفرض عن الكل واذا لم يقم به احد فى زمن ما اثم الكل من المكلفين العالمين به بتركه وفى هذا الفرض لاتخرج المراة الا باذن زوجها ولا الولد الا باذن والده •

ويكون الجهاد فرض عين اذا هجم العدو على بلدة من بلاد المسلمين فجاة فيخرج اهل البلدة جميعا اذ اصبح والجهاد بالنفس يكون فرض عليه ويكون ايضا فرض اذن والمراة دون اذن زوجها •

والجهاد انواع •• جهاد بالنفس •• وجهاد بالمال • وجهاد بالقلب •• وجهاد باللسان •• وجهاد باليد

الجهاد بالنفس يكون فرض عين يكون ايضا فرض كفاية وباقى انواع الجهاد فرض عين •• فمن كان له مال وهو مريض لايصلح للحرب فعليه ان يعطى غيره ماله ليشترى السلاح ويجوز له ان يستاجر من يحل محله •

والجهاد بالقلب لصاحب العذر الذى لامال له وله نيته فى الجهاد ويتمنى الا يكون صاحب ضرر فيباشر القتال بنفسه ••

والمقصود بالجهاد باللسان الحث على الجهاد والدعوة له فى كل مكان ونحو ذلك اما الجهاد باليد فمعناه العمل باليد فى كل ماينفع الجهاد ويعين الجند على النصر كتقديم الدواء وتضميد الجروح وتحضير الآلات

ولقد اعتبر الجهاد فى سبيل الله اسمى العقائد الدينية وافضل الاعمال الربانية وجعل الاسلام درجة المجاهدين اعلى درجات المسلمين « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما • درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما »

واعتبر التقصير فى الجهاد عمدا انه اخلال بواجب دينى مستوجب لغضب الله وجعله الاسلام عاملا مؤديا الى التهلكة والفساد والذل واختلال نظام الاسلام والمسلمين ومبررا لوقوف اولى الامر موقف التاديب والتنكيل

كما اعتبر التثبيط والتعويق والتخلف والتقاعس عن الجهاد عدا انه جريمة دينية تستحق عقوبة الله وغضبه

وسخطه جريمة سياسية تبرر لاولى الامر اخذ اصحابها بالشدة والقسوة والعنف ٠

وحينما تقرر الجهاد وضعت له شروط ٠٠

فالجهاد واجب على المسلم اذا كان قادرا عليه فمن لا قدرة له لاجهاد عليه ومن عجز عن الجهاد بنفسه ولا مال له فعليه ان يجاهد باى شكل بحسب مايستطيع من قلبه ولسانه ويده ٠

ومن شروط الجهاد ان يكون المجاهد ذكرا لان بنية المراة لاتحتمل الحرب وهى ان خرجت للحرب فلا تخرج للقتال وحمل السلاح وانما للطب والسقى ومداواة الجراح والطفل الذى لم يبلغ بعد لايحتمل الحرب لهذا منع من الخروج ٠

وسمح للقادرين على القتال الذين لايملكون سلاحا او راحلة ان يخرجوا لتكثير السواد ارهابا للعدو ٠

ولقد اعفى من الجهاد الضعفاء والمرضى والعاجزين عن وسائل الجهاد فلا ياخذ الله بالاثم والعقاب المرضى والضعفاء من النساء والصبيان والهرمى ولا ياخذ الفقراء الذين لايجدون ماينفقون اذا ماتخلف هؤلاء عن الغزو والجهاد ٠٠ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ماينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ٠ ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ماينفقون انما السبيل على الذين يستاذنوك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لايعلمون » ٠٠ « ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج » ٠٠

وفضل الجهاد عظيم لان فيه بذل النفس تقربا لله واعتبر الجهاد افضل من قيام الليل ولقد اثنى الله على المجاهدين ووعدهم الجنة فى كثير من آيات القرآن وسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من احد رجاله « يارسول الله دلنى على عمل يعدل الجهاد » فاجاب « لا اجده » ٠٠ وقال الرسول ايضا « والذى نفسى بيده لولا ان رجالا من المؤمنين لاتطيب انفسهم ان يتخلفوا ولا اجد ما احملهم عليه ماتخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله والذى نفسى بيده لوددت ان اقتل فى سبيل الله ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل » ٠٠ وقال « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » ٠٠ وقال « لغدوة فى سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها » ٠٠ واتى رجل الى رسول الله يساله « اى الناس افضل ؟ » قال « مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله » ٠٠ وقال « من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمهما الله على النار »

والاسلام يزكى روح الجهاد فى نفوس المسلمين ويضع لهم الجهاد فى المرتبة الاولى ويعده مبدا اسلاميا هاما فهو يصف المجاهدين بالعزة والقوة « والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون » ويقول عنهم « اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » ثم يوسع لهم فى حدود العزة حتى يجعلها موصولة بالله فيقول « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ويقول لهم « كنتم خير امة اخرجت للناس» ويرتفع بهم الى مراتب الصلة الربانية فيجعلها فى مقام الحب من الله » ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص » ويؤكد لهم بعد ذلك النصر فى الدنيا .والفلاح فى الآخرة « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » و « وان جندنا لهم الغالبون » ويعدهم بعد هذا كله بدوام الملك طالما انهم يحافظون على عهودهم « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » ويجعل الله تبارك وتعالى الجهاد المتواصل من اسباب استمرار السلام « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » ولقد توج الله تبارك وتعالى فضل المجاهدين بهذا الوعد الكريم « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »

ولقد وضعت للمجاهدين مبادىء عامة فى الجهاد

● يكون المسلم باسلامه قد عقد عقدا مع الله باع به نفسه له بالجهاد فى سبيله بالمال والنفس واشترى الله منه ذلك بالجنة فيجب عليه ان يوفى بما عاهد الله عليه ٠ وينفر الى الجهاد كلما دعا الداعى اليه وان يؤمن بان الله موف له بوعده الحق

● يجب على المسلم ان يؤمن ان الله قد كتب على نفسه نصرة المؤمنين وانه تعالى ناصر من ينصره حقا ٠

● يجب على المسلم ان يعتقد انه فائز رابح فى جهاده فان بقى حيا تكون له حسنى الجهاد وثوابه وكرامته وان قتل تكون له حسنى الشهادة وان كتب للمسلمين النصر فيكون ذلك عزة لهم وان كتبت عليهم الهزيمة فتكون اختبارا سماويا يثاب الصابرون عليه

● يجب ان يعرف المسلم ان ايمانه وصدقه تحت الاختبار وان الله قد يبتليه بالخوف والجوع والنقص فى الاموال والانفس والثمرات فى سبيل الجهاد وان عليه ان يقابل ذلك بالصبر فلا يضعف فى طلب العدو ولا يهن فى جهاده وعليه ان يعرف ان مايلاقيه فى الجهاد من صغيرة وكبيرة قد كتبها له الله واثابه عليها باحسن الثواب ٠

● شهداء الجهاد احياء عند ربهم يرزقون مكرمون متمتعون بكل اسباب النعيم

● اجل المرء لايتقدم لحظة ولا يتاخر عما هو مقرر فى علم الله ويجب ان يعرف المسلم انه حينما يدركه اجله يموت وان الجهاد لايقدم من اجله وان تجنب الجهاد لا يؤخر منه

● ان المسلم لايكون مسلما صادق الايمان الا اذا كان الله ورسوله والجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس احب اليه من كل شىء حتى من ابيه واخيه وزوجه وعشيرته وماله وتجارته ٠

● ان من يسرع الى تلبية داعى الجهاد بالمال والنفس فى وقت الشدة والحرج اعظم درجة ممن يجاهد فى اوقات السعة ٠

● الفرار من العدو لغير غاية حربية جريمة دينية كبرى لاتغتفر

● يجب على المسلم المجاهد ان يوقن بانه مزود بمدد ربانى يعاونه فى التغلب على عدوه الاكثر عددا وعدة

● الاستماتة فى سبيل الله والخشية من الله واجب الزامى على كل مجاهد .

● التثبيط عن الجاد بالمال والنفس والتخلف عنه والتقصير فيه وعرقلة سيره ووسائله وابتغاء الفتنة واشاعة الوساوس والدسائس والاشاعات ووضع العقبات فى طريقه جرائم عظمى يستحق مقترفوها عقوبة الله وغضبه .

ولقد قرر القرآن للمجاهدين آدابا كثيرة فى الجهاد يعملون فى حدودها .

● المبايعة على السمع والطاعة « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم »

● الوفاء بالوعد والصدق فى العهد حتى الموت « من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »

● الثبات عند اللقاء وذكر الله عند الفزع « يايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »

● طرد الاوهام والخوف والحزن « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين »

● الاقدام والشجاعة « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق »

● الصبر من الياس والمصابرة عند المجالدة والمرابطة والتيقظ وتقوى الله « يايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »

● مطاردة العدو ومتابعته بقصد اتمام النصر « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم »

● عدم التسليم او الدعوة الى الصلح وان كان النصر فى جانب العدو « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم »

● عدم الفرار من المعركة « يايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير .

● الاتفاق التام على جميع الاعمال الميدانية وعدم الاختلاف والتجرد من الشخصيات « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين »

● عدم الخوف من العدو مهما فاق فى عدده او عدته لان الله اقوى واعز « انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين »

● اذا وقع للمجاهدين حذر خلال القتال فيجب ان يعلموا ان الحرب دواليك يوم لهم ويوم عليهم « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله »

● الترفع عن الطمع فى الغنائم « ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة »

● الايمان بانه لاسبيل الى الجنة الا عن طريق الجهاد « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة »

● الاجر فى الجهاد على صدق النية وحسن العمل والوفاء بالعهد وان النصر من عند الله « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا »

واخيرا :

كان من نتائج المبادىء التى وضعت للجهاد والآداب العامة التى قررها القرآن ان اصبح الجندى المسلم يخرج الى الجهاد وهو مؤمن تمام الايمان برسالته .. مؤمن بالجهاد كوسيلة الى حياة خالدة .. مؤمن بالدور الكبير الخطير الذى يؤديه فى تاريخه وفى تاريخ امته ودينه .. ولقد قاده هذا الأيمان الى اعظم ماسجله تاريخ الحرب من صفحات مشرقة نضرة خالدة .

خلق الابل

الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد

« أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت »

فى خلق الابل آيات من القدرة والاحكام والابداع ، ما عرفناه عن بعضها يفسر السر فى أن الخالق العظيم قد خصها ، من بين ما لا يحصى من مخلوقاته ، بالذكر نموذجا يتدبر فى دراسته المتدبرون ، ليؤمن منهم من انار الله بصيرته عن بينة واقتناع . وفى الآية الكريمة حض جميل على الاخذ باسباب العلم واتخاذه مدخلا الى رحاب الايمان الناضرة الفيحاء .

ومازالت الابل فى كثير من المناطق القاحلة الوسيلة المثلى لارتياد الصحارى فهى مهيأة لهـذا على خير الوجوه . وقد تقطع قافلة الابل ، بما على متونها من زاد ومتاع ، نحوا من خمسين أو ستين كيلو مترا فى اليوم الواحد . ولم تستطع السيارات بعد منافسة الجمل فى ارتياد المناطق الصحراوية الوعرة التى لم تزل ميدانه دون منازع . ومن الابل ما هو متين البنيان قادر على حمل الأثقال ، لا تنوء ظهورها باربعمائة أو حتى ستمائة رطل ، بل ان منها ما ينهض بألف من الأرطال مسافة غير بعيدة . ولكن من الابل أيضا الرواحل المضمرة الأجسام ، وهى أصلح للركوب وسرعة الانتقال، وقد تقطع فى اليوم الواحد مسيرة مائة وخمسين كيلو مترا . ويستطيع البعير أن يحمل الأثقال عندما يبلغ من العمر أربع سنوات ثم يمضى فى القيام بواجباته « الثقيلة » حتى يتم الخامسة والعشرين بل ربما الثلاثين . والظاهر أن الابل هى أخص الانعام بحمل الأثقال والارتحال فى قوله تعالى :

« والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون .وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ان ربكم لرءوف رحيم » (النحل ٥ – ٧) .

وللعربى فى ابله مآرب اخرى ، فهو ينال من ألبانها ولحومها وينسج كساءه من أوبارها ويبنى خباءه من جلودها ، وهى خير معين له على الحياة فى بيئة ليس من اليسير فيها تربية سواها من الانعام . فلا عجب أن نراه العربى كان يقاس بما عنده من ابل ، وفى الحديث الشريف : « الابل عز لاهلها .. » وقوله صلوات الله عليه :

« لا تسبوا الابل فان فيها رقوء الدم ومهر الكريمة » وحسب الابل فضلا أن الله جعلها خير ما يهدى الى بيته المحرم وجعلها من شعائره »

« والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون » (الحج – ٣٦) . ولا يخلو ديوان شعر عربى من ذكر الابل والتغنى بمحاسنها وأفضالها ، وفقه اللغة العربية غنى باوصافها فى كافة أحوالها وأعمارها وألوانها ، فى تفصيل بارع ودقة بالغة .

والابل نوعان ، ذوات السنام الواحد وذوات السنامين والاول منهما هو الجمل العربى أو الجمل الصادق ، وهو الذى ينصرف اليه الكلام اذا ذكرت الابل دون تخصيص ، وهو منتشر فى شبه الجزيرة العربية ويمتد منها شرقا الى الهند وغربا الى البلاد المتاخمة للصحراء الكبرى فى افريقيا . أما النوع الثانى ، ذو السنامين فهى الابل « العوامل » التى تستوطن اواسط آسيا . ويغلب أن الابل قد استأنسها الانسان منذ نحو خمسة آلاف سنة .

والابل من الحيوانات العجيبة ، ولكن لعل طول الفة الناس لها أذهب عجبهم منها . وأول ما يروعك منها ضخامة أجسامها ووثاقة بنيانها وارتفاع قوائمها وطول أعناقها ، ولكنك اذا اعدت النظر فيها مدققا وجدت فى تفصيل تكوينها لطائف تأخذ بالالباب . فالعينان تعلوان الرأس وترتدان الى الخلف ، وهذا يضفى على الجمل ، حين ينظر مميلا رأسه الى الخلف أو الى أحد الجانبين ، مظهر الممعن المفكر أو الفخور المختال . وهما محاطتان بطبقتين من الاهداب تقيانهما القذى والرمال .

اما الاذنان فصغيرتان قليلتا البروز ، وفضلا عن ان الشعر يكتنفهما من كل جانب ليقيهما الرمال التى تذروها الرياح ، لهما القدرة على الانثناء خلفا والالتصاق بالراس اذا ما هبت العواصف الرملية . وكذلك المنخران يتخذان شكل شقين ضيقين محاطين بالشعر وحافاتهما لحمية فيستطيع الجمل ان يغلقهما دون ما قد تحمله الذاريات الى رئتيه من دقائق الرمال . ليس هذا وحسب ، بل ان الجمل محصن من الرمال اذا ادبر ايضا ، فذيله يحمل على جانبيه شعرا يحمى الاجزاء الخلفية الرقيقة من حبات الرمل التى تقذفها الرياح السافيات كانها وابل من طلقات الرصاص .

اما قوائم الجمل فطوال ترفع جسمه عن كثير مما يثور تحته من الغبار ، كما أنها تساعده على اتساع الخطو وخفة الحركة . ولا تتحصن اقدام الجمل باظلاف كبيرة صلبة ، كما هى الحال فى معظم ذوات الأظلاف ، انما تنتهى كل واحدة من اصبعى القدم بظلف صغير كانه الظفر ، بينما تلتصق الاصبعان حتى تكون القدم خفا واحدا يغلفه جلد قوى غليظ يضم وسادة عريضة لينة تتسع عندما يدوس الجمل بها فوق الأرض ، ومن ثم يستطيع السير فوق أكثر الرمال نعومة حيث تغوص اقدام كل دابة سواه . وجدير بالذكر ان الجمل يسير، كما بينا ، على اخامص اقدامه كاملة بينما غيره من ذوات الاظلاف تسير على أطراف اصابعها وحسب . وترجع خطا الجمل الطويلة المترجحة بين الصعود والهبوط الى انه يتقدم بالرجلين على كل جانب معا ، فكأنه السفينة تركب الأمواج الهينة ، ولعله بهذا - مع سائر مزاياه الاخرى - قد استحق لقب « سفينة الصحراء »

وحين يبرك الجمل للراحة او يناخ ليعد للرحيل يعتمد جسمه الثقيل على وسائد من جلد قوى سميك ، أكبرها الكلكل تحت صدره بينما تنتشر بقيتها على مفاصل أرجله . ويرتكز الجمل بمعظم ثقله على كلكله ، حتى أنه لو جثم به فوق حيوان أو انسان طحنه طحنا ، ومن ثم قولهم ناخ الزمان أو ناء على فلان بكلكله . وهذه الوسائد نعمة من نعم الخالق على هذا الحيوان العجيب، اذ أنها تهيئه لأن يبرك فوق الرمال الخشنة الشديدة الحرارة ، وكثيرا ما لا يجد الجمل سواها مفترشا فلا يبالى بها ولا يصيبه منها أذى . والجمل الوليد ينزل من بطن أمه مزودا بهذه الوسائد المتفلطة ، فهى شىء ثابت موروث وليست من قبيل ما يظهر باقدام الناس مثلا من استخدام الأحذية الضيقة ونحو ذلك.

ومما يناسب ارتفاع قوائم طول العنق ، حتى يستطيع الجمل أن يتناول طعامه من نبات الأرض ، ولكنه يمكنه أيضا من قضم أوراق الاشجار المرتفعة ان صادفها . هذا فضلا عن أن ذلك العنق الطويل يزيد الراس ارتفاعا عن الاقذاء ، ويساعد الجمل على النهوض بالأثقال . ويروى الدميرى - فى « حياة الحيوان الكبرى » - أن أحد الحكماء ، من غير العرب ، وصف له شىء عن بناء جسم الابل وعن بديع خلقها ، ففكر فيما سمع ثم قال : يوشك أن تكون طوال الاعناق !

هذا كله رائع ، ولكن مزايا الجمل الوظيفية « الفيسيولوجية » اروع وأبدع ، ولا ريب أن اهمها ما كان متعلقا بما عرف عن الابل من شدة الصبر على الجوع والعطش ، حتى كان ذلك موضوع الكثير من الحكايات والأساطير ، ولكن العلم الحديث قد اهتدى الى بعض تلك الأسرار العجيبة وما زال يسعى وراء المزيد ، ففى بيئة الابل التى يقل فيها الزرع ، لن يكتب العيش الا لحيوان فطر الله جسمه على حسن تدبير أمور الغذاء والشراب . فقد لايجد الجمل ما يقتاته سوى نبات الصحراء الشائك الخشن ، تلملمه شفتاه الغليظتان لاسيما شفته العليا المشقوقة ، ثم تتولاه أسنانه القوية ببعض الطحن . ومعدة الجمل ، كغيره من المجترات ، مقسمة غرفا متتالية ، ولكنها هنا ثلاث لا أربع . ويستضيف الجمل فيها كائنات حية دقيقة تساعد على هضم طعامه الخشن . وفى هذا كلام قد يطول ، ولكننا لن نستطرد اليه لانه ليس قاصرا على الابل دون سواها من المجترات .

وعندما تطيب الاحوال ويجود الغذاء ، يحول الجمل الفائض مما طعم وهضم دهنا ، والدهن أكثر صور الغذاء المولد للطاقة تركيزا . ومعظم هذا الدهن يختزنه الجمل فى سنامه ، فاذا ما شح الغذاء ، او حتى انعدم تماما ، لجا الجمل الى دهنه المختزن فاخذ جسمه يحرقه شيئا فشيئا وسنامه يذوى يوما بعد يوم ، حتى يميل على جنبه ثم يصبح كيسا خاويا من الجلد اذا طال بالجمل المسافر المنهك الجوع .

هذا هو مخزن الطعام ، فاين اذن مخزن الماء لايستطيع الجمل ان يتحمل العطش أياما طوالا يتوقف عددها - طبعا - على كثير من الظروف والاحوال ، مثل بنيانه الموروث ومدى اجهاده فى الحمل او السير ودرجة الحرارة ونسبة الرطوبة ونوع الغذاء الذى يعيش عليه. فالابل ان كانت تقتات على نبات طرى غض بعد امطار الشتاء استطاعت أن تصبر على العطش شهرين متتاليين بل ربما أعرضت عن الماء اعراضا حين يعرض عليها ، وذلك لأن الماء الذى كان فى طعامها الرطيب فيه الغناء. أما اذا كان غذاء الابل جافا يابسا ، فانها قد تتحمل قسوة الظما فى هجير الصيف أسبوعين كاملين اواكثر، ولكن آثار هذا العطش الشديد سوف تصيبها بالهزال حتى انها قد تفقد ثلث وزن أجسامها فى ذلك الزمن القصير . وكى ندرك مدى هذه المقدرة الخارقة علينا أن نتذكر أن الانسان لن يحيا فى تلك الظروف أكثر من يوم واحد او يومين .

فاذا ما وجدت الابل العطاش الماء عبت منها عبا ، ولقد لاحظ بعض الباحثين أن جملا حرم من الماء فى قيظ الصحراء ثمانية أيام ففقد من وزنه مائة كيلوجرام، فلما قدم اليه الماء تجرع منه نحو مائة لتر فى عشر دقائق ! وبهذا استعاد الجمل فى تلك الدقائق المعدودات ما فقد من وزنه فى تلك الأيام العصيبة الطوال . وهنا نقف هنيهة لنلتفت الى بلاغة التشبيه الربانى فى وصفه تعالى للضالين المكذبين يأكلون من شجر من زقوم ، ثم لا يملكون رد أنفسهم عن تجرع الحميم ، وذلك بقوله تعالى فى سورة الواقعة : « فشاربون عليه من الحميم . فشاربون شرب الهيم » . والهيم هى الابل العطاش .

ولكن اين يختزن الجمل الماء ؟ تقول كثير من المؤلفات العلمية انه يختزنه فى معدته ، وتسوق لذلك دليلا ان القسمين الأول والثانى من معدته ، وعلى الأخص القسم الأول منهما وهو الكرش ، باطنهما مقسم بالياف متقاطعة الى جيوب صغيرة وأن فتحات تلك الجيوب تقوم عليها عضلات تستطيع فتحها او اغلاقها ، فاذا ما شرب الجمل وامتلات معدته ارتخت العضلات فامتلات الجيوب ثم انقبضت عضلاتها ، ولم تنسبط لتجود بما فيها الا عند العطش . ولكن تمحيص هذا الظن أثبت خطأه ، فقد اتضح أن ما قد تمسكه تلك الجيوب فى جدار المعدة من الماء لا يزيد على خمسة التار او سبعة ، وهو مقدار

ضئيل بالنسبة لذلك الحيوان الجسيم . هذا فضلا عن أن فحص محتويات تلك الجيوب اظهر انها تضم كثيرا من الطعام الممضوغ ، وأن السائل القليل الذى بها سائل اخضر اللون مر المذاق يحوى خمائر هاضمة ويعج بتلك الكائنات الدقيقة التى ذكرنا انها تساعد المجترات على هضم طعامها الغليظ .

وهكذا لم يتايد ذلك الراى بدليل . ومن قبيله مايتردد فى روايات البدو من أن الابل تدرك أنها مقدمة على سفر طويل فتملأ معدها من الماء بما يكفيها ويزيد ، فهذا طبعا وهم واضح البطلان ، ولا شك أن البدوى المقدم على سفر سوف يحرص كل الحرص على أن تكون راحلته قد طعمت حتى شبعت وشربت حتى ارتوت . وهناك قصة اخرى تقال عن مسافر ضل الطريق فى متاهات الصحراء ، فلما اشتد به الظمأ قتل بعيره أو ناقته وشرب الماء المختزن فى كرشها . وليس من البعيد ان يحدث ذلك فأى سائل مائى ، مهما كان مقززا للنفس أو غير مستساغ الطعام ، قد يكون فيه نجوة من الهلاك .

وثمة رأى علمى آخر يقول ان السنام مخزن للغذاء والشراب . فاما ان كان المقصود أن به ماء مختزنا فهذا خطأ صريح ، ولكن الذى يعنيه العارفون شىء آخر ، وهو ان احتراق الدهن المختزن فى السنام لاطلاق الطاقة منه ينتج عنه الماء ، فانك اذا احرقت شمعة مثلا وقربت منها لوحا زجاجيا باردا تكاثف عليه الماء الناتج من الاحتراق . وهذا ايضا هو مصدر البخار الخارج مع هواء الزفير . وبعض صغر القوارض التى تعيش فى الصحراء تعتمد على هذه الطريقة فى حصول أجسامها على ما تحتاجه من ماء ، ولكن تمحيص هذا الرأى بالنسبة للجمل اظهر انه ليس هو كل الصواب ، وذلك لان ما يفقده الجمل من بخار الماء مع هواء الزفير يكاد يعدل ما يتكون فى جسمه نتيجة لاستهلاكه الدهن المختزن فى سنامه .

والراجح ان الجمل يحتفظ بالماء فى كافة انسجة جسمه لا فى معدته ولا فى سنامه ، وانه يقتصد فى استخدامه غاية الاقتصاد ، فهو لا يتنفس من فمه ولا يلهث أبدا مهما استبد به العطش أو اشتد الحر ، كما ان جلده لايجود الا بأدنى مقدار من العرق . ومن أعجب منن الله على ذلك المخلوق الفريد انه يفقد من ماء جسمه ما قد يبلغ نحو ثلث وزن جسمه ولكن حجم دمه لن ينقص الا لترا واحدا او لترين . وهذا أمر لا يدانيه فيه اى حيوان آخر ، بل ان اقل ما يتعرض له الانسان الظمآن هو أن نسبة الماء فى دمه تقل حتى يغلظ ويبطؤ دورانه فلا تتوزع الحرارة المتولدة فى انسجة جسمه حتى ترتفع درجة حرارته ارتفاعا فجائيا غير محتمل تكون فيه نهايته .

ومما يهيىء للجمل هذا التدبير المحكم الرائع سر آخر يتعلق بالحدود المعتادة التى تتراوح بينها درجة حرارة جسمه . فالانسان مثلا تكاد تثبت درجة حرارته عند نحو ٣٧°م ، ومن ثم يتعرض لفقد مقدار كبير من الماء اذا اشتد الحر وذلك فى صورة العرق الذى يصدر من الجلد ثم يتبخر لخفض درجة حرارة الجسم عند حدها السوى المعتاد . أما الجمل فهو مرن من هذه الناحية غاية المرونة ، اذ انه فى ليل الصحراء البارد تبرد حرارته حتى تهبط الى نحو ٣٤°م ، فاذا ما اقبل النهار بشمسه اللافحة اخذت درجة حرارته ترتفع بالتدريج حتى تبلغ نحو ٤١°م . وهذا المدى الواسع كله يعتبر الحدود الطبيعية لحرارة جسمه ، فلا يبدأ الجسم فى العرق لتجنب تجاوز هذا الحد الا بعد ذلك الارتفاع المتدرج الكبير فى حرارة الجسم . وفى هذا توفير لمقدار كبير من الماء كان من المحتم على الجسم ان يفقده فى صورة عرق لولا هذا النظام البديع .

وما زال العلماء يجدون فى الجمل آيات بينات مصداقا لدعوته تعالى لهم بالبحث فى أسراره حتى يعلموا شيئا من بدائع خلقه المعجز .

« هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه »
صدق الله العظيم .

الفتوة

وعلاقتها بالجهاد والفروسية

الأستاذ محمود الجرسى

كما تلاشت كلمة الفتوة فى العصور الوسطى ، وبطل سحرها بظهور الفروسية ، وحلت الاربطة التى كان ينزل بها الفتيان المجاهدون فى الثغور وعلى مشارف الحدود، انتهى عهد الفروسية بسيادة تركيا على البلاد الاسلامية وماصاحب حكمها من انحلال وفوضى فى الداخل . وما شهدته من مؤامرات الاستعمار عليها فى الخارج، وتنمره بها ، وبث الفتن والقلاقل فى كثير من البلاد التى كانت تخضع لحكمها فى شرق اوروبا ، حتى تمزقت كل ممزق .

وبذلك لم يبق من مظاهر الفتوة او الفروسية الا صورة شوهاء ؛ تمثلت فى هذه الطوائف التى اطلق عليها فى العهد العثمانى « فرق الانكشارية » .

وكانت هذه الفرق تجمع من ابناء الشهداء الذين استشهدوا فى ساحات الحرب ؛ ويفردون بثكنات خاصة غير ثكنات الجيش النظامى ، ويدربون تدريبا حربيا قاسيا ، ويندبون فى كثير من المهام لمساعدة الجيش فى حروبه ، على ان مهمتهم الاساسية كانت مساندة عرش الخليفة العثمانى ، اذا هبت عليه اعاصير الفتن ؛ ولم تكن لها تلك المهمة السامية التى كانت لفرق الفتوة فى العصود الاسلامية الاولى .

وقد ظلت هذه الفرق تسير من سىء الى اسوأ ، حتى اصبحت عاملا من عوامل الفساد الذى ينخر فى جسم الدولة ، وباتت خطرا يهدد نظام الحكم ، وكثر انتفاضها على السلاطين ، والشغب عليهم ، حتى اضطرت الدولة اخيرا الى حل هذه الفرق ؛ وتشتيت افرادها .

وعاش العالم الاسلامى حقبة طويلة من الدهر منذ اواخر القرن الثامن عشر خاليا من وجود نظام ينهض بعبء الجهاد فى سبيل الدين ، والحفاظ على الدولة ، وحماية ارضها ، دون ان يتقيد بحدود القوميات التى يتكون منها العالم الاسلامى ، كما كان الشأن ايام العهود المجيدة للفتوة والفروسية . واخذت كل دولة على عاتقها عبء الدفاع عن نفسها ضد غارات الغربيين وقراصنتهم بكل مافى يدها من امكانيات . وكثيرا ماكان الشعب كله يشترك فى صد هذه الغارات ، كما حدث فى الجزائر حين نزلت بها الجيوش الفرنسية عام ١٨٣٠ ؛ وكما حدث فى مصر ايام الحملة الفرنسية عليها بقيادة نابليون بونابرت ، وكما حدث فى ليبيا عند غزو الايطاليين لها فى اوائل هذا القرن . ومع ذلك كانت هذه الشعوب تستانس فى كفاحها بكلمة الجهاد ، ومافيها من سحر . وتطلق على هؤلاء المكافحين لقب المجاهدين ، لتستثير النخوة ، وتلهب فى نفوس المحاربين روح العاطفة الدينية ؛ ليستميتوا فى الدفاع عن اوطانهم ضد المغيرين .

وقد تشكلت فى بعض العهود فى كثير من البلاد الاسلامية فرق مختلفة . وتشكيلات متعددة ، ولكنها لم تكن تهدف الا لصالح منشئيها من محترفى السياسة ،

ولم يكن لها هدف دينى او سياسى محدد ، سوى العمل على كسب الانصار ، وتهديد الخصوم ؛ وتاييد قادتها فى سبيل الوصول الى الحكم بزائف الشعارات .

ولماقامت الثورة المباركةعام١٩٥٢ احيت - فيمااحيت - من امجاد الاسلام القديمة ونظام الفتوة ، وجعلته اجباريا فى المدارس المصرية والجامعات ، وجعلت الغرض منه تنشئة جيل قوى ، يستطيع حمل السلاح واستخدامه فى سبيل العروبة ، والدفاع عنها ؛ حين يجد الجد ، ويدوى نفير الجهاد لاسترداد امجاد العرب ، وأعادة ارضهم السليبة .

وقد رات الثورة بثاقب نظرها ان امام الامة العربية دورا هاما ينتظرها فى مستقبل ايامها ، وان امامها طريقا طويلا للكفاح ضد اعدائها ، الذين ما زالوا يتربصون بها الدوائر منذ ايام الحروب الصليبية ، فكان من اعمالها الموفقة ان احيت نظام الفتوة ؛ وعممته بين شباب المدارس والجامعات من الجنسين ، واستبدلت بكلمة « التدريب العسكرى » كلمة الفتوة ، تلك الكلمة التى عاصرت الدعوة الاسلامية ومهدت لها سبيل الانتشار والفوز منذ بزغ نورها من جزيرة العرب .

ولقد راينا ايام العدوان الثلاثى على ارض القنال كيف وقف الشعب بجميع طوائفه ، الى جانب جيشه يذود عن وطنه ، ويدافع عن ارضه ، ويسترخص الارواح ويبذل الدماء ! وهو يهتف بتلك الكلمة المدوية ، التى كانت تهز جوانب الارض ايام الفتوح الاسلامية الاولى: وهى كلمة «الله اكبر..الله اكبر» . هذا النشيدالذى مازال يدوى فى ارجاء الوطن العربى عبر اصوات الاثير، كل صباح ومساء .

ولم تشأ الثورة ان تحرم بقية الشعب من شرف التدريب على حمل السلاح واستخدامه ، فانشأت فرق الحرس الوطنى فى كل مكان ، يقصدها ابناء الشعب من غير الطلاب ، ويؤمها كل من يانس فى نفسه القدرة على الكفاح وحمل السلاح ، حتى يكون شباب الامة فى معاهد العلم ؛ وفى غيرها ، على اهبة الاستعداد لتحمل تبعات الجهاد فى المستقبل

ان المعركة بيننا وبين الغرب لم تتم فصولا ، ومنذ بداها التعصب الاعمى لهؤلاء الغربيين ، وهى تحتدم تارة ، وتختفى احقادها تارة اخرى ، ولن ينتصر هذا الشرق العربى الا حين تجلجل فى ارجائه كلمة « الله اكبر » وتتجاوب باصدائها الجبال والسهول ؛ وتلتحم على انغامها الكتائب . فالله اكبر من هذا الغرب المدل علينا بمادياته .. والله اكبر من اسلحته المدمرة ، ومطامعه المهلكة .

وفق الله قادة الامة لخير الامة ، وبلغها على ايديهم ماترجوه من عزة وكرامة ، وجعل كلمة العرب هى العليا ومكن لهم فى الارض ، ليستعيدوا امجادهم الغابرة ؛ ويستانفوا رسالتهم لخير الانسانية .

مواقف فى التاريخ لشعب أبى

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

تحمل الشعب المصرى كثيرا من الوان العسف الاجتماعى والاقتصادى وقاسى كثيرا من اصناف الظلم السياسى على مر عصور التاريخ . والمعروف أن مصر ظلت منذ العصور الوسطى حتى سنة ١٩٥٢ لا يحكمها حاكم من ابنائها ، وانما تعاقب فى حكمها حكام اغراب لا تربطهم رابطة بأهل البلاد وأبنائها الحقيقيين . ومهما يقال فى الكتب من أن مصر كانت مستقلة زمن المماليك او خلال فترة من حكم أسرة محمد على ، بمعنى أن مصر لم تخضع عندئذ لدولة أخرى ولم تسيطر على مصائرها قوة اجنبية وانما كانت سياستها تنبع من داخل حدودها .. مهما يقال من هذا الكلام وأشباهه ، فان الحقيقة الكبرى التى يجب أن نعترف بها هى أن المماليك لم يكونوا مصريين ولم تجر فى عروقهم دماء مصرية وانما كانوا جميعا من الترك والجركس ، بل كان بعض سلاطينهم وأمرائهم من المغول واليونانيين والأسبان والألمان والصقالبة .. وغيرهم من الجنسيات العديدة . فكيف ننتظر من هؤلاء الأغراب ان يشعروا بشعور المصريين ويتجاوبون من الفلاح المصرى وهم ابعد ما يكونون عنه لا تربطهم به رابطة تاريخية أو حضارية أو لغوية أو حتى مجرد مصلحة مشتركة . وبعد المماليك تعاقب فى حكم مصر الأتراك العثمانيون فالفرنسيون فأسرة محمد على حتى الاحتلال الانجليزى لمصر فى أواخر القرن التاسع عشر .

وجميع هؤلاء كانوا أغراب دخلاء على مصر واهلها لم تربطهم بالمصريين الا الرباط الذى يربط المالك بالبقرة الحلوب ، فاذا قدم لبقرته بعض الخدمات أو وفر لها بعض الغذاء فانما يفعل ذلك رجاء امتصاص أكبر قدر من الفائدة منها . وهكذا حتى بزغ فجر يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فقد لمصر بعد قرون طويلة أن يحكمها ابناؤها وان تترك الحرية لهؤلاء الأبناء فى توجيه مصائر أمهم الحنون فى الداخل والخارج ، وان يتجاوب حكام مصر مع شعبها تجاوبا تاما ، فيحسون باحاسيسهم ويألمون لألمهم ويأملون آمالهم .

ولكن اذا كان شعب مصر قد غلب على امره قرونا طويلة ، فهل معنى ذلك أنه استسلم استسلاما تاما لأولئك الحكام الدخلاء ورضخ لسيطرتهم رضوخا كاملا دون أن يحاول الحد من المظالم التى حلت به او الاعتراض على عبث الحكام المفروضين عليه فرضا . الواقع ان الشعب المصرى عرف دائما فى التاريخ بانه شعب أبى لا يرتضى الضيم ولا يمكن أن يطول صبره على المكاره ، فاذا صبر حينا فان صبره لا يمكن أن يطول ، ولا يلبث حتى يثور أحيانا .

وربما نظر البعض الى كتب التاريخ نظرة سطحية فخيل له أن الفلاح المصرى وعامة الناس رضوا بالمصير وقنعوا بنصيبهم فى الحياة فجنحوا الى الهدوء فى ظل حكام باغين . ولكن من يتعمق فى كتب التاريخ ويتدبر ما تضمه من أحداث وعبر ، لا يلبث أن يخرج بحقيقة كبرى هى حيوية هذا الشعب وكرهه للمظالم ، وهو الأمر الذى عبر عن نفسه تعبيرا صادقا فى بعض الثورات الشعبية الكبرى .

والواقع أنه على الرغم مما عرف عن سلاطين المماليك من قوة وبطش ، الا ان سلاطين المماليك كانوا كثيرا ما يعملون حسابا للزعامة الشعبية للمصريين ممثلة فى طائفة المشايخ والعلماء ، وهم الذين كانوا بحكم مكانتهم الدينية والعلمية اصحاب نفوذ كبير يخشاه سلاطين المماليك . وقد حكى الرحالة ابن بطوطة الذى زار مصر فى عصر المماليك أنه سمع السلطان الناصر محمد بن قلاوون يقول لجلسائه « أنى لا اخاف احدا الا شمس الدين الحريرى قاضى قضاة الحنفية ! ! » .

كذلك ورد فى المراجع أن السلطان شعبان طلب من القاضى ابى البقاء السبكى ابطال وقف ، فرفض القاضى وقال للسلطان فى غلظة « اسمع يامولانا السلطان ان كنت ما تعرفنى فانا اعرفك بنفسك ! » ثم خرج القاضى من حضرة السلطان بغير سلام بعد أن وجه اليه تلك العبارة التى تحوى تعريضا بالسلطان وأصله المماليكى غير الحر .

فاذا اشتد تلاعب الحكام بمصالح البلاد والعباد ولجئوا الى تزييف العملة طمعا فى تحقيق المكاسب على حساب الشعب ، فان الناس كانوا لا يحتملون تلك الأوضاع فيعلنونها ثورة فى شوارع القاهرة ويصيحون فى السلطان ورجاله طالبين رفع المظالم ، كما حدث سنة ١٣٢٠ ، ١٣٣٥ . ويروى المؤرخ ابن الفرات أن عامة

المصريين لم يعجبهم تصرفات بعض الحكام سنة ١٣٩٥ فهددوهم حتى انقطع احد الحكام فى بيته بضعة ايام لا يجرؤ على مغادرته خوفا على نفسه من العوام . فاذا مات احد الحكام الظالمين فان الدولة كانت تدفنه سرا فى مقابر غير المسلمين خوفا عليه من العامة ان تحرق جثته لظلمه وعسفه .

وقد حدث ان ثار عامة الناس فى دمياط سنة ١٤١٧ ضد حاكمهم الذى عرف بالظلم والقسوة ، فقبضوا عليه وحلقوا لحيته امعانا فى تحقيره واذلاله ، وبعد ان زفوه على جمل فى تلك الصورة قتلوه . كذلك يروى السخاوى ان اهل المحلة لم يحتملوا ظلم واليهم سنة ١٤٥٠ فثاروا وهاجموا منزله وقبضوا عليه ثم اخرجوه واوسعوه ضربا وهو عريان حتى مات من الضرب .

ويبدو أن سلاطين المماليك وامراءهم مع مالهم من قوة وبطش وسلاح ، ادركوا أن الشعب المصرى ليس بالاستكانة التى كانوا ياملونها ، فحرصوا بين حين وآخر على استرضاء عامة المصريين والتقرب اليهم ، حتى أن احد كبار امراء المماليك قالها لهم يوما « أنا واحد منكم وانتم اخواننا واصحابنا ! ! » .

واذا كان هذا هو موقف عامة الشعب المصرى من المماليك ، فان المصريين لم يكونوا أقل نشاطا فى مقاومة الغزو التركى العثمانى الذى تعرضت له بلادهم سنة ١٥١٧ .

وليس هذا مجال الدخول فى تفصيلات تاريخية بصدد مقاومة الشعب المصرى للعثمانين ولكن يكفى أن أحد المعاصرين ـ وهو الشيخ أحمد الرمال ـ كتب يقول انه نتج عن مقاومة المصريين أن السلطان سليم العثمانى « ضاق صدره وندم على دخوله مصر وخشى ان تطول عليه المطال ويدخل عليه الشتاء وينقطع عنه خير بلاده ! » . كذلك يروى الجبرتى انه عندما ساد الحكم العثمانى فى القرن الثامن عشر ، هب الشعب المصرى فى وجه الظلم ، وتزعم العلماء ومشايخ الازهر تلك الحركة الشعبية ، فنظموا مظاهرة كبرى وصاحوا فى حكامهم " نريد العدل ورفع الظلم والجور واقامة الشرع ! ! » . ولم يجد الحكام مناصا ازاء اصرار الشعب سوى النزول على ارادته « فتابوا ورجعوا والتزموا ما شرطه العلماء » .

واذا كان المصريون قد قاوموا المماليك والعثمانيين وهم جميعا مسلمون وان كانوا أغرابا عن البلاد دخلاء على اصحابها ، فانه كان من المنتظر أن تكون مقاومة المصريين لبونابرت ورجاله اشد واعنف . ومرة أخرى لا تريد ان ندخل فى تفصيلات الثورتين العارمتين اللتين قامتا فى القاهرة ضد الحكم الفرنسى سنة ١٧٩٨ ، وسنة ١٨٠٠ ولكن تكفى الاشارة الى أن هذا الشعب الأعزل من السلاح لم ترهبه مدافع بونابرت وقوة تنظيم جيشه وانما اقام المصريون معملا للبارود فى الخرنفش ومعملا آخر لاصلاح السلاح التالف ، ومعملا ثالثا لصنع القنابل وصب المدافع . ولم يقف المصريون مكتوفى الايدى امام حاجتهم الماسة الى الحديد ، وانما خلعوا نوافذ المساجد والحوانيت لصهرها واعادة سكها بل لقد جمعوا شظايا القنابل الفرنسية المتساقطة على رؤوسهم ليصهروها ويعيدوا سبكها من جديد الأمر الذى اثار دهشة الفرنسيين وقائدهم كليبر نفسه .

ولم تقتصر مقاومة الشعب المصرى للثورة الفرنسية على القاهرة وحدها بل ، لقد شهدت كل بقعة من بقاع هذا الوطن مقاومة شعب ابى لا يرضى بالهوان ضد غزاة دخلاء ظنوا أنهم فى نزهة الى أرض مصر . من ذلك ما يرويه احد قادة الجيش الفرنسى أنه حدث عندما كان ديزيه يسير على راس رجاله لاخضاع الصعيد ، ان تغلغل صبى مصرى فى الثانية عشر من عمره وسط الجنود الفرنسيين وباغتهم ليخطف بعض بنادقهم ويولى هاربا حتى يستطيع قومه استعمالها فى مقاومة الفرنسيين . ولكن بعض الجنود الفرنسيين تعقبوه حتى لحقوا به وضربوه بالسيف ضربة أصابته ثم ساقوه والدم ينزف منه الى الجنرال ديزيه قائد الحملة الفرنسية فى الصعيد . وعندما سأله ديزيه عن المحرض له على فعلته ، نظر الصبى المصرى الى السماء وقال : « الله القادر على كل شيء هو الذى أمرنى بفعل ذلك » ! وبعد ذلك أدار الفتى بصره نحو ديزيه وقال فى ثبات « دونك رأسى فاقطعه » . ولم يسع القائد الفرنسى سوى أن يبدى اعجابه بهذه الشجاعة النادرة ، فعدل عن اعدامه وأمر بجلده ثلاثين جلدة تحملها الغلام دون أن يتاوه أو يتافف .

ولم تكن المقاومة التى ابداها شعب مصر للانجليز الذين حاولوا غزو مصر سنة ١٨٠٧ أقل من تلك التى تعرض لها الفرنسيون . ويروى الجبرتى أن أهل رشيد ما كادوا يعلمون بزحف الانجليز على بلدتهم حتى « عملوا جمعية فى بيت القاضى حضرها المشايخ والأعيان » . وفى ذلك الاجتماع تقرر مبدأ المقاومة ، حتى اذا ما دخل الانجليز رشيد ، كان الاهالى « منتبهين مستعدين بالازقة والعطف وطيقان البيوت ، فلما حصلوا (الانجليز) بداخل البلد ضربوا عليهم من كل ناحية ، فالقوا (الانجليز) ما بايديهم من الاسلحة وطلبوا الأمان ، فلم يلتفت الاهالى لذلك وقبضوا عليهم وذبحوا منهم جملة كثيرة وأسروا الباقين .. » وهكذا اخذت المصائب تترى على الانجليز ، تارة عند رشيد وأخرى عند الحماد حتى اضطروا الى الرحيل فى اغسطس سنة ١٨٠٧ .

اما أسرة محمد على التى بدأ حكمها لمصر سنة ١٨٠٥ فان الشعب المصرى لم يستسلم لها فى سهولة . ذلك ان المصريين ادركوا من أول لحظة أن محمد على وبطانته دخلاء لا يمتون بصلة الى النيل وأهل النيل . واذا كانت الظروف القاسية قد أجبرت زعماء البلاد على قبول حكم محمد ـ كحل وحيد وسط عوامل الفوضى التى ألمت بالبلاد ـ فانهم قالوها له فى صراحة تامة ، وهى أن يكون واليا عليهم بشروطهم . ولم يرض شعب مصر عن النزعة الاستبدادية التى ظهرت فى تصرفات محمد على وخلفائه فوقف أحمد عرابى فى مواجهة الخديو توفيق وقال له على الملأ « نحن لسنا عبيدا ولا نورث بعد اليوم ! ! » .

على أن القوة الغاشمة كثيرا ما تتحكم فى توجيه مصائر الأمور . ولكن اذا نجحت هذه القوة فى كبت اصوات الأحرار حينا فان نجاحها لا يمكن أن يدوم . وهكذا اعتمد حكام مصر من أسرة محمد على الاستعمار وسلاحه ، واعتمد شعب مصر على حقه وايمانه حتى كانت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فاطاحت باسرة محمد على وبالاستعمار جميعا ، وعادت مصائر البلاد والعباد الى ابنائها يبنون مجدهم ويخططون لمستقبل سعيد مشرق .

سياسة الهدم في التاريخ الإسلامي

الدكتور ابراهيم شعوط

الطابور الخامس :

تلفتت العناصر ذات الشان من البلاد المفتوحة ، والطوائف الدينية المغلوبة ، فوجد هؤلاء ان ملكهم قد اندثر ، ووجد هؤلاء أن أديانهم قد انزوت ذليلة ، او هاجرت طريدة ، فعقدوا العزم على العمل ضدالمسلمين، واخذوا يبذلون الجهد فرادى ومجتمعين ـ بعد ان دخلوا فى الاسلام مستترين لا مؤمنين .

وكانت الخطة هذه المرة أن يحدث المنافقون فى المدينة ما يستطيعونه من فتن ليشككوا المسلمين فى دينهم ويوقعوا الفرقة بينهم فى الداخل . وعلى اليهود والمشركين استغلال هذه الفتن وتلك الوشايات فى الخارج لينشروها بوسائل الاعلام والدعاية التى برعوا فيها وتفرغوا لها .

وفى غزوة بنى المصطلق الذين تقع مساكنهم بين مدينة « جدة » ومدينة « رابغ » على ساحل البحر الاحمر وجد هؤلاء ضالتهم وأمكنتهم الفرصة من اعطاء نفوسهم شهواتها كلها حيث كان عبد الله بن أبى بن سلول زعيم المنافقين يشترك مع المسلمين فى غزوتهم هذه ويبحث فى داخل نفسه عن ثغرة بين صفوف المسلمين يلقى فيها بكل احقاده ، ويشغلها بضغينة قلبه حتى لا يرجع المسلمون الى المدينة الا وقلوبهم شتى ، ووحدتهم ممزقة ووجد ابن أبى ضالته فى خلاف نشا بين رجلين احدهما من المهاجرين والثانى من الانصار على الماء فى بنى المصطلق فلما اشتد الخلاف صرخ المهاجرى : يامعشر المهاجرين وصرخ الأنصارى : يا معشر الأنصار ، فلما سمع ابن أبى هذه الصيحات ورأى بوادر النار أراد أن يلقى عليها وقودها حتى لاتخمد فقال لقومه « أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا ـ يعنى مهاجرى المسلمين من مكة ـ وكاثرونا فى بلادنه والله ما أمرنا وجلابيب قريش هذه الا كما قال الأول « سمن كلبك يأكلك » أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم اقبل على من حوله من قومه من المدينة وقال لهم : « هذا ما فعلتم بانفسكم ، احللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم اموالكم ، اما والله لو أمسكتم عنهم بأيديكم لتحولوا الى غير داركم » وبلغ رسول الله صنيع ابن أبى فاراد أن يفوت عليه الفرصة ويحبط تدبيره فامر بالرحيل فورا فى ساعة لم يكن رسول الله يرتحل فيها ليقطع على دعاة السوء طريقهم .

اشاعة الفاحشة :

وترتب على تعجيل رسول الله بالرحيل ان تركت القافلة السيدة عائشة أم المؤمنين لانشغالها بالبحث عن عقدها فى المكان الذى قضت فيه حاجتها ولم تكن تعلم أن موعد الرحيل قد عجل على الصورة التى ارادها الرسول عليه الصلاة والسلام . فلما وجدت السيدة عائشة نفسها وحيدة بعد ذهاب القافلة حرصت على البقاء فى مكانها لعلمها ان القوم سيرجعون اليها اذا افتقدوها . ثم تقول ام المؤمنين عائشة :

فوالله انى لمضطجعة اذ مر بى « صفوان بن المعطل السلمى » وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبت مع الناس فرأى سوادى فاقبل حتى وقف على فعرفنى ـ وقد كان يرانى قبل ان يضرب علينا الحجاب ـ فلما رآنى قال :

انا لله وانا اليه راجعون . ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وانا متلففة فى ثيابى ـ قال : ماخلفك يرحمك الله ؟ قالت فما كلمته . ثم قرب الى البعير فركبت واخذ براس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس فوالله ما ادركنا الناس وما افتقدت حتى اصبحت ونزل الناس فلما اطمانوا طلع الرجل يقودنى فقال اهل الافك ما قالوا .

استمر ترصد المنافقين النافخين فى الكير ليشعلوا اى نار ويحدثوا اى حدث فلما فاتتهم وسيلة الايقاع بين المهاجرين والانصار انتظروا فرصة أخرى امكنتهم منها ظروف تخلف السيدة عائشة عن العودة مع قافلتها التى فيها رسول الله .

فلما مر صفوان بن المعطل بهودج أم المؤمنين ورآه ابن سلول وهو فى ملأ من قومه قال : من هذه ؟ قالوا : عائشة رضى الله عنها فقال : « والله ما نجت منه ولانجا منها ثم قال : امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها » فالقى بهذه الكلمات قنبلة اشتعلت من حولها الاشاعات وتناقلت أحياء المدينة فرية ابن ابى فكشفت عن القلوب المريضة وافرخت الفتنة فى بيوت الذين لم يؤمنوا وتبين لرسول الله ماكان قد خفى عنه من الذين كانوا قد آمنوا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم .

كانت حراب المنافقين فى هذه الحادثة مسمومة وظنوا انهم سددوها الى مقتل ، واعتقدوا انهم نجحوا فى هذه المرة . وقد كانوا من قبل قد حاولوا فى سلسلة من الحقد والخديعة والكذب أن يشيعوا فى تاريخ رسول الاسلام ما ينقص من تفكيره ، ويغض من أمانته وفطنته بذكر قصة الغرانيق فلما لم ينطل زورهم على ذوى العقول لجأوا الى العبث بسيرته الشخصية وكمال خلقه ومروءته فيما ذكروه عن زواجه بزينب بنت جحش . وباءت هذه ايضا بالفشل فترصدوا هذه المرة للطعن فى عرضه وعرض أطهر أصحابه . ولم يكن هذا هو الهدف الوحيد لابن أبى راس المنافقين وانما كان الى جانب هذا الهدف عدة أهداف يريد أن ينال بها من الاسلام فيهدمه فى مبادئه وفى رجاله .

اراد أن يجرح النبى فى عرضه كما أراد أن يحطم أبا بكر عن طريق هذا الجرح القاتل وفوق ذلك اراد أن يضع من المكانة الأدبية والخلقية للحركة الاسلامية . ثم هو من وراء هذا وذاك لا يعدم أن يوقد جذوة من نار هذه الفتنة ليكون وقودها كلا الحيين الاوس والخزرج .

هذا دور المنافقين فى حركة الهدم التى تواطأ عليها خصوم الاسلام فى الداخل والخارج أما دور اليهود فكان واضحا فى الخيانة والغدر التى ارتكبوا فى سبيلها كل منكر . فهذه زينب بنت الحارث اليهودية قد أهدت الى الرسول لحما مسموما فلما أراد أكله لم يسغه فلفظه وقال : « ان هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم » ثم استدعاها فسألها : ما حملك على هذا ؟ فقالت : «بلغت من قومى ما لم يخف عليك فقلت : ان كان ملكا استرحت منه ، وان كان نبيا فسيخبر بالحقيقة » .

وكذلك تزعم عبد الله بن سبأ اليهودى المسلم حركة اثبات ان لكل نبى وصى . وعلى وصى محمد . ثم حركة تحريض أبى ذر الغفارى رضى الله عنه ضد عثمان بن عفان فى قضية عنوانها « هل المال مال الله ؟ أو مال المسلمين ؟ »

وفى حادث مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ظهرت عداوات القوميات التى أكل قلوبها ضغن المسلمين . فهذا كعب الأحبار اليهودى الأصل ، والهرمزان ، وأبو لؤلؤة المجوسيان الفارسيان ، وهذا جفينة النصرانى اتفقوا جميعا على الانتقام من الاسلام فى أعز رجاله فدبروا قتل الخليفة عمر بن الخطاب . وفى هؤلاء المجوس يقول الأمام ابن تيمية فى منهاج السنة .

انهم لم يدخلوا الاسلام رغبة فى الله ، ولا رهبة منه ، ولكن مقتا لأهل الاسلام . حتى ان بعض الشيعة الرافضة يقدس ابا لؤلؤة لقتله عمر بن الخطاب ، ويحتفلون بذكراه هاتفين : « واثارات أبى لؤلؤة » .

فى مؤتمر السقيفة :

هناك فى مرويات التاريخ أخبار تسربت اليها دسوسات الخصوم ، ومخلفات الحقد على العقيدة الاسلامية ، والاعلام البارزين من المسلمين .

ان الذى يقرأ ما كتبه المؤرخون فى مؤتمر السقيفة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرك – من اول وهلة – أن الغرض من الاسهاب فى وصف مادار بين المهاجرين والانصار من النقاش الحاد ، ثم الجدل الغاضب ، ثم المغاضبة الحقودة ، والالتجاء الى السيف والقوة يدرك أن الغرض من ذلك كله شىء واحد هو اظهار اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صورة المتكالبين على الحطام والمنصب . حتى اذا وصلوا الى تشكيك المسلمين فى صحابة رسول الله ، واظهروا هذا الرعيل الأول بالمظهر التافه ، سهل عليهم أن يتناولوا كل واحد منهم – على حده – بالطعن والتجريح ثم يقولون للمسلمين والعرب : أنظروا الى أجدادكم ، وبناة مجدكم ، كانوا هكذا على جانب من الحرص ، والطمع ، والتكالب على الحطام الحقير . فهذا عمر بن الخطاب ، والحباب بن المنذر ، وسعد بن عباده يثيرون شغبا ، ويطعن بعضهم بعضا فى حمق وطيش ، فى الوقت الذى لم يوار فيه جثمان رسول الله بعد .

نقل الطبرى ، وابن الأثير صورة خلاف بين الحباب بن المنذر بن الجموح وبين عمر بن الخطاب لا ينبغى أن يكون بين طامعين من رؤساء الأحزاب فى عصرنا هذا . ونسى الطبرى وابن الأثير ومن نقل عنهما ان هذه المدرسة من الصحابة هى التى رباها محمد عليه السلام واطمأن الى كل فرد فيها بعد امتحانات لهم فى ايمانهم وتفانيهم فى عقيدتهم . فالحباب بن المنذر قد ضرب المثل العملى لصدق ايمانه ، ومحبته لرسول الله ، وحرصه على مصلحة المسلمين حين قدم نصيحته – فى ادب جم – الى الرسول الكريم فى غزوة بدر عندما رأى موقف المسلمين فى مكان لا يمكنهم من النصر فنصح رسول الله بالعدول عن المكان الذى اختاره الى مكان آخر كان النصر فيه للمسلمين .

ثم كيف نعقل هذا الخلاف بين صحابة رسول الله وجثمانه الشريف ما يزال بينهم وهم يعلمون ان الخلافة ليست سيطرة ، ولا مظهرا لجاه ، ولا منبعا لثروة ، وانما هى قيادة وتوجيه ، وتضحية ، وتحمل مسئولية العباد أمام الله والناس .

هذا ونستطيع ان نفهم ان امر الخلافة بعد رسول الله كان واضحا فى أذهان الناس أنه سيكون فى المهاجرين وليس للانصار منه شىء . نطالع ذلك فى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض موته للمهاجرين حيث قال :

يامعشر المهاجرين ، استوصوا بالانصار خيرا فان الناس يزيدون والانصار على هيئتها لا تزيد ، وانهم كانوا عيبتى التى آويت اليها فاحسنوا الى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم . »

فاى وضوح بعد هذا فى تحديد أمر ولاية المسلمين بعد الذى قاله رسول الله فى هذه الوصية ؟!

ثم علا النزاع ؟ ولم الصراع ؟! أليس ابو بكر هذا الذى قيل عنه انه كان حريصا على امارة المؤمنين هو الذى ترك تجارته ليتفرغ لشئون المسلمين حتى اضطر اصحابه أن يفرضوا له من بيت المال ما يصلح به نفسه وعياله ؟ ثم ماذا ؟

هذا أبو بكر وهو مشرف على الموت لم تطب نفسه بما أخذ من بيت المال . بل قال :

« ردوا ما عندى من مال للمسلمين فانى لم أصب من مال المسلمين شيئا . وان ارضى التى بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم »

ونفذ عمر هذه الوصية ثم قال :

« يرحم الله أبا بكر لقد أحب ألا يدع لأحد بعده مقالا » .

ثم ماذا كان من أمر عمر بن الخطاب لما اصبح أمر المؤمنين بيده ؟ ان هذا الذى قيل عنه انه كان متكالبا على الخلافة فى سقيفة بنى ساعده . هذا الرجل حين شعر بقرب وفاته وقيل له : أعهد الى ابنك عبد الله ، قال كلمته الخالدة :

« حسب آل الخطاب أن يعذب منهم واحد » .

بعد هذا البيان لاندرى كيف سمح هؤلاء المؤرخون الفضلاء لأنفسهم أن يدونوا صورة التكالب والحرص ، والملاحاة التى دونوها ، مع علمهم بحرص كل خليفة من هؤلاء على الفرار من المسئولية العظمى أمام الله كما يتضح من كلام أبى بكر وهو فى مرض موته حيث قال :

« انى لا آسى على شىء من الدنيا الا على ثلاث فعلتهن وددت أنى تركتهن ـ ثم قال من هذه الثلاثة ـ وددت أنى يوم السقيفة كنت قد قذفت الأمر فى عنق احد الرجلين ـ يريد عمر وابا عبيده ـ فكان احدهما اميرا وكنت وزيرا » .

ونحن نعتقد أن هذه الروح كانت سائدة فى نفوس الصحابة جميعا ينظرون الى ذلك الأمر نظرة الحذر الذى يخاف التقصير فى شأن عمل خطير كهذا فلايجد جوابا بين يدى ربه اذا سئل عن ذلك .

ثم نتصور مادار فى سقيفة بنى ساعده انه كان بحثا عن الصالح من المهاجرين لولاية هذا الأمر بعد رسول الله ، وأن المسلمين ـ حين عرض على أسماعهم تقديم أبى بكر ـ أيقنوا أن المشكلة قد انحلت ، وأنهم فرغوا لما بعدها من الشئون الهامة التى أعقبت موت رسول الله .

ولقد كان من خطل القول ، والجهل بعادات العرب فى الجاهلية والاسلام ذلك الحديث عن ابن أبى طالب ـ وهو من هو فى عزته وكرامته ـ بأنه يحمل زوجه فاطمة بنت رسول الله على دابة ليطوف بها ليلا على مجالس الأنصار تسألهم النصرة لزوجها فكانوا يقولون :

يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ـ يقصدون أبا بكر ـ ولو أن زوجك سبق الينا قبل أبى بكر ما عدلنا به .

ثم يجيبهم على ـ وقد زاده ـ هذا القول غضبا ـ أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم ادفنه وأخرج أنازع الناس فى سلطانه ؟!

ثم تقول فاطمة :

ما صنع أبا الحسن الا ماكان ينبغى له ، وقد صنعوا ما الله حسيبهم عليه وطالبهم .

هذه صورة دونت فى كتب التاريخ الاسلامى عن موقف على وزوجته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغاب عن ذهن الذين دونوها أن العربى ـ أيا كان ـ يمنعه كبرياؤه ، واباؤه أن يستعين بامرأته ـ أيا كانت المرأة ـ مهما كلفه هذا الأمر . كما أن الاحتفاظ بمقام المرأة ، وصيانتها عن التبذل يحول دون الطواف بها على بيوت القوم ونواديهم ـ وخاصة اذا كانت بنت رسول الله .

فاذا لم يقتنع القوم بالاستنتاج العقلى المبنى على ما توحى به تقاليد العرب . فماذا يقولون فى رواية الطبرى وابن الاثير التى نقلت عن ـ سعيد بن زيد ـ وهى تثبت أن أبا بكر بويع بعد السقيفة باجماع لم يتوقعه أحد . والرواية هكذا :

قيل ان عمرو بن حريث قال لسعيد بن زيد

متى بويع ابو بكر ؟ قال : يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم . كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا فى جماعه . قيل : أخالف عليه أحد ؟ قال : لا الا مرتد أو من قد كاد أن يرتد لولا أن الله عز وجل تنقذهم من الانصار . قيل : فهل قعد احد من المهاجرين ؟ قال : لا ، تتابع المهاجرون على بيعته من غير أن يدعوهم .

هذه رواية ، وثم رواية أخرى تقول :

ان على بن أبى طالب كان فى بيته اذ جاءه من انباه أن أبا بكر جلس للبيعة فخرج فى قميص له ما عليه ازار فاتاه فتجلله ولزم مجلسه .

وهاتان الروايتان تجريان على طبيعة أصحاب رسول الله فى الحرص على الصالح العام ، وتقديم الأكبر سنا اذا تساوت المنزلة عند رسول الله ، وتوائمان الحقيقة التى كانت عليها نفوس الصحابة من السمو فى الأخلاق والترفع عن التهافت ، والحفاظ على المثالية الكاملة فى تصرفاتهم لتكون لهم القدوة الحسنة ، ولبقية المسلمين الطاعة المخلصة .

لكن شهوات خصوم الاسلام تخترع دائما ما يثير الحفاظ ، ويشعل نار البغضاء ، ويظهر الصفوف الفاضلة من المدرسة المحمدية بمظهر الذين طرحوا دينهم وراء أغراضهم ، ونبذوا تعاليم نبيهم ـ حين ظهرت لهم المنافع الشخصية ـ وضربوا بها عرض الحائط . مثلهم كمثل المرتدين تماما ، ولكن فى صورة أخرى فقالوا : لما اجتمع الناس على بيعة أبى بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول :

والله انى لأرى عجاجة لا يطفئها الا دم ، يا آل عبد مناف ، فيم أبو بكر من أموركم ؟ أين المستضعفان ؟ أين الأذلان على والعباس ؟؟ ثم أنشد يتمثل :

ولا يقيم على خسف يراد به
الا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج فلا يرثى له أحد

ثم تقول الرواية بعد ذلك ان عليا قال لأبى سفيان :

يا أبا سفيان . طالما عاديت الاسلام وأهله فلم تضره بذاك شيئا . انى وجدت أبا بكر لها أهلا .

كل ذلك من الأدلة يكفى لكشف هذه المفتريات التى أحس بها كثير من الكتاب فى التاريخ فقالوا : ان روايات تخلف على بن أبى طالب عن بيعة أبى بكر وتصوير الخصومات بين بنى امية وبنى هاشم بهذه الصورة انما وضعت فى عهد العباسيين لغايات سياسية وبعضهم يقول : انها وضعت منذ اختلف بنو هاشم وبنو امية على الخلافة ابان الحروب بين على ومعاوية ، وأن الذين روجوا لها اعتمدوا على حجج المهاجرين فى أحقيتهم للخلافة حيث استغلوا تبرير أحقية المهاجرين للخلافة دون الانصار بانهم أدنى صلة بالنبى ، وأن العرب لا تدين الا لهم فقالوا : اذا كان القرب من رسول الله هو الذى يعطى الخلافة فان عليا أقرب الناس اليه ومن حقه أن يغضب اذا انتزع منه .

وهكذا مما يأباه عقل الدارسين لرجال هذا العصر من الرعيل الأول الذى تربى على عين محمد عليه الصلاة والسلام ، وتحت رعايته .

للحديث بقية

خرافة السيف المقدس

الدكتور أحمد موسى الحسيني

وقع بيدى ، كتاب عنوانه « تاريخ وفظائع ديوان التفتيش » لمؤلفه جرجى حداد ، طبع سنة ١٩٢٣ فى مدينة سان باولو ، بالبرازيل ، لفق فيه نصوصا مختلفة من (العهد الجديد) ليخرج منها بحكم منكر هو أن المسيحية ليست دين السلام والمحبة بل دين الحرق والذبح والاضطهاد •

ومن العجب أن المؤلف رد آيات الانجيل الداعية الى السلام والمحبة كقوله : « لا تقاوموا الشر بالشر ، وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم بهم أيضا » وأمثال ذلك ، الى فلاسفة الهند والصين وبابل والمجوس الذين وجدوا قبل السيد المسيح ، عليه السلام ، بمئات السنين •

ولكن العجب لا يلبث أن يزول حين ترى المؤلف يعتمد على كتب ألفها أعداء المسيحية وأنكروا وجود السيد المسيح ، رسول المحبة والسلام •

ولا نكران أن محاكم التفتيش — كما يصفها المؤرخون — تجاوزت حدود المسيحية وتنكرت لمبادئها وغالت الى حد حمل كثيرين من المؤرخين على نقدها وعدها صفحة سوداء فى تاريخ الكنيسة • ولكن لا ينبغى أن تحمل المسيحية نفسها وزر هذه المحاكم • كما لا ينبغى أن يحمل أى دين وزر ما يرتكبه الغلاة المتطرفون من أصحابه •

والمؤرخ المنصف لا يقف عند حادثة معينة أو حوادث معينة فى التاريخ ويستخلص منها حكما عاما يشمل الأمة كلها أو الدين كله فى جميع عصورها • فالتاريخ لا يعرف أمة خلت من أفراد أو طائفة أساءت فهم النص وتجبرت وطغت وأحرقت وعذبت • ولكن أولئك قلة الى جانب كثرة هى التى ينهض عليها التاريخ ويحكم عليها المؤرخون •

على أن المؤرخين المغرضين الذين يعتمدون النصوص الشاردة والنادرة ويلفقون بينها ليتخذوا منها أحكاما عامة بقصد افساد التاريخ قلة أيضا الى جانب المؤرخين المنصفين المحققين •

ومن أولئك القلة مؤلف اسمه (روبرت بين) نشر منذ بضع سنوات كتابا بالانجليزية عنوانه « السيف المقدس » حشاه بأسوأ مما حشا به جرجى حداد كتابه من النصوص الملفقة والافتراءات الباطلة • وكان هم المؤلف فى كتابه أن يثبت أن الاسلام ، فى قديمه وحديثه ، لم يقم الا على السيف ، وأن الذين دخلوا فى الاسلام كانوا واقعين تحت رهبة السيف سواء أمن أصحاب الكتاب كانوا أم من الوثنيين •

والكتاب جميعه يقطر سما وحقدا على الاسلام والمسلمين •

والقضية التى يخلق بنا بحثها هى : هل نهضت الديانتان السماويتان المسيحية والاسلام على السيف حقا ، أو الى أى حد لجأ أصحاب هاتين الديانتين الى السيف فى نشر الدين ؟

اذا استعرضنا التاريخ من بدايته الى وقتنا الحاضر نرى أن الديانتين السماويتين اعتمدتا أولا وقبل كل شىء على الكلمة الطيبة والوعظ والارشاد • وهذا حكم عام نستخلصه من تاريخ طويل متسلسل فى بقاع مختلفة من الأرض •

ونصوص القرآن الكريم المؤيدة لهذا الحكم كثيرة • وهى التى كانت رائدة المسلمين فى دعوتهم • ونصوص الانجيل هى أيضا كثيرة •

واذا دخل السيف فقد دخل فى حالات قليلة نص عليها التاريخ دون محاباة ولا تحيف •

وقد تناول هذا الموضوع بالنسبة للاسلام مؤلف غربى اسمه (شون)

فى كتاب له بالفرنسية نقل الى الانجليزية سنة ١٩٦٣ باسم « فهم الاسلام »

أثبت (شون) أربع حجج فى تفنيد التهمة التى يرددها بعض الكتاب :

الأولى : أن الاسلام انتشر بالهداية والارشاد أكثر مما انتشر بالقوة .

الثانية : أن القوة لم تستعمل الا مع الوثنيين والمشركين بالله . أما أهل الكتاب فقد ظلوا على دينهم وحافظ الاسلام على عقائدهم وبيعهم على وفق عهود قاطعه ثابتة .

الثالثة : أن اله العهد القديم لم يكن أقل التجاء الى القوة من اله القرآن . بل الأمر عكس ذلك » .

والرابعة : « أن المسيحية استعملت السيف منذ زمن قسطنطين » .

ثم سأل المؤلف : أيجوز استعمال القوة لتأييد حقيقة جوهرية ونشرها ؟ ثم ورد بأن الجواب ينبغى أن يكون بالايجاب ، لأن التجارب أثبتت أن استعمال القوة ضرورة لا مفر منها أحيانا مع العامة الذين لا يميزون بين الخير والشر .

ونحن نضيف الى قوله أربع مسائل خليقة بالنظر . الأولى : أن الاسلام ظهر فى عصر الأكاسرة والأباطرة ، والحكم الاستبدادى المطلق ، وتحكم الكهنة فى رقاب الناس ، وتفشى الرق فى المجتمع ، والاعتقاد «بالطبقية» التى تقيم بين خلق الله حدودا لا يقرها الدين ولا الطبيعة ولا العقل . ولذا ما كاد الاسلام يظهر حتى اهتزت عروش طاغية وتزلزلت أحكام باغية وثارت نفوس مظلومة .

الثانية : أن الاسلام أيد الديانات السماوية السابقة وحث أصحابها على العمل بما أمرهم الله أن يعملوا فى كتبهم الدينية ، وأوضح للمؤمنين ما أشكل عليهم ، وصحح أخطاءهم ، وأنار السبل أمامهم . وبذلك لم تكن النقلة من دين الى دين واسعة ، بل رأى المفكرون المتدبرون أن رأس هذه الديانات جميعها الايمان بالله وحده لا شريك له . وهذا الجوهر لا خلاف فيه أما ما دخل بعد ذلك من تأويل وشرح وتفسير فهى من عمل الانسان نفسه لا من عمل الله .

الثالثة : أن الوثنيين الذين كانوا أكثر سكان الأرض قاسوا ما هم عليه من عبادة الحيوانات والأشجار والحجارة ، وادعاء حكامهم الألوهية لاخضاعهم واذلالهم ، والاعتماد على الخرافات والأساطير والشعوذة ، قاسوا ذلك على ما جاءهم من عبادة واحد أحد خلق الانسان على مثاله وكرمه وأعزه ورفع شأنه . وساوى بين خلقه جميعا بين حاكم ومحكوم سيد وعبد غنى وفقير ، وقضى على الذل والمسكنة والعبودية ، ودعا الى الصلاح والفلاح ، ورفع العقل الى أرفع مكانة ، فاستسلمت النفس الصافية الى ما هو أنفع وأفضل بهداية من ذاتها دون قهر ولا طغيان .

الرابعة : أن قوة « المثل الطيب » والقدوة الصالحة أعظم من كل قوة أخرى . والدين شعور باطنى لا يرسخ الا بالاقتناع والارادة . والاغراء مهما قوى لا يمكن أن ينفذ الى الأعماق . وقوة السيف مهما طغت لا يمكن أن تنفذ الى الضمير .

ولا شك فى أن المرشدين الأوائل كانوا على جانب كبير من صفاء الطوية وسلامة العقيدة وحسن الادراك لمرامى الدين والاقتداء بالسلف الصالح . ولذلك كانوا منارات تضيىء الطريق أمام الناس فى صمت وسكون .

وقد روى المؤرخون أن الذين دخلوا فى الاسلام يوم وفاة الامام أحمد بن حنبل بلغوا مئات الألوف اعجابا بالمبادىء التى عاش هذا الرجل مدافعا عنها أمام قوة أعظم من قوته . وأى سيف يمكن أن يفعل ما فعلته هذه الحادثة ؟

لقد كانت حياة السيد المسيح أعظم من سيف قسطنطين ، بل أعظم من أى سيف عرفه التاريخ . والذين آمنوا بحياة السيد وتعاليمه ومبادئه أضعاف أضعاف من خضع لدينه رهبة .

واذن فما قاله جرجى حداد بحق المسيحية وما قاله (روبرت بين) بحق الاسلام لا يدعمه منطق ولا تؤيده حجة . وكلاهما نطق عن هوى وأصدر عن تعصب .

لم تقم دعوة الاسلام على السيف

الأستاذ محمد عطية الإبراشي

لايمكن ان يشك انسان منصف فى ان الدين الاسلامى دين يدعو الى السلام ، ولم يكن دين حرب وقتال بالمعنى الذى يفهمه أعداء الاسلام ، بدليل أنه حينما دعا محمد صلي الله عليه‌وسلم الى‌الاسلام فى مكة كان‌يعتمد فى‌دعوته الى العقل والمنطق والادلة الاقناعية . وقد سلك الرسول الكريم هذا الأسلوب حينما امر بالجهر بالدعوة فى قوله تعالى فى سورة الحجر : « فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن الجاهلين » فاعلن لقومه الدعوة الى الله وتوحيده ، وأخذ يدعو قومه فى لين ورفق . ويقرأ عليهم القرآن ، ويطالبهم بالدخول فى دين الله ، مبينا لهم أنه دين الحق والفطرة السليمة ، وان الله تعالى هو الذى خلق الخلق ، وهو القادر على اعادته بعد الموت ، « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه » أما الأصنام التى تعبدونها فانها لا تملك لكم من الله شيئا ، ولم يترك صلوات الله عليه بابا من ابواب الاقناع والمجادلة الحسنة الا طرقه ، ولكن قومه عموا عن الطريق المستقيم ، وصموا عن الحق ، واصروا علي معارضتهم ، واستكبروا استكبارا ، وامعنوا فى ايذائه بكل الوسائل ، حتى كانت الهجرة من مكة الى المدينة ، وابتدأ الاسلام ينتقل من عهد الي عهد ، فأصبح فى المدينة دعوة ودولة معا .

ولم يكن الاسلام كغيره من الأديان السابقة كاليهودية مثلا ، فقد كانت اليهودية عقيدة دينية ، تعصب لها اهلها ، وكرهوا أن يشاركهم فيها غيرهم .

أما الاسلام فقد نشأ فى وطن عربى يعتز بحريته ، فلا سيطرة الاجنبى عليه . ولم يكن دينا خاصا ، بل كان دعوة عامة لجميع البشر ، لذلك جاء بالأصول التى لابد منها لاصلاح معايش الناس ، واقامة نظام جديد من المعاملات ، تحترم فيه حقوق الناس ، وانشاء مجتمع يقوم على اقرار دعائم الأمن‌والنظام ، والحرية والمساواة وكان ذلك بعد مدة طويلة من التاريخ مرت بالعالم ضاعت فيها العدالة ، وانتشرت المظالم ، وضاعت الحقوق ، واستعبد الاقوياء الضعفاء من الأمم والافراد

لقد اضطر رسول السلام الى الالتجاء الى السيف كى ينتصر الايمان والحق على الباطل . فليس وضوح دعوة الايمان وسلامتها من الناحية العقلية والمنطقية بكاف فى الزام العقول المكابرة بالتسليم ، لذلك كان لابد من قتال كفار قريش الذين حاربوا دعوة الرسول وآذوه ، وأكرهوه على الهجرة ، ومن أجل ذلك شرع القتال . وقد بني القتال فى الاسلام على مبدأين سليمين :

١ – الدفاع عن النفس عند التعدى .

٢ – الدفاع عن الدعوة اذا وقف فى سبيلها معتد أثيم ، أو حاول الاعتداء على من اعتنقوا الاسلام راضين مختارين ، أو منع مايريد الدخول فى الاسلام أو وقف فى طريق صاحب الدعوة الي الحق ، وحال بينه وبين العمل على نشر دعوته .

وان اول آية نزلت فى الاذن بالقتال والجهاد قوله تعالى فى سورة الحج : « أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق ، الا أن يقولوا : ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى‌الارض اقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وامروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور . »

ويتضح من هذه الايات الكريمة أن الله تعالى أذن للمؤمنين فى القتال ، وبين السبب فى ذلك ، وهو أن الكافرين قد ظلموهم ، وأخرجوهم من ديارهم بغير

حق ، الا قولهم ربنـــا الله ، يعنى أنهم لم يظلموا اهل مكة الا بسبب اعتقادهم فى الله . ثم أوضـحت الايات بعد ذلك أنه لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت أماكن العبادات على اختلاف اشكالها ونحلها،من صوامع للرهبان ، وكنائس للمسـيحيين ، ومعـابد لليهود ، ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا ،وتنقطع العبادات بخرابها . ولينصرن الله من ينصر دينه وهو الاسلام . ثم وصفت الآيات المؤمنين الذين اذن الله لهم فى القتال بأوصاف ، منها : أنهم هم هـؤلاء الذين اذا نصرهم الله اقاموا الصلاة ، وأعطوا الزكاة لمستحقيها ، وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .

والاية الثانية قوله تعالى فى سورة البقرة : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتـدوا ، ان الله لا يحب المعتدين . واقتلوهـم حيث ثقفتموهم (١) ، واخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله . فان انتهوا فـلا عدوان الا على الظالمين . الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمـات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مـا اعتدى عليكم ، واتقوا الله ، واعلموا ان الله مـع المتقين . »

وقد أوضـحت هذه الايات الكريمة ان القتـال الذى أذن الله فيه ، وسمح به ، انما هو قتـال أولئك الكفار الذين يدعوا قتال المسلمين ، واخرجـوهم من ديارهم ، وعملوا على أن يفتنوهم فى ديارهم ، بما صبوه عليهم من صنوف الأذى والظلم والتعذيب ، كما بينت أن الغاية من القتال هى أن يكون الدين كله لله ، ومعني هذا أن يكون الانسان حرا فى دينه ، لا يدين به الا لله لا خوفا وطمعا ، ووضحت أن الفتنة أشد من القتل ، لأن فيها اعتداء على العقيدة والوجدان ، وذلك من شر ما يكون من بنى الانسان من اعتداء . وقد نهت الايـات عن الاعتداء والظـلم ، وبينت أن الله لا يحب المعتدين الظالمين ، وهم الذين يبدءون غيرهم بالشر والعدوان ، كما بينت ان تأديب المعتدى لا ينبغى أن يتجـاوز الحد الذى وصل اليه من عدوان ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » . وهـذا مثل للعدالة الاسلامية المطلقة . « واتقوا الله » اذا انتصرتم ، ولا تعتدوا على من تنتصرون عليهم .

ومن الواضح أن الله أمر رسوله الكريم بقتال قريش كما ظهر واضحا من آيات سورة الحج ، فلما انضـم يهود المدينة الذين نقضوا عهودهم ، وخرجوا عليها ، أمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليـه وسـلم بقتال المشركين واليهود معا ، يقول الله تعالى فى سورة التوبة :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد ، وهـم صاغرون . »

ولما اتفق اعداء الرسول جميعـــا من مشركى مكة والقبائل العربية التى تظاهر اهل مكة ـ على محاربة المسلمين امر الله تعالي الرسول صلى الله عليـه وسلم والمسلمين جميعا ان يقاتلوا المشركين كافة . قال تعالى : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة . واعلموا ان الله مع المتقين . » فالعلة فى الامر بالقتال هنا هى اتحادهم على المسلمين ، ووقـوفهم فى نشر الدعـوة الاسلامية .

ومما تقدم يتضح كل الوضوح أن القتـــال لم يشرع لاكراه الناس على اعتناق الاسلام ، بدليل تلك الايـات الكثيرة التى وردت فى القرآن الكريم ، وتدل فى صراحة على النهي عن الاكـراه فى الدين ، وتحث علي اتبـاع الأساليب السلمية فى نشر الدعوة الاسلامية . قال جل شأنه يخاطب الرسول المصطفي : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظـــة الحسنة ، وجادلهـم بالتى هي أحسن » . وقال تعالى :

« ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينـه عداوة ، كأنه ولى حميم . »

وقال : « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشـــد من الغى .

وقال تعالى : « فان تولوا فانما عليك البلاغ ، وعلينا الحساب » .

وقال : « يايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لايضركم من ضل اذا اهتديتم . »

وقال : « من كفر فعليه كفره . »

وقد وصفت الآيات المكية ما تحمله الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أذى شـــديد ، وما تدرع به صلوات الله عليه من صبر طويل ، رجاء أن يهتدوا ، وان يدخل الايمان فى قلوبهم ، ولكنهم كانوا يقابلون هـــذا الصبر الجميل ، والتسامح الكثير ، والعفو والمغفرة ، والصفح عن الأذى بالمبالغة فى العدوان والايذاء .

فمنطق الايات المكية يوضح أن منهج الرسول الكريم فى دعوة قومه الى الحق كان قائما فى اول الأمر على الأخذ بالعفو ، والأمر بالعرف ، والاعراض عن الجاهـلين . وقد حاول كفار مكة أن يعرضوا على الرسول نوعا من المصالحة ، فقد قالوا : يامحمد ، تعبد آلهتنا سـنة ، ونعبد الهك سنة ، فرفض الرسول اجابتهم الي طلبهم فى رفق . يقول الله تعالى فى سورة الكافرين : « قـل يأيها الكافرون ، لا اعبد ما تعبدون ، ولا أنتـم عابـدون ما أعبد ، ولا انا عابد ماعبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين » . و فى هذا ما يدل دلالة قاطعة على أن منطق الدعوة الى الدين الاســـلامى كان قائما علي البرهان والاقناع بالدليل والمجادلة الحسنة ، لا بالسيف والحرب . وغنى عن التعريف أن محمـدا صلى الله عليه وسلم كان لا يعتمد فى دعـــواه الا على العقل والمنطق ، والاقناع بالحكمة والموعظة الحسنة .

فالمنصفون من الباحثين يرون أن الاسلام لم ينتشر بالسيف ، ولم يأمر باراقة الدماء ، كما يتضح من الايات القرآنية المتعددة . وعجيب أن يدعى المتعصبون انتشاره بالسيف ، مع أن الرسول حين دعا الى الدين الاسلامى كان وحيدا لا أحد معه ، ولا سلطان له ، وقـــد عاداه وآذاه أقرب الناس اليه . ولكنه صلي الله عليه وسلم صبر وثابر ، واســـــتمر يدعو الخلق الي الطـــريق المستقيم ، والى الدين الحق بالحسنى . وأثبت لهم بالعقل والمنطق محاسن الاسلام ، فأقبل من هداهم الله على دينه طائعين مختارين ، واثقين مؤمنين ، لم يخفهم احد ، ولم يرهبهم شىء .

ولم يدخل محمد فى حرب الا مضطرا ، وقد روى عن عائشة رضى الله عنها : « ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس عنه » . وقد بين الله ذلك فى قوله : « ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » .

الإيمان بالله سبيل الناس الى السعادة

الدكتور عبد الباسط جميعى

فى حفل عشاء كنا قد أقمناه لتكريم عميـــد كلية الحقوق بجامعة عين شمس بمناسبة تجديد عمادته تساءل احد الزملاء : ما هى السعادة .

ولم يكن المقصود بهذا السؤال وضع تعريف علمى او محاولة تحليل السعادة تحليلا فلسفيا ، وانمـــا ألقى السؤال أثناء السمر ولمجرد تزجية الوقت . ومضى كل منا يجيب عليه وفقا لوجهة نظره . وكانت اجابتى على هذا السؤال ببسطه ، فقد عرفت السعادة بانها الشعور بالرضا .

لم يكن هذا الجواب وليد تفكير عميق ، وانما كان تعبيرا عن شعورى ، فاني اشعر فعلا اننى سعيد كلمـا احسست باننى راض عن نفسى وراض عن الدنيا وراض عن حياتي فيها .

وقد كان هذا الجواب مدهشا لى ، مع اننى انا الذى ألقيته ، فما كنت احسب ان السعادة يمكن أن تكون بهذه البساطة ، فاننى ككثيرى من النـــاس كنت فى مستهل حياتى اتمثل السعادة فى أن يصبح المرء غنيا أو قادرا او مسيطرا - ولكن تقدم العمر وما صادفته من تجارب فى حياتى ، وما شهدته من أحوال الناس الذين صادفتهم قد اقنعنى بأن السعادة ليست فى المال ولا فى الجـــاه ولا فى اى شىء مما يطمع فيه الانسان عادة ، وانما هى فى شعور المرء بالرضا .

وهكذا مضيت ادير هذا الجواب فى عقلى واحاول ان اتبين ما اذا كنت فيه مخطئا أم مصـــيبا فلم يزدنى التفكير الا اقتناعا به وتصميما عليه . فاننى ما تأملت نفسى الا ووجدت أن الشعور بالرضا هو السعادة بعينها والشعور بالقلق او السخط هو التعاســـة والعذاب .

والشعور بالرضا يستلزم اولا وقبل كل شىء ان يؤمن الانسان ايمانا عميقا بالله ، وبحكمته فى تدبير هذا الكون وفى ترتيب امور البشر ، على نحـــو لا يمكن لأى انســـان مهما بلغ من الذكاء الا أن يقف أمامه مبهورا .

ومتى وجد هذا الايمان فى القلب ، فان كل شىء فى الحياة بعد ذلك يهون ، ويستطيع المرء أن يقنع نفسه بأن ما يصيبه من خير أو شر لابد أن تكون له عند الله سبحانه وتعالى حكمة ، وأن تكون من ورائه فائدة . وإن لم تكن للشخص نفسه فلأهله ، أو لمجتمعه أو لبنى وطنه . فكم من انسان ضحى بنفسه فى سبيل سعادة غيره ، وكانت هذه التضـــحية مصدر ســـعادة له ، كالجندى الذى يموت فى سبيل بلاده ، والمؤمن الذى يتحمل العذاب فى سبيل ايمانه، والطبيب الذى يتحمل التعب فى ســـبيل تخفيف الآلام عن غيره من البشر ، والكريم الذى يتحمل الحرمان والبذل فى سبيل تهوين أعباء الحياة عن غيره من العاجزين والفقراء ، وكلهم يجد السعادة فى هذه التضحية التى قد تصل الى حد الاستشهاد .

فهؤلاء جميعا يشعرون بالرضا لأن الايمان قد مـــلأ قلوبهم ، فلا يؤثر عليهم ألم أو حرمان ، بل يجدون فى ذلك اشباعا لرغباتهم ومصدرا لرضاهم وبالتالى منبعـا من منابع السعادة الفياضة التي لا يدرك حلاوتها الا من يضع الله فى قلبه القابلية لتذوقها والتنعم بها .

والشعور بالرضا ، يتم للانسان عندما يجد انه قـــد ادى واجبا مفروضا عليه ، واكمل عمله على النحو الذى يحبه ، والذى يتفق مع عاطفة الخير الكامنة فى نفسه

وكم من غنى لا يشعر بالسعادة - لأن شـــعور القلق ينهش قلبه ، فهو لا يزال دائما وأبدا فى حيـــرة من أمره - لا يدرك ما يريد - ولا يرضى بما أعطـــاه الله ، فهو يتطلع الى ما فى يد غيره - ولا يشكر الله على النعمة التى أوتيها ، بل لعله يضيعها فى ســـــبيل البحث عن غيرها ، ولو أنه خلا الى نفسه وتأمل حياته لما ساقه الطمع الى الهلاك والضياع .

فالشعور بالرضا أساسه اذن الايمان العميـــق ، والبعد عن الطمع ، والجد فى انجاز ما يوكل اليـــه من عمل ، ثم انه يقتضى أن يتذكر الانسان فى نفسه ما بين

العين والحين ، ليقارن بين حالته وحالة غيره ممن لم يحصلوا على ما حصل هو عليه ، وليبحث عن مصدر قلقه ومتاعبه ، فيزيل أسباب هذه المشاعر الضارة ، أو يضع لها حدا ويعيد الى نفسه الطمانينة ويمضى فى حياته ، ليعوض ما فاته ، أو ليرضى بما قسم الله له

اعرف رجلا عصاميا نشأ فقيرا ثم بسط الله له فى الرزق حتى أصبح من كبار الأثرياء ، وبنى لنفسه قصرا اثثه بافخر الرياش ، وخصص لنفسه فى ذلك القصرغرفة فى أعلى السطح ، كان يلوذ بها احيانا ، فيخلو فيها الى نفسه ساعات ، لا يعلم احد من أولاده أو أفراد اسرته ماذا يصنع فيها .

وكانت هذه الغرفة بالنسبة الى اسرته سرا يثير فضولهم وتكهناتهم ، فكان بعضهم يعتقد انه يخفى فيها كنزا ، وكان بعضهم يظن انه يصلى فيها ويتعبد ، وقد ذهب بهم الفكر فى هذا الشأن مذاهب شتى ، فسعوا للتعرف على سر هذه الغرفة وما يفعله ذلك الرجل فيها ، الى أن تمكنوا أخيرا من دخولها ، فلم يجدوا بها الا حصيرا قديما يغطى جانبا من أرضها ، وجلبابا باليا معلقا فى مسمار مدقوق فى احد جدرانها ، والى جواره مصباح من مصابيح البترول العتيقة التى تلقى ضوءا باهتا كليلا ، وفى ركن من الغرفة اناء للطعام ووعاء من الفخار للشرب .

فلما سئل الرجل فى ذلك قال - ان هذه أدواتي عند ما كنت فقيرا - احتفظت بها - حتي اذكر نفسى بما كنت فيه وما صرت اليه - فاذا ما رزقنى الله بمال ، دخلت الى غرفتى ، لاحمد الله على انه قد رفعنى من هاوية البؤس الى عز الغنى ، واذا ما خسرت بعض مالى خلوت الى نفسى فى هذه الغرفة ، لأتامل حالتى وأقارن بين الماضى والحاضر ، فاجد الحاضر على كل حال أجمل وأرى المستقبل أوسع رحابا وأكثر أملا ، فتهون على الخسارة ، لانها لم تقتطع منى الا بعض ما زاد عن هذا الحد الأدنى ، ولان مابقى لى لا يزال اكثر بكثير مما كنت فيه وكان من الممكن ان ابقى عليه ، فاحمد ربى واشكره ، واساله الرحمة والمغفرة ، والمزيد من الخير والبركة .

مثل هذا الرجل يعمل بقوله تعالى :

« وفى انفسكم أفلا تبصرون » - فهو يخلو الى نفسه فى فترات متفاوته وينظر الى نفسه فيحاسبها ويتفكر فى امورها ويقارن بين حاله فى الماضى وحاله فى الحاضر ومصيره فى المستقبل على ضوء الايمان ، فلا يتحسر على شىء ولا يدب اليأس الى قلبه بل تزول منه نوازع القلق وعدم الاستقرار وينزل الله السكينة على فؤاده فيخرج من خلوته سعيدا راضيا قرير العين .

وما احوجنا جميعا الى مثل هذه الخلوة مابين آن وآخر نفحص فيها امورنا فحصا باطنيا ، ونتامل آيات الله فينا ، ونستفتى انفسنا فى أمورنا ، بعيدا عن المؤثرات الخارجية ، عملا بالحديث الشريف .

« استفت نفسك ولو أفتاك المفتون وأفتوك » - فليس اقدر فى الحكم على الانسان من نفسه

- « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » - اليس هذا هو النقد الذاتى الذى ندعو اليه - أليس هذا هو الفحص الباطنى الذى انتهى اليه فلاسفة الغرب فى التحليل النفسى بعد أن رأوا أن المدنية الحديثة قد انهكت الناس وان زحمة الحياة العصرية وتدافع الناس فيها قد اصابهم بالذعر والقلق النفسى لانهم قلما يجدون الفرصة لمحاسبة أنفسهم على انفراد ، ألهاهم التكاثر عن النظر الى دخائلهم ، وأعماهم عن التبصر فى امور ذاتهم ، ففاضت الحقائق فى أعماقهم ، ولم يبق لهم الا القشور الطافية فى محيط حياتهم ، واكتفوا بالنظرة السطحية اليها فما أغنت عنهم شيئا ، بل وقفت بهم عند حد التعاسة والتشتت ، فما لبث فلاسفتهم أن نصحوهم بما يسمونه « الفحص الباطني » - ومؤداه ان يبتعد الشخص عن المجتمع فترة - وهو ما يسمونه « الاستجمام » - لينظر الى دخيلة نفسه ويتدبر أمره فى هدوء ، على ضوء الاعتبارات الباطنية التي تنبعث عن ضميره

ورأوا فى ذلك علاجا ناجعا للامراض النفسية التى قد تؤدى الى الجنون او الى انفصام الشخصية ولو رجعوا الى الدين الاسلامى لوجدوا فيه هذه القاعدة الذهبية مقررة من قديم ، فى قوله تعالى :

« وفى انفسكم أفلا تبصرون »

صدق الله العظيم ، صدق حين خلقنا ، وصدق حين جعل لنا من نفوسنا عبرة ، وفى ضمائرنا رقيبا وحكما وحسيبا . فما من امرىء خلا الى نفسه وتأمل الا وجد العبرة وخلص الى الطريق السوى ، وصدق حين جعل الانسان وحدة متكاملة ، صادقة مع نفسها ، أمينة على مصائرها ، تهديها اليها بصائرها ، فليس هناك ناصح أخلص للانسان من نفسه ، وليس هناك معلم أقدر على تهذيب المرء من نفسه ، وليس هناك مشرع أصلح لوضع قانون لكل فرد من الفرد نفسه .

فليكن كل منا اذن رقيبا على نفسه ، وليضع كل منا لحياته القانون الذى يلائمها ، وفقا للظروف المحيطة بها وعلى ضوء الاعتبارات التى لا يدركها أى شخص سواه

الا انه يجب أن يكون الشخص فى ذلك امينا مع نفسه ، وأن يضع هذا القانون الشخصى على ضوء الايمان ، العميق ، وليجعل الخير دستوره فى هذا المقام .

لا شك أن كل واحد منا يرجو لنفسه السعادة ، ويسعى الى توفير أسبابها ، ولن يكون ذلك الا اذا شعر بانه فى سلوكه متلائم مع المثل العليا ، ومع ما ينبغى له من أداء الواجب ، والبعد عن الشرور ، والرضا بما يكون ، وان لم يمنعه ذلك من التطلع الى ماهو افضل واكمل .

فهل أكون بعد ذلك مغاليا اذا قلت لمن ينشد السعادة ان سبيلها أمامك واضح وأسبابها ميسرة - وليس على بابها حاجب يحجبك أو مانع يمنعك - فان السعادة أمر ذاتى ينبعث من النفس ، ولا تستطيع قوى الأرض جميعا أن تمنحه لانسان او أن تسلبه منه ، فان الشعور بالرضا يمكن أن يتوافر للانسان وهو فى حومة الوغى ، ويمكن ان ينعدم حتى لو كان المرء محاطا بكل أسباب اليسر والنعم .

ولهذا لا يسعنى الا أن أختتم هذا المقال بنصيحة أخوية أهديها للقارىء المسلم واعتبرها دعوة الى الخير ارجو أن تكون باذن الله مثمرة فاقول له : يا أخى - لا تجزع اذا ما استبد بك القلق أو تملكك شعور الكآبة أو الخوف من المجهول - فعلاجك فى يدك :

« ادخل الى نفسك »
« وفى انفسكم أفلا تبصرون »
« وضع لنفسك قانونا » .

المواطن الصالح

الدكتور سليمان الحكيم

ما احوجنا الى المواطن الصالح ونحن فى طور نهضتنا وثورتنا واشتراكيتنا وتحررنا من رواسب الاستعمار وما تركه لنا من تركة مثقلة الأعباء . لقد ترك لنا ضعفا فى الخلق والعقيدة وفقرا فى المال وجهلا فى العلم كما ترك لنا المرض ومسببات المرض .

ما احوجنا الى المواطن الصالح لمحاربة هؤلاء الأعداء والقضاء عليهم والعمل على ازالة مسبباتهم وتطهير البلاد من الدنس والأدران التى خلفها لنا الاستعمار والاقطاع .

ما أحوج بلادنا الى المواطن الصالح للتشييد والبناء . بناء الوطن العربى . والقومية العربية على مستوى ما فرضه علينا ديننا وطبقا لنظام اشتراكيتنا .

ما أحوج بلادنا الى المواطن الصالح للمحافظة على سلامة الوطن وقدسيته والذود عن كيانه وعزته .

ما احوج البلاد النامية والشعوب المتحررة الى المواطن الصالح ليعمل على اعادة مجدها والمحافظة على استقلالها وليكون لها قوة يذود عن حماها ضد العدو والمستعمر المتربص لها .

ما أحوج البلاد المستعمرة والمغلوبة على أمرها والمحرومة من خيراتها والمسلوب رزقها الى المواطن الصالح الذى يضحى من اجلها ويعمل على تحريرها والحصول على استقلالها ويبذل النفس والدماء لطرد العدو من ارضها الذى نشا فوقها وأكل من خيراتها وربى تحت سمائها .

لقد خلق الله تعالى الكون وخلق الانسان وفضله على سائر المخلوقات وأسكنه الأرض وسخرله كثيرمن الامكانيات ليسعى فى مناكبها ويعمل على عمرانها وعمارتها ولم يخلقه عبثا ليلهو ويلعب ويفسد فى الارض ويخرب بل خلقه لعبادته والعمل بأوامره . ومن عبادة الله والعمل بارادة الله التعمير والاصلاح والاخلاص للوطن فى السر والعلانية والذود عن كيانه والتضحية من أجله بالروح والمال ومن قام بعبادة الله وعمل بأوامر الله كان هو المواطن الصالح الذى تحتاج اليه البلاد .

لقد انزل الله القرآن الكريم رحمة للعالمين ليبين لهم طريق الهدى ويبعدهم عن طريق الظلام ويرشدهم الى الخير والسعادة . فمن عمل بما جاء به مسترشدا بتعاليمه واتخذه رائده ودستوره ، سعد بالحياة الدنيا وفاز بالاخرة وكان هو المواطن الصالح الذى يعمل لرضاء ربه وصالح وطنه .

فالمواطن الصالح هو من اتصف بالتقوى والصدق والأمانة والاخلاص فى العمل والذود عن الوطن وغير ذلك من الصفات الحميدة .

ولهذه الخصال الكريمة التى عمل الاسلام على نشرها بين ربوع العرب وصفوف المسلمين يرجع الفضل الاول .. الى خلق المواطن الصالح منهم الذى عمل على بناء الدولة العربية والرفع من شأنها واتساع رقعتها ونشر سلطانها من أقصى العالم الى أقصاه والمحافظة على كرامتها وعزتها والذود عن كيانها أيام حكم النبى عليه الصلاة والسلام وأيام خلفائه الراشدين .

ان التقوى من أهم صفات المواطن الصالح فهى الحصن الذى يعصمه من الزلل والانحراف وهى النورالذى يرشده الى طريق الهدى والصواب . والانسان التقى الذى يخشى الله هو الذى يعمل العمل الصالح البناء لخير بلده ووطنه واسعاد أهله وعشيرته ومواطنيه وهو الذى يخلص لأمته ويعمل على رفعتها ويضحى من اجلها . « ويبذل كل عزيز للذود عن كيانها وعزتها - هذا الانسان الذى تحلى بالتقوى جدير بأن يكون مواطنا صالحا حقا » .

كل فرد فى الأمة لزام عليه أن يتقى الله ليخلق من نفسه المواطن الصالح . وعلينا جميعا أن نغرس فى نفوس أولادنا التقوى من الصغر ليشبوا ويكبروا على التقوى . ليكونوا مواطنين صالحين ، يعملون على نفع البلاد وما أحوجنا الى مثل هؤلاء الأفراد فى حياتنا الجديدة ومجتمعنا الجديد وثورتنا المباركة .

والصدق من صفات المواطن الصالح وهو من أفضل الصفات التى يجب أن يتحلى بها الانسان . ولقد قيل فى الامثال التى هى ثمرة خبرات الازمان «الصدق منج» . فهو حقا ينجى صاحبه فى كثير من المواقف الحرجة بل قد يكون سببا فى نجاته من المهالك . ولا ننسى القصة التى كانت تحكى لنا على سبيل العظة أيام طفولتنا قصة الحمل والذئب وما كان من نتيجة تعود الحمل الكذب ان أكله الذئب ولم يخف لنجدته أو لانقاذه نفر من أهله أو أصدقائه اعتقادا منهم انه لا يصدق القول كعادته معهم عندما طلب منهم النجدة .

ان الأمانة لا تقل عن الصدق من حيث ضرورتها كصفة لازمة للمواطن الصالح فهى من الصفات الحميدة التى يجب أن يتحلى بها الانسان ليكون أمينا على وطنه وامته وذريته وعشيرته . وليكون أمينا على ماله ومال امته ومال كل من وكل اليه أمره .

ان الأمانة من أبرز صفات المواطن الصالح فاذا تخلت الأمانة عن انسان أو تخلى هو عنها . أصبح غير أمين ولا يؤتمن على شىء ولا يصح أن يوكل اليه أمر ولا يكون له اعتبار فى المجتمع ولا يرجى من ورائه نفع لنفسه أو لامته ويصير منبوذا ملعونا من وطنه مغضوبا عليه من ربه . ان كل نعمة خلقها الله للانسان أمانة فى عنقه ، نفسه وعرضه وماله ووطنه . فالمرء الذى لا يتصف بالأمانة لا يتورع من أن يخون نفسه وزوجه وأن يخون صاحبه وأهله وأن يبيع بلده ويخون وطنه ومثل هذا الانسان الضعيف الخلق لا يصح أن يكون مواطنا صالحا لأن خيانته لنفسه أو لزوجه ، ستؤدى الى ضعف الأسرة وتفككها ، وخيانته لأمته تؤدى الى ضعفها والى سوء حالتها ، وتؤدى خيانته لوطنه الى ضياع بلاده وتفشى أسرارها وبيعها لعدوها .

ان الأمانة مطلوبة من كل فرد من أفراد الأمة فالطالب يجب عليه أن يكون أمينا نحو تأدية واجباته المفروضة عليه من استذكار درس وتحصيل علم وعلى الموظف أن يؤدى عمله بأمانة وأن يكون أمينا على ممتلكات الدولة التى فى عهدته والتى يشرف عليها وعلى أسرار الدولة التى أؤتمن عليها وأن يكون أمينا على مالها لا يمتد اليه بصره ولا يستخدمه الا للحاجة التى رصد لها ولكل منفعة لبلده خصص من أجلها .

كما يجب على الأب والأم أن يكون كل منهما أمينا على بيته وأولاده لا يهمل تربيتهم أو الاشراف عليهم ، وعليهما معا أن يعملا جاهدين على نشأتهم النشأة الدينيةالصالحة

ولا يتركوهم دون رقابة أو توجيه حتى لا يكونوا معرضين للانحراف أو الفساد .

ومن المفروض على الزوج أن يكون أمينا على زوجته وعرضه وبيته وعلى الزوجة أن تكون أمينة على عرضها وزوجها وبيتها وأن يظل كل منهما أمينا على اسرته لتستمر متينة البنيان ولتكون منبتا صالحا للأولاد الذين هم شباب ورجال المستقبل فان صلحوا صلحت أمتهم وان فسدوا فسدت بلادهم .

ولزاما على الصانع أن يكون أمينا لمصنعه وصناعته ولزاما على الزارع أن يكون أمينا لمزرعته وزراعته .

ولزاما على الجندى أن يكون أمينا فيما وكل اليه من دفاع حفيظا لما عهد اليه من أسرار .

وعلى الطبيب والمعلم والمهندس وغيرهم من ابناء الأمة تبعات جسام لها أهميتها فى حياة الأمة ومستقبل البلاد ، والأمانة مطلوبة من كل منهم لاداء واجبه ، والمفروض على كل منهم أن يقوم باداء عمله بأمانة ترضى الله وفى حدود تعاليم وارشادات دين الاسلام . فمهنة الطبيب مهنة انسانية غرضها معالجة المرضى والعمل على تخفيف آلامهم وشفائهم من دائهم ومقاومة الأمراض والوقاية منها حتى لا يتاصل الداء وينتشر الوباء . فان لم يكن الطبيب أمينا فى أداء هذا الواجب والقيام بما فرض عليه نحو مهنته تفشى المرض وفتك بالانسان واعتل أهل البلاد وأصبحوا ضعاف البنية والأجسام منهوكى القوى لا يقدرون على آداء أعمالهم والقيام بما فرض عليهم فيقل الانتاج ويسود الفقر بعكس الحال اذا ما قام باداء واجبه بأمانة قلت الأمراض وصحت الأبدان وقويت السواعد والأجسام وبذلك يكون أفراد الأمة أصحاء قادرين على القيام بأعمالهم وخدمة بلادهم ، كل فيما هيء له فيكثر تبعا لذلك الانتاج ويزيد دخل البلاد فيعم اليسر والرخاء .

أما المعلم على اختلاف ثقافته ودرجات علمه فهو الذى يربى أفراد الشعب يهدم الجهل ويثقف العقل ويهذب النفس . هو الذى يخرج الانسان من الظلمات الى النور هو الذى يربى ويعد الجيل الصالح للبلاد اذا ما أدى واجبه بأمانة . فأمانة المعلم واجبة عليه لتربية النشء وتثقيفه علميا ودينيا . وعليه أن ينشر بين تلاميذه وطلبته الفضيلة والتعاليم الدينية والمبادىء السامية بقدر مايغذيهم من علمه ولا يجب عليه ان يترك هذه المبادىء والتعاليم أو يتناساها أو يهملها لأنها العامل الهام الذى يعمل على تهذيب نفوسهم وانارة طريقهم بل وتسمو بهم وتعصمهم من الزلل . ولقد دلت الاحداث الكثيرة فى كل أمة وبلد على أن المتعلم المجرد من الدين والأخلاق شديد الخطورة على نفسه وبلده بعكس من يجمع بين العلم والخلق والدين فانه يكون مفيدا لنفسه نافعا لبلاده .

ولذلك فان الأمانة تقضى على المعلم أن يعد المواطن الذى يجمع بين العلم والدين والأخلاق والالمام بتعاليم الاسلام وهدى رسول الله ليقضى على الفساد وليعمل على تقدم البلاد فى جميع النواحى والميادين وعلى رفع مستوى الأمة وزيادة كسبها واستغلال مواردها وثرواتها والانتفاع بخيراتها ويدفع بها دائما الى التقدم ودائما الى الأمام بفضل ما كسبه من علم ودين وأخلاق .

المعلم هو الواسطة التى تنقل العلم والأخلاق الى أفراد الشعب . هو الذى يعد للبلاد علماءها وبحاثها ومفكريها وهو الذى يعد لها جيشها وقادتها ، قاضيها وطبيبها ، مهندسها وفنانها وغيرهم ممن تحتاج اليهم البلاد لبناء مجدها والعمل على رفع شانها والذود عن كيانها وعلى المعلم ان يؤدى رسالته الخطيرة والتى تلعب دورا هاما وخطيرا فى مستقبل البلاد بأمانة وان لم يفعل فلا يعد مواطنا صالحا .

والاخلاص فى العمل فضيلة لها أهميتها وتعد من الصفات التى لها المكانة الأولى فى تكوين المواطن الصالح. فالمواطن الصالح هو الذى يكون مخلصا لبلده يقوم بما يعهد اليه من أعمال باخلاص وبلا اهمال . وعدم الاخلاص فى العمل يؤدى الى كثير من الاضرار التى تعود على البلاد فمثلا اذا لم يؤد الصانع والعامل عمله باخلاص ساءت جودة منتجاته وقل انتاجه . فيقل ربحه ودخله وتسوء سمعته وسمعة بلاده كما تسوء حالة مصنعه الذى هو مصدر رزقه واذا ما تكرر ذلك فى أكثر من مصنع قلت أحد موارد الثروة الداخلية للبلاد ومثل هذا الصانع أو العامل لا يعد مواطنا صالحا لانه لا يعمل الخير لبلاده بل يعمل على الاساءة اليها والاضرار بمستقبلها .

وكذلك الزارع الذى لا يرعى مزرعته ويقوم بخدمتها ويباشر زراعتها باخلاص ضعفت أرضه وقل محصولها الذى هو قوت الشعب وأحد مصادر الثروة للبلاد .

والموظف على اختلاف درجته ومرتبته رئيسا كان أو مرؤوسا اذا لم يؤد عمله باخلاص ساءت الاداة الحكومية وارتبكت شئونها وقد يكون نتيجة لذلك تدهور الحال وكثرة الاضرار فالاخلاص فى العمل واجب على كل فرد فى الدولة ليكون مواطنا صالحا يعمل على خير أمته وبناء مجدها ومستقبلها ويساعد على زيادة غلاتها وثرواتها . والمواطن الصالح أيضا هو الذى يضحى من أجل بلاده بنفسه وروحه وماله ويذود عن كيانها ويدافع عنها ضد المستعمر الغاصب ويجاهد فى سبيلها واذا مات فى سبيل جهاده مات شهيدا

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون » صدق الله العظيم .

« ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل احياء ولكن لا تشعرون » صدق الله العظيم .

فالدفاع عن الوطن والمحافظة على كيانه والتضحية من أجله أمر واجب على كل مواطن وضريبة حتمية واجب عليه اداؤها ومن يهمل أو يتردد فى القيام بها يعمل على مساعدة عدو بلاده بأن يمد له يد المساعدة أيا كان نوعها.

ومن يعمل على افشاء سرها لعدوها كان خائنا لها . عاقا بها . ناكرا لجميلها وفضلها ولا يصح أن يكون مواطنا لها وحقت عليه اللعنة من الله والوطن وأصبح من الخاسرين .

ان تربية المواطن الصالح واجب وطنى أول من يقوم به الآباء فالام التى تؤدى هذا الواجب هى الام المثالية التى تكون مثلا طيبا لأولادها وتعمل جاهدة على تربيتهم ليكونوا مواطنين صالحين والأب الذى يؤدى هذا الواجب هو الأب المثالى الذى يعد نفسه ليكون قدوة صالحة لأولاده ومثلا حسنا للمواطن الصالح ليتشبهوا به ويشبوا على ماتصف به . وعلى الأم والأب معا وهما الركن الركين للاسرة أن يتعهدا أولادهما منذ الطفولة بالارشاد وأن يبثا فى نفوسهم الروح الطيبة وحب الخير والمبادىء السامية والخلق الحسن والفضيلة وتعاليم الاسلام وما أتت به سنة النبى عليه الصلاة والسلام ليجعلا منهم المواطن الصالح لتسعد بهم أمتهم .

وعلى أولى الأمر منا والرؤساء فينا أن يكون كل منهم مثلا حسنا للمواطن الصالح ليكون أنموذجا طيبا لمرءوسيه ليحتذوا حذوه ويسلكوا طريقه ـ وعلى كل فرد فى الأمة أن يعمل على ايجاد المواطن الصالح الذى تفتقر اليه البلاد فى وقت هى فى أشد الحاجة اليه للكفاح والتشييد والبناء وبذلك نكون قد قمنا بواجب مقدس من أهم الواجبات المفروضة علينا نحو وطننا وامتنا وقوميتنا .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

في الثقافة الشعبية

الميثاق بعد فلسفة الثورة

الأستاذ
حسن الشيخة

كتبت في العدد السابق من هذه المجلة عن اول مشاهداتي في الريف للثقافة الشعبية ، اخذا من اول كتاب طبع عن الثورة ، وهو « فلسفة الثورة » ٠

وقد اشرت في آخر المقال الى انى سأكتب كلمة عن الكتاب الثانى وهو « الميثاق »

وابادر قبل كل شيء الى القول بان كتابتى عن الكتابين « فلسفة الثورة » و « الميثاق » ليست كتابة دراسة واستيعاب ، لان الدراسة والاستيعاب والتفتيت قد شبع منهما هذان الكتابان ، بحيث لم يبق منهما كلمه الا وقلبت على جميع وجوه التقليب ، كما لم يبق منهما معنى من المعانى ، الا وصار كالمرآة المجلوة ؛ يرى القوم فيها انفسهم الآن ، وما كانوا عليه قبل الآن ٠ وانما اريد بهذه الكلمة وما قبلها وصف المشاهدات التى شهدتها بنفسى وكنت طرفا من اطرافها ، انير الطريق منها ـ انا وزملائى ـ للفلاحين الذين استقبلوا هذين الكتابين بما هما اهل له من الاجلال والاعظام ؛ ومن التحرى والاستفهام ، ومن التودد والانسجام ، لانهما كتبا لهم قبل ان يكتبا لغيرهم من الطوائف ، اللهم الا العمال الذين يكونون هم وزملاؤهم من الفلاحين مجموع هذا الشعب الكريم ٠

فرق بين الكتابين فى الثقافة الشعبية ، فلقد ظهر « فلسفة الثورة » حوالى عام ١٩٥٢ ، وكان غريبا على الاقوام ظهور كلام فلسفى فى الثورة ؛ بهذه المثابة من الفلسفة العميقة ، التى عبرت عن الثورة من جذورها احسن تعبير ، وكل جديد مفاجيء من الاقوال او من الاعمال له دهشة ٠

بعد ظهور « فلسفة الثورة » اخذ قائدها يخطب مواطنيه فى كل مناسبة ، ومناسبات الثورات الناجحة لاعد لها الا بتتبعها وقصد احصائها ، فقد اغرق قائدها مواطنيه فى نيل عذب سائغ شرابه من الخطب والثقافات ومازال بهم هكذا الى ان جاء يوم ٢١ مايو من عام ١٩٦٢ ، وهو يوم ظهور الميثاق ؛ الذى احتوى ثقافة جديدة ليست من لون ثقافة « فلسفة الثورة » ولكل مقام مقال ، فلقد كان « الميثاق » هو المتن الصادق لاعمال مايقرب من عشر سنين ثورية ، ولامانى الوطن العربى الصغير والوطن الكبير فى المستقبل الذى هو بيد الله وحده ٠

تحدثت ماوسعتنى المشاهدة فى الريف عن اثر « فلسفة الثورة » فى عقول الفلاحين وكيف كان كالسحر الحلال ، غير من خواطرهم وتفكيرهم ، وتغلغل بينهم الى ان دخل فى صميم ما الفوا فى اوقات فراغهم من عادات لهم موروثة عن الآباء والاجداد ، واليوم اتحدث عن مشاهداتى فى الثقافة الشعبية بالميثاق من هذه الزاوية ايضا ، زاوية المشاهدات ٠

ظهر الميثاق فى الوقت السالف الذكر ، والف له المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ليدرسه حق دراسته ، وفى هذه الاثناء وقع لى اختلاط بالفلاحين فى بلد ريفية قريبة من القاهرة عند احد اصدقائى ، والذى وجدته فى « فلسفة الثورة » فى قريتى ـ وجدته فى القرية التى انا ضيف بها ، وقد مكنتنى الاقامة بها اسبوعا من مخالطة الكثيرين من اهلها الفلاحين ؛ فماذا اصنع لهم فى هذا الوقت الضيق بالنسبة للميثاق ؟٠

لقد وجهتني استفهاماتهم عن الميثاق نفسه ، وعما يدور حوله من المناقشات في المؤتمر الشعبي للقوى العاملة الى ان اختصر الطريق معهم ، وان احصر كلامي في الزبدة التي تستخلص من الميثاق ، وهي المبادىء الستة التي تولى الميثاق شرحها افضل شرح ، وبينها باجلى بيان ، وكانها المتن ؛ والميثاق هو الشرح وما دار في المؤتمر الوطني للقوى العاملة هو الحاشية ، هذه المبادىء هي التي يعبر عنها السيد الرئيس احسن تعبير في احد تعبيراته بقوله :

« ان ارادة الثورة في تلك الظروف الحافلة لم تكن تملك من دليل للعمل غير المبادىء الستة المشهورة التي نحتتها ارادة الثورة من مطالب النضال الشعبي واحتياجاته »

هذه المبادىء الستة هي :

١ ـ في مواجهة جيوش الاحتلال البريطاني الرابضة في منطقة قناة السويس ـ كان المبدأ الاول هو القضاء على الاستعمار واعوانه من الخونة المصريين .

٢ ـ في مواجهة تحكم الاقطاع الذي يستبد بالارض ومن عليها ـ كان المبدأ الثاني هو القضاء على الاقطاع .

٣ ـ في مواجهة تسخير موارد الثروة لخدمة مصالح مجموعة من الراسماليين ـ كان المبدأ الثالث هو القضاء على الاحتكار ، وسيطرة راس المال على الحكم .

٤ ـ في مواجهة الاستغلال والاستبداد الذي كان نتيجة محتمة لهذا كله ـ كان المبدأ الرابع هو اقامة عدالة اجتماعية .

٥ ـ في مواجهة المؤامرات لاضعاف الجيش ، واستخدام ماتبقى من قوته ، لتهديد الجبهة الداخلية المتحفزة للثورة ـ كان الهدف الخامس هو اقامة جيش وطني قوي .

٦ ـ في مواجهة التزييف السياسي الذي حاول ان يطمس معالم الحقيقة الوطنية ـ كان الهدف السادس هو اقامة حياة ديمقراطية سليمة

هذه هي الاسس الستة التي اطلت معهم الكلام فيها مع مضيفي الكريم ؛ الذي شارك مشاركة نيرة في الكلام على هذه المبادىء .

لم يكن الكلام منصبا على تعبيرات لاغير ، وانما كان منصبا على اعمال وقعت فعلا حسب منطوق هذه المبادىء الستة التي صارت اعمالا لا اقوالا في الوقت الذي ظهر فيه الميثاق فانه ظهر والثورة على اشد ماتكون من التوفيق والسداد .

لقد شاهدت ان لون الحياة الحائل ـ قد تغير في وجه الفلاح ، وانه اصبح شيئا آخر في ثقافته ووعيه وتفكيره ، وان الثورة كما غمرته بالسعادة الماديه التي كان محروما منها ابد الآبدين ـ كذلك غمرته بالتغيير الجذري في حياته الثقافية بما يناسبه ويلائمه ، يعرف ذلك من اتصل بالفلاحين اتصالا مباشرا ، ولا ادل على ذلك باكثر مما سمعته قريبا من احد الفلاحين ، من ان تكرار الكلام واعادته في خطب صلاة الجماعة يوم الجمعة ـ اصبح شيئا لايفي بالغرض المقصود منه ، فاعجبني منه هذا الراي ، لان خطب يوم الجمعة يجب ان تتغير اساليبها من كلام كله اخروي ـ الى كلام ينفذ الى صميم قلوب المصلين ، دنيويا واخرويا ، كما قال صاحب الشريعة الاسلامية صلوات الله عليه .

« اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا ، واعمل لآخرتك كانك تموت غدا » .

وبعد فاكرر انني لم اقصد دراسة « فلسفة الثورة » في كلمتي الاولى ، دراسة مفصلة ، ولا دراسة « الميثاق » في هذه الكلمة دراسة واعية ، وانما التزمت في كلتا الكلمتين سبيلا واحدة هي « الثقافة الشعبية قبل الثورة وبعدها » كما شاهدت ورايت . فانا في هذين المقالين مصور اكثر مني اي شيء آخر ، والتصوير القولي يساوي التصوير العملي ، ولا ريب ان فلسفة الثورة والميثاق يستحقان الدراسة التصويرية الواضحة »

المؤسسة المصرية العامة للتجارة

شركة مصر
لتجارة السيارات

١٢ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون ٤٩٧١٠ - ٤٥٥٩٨

إدارة التسويق والاستيراد : ٢٨ شارع
طلعت حرب القاهرة تليفون ٤٣٨٠٧

توكيلات عالمية

• مصانع سيارات فولكس واجن • مصانع أدناش بيل
• مصانع سيارات مرسيدس • مصانع موتورات كمنز
• مصانع سيارات فولفو • مصانع موجارت بالجر
• مصانع س . أ . ف ولوكاس • مصانع موتوكوف
• مصانع جرارات دافيد براون بتشيكوسلوفاكيا

محطات الخدمة :

ورشة مرسيدس
١٠ شارع الجلاء ت ٧٣١٣٢ / ٧٣٠٢١
بالقاهرة

محطة خدمة سيارات نصر
بالقاهرة
١٢ شارع عبد الخالق ثروت ت ٤٩٧١٠

ورش فولكس فاجن
٥ شارع النيل بامبابة ت ٨٠٠٦٨٢ / ٨٠٩٨٤٩
٤ شارع الادريس بمنشية البكرى
بمصر الجديدة تليفون ٦٠٤٠٦
٧ شارع كلية الطب محطة الرمل
ت ٢٤١٩٥ / ٢٣٣٨١ بالإسكندرية

أسرار خرافة

للأستاذ علي الجندي

هل تنقل الجن الأخبار ؟

ويقص علينا « ابن طباطبا » فى تاريخه « الفخرى » قصتين غريبتين فيما نحن بسبيله ، نجملهما فيما يلى :

١ ـ القصة الأولى .

كان للناصر العباسى حفيدان أقطعهما بلاد «خوزستان» فى فارس فأقاما بها .

وفى بعض الليالى فكر الناصر فى أمرهما وأحس الشوق اليهما ، وخاف عليهما الحوادث !! فأرسل الى وزيره « العلمى » فى الحال ، وأمره أن يرسل فى هذه الساعة من يأمرهما بالحضور الى بغداد مع كتمان الأمر !!

فأحضر الوزير « نجابا » ممن أعدتهم الدولة لمثل هذه المهمات ، وكلفه بما أمره الخليفة ، وحذره أن يعلم بالقصة انسان فيكون جزاؤه الموت !!

وخرج الوزير بنفسه معه ، توكيدا للامر واشعارا بجلالته وخطره !! وفتح له بابا من أبواب بغداد فى سر من الناس !!

فمضى النجاب متوجها الى غايته ، ولكنه ما كاد يجتاز بعض الدروب ، حتى سمع امرأتين فى منظرتين متقابلتين تتحدثان .

فحمله الفضول على أن يلقى اليهما بسمعه ، فاذا احداهما تقول لجارتها : ترى الى أين يسير هذا النجاب فى مثل هذا الوقت من الليل ؟..

فأجابت الأخرى : انه يمشى الى «خوزستان» لاحضار حفيدى الخليفة الناصر ، فانه قد خاف عليهما غير الزمان ، واشتاق رؤيتهما لطول اقامتهما هناك !

وما كاد النجاب يسمع ذلك حتى ذهبت نفسه شعاعا !! وكر راجعا موقنا بالهلاك ! واستأذن على الوزير ليعلمه الخبر قبل أن يفشوا فى أرجاء المدينة !!

وحين علم الوزير برجوعه جن جنونه وأسرع باحضاره وسأله عن سبب ذلك ؟!

فقال الرجل بصوت صحله الرعب وقطعه الفزع !! : يا مولاى الوزير ، ما كدت أجوس خلال المدينة حريصا على انفاذ ما رسمت لى ، حتى التقطت أذنى فى الدرب الفلانى كيت وكيت ، وقص عليه حديث المرأتين !!

وقد أشفقت أن ينتشر الخبر بعد ذهابى ، فيظن اننى الذى بحت به ـ مع ما تعرف من حرصى على كتمانه ـ فتحل بى العقوبة التى أنذرتنى اياها !!

وهنا ذهب الروع عن الوزير ، وانبسطت أساريره ، وقال له : قد عرفنا السر ، فاذهب فى أمان الله وحفظه !! ان الشياطين تنقل عظائم الأخبار !.

٢ ـ القصة الثانية .

قال ابن طباطبا : حدث بعض أهل بغداد ، قال : حدثنى صديق لى : قال : كنا نمشى فى « دولاب بستان البقل » وقد أمعنا فى السير الى أقصاه .

فسمعنا صوت قائل ينادى : مات « أباقا » !!

قال : فنظرنا فلم نبصر أحدا !!

ثم اننا أرخنا اليوم ، فلما فشا الخبر كان الأمر كما قال الصوت !!

أقول : لعل « أباقا » هذا أحد القواد الأجانب أو الكبراء فى ذلك العهد الذى ساد فيه حكم العجم على العرب !!

وفى ذيل الأمالى للقالى : قال بعض الرواة : مات مالك بن الريب المازنى فى خان !! فرثته الجن لما رات غربته ووحدته !! ووضعت الصحيفة التى فيها قصيدته تحت رأسه !!

والقصيدة مشهورة ، وهى التى نظمها وهو مريض يذكر فيها مرضه وغربته ويرثى بها نفسه ، وهى من امهات القصائد العربية وقلائدها وأبلغها وأشجاها ، ولها وقع موجع على القلوب الرقيقة !!

ومطلعها :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
بجنب الغضا أزجى القلاص النواجيا

وكان مالك ـ فيما ذكروا ـ من أجمل العرب جمالا ، وأبينهم بيانا ، وهو من الشعراء الذين رثوا أنفسهم وهم أحياء !!

ويقول أبو الحسين أحمد العلوى : بينما أنا فى دارى دجلة « بمشرعة القصب » فى ليلة ذات غيم ورعد وبرق اذ سمعت صوت هاتف يقول :

لما بلغت أبا الحسين
مراد نفسك فى الطلب
وامنت من حدث الليالى
لى واحتجبت عن النوب
مدت اليك يد الردى
وأخذت من بيت الذهب

قال : فاذا معز الدولة أبو الحسين بن بويه قد توفى فى تلك الليلة !!

ويرى ابن خلكان : أن ابن بباته السعدى الشاعر قال : كنت يوما أقيل فى دهليزى ، فدق على الباب ، فقلت من ؟

فقال : رجل من أهل المشرق .
فقلت : ما حاجتك ؟
فقال : أنت القائل :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره
تعددت الأسباب والموت واحد

فقلت : نعم .
فقال : أرويه عنك ؟ فقلت : نعم .
فلما كان آخر النهار دق على الباب ، فقلت : من ؟
فقال : رجل من اهل « تاهرت » من الغرب .
فقلت : ما حاجتك ؟
فقال : انت القائل :

ومن لم يمت بالسيف ....

فقلت : نعم
فقال : ارويه عنك ؟ فقلت : نعم .

ثم قال : وقد عجبت كيف وصل الى المشرق والمغرب!!

ويقول بعض العلماء - تعليقا على دخول يوسف الصديق عليه السلام السجن ، بسبب السيدة زليخا امراة العزيز - : ان المسجونين حفتهم بركة الصديق ، فهم لذلك يعلمون أخبار ما وراء السجون ، ويعرفون من الحقائق ما يجهله من يعيش خارجها !!

وفى محاضرات الراغب الأصفهانى : أنه عليه السلام دعا لهم بقوله : « اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ، ولا تخف عنهم الأخبار » !!

فببركته - عليه السلام - هم أعلم الناس بكل خبر فى كل بلد !!

ويسهل علينا تعليل كل ما تقدم من انتشار الأخبار ، اذا آمنا بان الجن موكلة بنقلها ، وأنها تقوم مقام البريد السريع ، وان شئت فقل : المذياع !!

وقد نشأ عن هذا الاعتقاد الذى وقر فى الصدور ، بنقل الجن الأخبار تطوعا واختيارا : أن الناس كانوا يحملونها رسائلهم الى من يريدون !!

ومن ذلك : ما حدثنا به القالى ، قال : انشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى ، نقلا عن أبى عمر المطرز غلام ثعلب :

فلو كنت أدرى أن ما كان كائن
حذرتك أيام الفؤاد سليم
ولكن حسبت الهجر شيئا أطيقه
اذا رمت أو حاولت فيه عزيم
أخا الجن بلغها السلام فاننى
من الانس مزور الجناب كتوم
أخا الجن لا ندرى اذا لم يدم لنا
خليل صفاء الود كيف نديم
ولا كيف بالهجران والقلب آلف
ولا كيف يرضى بالهوان كريم

وقد أوغلوا فى هذا الاعتقاد حتى توهموا أن الريح تنقل الأخبار !!

قال أبو نواس :

هبت لنا ريح شامية
متت الى القلب بأسباب
أدت رسالات الهوى بيننا
عرفتها من بين أصحابى

وكان « الصاحب » : اذا سمع هذين البيتين ترنح لهما !!

فلا ترسلو لى فى النسيم تحية
فيرتاب من طيب النسيم جليس

وقال :

وردوا رسولا جاء منكم يزودنى
فانى عليل والنسيم عليل

وقال بعض الشعراء :

حجبوها يوم الرياح لأنى
قلت للريح بلغيها السلاما

ويقول الجاحظ : ولنقل الجن الأخبار ، علم الناس بوفاة الملوك والأمور المهمة ، كما تسامعوا بموت المنصور العباس بالبصرة ، فى اليوم الذى توفى فيه بقرب مكة !!

ثم يقول : وهذا الباب كثير !!

والمهم : أن الناس من زمن سحيق يتوارثون هذه العقيدة ، حتى لقد قال الأوائل : لا يخفى الا ما لا يكون ، أى ان كل شىء يحدث لابد أن يتعالمه الناس ، وأن مالا يمكن وقوعه لاستحالته هو الذى تسكت عنه الأخبار .

ويتصل بما أسلفنا ما نعرفه جميعا : من أن نكتة من النكات تنشأ فى بلدة قاصية ، فاذا هى تعم الآفاق فى سرعة البرق الخاطف ، وتروى على كل لسان ، كأن الناس جميعا اشتركوا فى قولها ، أو كأنهم سمعوها فى مجلس واحد !!

واذا فلا عجب فقد ظهر السبب ، وهو أن الجن تقوم بما يقوم به « الراديو » و « التليفزيون » أو الاذاعة المسموعة والمرئية ، حتى لا يغضب صديقنا العلامة « محمود تيمور » !!

وللعلماء النفسيين رأى فى ذلك ، فيعدون هذا من باب قراءة الأفكار .

يقول زميلنا الدكتور الأهوانى فى كتابه «أسرار النفس»: وقراءة الافكار حارفى تعليلها العلماء ، فذهب بعضهم الى وجود الأرواح التى تنقل الفكر !!

وذهب البعض الى الآخر الى وجود سيال مغناطيسى ، يخرج من الشخص ويتصل بالشخص الآخر !!

وآخر ما قرأت فى تعليل هذه الظاهرة : أن المخ البشرى أشبه بجهاز الراديو ، وهو جهاز ارسال واستقبال ، وكما ترسل الاذاعات على أمواج الأثير : طويلة أو قصيرة أو متوسطة ، كذلك ترسل الأفكار فى الفضاء ، أو هى تنبعث عن صاحبها ، وتنتشر فى مكان ، وتذهب الى أبعد المسافات، ثم يستقبلها المخ المهيأ لاستقبالها .

وهذه نظرية طريفة لعل الوسائل العلمية تثبت صحتها فهى لائقة وموافقة للعلم .

والرأى القائل بنقل الأرواح للأفكار ، وبالتالى الىنقل الأقوال ، هو الرأى الموافق لما يعتقده الأسلاف ، وجاءت به الآثار .

بل أكثر من ذلك : أن فقيد الاسلام المرحوم الأستاذ فريد وجدى ، يقول - فى بعض ما كتب - : ان الفيلسوف السويدى « سويد نبورغ » كان من الأفراد القلائل فى هذه الدنيا الذين يرون الأرواح المجردة بأعينهم ويكلمونها وتكلمهم ، وقد اشتهر فى عصره بذلك وثبت صدقه !!

وبعض الناس رزقوا قوة سمعية هائلة تحير العقول ، وتفوت مطارح الخيال !! يقول الأستاذ محمود على قراعة فى كتابه « مملكة الجمال والحق والخير » .. وذلكم فيثاغورث عرج بنفسه الى العالم العلوى فسمع بصفاء جوهر نفسه ، وذكاء قلبه ونغمات علوية ، نغمات الأفلاك، وأصوات حركات الكواكب !!

ويقول الدكتور الأهوانى : وقد زعم كثير من الحكماء والفلاسفة : أنهم يسمعون موسيقى السماء تحرك الكواكب فى أفلاكها .

حكى ذلك فيثاغورث فى الزمن القديم ، وقال : اننا نسمع هذه الموسيقى ، لأن آذاننا تعودتها .

وحكى ذلك « جيته » الالمانى فى العصر الحديث .

وصدق الله العظيم : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا »

« يتبع »

بين عمر بن الخطاب و سعد بن أبي وقاص

الأستاذ عبد العال شعيب

لسعد بن ابى وقاص رضى الله عنه فى تاريخ الاسلام صفحات مشرقات ، تضىء الطريق لأصحاب الفضائل والباحثين عن المثل العليا ، لقد اعتنق الاسلام مبكرا وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين اصحابه حياه وداعبه قائلا : « هـذا خالى فليرنى امرؤ خاله » وكانت له خصلتان جليلتان كان دائما يتمدح بهما فيقول : والله انى لأول رجل من العرب رمى بسهم فى سبيل الله ، ويقول فيه على بن أبى طالب رضى الله عنه : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفدى احدا بأبويه الا سعدا فانى سمعته يوم أحد يقول : ارم سعد ، فداك أبى وأمى ، لقد كان مستجاب الدعوة ، اذا سأل الله النصر أعطاه اياه ، وانه عف اللسان وعف الضمير ، وانه واحد من أهل الجنة كما تنبأ له الرسـول . وانه الفارس يوم بدر والفارس يوم أحد ، والفارس فى كل مشهد شهده مع رسول الله ، لقد سأل عمر عمرو بن معد يكرب عن خبر سعد بن أبى وقاص فقال : متواضع فى حياته ، عربى فى غرته ، أسـد فى تامـوره ، والتامور عرين الأسد ، يعدل فى القضية ، ويقسـم بالسوية ، ويبعد فى السرية ، ويعطف علينا عطف الأم البرة ، وينقل الينا حقنا نقل الذرة ، لقد ولى امارة الكوفة ، ولما شكاه أهلها الى عمر عزله عن الولاية ، ولم تأخذه به هوادة ، ولم ينظر لسابقته فى الاسلام ومنزلته من رسول الله ، وذلك لان الغاية هى انفاذ العمل النافع للناس على يد اى كان من عماله ، والا يفتح للمسلمين بابا للشكوى ، وخـير ضرورب الادارة أن يكون عمل العاملين فيها أكثر من قـول القائلين ، لأن الفكرة الجيدة لاتكتسب صـفة الجـودة بمجـرد أن يضفى عليها الكثير من أوصاف الخير بدون أن تجد لها تطبيقا فى واقع الحياة ، انما معيـار الجودة هو التطبيق العملى لا القول اللفظى ، فاذا ما ادعى انسان لنفسه مجموعة من الفضائل ، ننظر الى مقدار تمرسه بها وممارسته لها ، وحينئذ نطلق عليه صاحب فضيلة ، ومثل عليا اذا وافق العمـل القول ، وطابق الفعل الكلام ، والا كان ممن ينطبق عليهم قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) .

وحدث فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن هاجمت قوات الفرس المسـلحة قوات المسـلمين ، وحدثت معركة الجسر التى ذهب ضحيتها فى يوم واحد أربعة آلاف شهيد كما تحدثت السير ، فاراد عمر بعد مشاورة الصحابة أن يولى على الجيش الاسلامى قائدا من خيرة قادة المسلمين ، وكان ذلك هو سعد بن أبى وقاص ويخرج سعد فى ثلاثين الف مقاتل ، فى ايديهم رماح ، وفى قلوبهم ارادة الدين الجديد بكل ما تمثله من ايمان وعنفوان وشوق زائد الى النصر او الشهادة .

وأوصاه عمر بهذه الوصية الجامعة قائلا : يا سعد سعد بنى وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله ، فان رسول الله لا يمحـو السيىء بالسيىء ، ولكنه يمحو السيىء بالحسـن ، وليس بين الله وبين احد نسب الا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ٠ الله ربهم وهم عباده ، يتفاضـلون بالعافية ، ويدركون ما عنـده بالطاعة ، فانظر الأمر الذى رأيت النبى منذ بعث الى أن فارقنا فالزمه فانه لامر ، هذه عظتى اليك ان تركتها ورغبت عنها حبط عملك ، وكنت من الخاسرين » انها وصية جامعة من خليفة المسلمين لقائده فى معركة من أخطـر المعـارك التى واجهتها الأمة الاسـلامية وابان نشأتها ، انه يذكره بأن الانسـان لا ينفعه الا عمله ، وكفاحه فى هذه الحياة « وان ليس للانسان الا ماسعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » والانسان لهـذا لا ينفعه حسب ولا نسب ، بل ان مبدأ تكافؤ الفرص من المبادىء التى يحترمها الاسـلام ويقررها ، فالفرصة أمام الجميع موجودة والحصـول عليها يكون

يكون بكفاح الانسان وعمله وسعيه ، وبمقدار ما فيه من استعدادات وقدرات ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، اى بالقوة فى العقل وفى الخلق وفى التفكير ، ويدركون ما عنده بالطاعة ، والرجل الذى يلى أمرا من الأمور حين يدرك هذه الوصايا بالجامعة يشعر بأنه ما ولى هذا الأمر الا لكفايته ، فعليه اذن أن يختار الأكفاء واصحاب المواهب للأعمال القيادية التى تتطلب من القائم بها دراية وحسن تدبير وبصر بالأمور ، وذهب سعد بهذه النصيحة الغالية ، ويكتب اليه عمر بن الخطاب كذلك :

« اكتب الى بجميع أحوالكم ، وكيف تنزلون ، وأين يكون عدوكم منكم ؟ واجعلنى - بكتبك الى - كأنى أنظر اليكم » انه يريد بذلك أن يعيش مع سعد وجنده فى واقعهم ، وأن يكون - وهو المسئول الأول عن أحوال رعيته - كأنه موجود معهم ، وهى مشاركة ايجابية من الخليفة لعماله فى العظائم من الأمور ، يتلقون منه التوجيه والرأى السديد ، ويكتب سعد الى أمير المؤمنين فيصف له كل شىء ، حتى ليكاد يحدد له موقف كل جندى ومكانه ، وينزل سعد القادسية ويتجمع الفرس جيشا وشعبا ، كما لم يتجمعوا من قبل ، ويتولى قيادة الفرس أشهر وأخطر قواده « رستم » ويكتب سعد الى عمر فى ذلك ، فيكتب اليه عمر « لا يكربنك ما تسمع منهم ولا يأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه وابعث اليه رجالا من أهل النظر والرأى والجلد ، يدعونه الى الله ، واكتب الى فى كل يوم ، انها وصية ترفع الروح المعنوية فى جيش المسلمين ، والروح المعنوية لها أثرها العظيم فى الانتصار فى الحروب ، وان الاستعانة بالله والتوكل عليه مع الأخذ بأسباب النصر من اعداد العدة والتدريب الجيد وتهيئة السلاح ، لكفيل بنصر الله ، فالله تعالى ينصر العاملين المستعينين به « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » وتاريخ المسلمين يشهد بأنهم كانوا ينتصرون على أعدائهم حينما تجتمع كلمتهم وتتوحد صفوفهم ، ويعدون العدة التى تكفل ردع المعتدين ، ثم يتوكلون على الله يسألونه النصر ، ويستلهمونه التأييد ، ويشهد التاريخ كذلك أن النصر لا يتخلى عن المسلمين الا حينما تتفرق كلمتهم ، وتتعثر قواهم ، ولا يعدون لملاقاة العدو ما يكفى لردعه من السلاح والعدة ، واذا ما تركوا الاتصال بالسماء فنسوا الله ، حينئذ تتخلى عنهم عناية الله ، ويبتعد عنهم نصره فمن كان مع الله كان الله معه ، ومن كان معه الله فهو القوى الغالب ، ومن كان مع غير الله تركه الله لهذا الغير ولا يجد عنده الا الخسران (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ويعود سعد فيكتب لأمير المؤمنين قائلا : ان رستم قد عسكر بساباط وجر الخيول والفيلة ، وزحف علينا ، ويجيبه عمر مطمئنا ومشيرا ، وينفذ سعد وصية عمر فيرسل الى رستم قائد الفرس نفرا من أصحابه يدعونه الى الله والى الاسلام ، ويطول الحوار بينهم وبين قائد الفرس وأخيرا ينهون الحديث معه اذ يقول قائلهم : ان الله ابتعثنا ليخرج بنا من يشاء من خلقه من عبادة الأصنام الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الحكام الى عدل الاسلام ، فمن قبل ذلك منا قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن قاتلنا قاتلناه ، حتى نفضى الى وعد الله . ويسأل رستم وما وعد الله الذى وعدكم اياه ؟ فيجيب الصحابى : الجنة لشهدائنا والظفر لأحيائنا ، هذه المحاورة تبرز أمامنا صورة من اروع الصور للشجاعة الأدبية عند أسلافنا المسلمين رضى الله عنهم وأرضاهم ، ان هذا الوفد يقف أمام رستم فى صلفه وكبريائه ، ويقول له بلسان المؤمن الواثق بدعوته والمطمئن الى تأييد الله له : ان الله قد ابتعثنا ليخرج بنا من يشاء من خلقه من عبادة الأصنام الى عبادة الله ، ان دعوة الاسلام دعوة الى تكريم العقل الانسانى بنبذ الوثنية التى هى ارتكاس للعقل الانسانى وهبوط من المستوى الرفيع الى الدرك الهابط فى التفكير ، والتوحيد ارتفاع بعقل الانسان وتكريم له واحترام لانسانيته ، وقد ابتعث الله هذه الفئة المسلمة لتخرج الناس من ضيق الدنيا الى سعتها ، فهى تكافح تكدس الثروات فى أيدى حفنة قليلة من الناس ، بينما يترك غيرهم لا يجدون ما يقتاتون به ، فالدنيا تتسع لأفراد قلائل ، وتضيق كل الضيق أمام الكثرة الكاثرة من الناس ، لكن تعاليم الاسلام تأبى ذلك ، ولا ترضى بتكدس الثروات فى أيدى عدد قليل من الناس ، فتعاليمه تدعو الى الكفاية والعدل ، بحيث لا يتخم واحد وبجواره من يبيت على الطوى ، وبذلك يخرج الناس من ضيق الدنيا الى سعتها .. والاسلام عدل فى أحكامه ، عدل فى قضاياه ، وحينما ينتشر يسير العدل فى ركابه ، لا بغى فيه ولا اعتداء ولا تآمر بليل ، ولا كيد فى الظلام ، فهو يأمر بالعدل والاحسان .

(ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) .

(يايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين أن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) ، (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا) .

بهذه التعاليم انتصر المسلمون فى هذه المعركة ، وتهاوت جنود الفرس كالذباب المترنح ، وتهاوت معهم الوثنية وعبادة النار ، وطارت فلولهم المهزومة بعد أن رأوا مصرع قائدهم وخيرة جنودهم ، وبقيت دعوة الاسلام قوية عالية ، تضىء بتعاليمها طريق الحياة ، وتحمل للبشرية الأمن والرخاء والسلام فى كل زمان ومكان .

التصوف

ضرورة حتمية للقضاء على الجريمة

الأستاذ
زكريا عبد الحافظ عامر

الجريمة ظاهرة اجتماعية نظر اليها المتخصصون . كل حسب تخصصه بمنظار فنه ؛ والقى شعاعا من شمس علمه للكشف عن مصدرها وكيفية الوقاية منها ، قبل حدوثها وما هو السبيل الى التخفيف من آثارها بعد وقوعها وما هو العلاج للقضاء عليها .

والجريمة عند علماء النفس ورجال الاجتماع والتربيه وفلاسفة الاخلاق والمسئولين عن الامن المدنى ، وفقهاء التشريع العقابى وغيرهم ممن كانت الجريمة موضوع بحثهم هى وليدة تغلب الدافع اليها على ، المانع منها وذلك بطغيان الغرائز الاساسية فى شخص الانسان على غرائزه الثانوية التى تنشا عن التربية والتهذيب .

وهذا الاجماع المتفق عليه بين جمهور الباحثين فى علم الجريمة هو ما سبق ان اكده الفلاسفة منذ عهد بعيد وسموه بفساد النفس « نفس المجرم » واضاف بعضهم عامل الخلل العضوى وابرز احدهم عامل البيئة الاجتماعية فابيقراط وسقراط وافلاطون وارسطو : يعزون وقوع الجريمة الى تغليب الغرائز الاساسية فى الانسان دون تهذيب وتربية على غرائزه الثانوية ، ويصفون ذلك بان نفس الانسان فى هذه الحالة هى نفس فاسدة ، وفساد نفس المجرم مصدر اجرامه ؛ وبعضهم امثال « لومبروزو » اضافوا بجانب فساد نفسية المجرم عنصرا آخر هو خلل عضوى لدى المجرم والرأى عند « انريكوفرى » هو عامل البيئة الاجتماعية بجانب فساد نفسية المجرم .

حاصل القول : أن مصدر الجريمة هو فساد نفسية المجرم والنفس الفاسدة نفس غير سوية تشبع غرائزها ورغباتها دون مراعاة لقواعد الاخلاق وآداب المجتمع وقانون النظام العام فى الجماعة ، وهذه النفس تامر بالسوء « فهى نفس امارة » لاتعرف الا اشباع رغباتها دون نظر الى حرام او حلال .

ولما كانت الجريمة ظاهرة اجتماعية مرضية تعين على من يلتمس العلاج أن يقف على اصل الداء . لمعرفة الدواء فالداء هو فساد النفس والدواء هو اصلاح النفس .

ومع أعمال الفكر وامعان النظر والتعمق فى عالم النفس الانسانية وجد ان القلب والطبع والعقل عناصر اساسية تصبغ النفس الانسانية بصبغة معينة فاذا اصلحت وظيفتها اصلحت النفس واذا فسدت وظيفتها افسدت النفس .

ويجمل بى فى هذا المجال ان اجمل معاني هذه العناصر الاساسية التى تصبغ النفس الانسانية بصبغة معينة .

١ - القلب : وهو مجمع الاضداد والمتباينات ومعرض الغرائب والمدهشات ومهبط الانوار او الظلمات وهو مبدأ أصول الانسان الرئيسية من الحلم والغضب والشجاعة والجبن ، والطمع والعفة والسلامة والحقد والمحبة والبغض ؛ والعلم والجهل ؛ فهو مركز الاضداد ومنبع السلوك فى الانسان .

٢ - الطبع : وهو مبدأ المقتضيات البشرية ، والرغائب النفسانية مما لابد منه فى بقاء البنية الحيوانية كالطعام والشراب والنوم ، وما شابه ذلك .

٣ - العقل : وهو برزخ بينهما لانه موضع التمييز والاختيار وميزان القضايا ، ومعيار التجارب ، والاختبار فاذا استولت مقتضيات الطبع على جوهر القلب تلاشت عنه صور الانسانية وامتنع عن الاخذ باحكام العقل ؛ ودخلته الاوهام البهيمية والخيالات الوهمية فينقلب قلبا حيوانيا فى صورة انسانية وتصبح نفس هذا الانسان نفسا فاسدة ؛ او نفسا امارة « ان النفس لامارة بالسوء » .

اما اذا كانت السلطة والهيمنة للقلب والحكومة والقضاء على صفات الطبع والعقل ، يصير القلب قلبا انسانيا يحس بالخير ويحس بالشر ، ويتعذب ويؤنب عند الخطا لان هناك مؤاخذة من الضمير الحى الذى يراقب تصرفاته ومراقبة التصرفات هى اصل الحياء ، وهذا الحياء ينبت فى الضمائر اليقظة • ويجعل النفس تلوم نفسها بنفسها عند الخطا وهذه هى النفس اللوامة ، « لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة » •

والمراقبة لشئون النفس وسلوكها هو اول سلم الارتقاء النفسى : وابدال الفعل الجميل بالفعل القبيح وهذا ما يعرف بالحركة البدلية فى عالم الغرائز لدى مدارس علم النفس الحديث •

بالمراقبة تؤدى الى الابدال او الحركة البدلية فى عالم الغرائز ، وهكذا يكون فساد النفس بسبب عدم المراقبة لسلوكها ومراجعة افعالها وتصرفاتها بما يرضى الرقيب العادل الذى يقوم بعملية موازنة بين مطالب الغرائز الاساسية وما يجب أن تراعيه من قواعد اخلاقية وآداب سلوكية لابد منها لحفظ كيان الفرد والجماعة فلا حرمان ولا كبت بل اشباع رغبات النفس بطريقة مشروعة معتدلة فتسوى بين الصراع النفسى والمثل الاعلى ؛ فتصبح النفس سوية فتساوى فيها الدوافع الى الجريمة مع الموانع منها فلا تقع الجريمة •

ولما كان الرقيب هو صمام الامن فكلما كمل هذا الرقيب وكملت وظائفه كلما كملت النفس وكمل وظائفها وفى استعراض وجيز لانواع الرقابة ومدى نصيبهما فى اصلاح النفس نقف على اى انواع الرقابة هى التى تصلح النفس وبالتالى تقضى على الجريمة •

والرقيب يكون الضمير ، او سلطة الوالدين اوسلطة المجتمع أو سطوة القانون أو مراقبة الذات الالهية •

فاما رقابة الضمير : فقد يكون الضمير ناقصا فى تكوينه فلا يؤدى مهمته خير اداء •

واما رقابة الوالدين : فقد يكون الوالدان منحرفين أو متعارضين وهنا لاتجدى سلطتهما شيئا سوى زيادة بواعث الانحراف •

واما رقابة المجتمع : فقد يكون المجتمع منحلا او متداعيا وهنا ينشأ الضمير مضطربا او غير طبيعى فلا يؤدى مهمته المرجوة •

وأما رقابة القانون : فالقانون الوضعى ينص على انه لا جريمة ولا عقوبة الا بنص فحيث لانص على تحريم فعل ، فهو مباح ولو ادى الى انتهاك الحرمات ولا عقوبة الا بنص فعند حدوث فعل هو فى ذاته يكون جريمة ولا نص على عقاب فاعله ، فتقع الجريمة ويفلت الجانى من العقاب تحت سمع القانون وبصره مهما كان الفعل قبيحا مستهجنا •

ولاضرب مثلا : دخل زيد من الناس ليقضى وطره مع زوجة احد من آحاد الناس وارتكب فعلته الشنيعة مع هذه الزوجة الخائنة فهم الزوج بقتله ؛ فقتله الزانى هنا بحكم القانون الوضعى وبحكم نص المادة « ٦١ عقوبات » يكون الزانى القاتل لاعقاب عليه فى جريمة القتل ، فانه لاعقاب على من ارتكب جريمة الجاته الى ارتكابها ضرورة وقاية نفسه او غيره من خطر جسيم على النفس • وهذا مايعرف بنظرية الدفاع الشرعى فى القانون الوضعى •

بقيت جريمة الزنا : هذا الزانى لا عقاب عليه بعد ان قتل زوج هذه الخائنة ، لانه قتل من له الحق وحده فى رفع دعوى الزنا • فالمادة « ٢٧٣ عقوبات » تنص على انه لاتجوز محاكمة الزانية الا بناء على دعوى زوجها •

وهكذا يبين ضرر رقابة القانون ومدى فشلها •

بقيت رقابة الله عز وجل : وهى استحضار عظمة الله تبارك وتعالى عند التوجه بالقلب • اى عند تكوين النية للبدء فى اى تصرف من قول او فعل فعند الكلام يتذكر العبد سماع الله له فيقول فى نفسه : ربى يسمعنى •• وعند اتيانه اى عمل خاطىء يتذكر العبد رؤية الله له فيقول فى نفسه : ربى يرانى « وهو معكم اينما كنتم » وهكذا يكون حاضرا مع الله تبارك وتعالى مما يوجد الخشية والورع فى القلب •

وهذه المراقبة لايكون فيها الرقيب - ونستغفر الله يكون منحرفا كسلطة الوالدين فى بعض البيئات ولا رقيبا منحلا متداعيا كما فى بعض المجتمعات • ولا - مشجعا للجريمة كرقابة القانون • فالرقيب الحق هو الله

ومراقبته جل جلاله توجد الهيبة فى النفس وهى اول سلم ارتقاء النفس من نفس أمارة الى نفس اخرى ارفع درجة ، ومراقبة الله فى هذا المقام معناها تربية الضمير الانسانى تربية تربط قلب الانسان بخالقه الذى لايتركه ابدا وهكذا تكون المراقبة وجدانية دائمة تؤثر فى النفس وتجعل التوازن بين العقل الباطن الذى هو مكمن الغرائز ومصدر الشهوات ومنبع النزعات الحيوانية التى هى الذات السفلى التى تعرف بالنفس الامارة وبين العقل الظاهر وهو الذى يعرف « بالانا » أو الذات الشعورية وهى منطقة معقولة متصلة بالعالم الخارجى اتصالا مباشرا ، وهذه المراقبة لله تجعل النفس تخجل من ماضيها فى عالم النفس الامارة فتحس بالندم والتوبة والتقصير وتانيب الضمير وهنا تبدا النفس ترتقى الى درجة النفس اللوامة وكلما زادت مراقبته لله تبارك تعالى صفت سريرته وتمت فى القلب معانى الخوف من الله عز وجل حتى تطمئن نفسه وتصبح نفسا مطمئنة « يأتيها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية »
فى عالم النفس اللوامة هى مرحلة نقاهة من امراض النفس التى كانت عليها فى رحلة النفس الامارة ؛ وهى هنا مرحلة اتمام العلاج فلا نفس فاسدة • اذن فلا جريمة ••

وياخذ السالك فى طريق مراقبة الله عز وجل يرتقى فى سلوك المراقبين لله عز وجل فى انفاسهم وخواطرهم فى الله وبالله والى الله وعلى الله حتى يميتون هواجس النفس ودسائس الشيطان فتموت عوامل الشر فى نفوسهم وتظهر سيطرة العقل الملائكى عليهم •

فالصوفية يسيرون فى طريق التقدم النفسى ، وينتقلون من حال الى حال يقطعون مرحلة النفس المطمئنة فيصلون فى نهاية مطافها الى النفس الملهمة ، هذه النفس التى الهمها الله العلم والتواضع والقناعة والسخاوة فكانت منبع الصبر والتحمل الشكر ، وعرفت بيقين طريق النور وطريق الفجور ، وآثرت النور بيقين ثابت ، « الهمها فجورها وتقواها » ثم تسير النفس حتى تدخل فى دائرة النفس الراضية عن الله عز وجل كما قال تعالى : « ورضوا عنه » وشأنها التسليم والرضا وهكذا

تعرج في معارج السمو الروحي حتى تدخل في دائرة « النفس المرضية » هي التي رضي الله عنها « رضي الله عنهم » وهكذا الحب لانه يفيد المفاعلة والمبادلة : تبادل الحب والرضا بين المربين ، وهذه النفس المرضية ذاتها مستمر ارتقاؤها ، تصل الى النفس الكاملة وهي التي صارت الكمالات لها طبعا وسجية ومع ذلك تستمر فالكمالات لاتتناهى ، والرياضيون يقولون بوجود مالانهاية في عالمهم الرياضي • وهكذا يؤكد ان اللانهائي في عالم المعنويات اقرب في التصوير ، ومقام هذه النفس الكاملة مقام تجليات الاسماء والصفات وحالها البقاء لله تسير بالله الى الله وترجع من الله الى الله • ليس لها ماوى ، سواه وهذه هي درجة الفناء الذي يقال عنه الموت لدى اهل الذوق الصافي السادة الصوفية رضى الله عنهم وهي درجة الفناء او موت النفس في هـذا المعنى الرفيق الدقيق تكلم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، فكل نائم الا ابا بكر رضي الله عنه وارضاه فانه شهد النبي صلى الله عليه وسلم انه ميت واذا كان ميتا فهو منتبه فان من مات انتبه اى ماتت هواجسه النفسية وخواطره الشيطانية كل من ماتت عنه هذه الهواجس والخواطر فهو منتبه •

سيدنا ابو بكر الصديق رضى الله عنه وارضاه قال فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء ان ينظر الى ميت يمشي على الارض فلينظر الى ابى بكر وهي درجة الفناء وفيها يكن الحق سمعه الذى يسمع به ويبصر به الخ • وهذه آية الكمال الذى لايليه الا الذات المحمدية صلى الله عليه وسلم •

سيدنا ابو بكر رضي الله عنه وارضاه فنيت صفاته البشرية وبقيت صفاته الالهية •

وبعد الفنا في الله كن كيفما تشا
فعلمك لاجهـــل وفعلك لا وزر

وهكذا تصل المراقبة لله بالانسان والنفس الانسانية لدرجة الصديقية لا مجرد ابتعاد عن جرائم او شبهات بل مجرد خاطر شيطاني يتغلبون عليه بمراقبة الله عز وجل

وعلى قدر القرب من الله وكمال النفس يكون الخوف من الله ومراقبة الذات الالهية • سيدنا ابو بكر الصديق رضى الله عنه يقول : لو ان قدمي اليمنى في الجنة لا آمن مكر الله ، ابعد هذا خوف من الله وعلى قدر الخوف من الله يكون حب الله وتقوى الله عز وجل • هكذا تكون المراقبة لله عز وجل هي المراقبة الحقة الدائمة التي تصلح فساد النفس وتسمو بها نحو الـكمالات المتتابعة وتصفيها تصفية النفس وتربيـة الضمير الانساني على الخوف من الله عز وجل هو مايسـمى بالتصوف • فالتصوف يقضي على الجريمة لانه يصـلح النفس ويتعهدها بتنمية روح الخشية من الله فيهـا ويلازمها في اطوار ارتقائها وينقلها من حال الى حال حتى يصل بها الى الكمال •

وبالاشارة الى تعريف سيدى ابى حامد الغزالي صاحب كتاب احياء علوم الدين وهو صاحب مدرسة كبرى في التصوف يعرف التصوف يقول رضى الله عنه •

التصوف هو تفريغ القلب لله سبحانه وتعالى والفناء في التوحيد والاحتفـاظ بسنن الله في كونه وطلب عمارته من البشر • وفي ذلك التعريف مايتضمن علاج العلل التى قال بها كل من الفلاسفة والباحثين في علم الجريمة • فالرأى الذى عزا الجريمة الى فساد نفس المجرم مثل راى كل من سقراط وابيوقراط وافلاطون وارسطو نجد في تعريف الغزالي في قول او اصطلاح تفريغ القلب لله سبحانه وتعالى هو عزوف النفس عما يغضب الله عز وجل وهذا اول باب من ابواب الرجوع الى الله وهو التوبة وهي ترك طغيان الغرائز الاساسية على الغرائز الثانوية باستعمال المراقبة لله عز وجل

اما قول الغزالي والفناء في التوحيد فهو يعرفنا مدى وصول النفس من كمال الى اكمل حتى تصل الى مرتبة النفس الكاملة • وهي مرتبة سيدنا ابى بكر الصديق رضي الله عنه وارضاه وهنا يؤكد ان التصوف لاينادي بالكبت والحرمان بل باشباع غرائز الانسان وهي من سنن الله ولابد من اشباعها ولـكن بطريقة مشروعة ومعتدلة تحفظ على الانسان توازنه وتجنبه الخلل الذى يصيب اعضاء الانسان في اى عضو من اعضائه بسبب عدم مراعاة السنن الكونية في تركيبه واشباع حاجاته الاساسية لحفظ توازنه • وهكذا يكون قد اجاب الغزالي على ماكان يخشاه لومبروز ، الذى عزا الجريمة الى خلل عضوى لدى المجرم وفي تصريح الغزالي وطلب عمارته من البشر في ذلك احتفاظه بأثر الناحية البيئية او البيئة الاجتماعية التى نادى بها انريكوفرى وفي رموز السادة الصوفية « دعنا ان لم تفهم المعنى » •

هذا دليل على اجتماعهم على المعنى الالهي في نفوسهم واجتناب من ليس على شاكلتهم • هكذا كان بحث الامام الغزالي اسبق قولا واعمق درسا في محاربة الجريمة خلال تعريفه للتصوف تعريفا شاملا بل هو تعريف جامع مانع قاطع بان التصوف هو علاج للنفس فهو يقضي على فسادها ومن قضى على فسادها فقد قضى على جرائمها ومن قضى على جرائم النفس فقد قضى على الجريمة •

اذن قولا واحدا : التصوف يقضي على الجـريمة ، والحمد لله •

الحقوق والواجبات العامة

كما نظمها دستور الجمهورية العربية المتحدة الصادر في مارس سنة ١٩٦٤

الدكتور محمود حلمي

تختلف الدول فى موقفها ازاء الحقوق والحريات العامة ، فمنها ما يأخذ بالمذهب الفردى ويتخذ من هذه الحقوق موقفا سلبيا ويترك الافراد أحرارا فى تصرفاتهم دون أى تدخل من الدولة ، ومنها ما يعتبرها حقوقا للافراد تقابلها واجبات على الدولة تلتزم بتحقيقها ، وبالتالى يجب أن تقيد حريات الافراد بالقدر اللازم لتحقيق هذه الحقوق العامة .

وقد أخذ دستورنا الجديد بالفكرة الاخيرة ، وتكلم عن هذه الحقوق فى الباب الثالث ، وقرن الحقوق بالواجبات المفروضة على الدولة ، اذ أورد النصوص المتعلقة بها تحت عنوان « الحقوق والواجبات العامة » .

ويجرى الفقه على تقسيم هذه الحقوق والواجبات العامة الى قسمين – هما : الحقوق والحريات الفردية والمساواة ويمكن تقسيم الحقوق الفردية الى قسمين الاول يجمع الحقوق والحريات المتعلقة بمصالح الافراد المادية ، ويجمع الثانى الحقوق المتعلقة بمصالح الافراد المعنوية .

أولا – الحقوق والحريات المتعلقة بمصالح الافراد المادية .

١ – الحرية الشخصية :

يقصد بالحرية الشخصية حق الفرد فى الامن وضمان عدم القبض عليه أو حبسه او معاقبته الا بمقتضى القانون وفى الحدود التى يقررها القانون . فلا يجوز القبض على احد أو حبسه الا وفق أحكام القانون « المادة ٢٧ من الدستور » ، واذا قدم للمحاكمة عن جريمة كان من حقه ان يدافع عن نفسه بشخصه أو بطريق الانابة ، بأن يوكل عنه من ينوب عنه فتنص المادة ٢٨ من الدستور على أن « حق الدفاع أصالة أو بالوكالة يكفله القانون » .

بل ان الدستور قد أقر ما ينص عليه قانون الاجراءات الجنائية من ضرورة توكيل محام ليدافع عن المتهم بجناية ، فتنص المادة ٢٩ من الدستور على أن « كل متهم فى جناية يجب أن يكون له من يدافع عنه » ، فتندب المحكمة أحد المحامين المقيدين أمامها اذا لم يختر المتهم محاميا عنه .

ولا يعاقب المتهم الا بناء على قانون صدر بعد الفعل المطلوب محاكمة المتهم من أجله . وفى ذلك تقول المادة ٢٥ من الدستور أن « لا جريمة ولا عقوبة الا بناء على قانون ، ولا عقاب الا على الافعال اللاحقة لصدور القانون الذى ينص عليها » ، وهو ما يعرب عنه بمبدأ شرعية الجرائم والعقوبات – هذا المبدأ الذى أقرته اعلانات الحقوق منذ الثورة الفرنسية ، كما تضمنته الدساتير المصرية منذ دستور سنة ١٩٢٣ .

وتتضمن الحرية الشخصية كذلك حرية المواطن فى التنقل داخل الدولة والخروج منها والعودة اليها كلما أراد . فلا يجوز ابعاد مصرى عن البلاد أو منعه من العودة اليها « المادة ٣٠ من الدستور » . ولا يجوز أن تحظر على مصرى الاقامة فى جهة ، ولا أن يلزم الاقامة فى مكان معين ، الا فى الاحوال المبينة فى القانون « المادة ٣١ » .

وليس معنى احالة الدستور الى القانون فى شأن تحديد الاقامة أن يبيح القانون للسلطة الادارية تحديد اقامة من ترى بصفة مطلقة ، بل يلزم أن يتضمن التشريع الصادر فى هذا الشأن الأسباب التى تبرر هذا الاجراء ووقته وظروف تنفيذه وضمانات من يطبق عليه . لأن الاصل هو حظر تحديد الاقامة فى مكان معين ؛ والاستثناء أن يتم ذلك بمقتضى قانون تصدره السلطة التشريعية.

واذا كان دستورنا قد حرم ابعاد المصريين عن البلاد أو منع عودتهم اليها ، فانه قد صرح بمفهوم المخالفة ان يتم ذلك بالنسبة للاجانب – على أنه حرم تسليم اللاجئين السياسيين الذين يلجئون الى البلاد هربا من عسف حكامهم – فينص فى المادة ٣٢ على أن «تسليم اللاجئين السياسيين محظور » .

واذا كان مبدأ حظر تسليم اللاجئين السياسيين مسلما فى معظم الدول الحديثة ، فان الجمهورية العربية المتحدة وقد اتبعت مبدأ الحياد وعدم الانحياز قد أصبحت الملجأ لكثير من الاحرار الذين تمنعهم حكومتهم المنحازة الى أحد المعسكرين من التعبير عن آرائهم الحرة أو تمنعهم حكومة أجنبية مسيطرة على بلادهم من ان يطالبوا بحرية بلادهم ، ولهذا اطلق على القاهرة بحق « بلد الاحرار »

٢ – حرمة المساكن الخاصة :

أقر الدين الاسلامى أساس حرمة المساكن فى الآيات الكريمة « ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ » ، قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون » .

واقر دستورنا الجديد المبدأ فى المادة ٣٣ ، اذ ينص: « للمنازل حرمة ، فلا يجوز دخولها الا فى الأحوال المبينة فى القانون ، وبالكيفية المنصوص عليها فيه » ذلك أن حرمة المساكن تتصل مباشرة بالحرية الشخصية ، وينظم القانون ضمانات حماية المواطنين من تعسف السلطة العامة واقلاق راحتهم بالاعتداء على مساكنهم بغير مبرر قوى وجدى .

٣ ـ حق العمل :

هذا الحق أيضا من متممات الحرية الشخصية . وحرية العمل فى ظل المذهب الفردى تعنى عدم جواز اجبار العامل على عمل لا يريده أو الحيلولة بينه وبين العمل الذى يريده . أما فى ظل المذهب الاشتراكى اصبح العمل حقا وواجبا ، فلا تعنى حرية العمل ان يكون للفرد الحرية فى الانخراط فى العمل أو المهنة التى يختارها فحسب ، بل يجب أن تهيأ له فرصة العمل الذى يريد ، والاستقرار فى العمل الذى يؤديه . ومن ناحية أخرى ، فليس من حق العامل أن يترك عمله الذى يشارك به فى الناتج القومى أو فى الخدمات العامة بمحض ارادته وحريته . وقد عبر دستورنا عن هذه المبادىء فى المادة ٢١ منه اذ يقول : « العمل فى الجمهورية العربية المتحدة ، حق وواجب وشرف ، لكل مواطن قادر . والوظائف العامة تكليف للقائمين بها . ويستهدف موظفوا الدولة فى أدائهم أعمال وظائفهم خدمة الشعب » فالعمل حق للعامل وواجب عليه وشرف يفخر به .

فاشتراكيتنا تقوم على قاعدة أساسية تتمثل فى احترام العمل وحمايته باعتباره الطاقة الخلاقة فى المجتمع وباعتباره القوة الدافعة للتقدم . واذا كان العامل قد قاسى فى الماضى الظلم وعدم التقدير ، فان اشتراكيتنا قد ردت اليه حقوقه الطبيعية واحترامه . فلقد كان العامل عبدا للالة ، وكان لا يحصل على نصيبه العادل فى الانتاج ، وكان ضحية استغلال رأس المال وسيطرته، فاصبح سيدا للالة وشريكا فى الادارة والربح .

ان مثلنا العليا ، وهى تجعل العمل معيارا لتقدير الفرد فى المجتمع ، لتدفعنا الى أن نصبح عاملين نتشرف جميعا بالعمل .

وقد وضع دستورنا مبدأ عاما يقضى بان « تكفل الدولة تكافؤ الفرص لجميع المصريين » (المادة ٨) فرص العمل وفرص التملك .

ولم يترك الدستور العمال ضحية لعسف أصحاب الاعمال ، بل فرض على السلطات العامة ان تكفل للمصريين معاملة عادلة ، بحسب ما يؤدونه من أعمال . وبتحديد ساعات العمل ، وتقدير الأجور ، والتأمين الصحى ، والتامين ضد البطالة ، وتنظيم حق الراحة والأجازات « المادة ٤٠ من الدستور » .

كما أكد الدستور حق العمال فى انشاء النقابات فقرر فى المادة ٤١ أن « انشاء النقابات حق مكفول ، وللنقابات شخصية اعتبارية ، وذلك على الوجه المبين بالقانون » .

ثانيا ـ الحقوق والحريات المتعلقة بمصالح الافراد المعنوية .

١ ـ حرية العقيدة :

اقر دستور الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦٤ حرية العقيدة فى المادة ٣٤ التى تنص « حرية الاعتقاد مطلقة » .

٢ ـ الرأى وحرية الاجتماع :

نظم الدستور حرية الرأى فى المواد ٣٥ ، ٣٧ على الوجه الآتى :

« حرية الرأى والبحث العلمى مكفولة ، ولكل انسان حق التعبير عن رأيه ، ونشره بالقول أو الكتابة أو التصوير ، أو غير ذلك ، فى حدود القانون » .

للمصريين حق الاجتماع فى هدوء ، غير حاملين سلاحا ، ودون حاجة الى اخطار سابق . والاجتماعات العامة والمواكب والتجمعات مباحة فى حدود القانون .

كما أقر حرية الصحافة فى المادة ٣٦ اذ يقول « حرية الصحافة والطباعة والنشر مكفولة فى حدود القانون » .

٣ ـ حق التعليم :

لم يترك الدستور المصرى التعليم مباحا للمواطن دون التزام من الدولة ، بل جعله حقا للمصريين تكفله لهم الدولة بانشاء مختلف أنواع المدارس والجامعات والمؤسسات الثقافية والتربوية والتوسع فيها «المادة ٣٨» وقرر فى المادة ٣٩ منه أن « تشرف الدولة على التعليم العام ، وينظم القانون شئونه . وهو فى مراحله المختلفة فى مدارس الدولة وجامعاتها بالمجان » .

بل ان دستورنا قد نص على أن تهتم الدولة بالاضافة الى التربية والتعليم بنمو الشباب البدنى والعقلى والخلقى (م ٣٨) .

٤ ـ الحق فى الرعاية الصحية :

واذا كان دستورنا قد أخذ بالديمقراطية الاجتماعية ، حيث تكون الحريات حقا للمواطنين وواجبا على الدولة، فقد فرض على الدولة بالاضافة الى واجباتها ، السابق الاشارة اليها ، واجب الرعاية الصحية للمواطنين . فقرر فى المادة ٤٢ أن « الرعاية الصحية حق للمصريين جميعا تكفله الدولة بانشاء مختلف أنواع المستشفيات والمؤسسات الصحية والتوسع فيها » .

ثالثا ـ المساواة المدنية

وتتمثل هذه فى المساواة أمام القانون ، وأمام القضاء، وفى الوظائف العامة ، والمساواة فى الانتفاع بالمرافق العامة وفى التكاليف العامة .

١ ـ المساواة أمام القانون وأمام القضاء :

ينص دستورنا فى المادة ٢٤ على ما يأتى : «المصريون لدى القانون سواء ، وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة ، لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة » .

ولم يكن هذا المبدأ مسلما به فى الدول الغربية منذ القدم ، فقد كان النبلاء والاشراف فى فرنسا ممتازين ، يطبق عليهم قانونا يختلف عن القانون الذى يطبق على الفلاحين .

ولا تزال بعض الدول التى تدعى أنها بلغت شوطا بعيدا فى المدنية والتقدم تفرق بين الأسود والأبيض من المواطنين .

ويترتب على مبدأ المساواة أمام القانون أن يتساوى الجميع أمام القضاء ، فلا يميز أشخاص على غيرهم فى

اجراءات التقاضى أو فى المحاكم التى تفصل فى النزاع أو من حيث الجريمة والعقوبات المقررة على مرتكبها .

ولقد قضت الثورة الفرنسية على المحاكم الممتازة الخاصة بالنبلاء ، وعلى المحاكم الاستثنائية الخاصة بالفصل فى بعض الجرائم ، وعلى التفرقة بين وسائل التقاضى ووسائل تنفيذ العقوبة .

وقد أقر الاسلام نظام المساواة أمام القضاء قبل الثورة الفرنسية بما يزيد على الف عام . ومن أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد » .

وقد أمر الله تعالى الناس أن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم ، وأن يحكموا بالعدل .

ولعل كتاب عمر بن الخطاب الى أحد قضاة الاسلام خير مثل على سياسة الاسلام فى المساواة أمام القضاء اذ يقول رضى الله عنه « آس بين الناس فى وجهك ومجلسك وقضائك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك » .

وقد انتهى فقهاء المسلمين الى وضع شروط المساواة أمام القضاء ومقومات وجودها ، فاوجبوا على القاضى أن يتبع الأمور الآتية :

اولا : أن يستمع القاضى الى الشكوى ويستمع الى الشاكى ويطلب المشكو فى حقه أمامه الى مجلس القضاء دون تفرقة بين غنى وفقير ، أو بين قوى وضعيف .

ثانيا : أن يحقق عدالة الاجراءات القضائية ،فيسوى بين الخصوم فى هذه الاجراءات .

ثالثا : ان يحكم بالعدل وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

على أن مبدأ المساواة أمام القضاء لا ينافى اختلاف العقوبة التى يحكم بها القاضى تبعا لاختلاف ظروف المجرمين ، ولو كانت الجريمة واحدة . وكذلك لايجافى هذه المساواة أن توجد محاكم لكل نوع من الجرائم أو لكل طائفة من الناس (كمحاكم الأحداث مثلا) على الا تكون التفرقة على أساس الجنس أو المال .

والقضاء (كما يقول تقرير الميثاق) يمثل ضمانا أساسيا للحرية . ومن ثم وجب تدعيم السلطة القضائية بما يضمن وصول العدل سريعا ومن أيسر السبل .

وقد تكلم دستورنا عن السلطة القضائية فى الفصل الرابع من الباب الرابع الخاص بنظام الحكم .

٢ ــ المساواة أمام الوظائف العامة :

فلا يميز واحد عن آخر فى الوظائف العامة بسبب حسبه او نسبه أو ماله . ولم ينص دستورنا على هذا المبدأ على التخصيص ، وانما وضعه ضمن المبدأ العام الذى قرره فى المادة ٨ ، التى تقضى بان تكفل الدولة تكافؤ الفرص لجميع المواطنين . كما وضع مبدأ عاما بالنسبة للعاملين جميعا فى المادة ٤٠ ، أن « تكفل الدولة للمصريين معاملة عادلة ، بحسب ما يؤدونه من أعمال ، وبتحديد ساعات العمل ، وتقدير الأجور ، والتامين الاجتماعى ، والتامين الصحى ، والتامين ضد البطالة وتنظيم حق الراحة والاجازات » .

٣ ــ المساواة أمام المرافق العامة :

لم ينص دستور سنة ١٩٦٤ على مبدأ مساواة المنتفعين أمام المرافق العامة بعد أن اعتبر الانتفاع بهذه المرافق للمواطنين حقا وواجبا على الدولة تكفله لهم . فتكفل الدولة خدمات التأمين الاجتماعى ، وللمصريين الحق فى المعونة فى حالة الشيخوخة ، وفى حالة المرض او العجز عن العمل أو البطالة (المادة ٢٠) . وتكفل الدولة للمصريين معاملة عادلة ، بحسب ما يؤدونه من اعمال . وقد اشرنا الى هذا المبدأ ضمن الكلام عن المساواة أمام الوظائف العامة .

والتعليم حق للمصريين جميعا ، تكفله الدولة بانشاء مختلف أنواع المدارس والجامعات والمؤسسات الثقافية والتربوية والتوسع فيها ، وتهتم الدولة بنمو الشباب البدنى والعقلى والخلقى (م ٣٨) ، والتعليم فى مراحله المختلفة فى مدارس الدولة وجامعاتها بالمجان (م ٣٩) ، والرعاية الصحية حق للمصريين جميعا تكفله الدولة بانشاء مختلف انواع المستشفيات والمؤسسات الصحية والتوسع فيها (المادة ٤٢) .

٤ ــ المساواة أمام التكاليف العامة :

كما يتساوى المواطنون فى الانتفاع بالمرافق العامة ، يتساوون فى التكاليف العامة ، لاتمييز بينهم بسبب الجنس او الثروة .

وقد كانت الخدمة العسكرية لفترة مفروضة على الفقراء دون الأغنياء وعلى الجهلة دون المتعلمين . فكان من الممكن الاعفاء من الخدمة اذا دفع المواطن بدلا نقديا مقداره عشرون جنيها . كذلك كان الحاصلون على مؤهلات جامعية والموظفون وحفظة القرآن الكريم وأولاد العمد والمشايخ معفين من الخدمة العسكرية . فلم تكن هذه الخدمة واجبا الا على الفقراء والجهلة . اما الآن فالدفاع عن الوطن واجب مقدس ، وأداء الخدمة العسكرية شرف للمصريين ، والتجنيد اجبارى وفقا للقانون (المادة ٤٣) .

كذلك يتساوى المواطنون فى أداء الضرائب والتكاليف العامة ، لا يعفى قادر منها ، ويساهمون جميعا على قدم المساواة فى الحياة العامة ، وفى الانتخاب ، وفى حق الترشيح لعضوية الهيئة التشريعية ، ورئاسة الجمهورية وعضوية النقابات العمالية ، وفقا للقانون .

كذلك يتساوى المواطنون فى أداء الضرائب العامة ، ولا يجوز الاعفاء منها الا بقانون .

وهكذا نظم دستورنا الحقوق والواجبات العامة ،على الأسس الديمقراطية وفى اطار المبادىء الاسلامية القويمة ، دون أن يخرج على المبادىء الاشتراكية .

حل الأزمات في الإسلام

الدكتور فؤاد محمد فخر الدين

في حديثنا السابق تناولنا مدى فاعلية السماحة ومفعوليتها في نفس المسلم لانها امتداد الروح الاسلامية الرابطة للنفوس في حياة المسلم الفردي والجماعي سواء في حياته العائلية او الاجتماعية او الوطنية او الدولية . فالمسلم في هذه الحالات انسان اكتملت فيه صفات الانسانية الصافية في قلبه وقالبه وفي سكناته وحركاته حتى أصبح انسانا روحيا في صفاء طبعه وطبيعته ؛ وفي رقي عقله وقلبه ، وفي سعة صدره ويده وفي امتداد خبراته وأعماله .

فالانسان المسلم يستمد قوته من الله . ويعمل لله ، ويخلص في الله ، ويعتمد عليه في وجوده وكيانه وحاضره ومستقبله ، فهو كل في جزئية الحياة العامة يشترك فيها بعقله وأفعاله وكيانه ليجعلها حياة سعيدة مليئة بالخير العميم ؛ والسعادة الشاملة ، والطمانينة الابدية التي تجعل من الانسان ظل الحياة في ارضه . ونوره تحت سمائه ، وهداه في طريقه وكلمته في كلامه وروحه في معاملاته وعدله في حكمه ، وصدقه في قوله ، فهو الخير كل الخير في هذه الحياة بهدى الاسلام

« وقد كان الانسان الاول الذكر تجتذبه الانثى . والانثى يجتذبها الذكر ، ناموس الطبيعة في التوالد والتكاثر ، والتآلف والقتال كانا تبعا للشهوات،والتمازج بين هؤلاء الناس كان رهنا بالصلة الغريزية بينهم ... كانت الام صاحبة المقام الاول في العائلة ؛ وكانت الالهة في القبيلة ، اذ لم يكن عند اولئك الناس آلهة غيرها ، ومن الوهية الام انبثقت فكرة التاليه والعبادة والاحترام (قصة الانسان ص ١٥ . للدكتور جورج حنا) » .

فالانسان مر باطوار الحياة في تطوير دائم وفي تطور فكري وعقلي وديني ، فبعد ان كان العقل يبحث عن الاله اصبحت الرسالة السماوية تهدي الانسان الى الله ،وبعد ان تعب الانسان الاول في فحص حقيقة الاله ؛ بين الله للناس وجوده وصفاته في قوة ظاهرة ، وبراهين ساطعة في الطبيعة ، وفي الحياة ، وفي الموت ، وفي الوجود وفي العدم ، وفي السكنات وفي الحركات ؛ وفي التبديل والتغيير ، وفي النماء والفناء ، وفي الاحساس والشعور كل هذه الامور وما ماثلها تعطي فكرة وجود قوة مسيرة حاكمة وحكم قانوني سائد لا يتوقف ونظام كوني قائم ؛ تلك هي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وهي سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وقد جاء الدين لتهيئة النفوس ، وتنظيم العقول . وتطهير القلوب ، ووضع نظام انساني يتمشى مع مصلحة الانسان العامة في خاصية حياته وفي عاميته لانه دين يعالج كل مشاكل الحياة ، وكل ازمات النفوس ، وكل مسائل المجتمع ؛ وكل مشكلات الشعوب والدول .

وقد نجد هذه الامور تاتي مؤثرة في الحياة سواء للافراد او الجماعات ، ونستطيع أن نسرد لك قول البروفسور رومين في كتابه « آسيا المعاصرة ــ الفعل ورد الفعل » ص ١ » : « اولا وقبل كل شيء ، ما هي الاشياء التي لم يتصف بها هذا العدوان ؟ لقد راجت وانتشرت سلسلة كاملة من الاساطير والافكار التي تزايدت خلال الحرب العالمية الثانية .... وهكذا لم يكن التوسع الياباني نتيجة لخاصية فطرية ،اوبسبب ميزة في القومية اليابانية غير قابلة للتغيير .

ان النظرية الجذابة بل الخطيرة ، القائلة بان شعوبا معينة لها طبيعة عدوانية وان شعوبا اخرى غير عدوانية بطبيعتها . سوف يتضح زيفها اذا ما درسنا التاريخ ككل . ولم نحصر انفسنا في دراسة فترة محدودة . ان كل دولة نعرفها في التاريخ مرت بفترات توسع وعدوان وهذا ينطبق على الاندونيسيين بقدر ما ينطبق على الدانمركيين او المغول او الامريكيين . وهو ينطبق على الروس بقدر ماينطبق على الهولنديين والعرب والمصريين والبريطانيين » .

ان الازمات كثيرا ما تغير النفوس ، وتترتب عليها امور اخرى أشد اثرا منها نفسها لان الانعكاسات الناتجة عنها تتضمن في النفوس تاثيرا ؛ وتؤثر على النظريات والافكار وتنعكس آثارها على القلوب وعلى العقائد ، ولا سيما ان كان الانسان ضعيفا في ثقافته وموقفه الديني ، وفي معرفته عن الدين . ولهذا كثيرا ما نرى ازمات نفسية وعقلية ودينية تنتج اثر كل حرب وبعد كل أزمة وعقب كل مشكلة ، لان رغبة الاصلاح في وضع مابعد تلك الازمات او المشكلات تؤدي بالانسان الى التفكير الثوري والى انقلاب فكري ، والى نكسات في الراي وفي المبدا . ان صور الحياة في هذا الموضوع كثيرة اذا تتبع الانسان التاريخ في عصوره الطويلة وفي امكنته المختلفة .

ان الخلاف اي خلاف كان يبعد النفوس عن التلاقي ؛ والاراء عن التصافي والحروب أقسى درجة تلك الخلافات الناتجة عن عدم امكانية التفاوض والتشاور والتصافي ؛ وهي بذل أقصى مجهودات المقاومة لاظهار القوى لتسند الموقف والمبدا والنظرية ، والاسلام في نظام الحرب ونظريتها سلم ثائر ، سلام معاد ، وأمن آخذ بأطراف الحياة . والاسلام لايريد بالحرب فرض سلطة بل تحطيم ظلم ، وحفظ كيان ، وسلامة وجدان ، وأمن الجوار .

اذا تعمقنا في الحرب ومشاكلها، لا ننسى الظروف التي مرت بالبلاد الاوربية في بداية الحرب العالمية الثانية ، وماذاقته اليابان في نهايتها ، وما راته الدول الاخرى من آلامها في أثنائها . فان الانتقام ظاهر في كل خطوة من تلك الخطوات ، والكراهية اساس لهذا الانتقام الخالي من روح الانسانية والمحبة والمودة . واذا راجعنا عهد الاستعمار في اية بلدة فنجده مليئا بالكراهية والانتقام وسوء المعاملة وانكار الانسان لاخيه الانسان وتسخير الانسان لاخيه الانسان . كل هذه المعاملة بداية ونهاية سلب حقوق الحياة للضعفاء في حين الغفلة وفي وقت السهوة . والمسلمون في الحقيقة كانوا طيبي النية يعاملون الانسان معاملة الاخوة لاعتقادهم بأن الانسان اخو الانسان ، ولهذا سمحوا للاجانب بدخول بلادهم باسم التجارة ؛ وباسم التعاون حتى استغلوا الظروف واستفادوا من تلك الغفلة في تثبيت اقدامهم ، والسيطرة على البلاد بالقوة والحيلة والمكر ، وبالمكائد والوقيعة .

والواقع ان الاسلام يبني الحياة على الاخوة ولكنه يحذر المسلمين من الوقوع في مكائد الكناد والمنافقين ، ولا ريب ان الاسلام دين ودنيا ، يدخل في القلوب لينظم الحياة ؛ ويدخل العقول لتفكر في المصلحة العامة والخاصة ، ولهذا لم يترك الاسلام صغيرة ولا كبيرة الا عالجها بل طلب من المسلمين التفكير في كل خطوة يخطونها ، وقد امر القرآن بعدم الثقة بغير المسلم فقال سبحانه : لا تتخذوا بطانة من دونكم .

لما كان المسلمون متمسكين بدينهم في قرآنهم خاف المستعمرون ، وتربصوا لاحباط تلك الوحدة الملتفة حول القرآن ، وقد نصح المستشرق الهولندي هورغرونجيه حكومة بلاده من اتخاذ خطوات ايجابية لازالة الروح الاسلامية من الشعب الاندونيسي لانه من العبث القيام بنشر الثقافة الاوربية دون تحطيم اثر القرآن من نفوس المسلمين . وقد قال اننا يجب ان نجعل من اندونيسيا هولندة في الشرق ونجعل من هؤلاء المسلمين نصارى يخضعون روحا وعقلا وجسما لهولندة .

هذه هي المساعي التي بذلتها هولندة في جزيرة سلاويس حتى استطاعت تنصير اغلبية سكان تلك المنطقة ليكونوا عونا لها في الحروب والسلم ، واتخذوا منهم جيوشا في ميادين القتال ؛ وموظفين في الادارة الحكومية ويضعون فيهم الثقة العمياء .

مثل هذه الخطوات في سياسة الاستعمار اوجدت ازمات في نفوس المسلمين ، وشتتت شملهم ، واوجدت فيهم روح التنافر ، وخلقت في قلوبهم الانانية وحب الذات والخضوع للمستعمر والعمل لابقائه .

وقد عالج الاسلام هذه المشاكل بايجاد خلق اسلامي وبغرس روح اسلامية في النفوس التي بها يقاوم المسلم كل تيار العداء ؛ وكل خطوات التحطيم ، وكل سياسة التفرقة ، وكل ثقافة لا خلقية ، وكل عادات وتقاليد منفرة . واراد الاسلام بهذا تكوين الشخصية الاسلامية التي تدافع عن هذا الدين بكل ما لديه من قوة روحية ومادية وعقلية ، وبكل ما لديه من اتحاد فكري وعقائدي حتى يظهر العمل الوحدوي الذي يبرهن عن قوة الاسلام في القول العمل .

ونلاحظ هذه الظاهرة في المسلمين الاول اذ كانوا اعمدة الاسلام في بناء المجد الاسلامي في حضارة ومدنية وفي معاملات طيبة في السلم والحرب ، وفي السماحة الخلقية ازاء الاعداء والاصدقاء ؛ وفي الوفاء لكل معاهدة واتفاقية حتى اصبحوا مضرب الامثال في الخلق القويم ؛ وفي الصفات الانسانية الراقية ، وفي خصال البطولة الحقة .

ان الباحث عن الاسلام يجده نظاما عالميا يخاطب النفوس ، ويحتكم الى العقل ، ويراعي الانسانية ؛ ويساير طبيعة الانسان ، فانه لا يغالي في العبادات ، ولكنه يطالب بالمعاملات والعلاقات بين الافراد والجماعات فقال سبحانه « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ؛ والعبادات صورة الطاعة والمعاملات اظهار هذه الطاعة امام الملا حتى تملأ القلوب ثقة بهذه الطاعة بمظهرها الحقيقي وفي صورتها الواقعية ، وفي تطبيقها العملي ، ولهذا قيل : « الدين المعاملة » لانه اذا اردت ان تدين احدا فعامله بما يجب واكثر من طيب المعاملة حتى يشعر بانه مدين لك .

والمعاملة في حقيقتها اظهار صفاء النفس ، وما الدين الا تربية هذا الصفاء في النفوس حتى تخلو من الضغائن والاحقاد ، والروح الصافية هي التي تتلاقى مع الله ؛ والله في صفائه يخاطب الاصفياء من عباده ، ويكشف عنهم الحجاب ، ويلبي نداءهم ، والمعاملة عمل في ملاقاة العباد بارادة الله ؛ والعمل هو ميزان الخير ، والله يحب العمل والعامل ، والعالم العامل اعلى منزلة في درجات العبادة ، وهم ورثة الانبياء في تقدير الله.

وما الدين الا تقويم تلك النفوس لتقوم باعمال خيرة طيبة في صفاء ونقاء وطهارة ، ولهذا يحاسب الله الانسان على نيته ، لان النية في القلب والقلب مصدر الايحاء للعمل ؛ وقال تعالى : « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ، ثم رددناه اسفل سافلين ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون ، فما يكذبك بعد بالدين ، اليس الله باحكم الحاكمين » وقال تعالى : « علم الانسان ما لم يعلم ؛ كلا ان الانسان ليطغى ، ان رآه استغنى ، ان الى ربك الرجعى ، ارايت الذي ينهى ، عبدا اذا صلى ؛ ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ، ارايت ان كذب وتولى ، الم يعلم بان الله يرى ، كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب » .

ان الحياة تستدعي هذه المعاملة الطيبة التي تبني عنصرا حيا في السلام والامان ، ولاسيما في العصور التي تتنازع فيها المصالح ؛ وتتضارب فيها المنافع ، وتختلف فيها المشارب ، وتتنوع فيها المشاكل ، ان الدول تسعى لايجاد هذه الرابطة ولكنها تخفى حقيقة الاسلام الذي ينادي بهذه المبادئ السامية ، وبتلك المثل العليا القائمة على المصالح العامة ، وعلى الحياة السعيدة بين الامم ؛ وعلى الامان السائر على ركاب الحياة . وقال تعالى : « والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى ، وما خلق الذكر والانثى ، ان سعيكم لشتى ، فاما من اعطى واتقى، وصدق بالحسنى ؛ فسنيسره لليسرى ، واما من بخل واستغنى ؛ وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى ، وما يغني عنه ماله اذا تردى ، ان علينا للهدى ؛ وان لنا للاخرة والاولى ، فانذرتكم نارا تلظى ، لا يصلاها الا الاشقى ، الذي كذب وتولى ؛ وسيجنبها الاتقى ، الذي يؤتي ماله يتزكى ، وما لاحد عنده من نعمة تجزى ، الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ، ولسوف يرضى »

ان بناء الصرح الاسلامي يحتاج قبل كل شيء الى بعث هذه الصفات البناءة التي تسعد الافراد والجماعات والامم والتي تبعد عن النفوس الضغائن والاحقاد والازمات ؛ وهذا البناء هو الذي يقيم مجد الاسلام والمسلمين ، وهو الذي يرفع شان هذا الدين .

يتبع

الإسراء والمعراج

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

آيتان من آيات الله العظام ، وحادثان من الحوادث الخارقة العجيبة ، وشاهدان من الشواهد الناطقة بعظمة الله وقدرته ، وسعة علمه ، وتصرفه فى الكون كما يشاء ، شاهد فيها قلب النبى صلى الله عليه وسلم من جلال الله وأنواره ما شاهد ، وأبصرت عيناه من ملكوت الله ماشاء الله لهما أن يبصراه هاتان الآيتان هما : الاسراء والمعراج • والاسراء : حمل الله سبحانه نبيه وحبيبه محمدا على البراق من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الاقصى ببيت المقدس فى جزء يسير من الليل•

والمعراج : هو عروجه سبحانه وتعالى بنبيه ونجيه محمد صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس الى السموات السبع ومافوق السبع حتىوصل الى مستوى لم يبلغه أحد قبله حيث سمع صريف أقلام ملائكة الله الكرام ، ثم رجوعه من حيث أتى فى ليلته تلك •

وفى الاسراء والمعراج تسرية عن نفس النبى – صلى الله عليه وسلم – وتبشير له بأن الله سينصره ، وينشر دينه حتى يبلغ ما بلغ الليل والنهار ، فقد ضاقت نفس النبى بماكان يجده من قريش ، ووقوفها عقبة كأداء فى سبيل الدعوة الاسلامية ، فبدا له أن ييمم وجهه شطر الطائف عسى أن يجد فيها متنفسا للدعوة الى سبيل ربه ، فذهب ومعه حبه ومولاه زيد بن حارثة الى الطائف ، وهنالك اتصل برؤساء ثقيف ، وعرض عليهم الاسلام فردوا عليه ردا قبيحا ، فرجا منهم أن يكتموا أمره حتى لا توغل قريش فى ايذائه وصحبه، فما وجد منهم مروءة ولا وفاء وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم يرجمونه بالحجارة حتى سال الدم الزكى من عقبيه ، وزيد – رضى الله عنه – يدرأ عنه مااستطاع الى ذلك سبيلا •

فلجأ – صلى الله عليه وسلم – الى ظل شجرة ببستان لشيبة وعتبة ابنى ربيعة ، فرقا له لما نزل به فأرسلا له غلاما لهما يسمى « عداسا » بقطف من عنب فسمى النبى وأكل ، فعجب عداس وقال : هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد ، فسأله النبى عن بلده ودينه ، فقال : أنا نصرانى من نينوى فقالالنبى : من بلد العبدالصالح يونس بن متى فقال عداس : وما علمك به ؟ فقرأ عليه النبى ما يتعلق بقصة يونس عليه السلام من القرآن ، فعجب وأسلم « دعاء وابتهال » ولم يجد الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقد فقد النصرة من الناس – بدا من أن يتوجه بقلبه الى ربه وبصره الىالسماء ، داعيا الرحمن بهذا الدعاء الذى لا يصدر الا من قلب مفعم بالايمان ونفس راضية مطمئنة يهون عليها كل شىء من لأواء الحياة وشدائدها فى سبيل الحق ، والمثل الانسانية الرفيعة •

فقال : « اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ؟ أم الى عدو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، اللهم انى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك ، أو يحل بى سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بالله » •

كما أن هذا العام لم يخل من أحداث محزنة حتى سمي « عام الحزن » فأبوطالب شيخ قريش ، ومانع رسول الله من أذى قريش ، وناصره عليهم قد توفى ، والسيدة الجليلة المهيبة فى قومها خديجة بنت خويلد زوج النبى التى واسته بنفسها ومالها والتى كانت له وزيرة صدق عند الشدائد ونزول البلاء تموت هى الاخرى ، وبذلك عظم الخطب وجل المصاب .

وفى هذه الغمرة من المآسى والأحزان ، وصدود القوم عن الايمان ، ومحاربة الدعوة الاسلامية بشتى الطرق والوسائل كان من رحمة الله بعبده وصفيه محمد - صلى الله عليه وسلم أن يسرى عن نفسه المهمومة ، وفؤاده المحزون ، فكان « الاسراء والمعراج » .

« وثبوت الاسراء والمعراج ثبوت لايتطرق اليه الشك »

الاسراء ثابت بالقرآن المتواتر ، والأحاديث الصحيحة المتكاثرة ، أما القرآن فقوله سبحانه: « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير» وأما الأحاديث فكثيرة وسنشير اليها فيما بعد .

وأما المعراج فهو ثابت بالأحاديث الصحيحة التى رواها الثقات العدول ، وتلقتها الأمة بالقبول ، ولولم يكن الا اتفاق صاحبى الصحيحين البخارى ومسلم على تخريجها فى صحيحيهما لكفى فما بالك وقد خرجها غيرهما من أصحاب كتب الحديث والتفسير وكتب السير المشهورة .

ويرى بعض أئمة العلم أن المعراج وان لم يثبت بالقرآن صراحة ، ولكنه أشير اليه فى سورة النجم فى قوله تعالى « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى ، مازاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى » النجم ١٣ - ١٨

فقدو روى عن ابن مسعود والسيدة عائشة - رضى الله عنهما - أن المرئى هو جبريل عليه السلام ، رآه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على هيئته التى خلق عليها ، ولم يره على هذه الحالة الا مرتين : الأولى وهو نازل من غار حراء بعد فترة الوحى ، والثانية ليلة المعراج . قال ابن كثير فى تفسيره « ج ٨ ص ٩٦ » ط المنار ما خلاصته : « وقد رأى النبى - صلى الله عيه وسلم - جبريل عليه السلام على صورته التى خلقه الله عليها مرتين : الأولى عقب فترة الوحى واليها أشار الله بقوله :« علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى، وهو بالأفق الاعلى ، ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى » والثانية ليلة الاسراء والمعراج عند سدرة المنتهى وهى المشار اليها بقوله « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى.. »

وقد روى أحاديث الاسراء والمعراج كثير من الصحابة - رضوان الله عليهم - وتلقاها عنهم الرواة العدول الضابطون وخرجها أئمة الحديث فى كتبهم كالأئمة: البخارى ، ومسلم، وأحمد ، والترمذى ، والنسائى ، والبيهقى وابن جرير الطبرى وغيرهم وذكرها الامامان محمد بن اسحاق وابن هشام فى سيرتيهما من طرق عدة متكاثرة حتى قال الحافظ أبوالخطاب بن دحية : أن أحاديث الاسراء والمعراج متواترة .

« الاسراء والمعراج بالجسد والروح فى اليقظة لا فى المنام »

جمهور العلماء من السلف والخلف على أنهما كانا فى ليلة واحدة ، وأنهما كانا بجسده وروحه - صلى الله عليه وسلم - وهذا هو الذى يدل عليه قوله سبحانه « بعبده » وليس ذلك الا الروح والجسد ، وقد تواردت على ذلك الاخبار الصحيحة المتكاثرة، والنصوص على ظواهرها مالم يقم دليل على صرفها عن ظاهرها وأين هو ؟

وفى الأحاديث أنه شق صدره الشريف ، وركب البراق ، وعرج به الى السماء ، ولاقى الأنبياء ، وفرضت عليه الصلوات الخمس ، وأن الله كلمه ، وأنه صار يرجع بين موسى عليه السلام وبين ربه عز وجل مما يؤكد أنهما

كانا بجسده الشريف وروحه الطاهرة ، وبنفى ما عدا ذلك .

ومن أهل العلم من زعم أنها بالروح واستدل على هذا بماروى عن السيدة عائشة أنها قالت : « مافقدت جسد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكن أسرى بروحه » وهذا الحديث غير ثابت ، وهنه الامام القاضى عياض سندا ومتنا فى كتابه « الشفاء » وحكم عليه الحافظ ابن دحية بالوضع

ومما يضعف هذا الاثر ويرده أن السيدة عائشة لم تكن حينئذ قد دخل بها رسول الله، فان من المتفق عليه أن الرسول لم يبن بها الا بعد الهجرة وأنه خطبها قبلها بسنة وقيل بسنتين .

وأضعف من القول بانهما بالروح القول بأنهما كانا مناما ، وقد استدل القائلون بهذا بقوله سبحانه وتعالى « وماجعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس » الاسراء الآية ٦٠ وقالوا : الآية تشير الى الاسراء والمعراج ، والرؤيا فى اللغة تطلق على المنامية لا البصرية

وليس أدل على رد استدلالهم بهذه الآية من قول ابن عباس فى تفسيرها : « هى رؤيا عين أريها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة أسرى به والشجرة الملعونة شجرة الزقوم » رواه البخارى فى صحيحه، والترمذى والنسائى فى سننهما ، ومراد ابن عباس برؤيا العين جميع ماعاينه النبى ليلة أسرى به من العجائب الأرضية والسماوية وابن عباس حبر الأمة ، وترجمان القرآن ، ومن أعلم الناس بالعربية ، وكان اذا سئل عن لفظ من القرآن ذكر له شاهدا من كلام العرب فكلامه حجة فى هذا ، فالرؤيا كما تطلق على المنامية تطلق على البصرية . ومن شواهد ذلك من كلام العرب الخلص قول الراعى يصف صائدا :

وكبر للرؤيا وهش فؤاده
وبشر قلبا كان جما بلابله

وأيضا لو كان فى المنام لم يكن فيها شىء يستعظم ، ولما بادر كفار قريش الى تكذيب الرسول ، ولما ارتد بعض ضعفاء الايمان اذ كثير من الناس يرون فى منامهم مثل ذلك فيرى الرائى أنه ذهب الى السماء أو الى أقصى الأرض ، فاستبعادهم لذلك ومسارعتهم الى التكذيب عقب الاخبار من أظهر الادلة وأقواها على أنهما كانا فى اليقظة لا فى المنام .

« فرض الصلوات الخمس » ومهما يكن من شىء فقد أسرى الله بعبده ونجيه محمد من مكة الى بيت المقدس ثم عرج به منه الى السماوات السبع ومافوقها حيث فرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة فى اليوم والليلة ، فلما رجع مر على أخيه موسى فقال له : بم أمرت ؟ قال بخمسين صلاة ، قال : ان أمتك لا تطيق ذلك وانى بلوت من بنى اسرائيل قبلك ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف ، فرجع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه خمسا ، فمر على موسى فقال مثل مقالته الأولى فرجع النبى فسأل التخفيف فوضع عنه خمسا ، ولم يزل النبى يرجع بين موسى وبين ربه حتى قال الرب جل وعلا « هن خمس صلوات فى اليوم والليلة وهن خمسون فى الثواب » ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة ، فرجع النبى فمر على موسى فأخبره فقال موسى : ارجع الى الى ربك فاسأله التخفيف ، فقال الحى الكريم : « سالت ربى حتى استحييت ولكنى أرضى وأسلم » فلما جاوز النبى ناداه الله جل جلاله : « أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى » ثم رجع النبى محفوفا بالاكرام والاعزاز حتى هبط الى بيت المقدس ومنه عاد على «البراق » الى مكة البلد الحرام

« فى صبيحة الاسراء والمعراج » ولما أصبح الصباح أخبر النبى السيدة أم هانى بنت عمه أبى طالب بما رأى وماجرى ، فنصحته أن لايخبر قومه خشية أن يكذبوه ، ولكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج الى المسجد الحرام فجلس وهو مطرق رأسه يفكر ، فمر به أبوجهل فقال : هل من خبر ؟ قال : « نعم أسرى بى الليلة الى بيت المقدس» فقال أبوجهل ارأيت لو دعوت قومك أتخبرهم بما أخبرتنى

به ؟ قال: نعم فنادى أبوجهل فحضروا ، فقص عليهم الرسول الخبر فصاروا بين مصفق وبين واضع يده على رأسه تعجبا ، وارتد قوم من ضعفاء الايمان ، وسعى رجال الى أبى بكر يخبرونه فقال : ان كان قال ذلك لقد صدق فقالوا : أتصدقه على هذا؟ فقال : انى لأصدقه على أبعد من ذلك أصدقه على خبر السماء يريد مجىء الوحى الى النبى فى ساعة من ليل أو نهار فسمى أبوبكر من ذلك اليوم « صديقا »

« **اختبار** » ثم أراد المشركون أن يختبروا الرسول فسألوه عن بيت المقدس ولم يكن رآه الا فى هذه الليلة وقد كان النبى فى شغل شاغل عن عد أبوابه وشبابيكه فكرب كربا شديدا ، ولكن الله جلت قدرته جلاه له وأزال الحجب والموانع فصار يصفه لهم بابا بابا ، وموضعا موضعا • فقالوا : أما الوصف فقد أصاب ثم قالوا : أخبرنا عيرنا – الابل التى تحمل التجارة – وكانت قادمة من الشام فأخبرهم بعلامات وشواهد تبينوا فيما بعد صدقها ، وقال لهم : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق – رمادى – فما وافى اليوم حتى خرجوا يشتدون نحو الثنية، فقال قائل منهم • هذه الشمس قد أشرقت ، فقال الآخر : وهذه العير قد أقبلت ! وبعد كل هذه الآيات البينات لم يزدادوا الا كفرا وعنادا ، فبعدا للقوم الكافرين •

« نزول جبريل معلما ومبينا »

ثم نزل جبريل عليه السلام عند الزوال فصلى الظهر بالنبى ، وبين له وقته ، وهكذا بين له بقية الصلوات الخمس وأوقاتها ، ومن ثم صارت الصلاة فرضا موقوتا على المسلمين تشهد لمؤديها باخلاص وخشوع ، والمواظب على أدائها بالايمان والتقوى ، وصلاح الحال ، واستقامة السلوك •

أيها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها: هذه ليلة الاسراء والمعراج ليلة غراء مزهرة من ليالى الاسلام المعدودة سرى فيها النبى مسرى البدر فى الليل ، ونزل فيها منازل استحقت الشرف والخلود ، وتمثلت فيها حقائق وعاها القلب الكبير الواعى قلب النبى – صلى الله عليه وسلم – وتتابعت فيها آيات ومشاهد تملت منها عين النبى ، وثلج بها صدره ، وازداد يقينه بأن الله ناصره ، وناشر دينه ، وكانت نهاية المطاف أن فرضت فيها الصلوات ، فلله أنت يا ليلة الاسراء والمعراج •

ان الاسراء والمعراج ليذكرانا بالمسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى ومهاجر أنبياء الله ورسله ، ومنتهى مسرى النبى ومبدأ عروجه الى السماء فله فى تاريخ المسلمين والعرب ذكريات خالدات •

ويذكرانا أيضا بالأرض المباركة أرض فلسطين العزيزة الشهيدة ، فعلى أرضها درج العرب من آلاف السنين ، وفى ربوعها استقرت دعوة الاسلام مايقرب من أربعة عشر قرنا حتى صارت قطعة من الوطن الاسلامى والعربى فلتكن لنا فى هذه الذكرى اهاجة المشاعر ، واثارة الكامن فى النفوس، وحث العزائم على استرجاع هذا الوطن السليب الذى اغتصب بالغدر والخيانة ، وشرد بنوه وأهله فى الفيافى والقفار يفترشون الأرض ويلتحفون السماء •

اننا معشر المسلمين والعرب عندنا من القوى الروحية والمادية ماعندنا ، ونملك من وسائل القوة والغلب مانملك ، أفما آن الأوان للاقتصاص من الظلمة السفاكين ، واعادة اللاجئين المشردين ؟ نعم لقد آن الأوان ان شاء الله « وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار • « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »

مواقيت الصلاة

الأيام	رجب ١٣٨٥	اكتوبر ١٩٦٥	فجر ق	فجر س	شروق ق	شروق س	ظهر ق	ظهر س	عصر ق	عصر س	مغرب ق	مغرب س	عشاء ق	عشاء س
الإثنين	١	٢٥	٣٦	٤	٣	٦	٣٩	١١	٥٠	٢	١٥	٥	٣٣	٦
الثلاثاء	٢	٢٦	٣٧		٤		٣٩		٤٩		١٤		٣٢	
الأربعاء	٣	٢٧	٣٧		٥		٣٩		٤٩		١٣		٣١	
الخميس	٤	٢٨	٣٨		٦		٣٩		٤٨		١٢		٣٠	
الجمعة	٥	٢٩	٣٩		٦		٣٩		٤٧		١١		٢٩	
السبت	٦	٣٠	٣٩		٧		٣٩		٤٧		١٠		٢٨	
الأحد	٧	٣١	٤٠		٨		٣٩		٤٦		٩		٢٨	
الإثنين	٨	١ نوفمبر	٤٠		٩		٣٩		٤٥		٩		٢٨	
الثلاثاء	٩	٢	٤١		١٠		٣٩		٤٥		٨		٢٧	
الأربعاء	١٠	٣	٤٢		١٠		٣٩		٤٤		٧		٢٦	
الخميس	١١	٤	٤٢		١١		٣٩		٤٤		٦		٢٥	
الجمعة	١٢	٥	٤٣		١٢		٣٩		٤٣		٥		٢٤	
السبت	١٣	٦	٤٣		١٢		٣٩		٤٢		٥		٢٤	
الأحد	١٤	٧	٤٤		١٣		٣٩		٤٢		٤		٢٣	
الإثنين	١٥	٨	٤٥		١٤		٣٩		٤٢		٣		٢٣	
الثلاثاء	١٦	٩	٤٥		١٥		٣٩		٤١		٣		٢٣	
الأربعاء	١٧	١٠	٤٦		١٦		٣٩		٤١		٢		٢٢	
الخميس	١٨	١١	٤٧		١٧		٣٩		٤٠		١		٢٢	
الجمعة	١٩	١٢	٤٧		١٧		٣٩		٤٠		١		٢٢	
السبت	٢٠	١٣	٤٨		١٨		٣٩		٤٠		٠٠	٥	٢١	
الأحد	٢١	١٤	٤٩		١٩		٣٩		٣٩		٠٠	٥	٢١	
الإثنين	٢٢	١٥	٥٠		٢٠		٤٠		٣٩		٥٩	٤	٢٠	
الثلاثاء	٢٣	١٦	٥٠		٢١		٤٠		٣٨		٥٩		٢٠	
الأربعاء	٢٤	١٧	٥١		٢١		٤٠		٣٨		٥٨		١٩	
الخميس	٢٥	١٨	٥١		٢٢		٤٠		٣٨		٥٨		١٩	
الجمعة	٢٦	١٩	٥٢		٢٣		٤٠		٣٨		٥٧		١٨	
السبت	٢٧	٢٠	٥٣		٢٤		٤٠		٣٧		٥٧		١٨	
الأحد	٢٨	٢١	٥٤		٢٥		٤١		٣٧		٥٧		١٨	
الإثنين	٢٩	٢٢	٥٥		٢٦		٤١		٣٧		٥٧		١٨	
الثلاثاء	٣٠	٢٣	٥٦		٢٧		٤١		٣٧		٥٧		١٧	

الإجهاض

في نظر المشرّع

بقلم الدكتور حسن المرصفاوي

تناولت أقلام المفكرين والأطباء والساسة ورجال الدين موضوعا حيويا وهاما هو تحديد النسل ، ونظر كل منهم اليه من ناحية تخصصه ثم أدلى برأيه . فعنى به المفكرون من حيث كونه دراسة لظاهرة اجتماعية تستأهل البحث ، اذ فيما ينتهى اليه الرأى أكبر الأثر في تكوين الجماعة ، وبحثه الأطباء على هدى فرص النجاح في تنفيذه لو قدروا أخذ برأى من يقول بتحديد النسل بطريقة الاجهاض . وأما رجال الدين فقد وضعوه تحت مقياس التحريم والتحليل ودرسوا مختلف الفروض التى تعرض بشأنه . وأخيرا فان أهمية البحث بالنسبة الى الساسة جلية لما فى تأثير ازدياد أفراد الأمة أو نقصانهم على قوتها واقتصادياتها .

ولما كان للمسألة خطورتها فقد حق لرجال القانون بدورهم أن يجعلوها موضوعا لبحثهم . وأخطر ما يثور فى هذا الصدد هو اتخاذ الاجهاض وسيلة لتحديد النسل ، ذلك لأن القانون قد حرم فعل الاسقاط ، بل جعل منه جناية اذا توافرت شروط معينة نص عليها .

وجريمة الاجهاض قد تقع لأسباب تتعلق بالشرف كالتخلص من الحمل سفاحا أو من زنا أو لضرورة توجبه كما اذا كان الحمل خطرا على حياة الأم ، او أصيب الأب بمرض وراثى يؤثر على الجنين فيقتله . ولكن أهم أسباب الاجهاض ما كان مرجعه الظروف الاجتماعية والاقتصادية .

ولو رجعنا الى الاحصائيات القضائية لوجدنا أنها تخلو فى سنوات عديدة من ذكر جريمة الاجهاض . بيد أن هذا لا يعنى ندرة ارتكاب الجريمة أو انعدامها . بل انها فى الغالب تجرى فى الخفاء ، وليس من صالح أحد الابلاغ عنها . ومن ناحية أخرى فان جريمة الاجهاض لا تنكشف الا اذا أفضت الى وفاة الأم . وحينئذ تكون الجريمة البارزة هى الجرح المفضى الى الموت ، ومن ثم لا تظهر جريمة الاجهاض فى الاحصائيات .

ولما كان الهدف من جريمتى الاجهاض وقتل الأطفال من السفاح واحدا ، هو ألا تظهر ثمرة الحمل بين الاحياء ، بل قد لا يكون الالتجاء الى قتل الطفل الا بعد فشل وسائل الاسقاط .

ان أكثر ماينبغى العناية به هو تعريف المراد بالاسقاط أو الاجهاض على وجه محدد ، لأنه فى هذا النطاق يثور بحث قيام أو انعدام المسئولية الجنائية . والاجهاض هو اخراج الحمل من الرحم فى غير موعده الطبيعى عمدا وبلا ضرورة بأية وسيلة من الوسائل . ويعرفه رجال الطب الشرعى بأنه خروج متحصل الحمل فى أى وقت من مدة الحمل وقبل تكامل الأشهر الرحمية .

ولم يفرق القانون فى الاجهاض الجنائى بين خروج الطفل ميتا أو حيا ، وما اذا كان قابلا للحياة بعد ولادته أو يموت لعدم تكامل نموه .

وبالتعريف السابق يجب توافر عدة شروط حتى يعد القتل اجهاضا .

فيشترط انفصال الجنين عن الرحم وخروجه منه . ولذا ان اقتصر الأمر على مجرد محاولة انزال الجنين دون ان تتحقق هذه النتيجة عن الامر شروعا ينطوى او لا ينطوى تحت العقاب وفق النصوص القانونية ، ذلك ان من التشريعات ماينص صراحة على عدم العقاب على الشروع فى الاجهاض كالقانون المصرى ، ومنها ما يترك المسألة للقواعد العامة فى القانون . ومنها ماينص على عقابه .

والذى يتبادر الى الذهن فور سماع كلمة الاسقاط هو اخراج الجنين بغير حياة مما دعا البعض الى القول بأنه فى الحالة التى ينفصل فيها الجنين ويبقى حيا ، كما اذا كان الاجهاض بعد سبعة شهور من الحمل ؛ ينتفى وصف الجريمة عن الاجهاض ويعتبر الفعل شروعا فيه ، الامر الذى لا عقاب عليه فى القانون المصرى .

بيد ان هذا الراى يخلط بين الغاية التى يريد الفاعل تحقيقها وبين فعل الاسقاط فى ذاته . فبلا شك غاية المسقط هو ازالة كل أثر للحمل ، وحياة الجنين بعد انفصاله عن الرحم تنافى تلك الغاية ، ولكنها لاتنفى فعل الاسقاط وان هناك انفصالا بين الجنين والرحم فى غير الموعد الطبيعى وبغير ضرورة . وهذه الحالة تشابه من يرتكب جريمة سرقة مال يبغى من ذلك اطعام اطفاله فان قبض عليه بعد وقوع مثل

الاختلاس حقت عليه عقوبة جريمة السرقة وان لم تتحقق غايته باطعام صغاره ٠

فيتحقق الاسقاط مادام هناك انفصال للجنين عن الرحم ٠ ولا يؤثر فى هذا ان تثبت وفاة الجنين مثلا قبل الاسقاط ٠

ويتعين أن يتم انفصال الجنين فى غيرموعده الطبيعى لان اخراج الجنين فى الموعد الطبيعى يعد فى حقيقة الحال ولادة ٠

وقد تثور الصعوبة فى الحالة التى يخرج فيها الجنين حيا لنعرف ما اذا كان الفعل يعد اجهاضا او ولادة طبيعية ، ولا سيما اذا كان الحمل فى الشهر السابع ، وقد راينا فيما سلف ان انفصال الجنين حيا لا ينفى قيام جريمة الاجهاض ٠ وهذه الحالة يرجع فيها الى الوقائع ذاتها ، فهى التى تكشف عن قصد مرتكب الفعل وقت ان قارفه ٠

ويجب ان يكون فصل الجنين قد تم عن عمد ، اى هدف الفاعل بوسائله الى الاجهاض ٠ ولهذا لا ينطوى فى دائرة التجريم الاجهاض الطبيعى ؛ وهو الذى يحدث بغير تدخل ارادى من اى فرد ، وله اسباب متعددة ق ترجع الى الام كمرضها بامراض سرية او حمى اصابتها بصدمة عصبية ، كما قد يكون منشؤه امراضا عضوية فى الجنين ذاته لاصابته بمرض موروث كالزهرى ، او يكون سببه موت الجنين نفسه داخل الرحم ٠

ويتعين اخيرا أن لا يكون اسقاط الجنين قد قضت به الضرورة اعمالا للقواعد العامة فى قانون العقوبات ، ويسمى الاجهاض فى هده الحالة اجهاضا صناعيا ٠

وحتى تقوم تلك الضرورة ينبغى ان لا تكون هناك وسيلة لدفع الخطر الناشىء عنها الا بالاجهاض ٠ وابرز امثلتها قتل الجنين اذا كان فى بقائه خطورة على حياة الام نفسها ، الصورة التى يحدث فيها الجنين داخل الرحم قبل الولادة ٠ وهذه الصورة نجد لها سندا فى القاعدة الشرعية التى تقضى بان الضرر الاكبر يدفع بالضرر الاصغر ٠

واذا تم فصل الجنين عن الرحم قامت جريمةالاسقاط بصرف النظر عن الوسيلة التى قد يلجا اليها الفاعل ٠ وتزخر كتب الطب الشرعى ببيان وسائل الاجهاض الجنائى وهى تنحصر فى انواع ثلاثة : اولها وسائل العنف التى تقع على الجسم وثانيها استعمال العقاقير وآخرها استعمال العنف الموضعى الذى يقع على اعضاء التناسل ٠٠ ومن امثلة النوع الاول - وهو يقع عادة فى الايام الاولى من الحمل ٠

الرياضة البدنية العنيفة والصعود والنزول على سلم بكثرة وارتداء احزمة ضاغطة والسقوط والوثب من اعلى واستعمال حمامات ساخنة جدا ، وتؤدى جميعا الى اجهاض المراة ذات الحساسية الشديدة ٠ واما الطريقة الثانية فنادر ما تؤدى الى الاسقاط الا فى حالة الحساسية الشديدة ٠ كالصورة السابقة ٠ والعنف الموضعى يتمثل فى ثقب الاغشية الجنينية ٠ فتحصل انقباضات رحمية تسفر عن الاجهاض ٠

ولكن متى تعتبر المراة حاملا اى كيف يتحدد وقت الحمل الذى يعد الفعل من بعده اسقاطا ؟

لقد تكفل الطب باثبات الادوار التى يمر بها الجنين؛ ففى الشهر الاول للحمل لا يزيد وزن الجنين على جرام واحد بوجه التقريب وليس به ما يميزه ، وحوالى اوائل الشهر الثانى تبدا نواة التعظم فى بعض اجزاء الجسم فى الظهور ، واعتبارا من الشهر الثالث تاخذ باقى اجزاء الجسم فى التخلق تدريجيا حتى الشهر التاسع اى موعد الولادة ٠

وذكر القرآن الكريم الاطوار التى يمر بها الجنين فى قوله تعالى « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ٠ ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ٠ فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين » ٠

ويتضح باجلى بيان ان فى قوله تعالى « خلقنا المضغة عظاما » ذكر للجنين حينما تبدأ فيه نواة التعظم ، وهذه يبدأ ظهورها فى الشهر الثانى ، بل قد تتقدم عن هذا مدة عشرة أيام الى خمسة عشر يوما ٠

واذن فاطوار الجنين السابقة على وجود العظم اى النطفة والعلقة والمضغة كلها توجد فى الشهر الاول وقبل نهايته احيانا ، الامر الذى نخلص منه الى انه بمجرد التلقيح يبدأ الحمل فعلا وتعد المراة حاملا ويكون كل اخراج لحملها مكونا لفعل الاسقاط ٠

ولا شك فى ان تقدم العلوم الطبية مكن من الكشف عما اذا كانت المراة حاملا من عدمه ، سواء أكان الحمل فى ايامه الاولى ام فى الاشهر الاخيرة ، لا سيما فى الصورة التى يؤدى فيها الاجهاض الى الوفاة ، فتشريح الجثة وتحليل المتحصلات يقطع بوجود الحمل من عدمه ٠ على انه لا يجوز القطع بان الشىء المعروض للبحث هو متحصل حمل الا اذا وجد به بعض أجزاء من بعضه كاجزاء من جنين أو مشيمة أو اغشية جنينية ، ويجب على الطبيب الكشاف ان يكون ملما بهيئة الاغشية الرحمية الكاذبة التى يخرجها الرحم فى حالات عسر الطمث ؛ حتى يميزها جيدا عن الاغشية الجنينية ٠

واتماما لهذا البحث يثور التساؤل عن المقصود بلفظ امراة ، وهى التى وردت فى نص المادتين ٢٦٠ و ٢٦١ من قانون العقوبات ٠

فاول ما يتبادر الى الذهن فور سماع لفظ امراة هو السيدة اى الانثى الثيب ولا يرد بالخاطر الفتاة العذراء ٠٠ فهل يقتصر المراد باللفظ على الاولى فلا تنطوى تحته العذراء أم انه يشمل الاثنين معا ؟

واهمية البحث تبدو فى أن الأخذ باحد النظرين تختلف نتيجته عما اذا اخذ بالراى الآخر ٠ فمن المسلم به من الناحية الطبية امكان حمل الفتاة العذراء مع بقاء وصف العذرية ، كما انه يمكن احداث الاسقاط فى الايام الاولى للحمل مع بقاء الفتاة عذراء ، فان قيل ان المراة هى السيدة لكانت الصورة السالفة بعيدة عن متناول القانون ٠

وفى راينا ان هذه المسالة لا يرجع فيها الى تفسير لغوى للفظ امراة ، ولا الى ما قد يفيده العرف من اللفظ ، وانما العبرة بالحكمة من تجريم فعل الاسقاط وهى فى نظرنا توجب اعمال النص بالنسبة للاسقاط الذى يحصل لاى انثى ، سواء قيل ان الحكمة هى المحافظة على حياة الام او على الجنين ؛ فان هذا او ذاك لا يؤثر فيه كون الحامل فتاة عذراء او امراة ثيب ٠

واخيرا تنبغى التفرقة بين جريمة الاجهاض على الوجه آنف البيان وجريمة قتل الاطفال ، فلو انهما قد يتحدان فى الباعث عليهما احيانا ، الا ان الاخيرة منهما لا تتاتى الا بعد ولادة الطفل وتنفسه نسيم الحياة وبعد ان كانت التشريعات القديمة تسوى بين الاجهاض وقتل الاطفال ، فان التشريعات الحديثة تجعل الاولى اخف وزنا من الثانية ، ذلك لان هناك فرقا بين حياة الجنين التى لم تتحقق بعد ، وحياة الطفل وقد صارت حقيقة واقعة ٠ فضلا عن الضرر الذى يلحق المجتمع فى الصورة الاولى اقل منه فى الصورة الثانية ٠

كتاب جديد حول :

الاشتراكية والإسلام

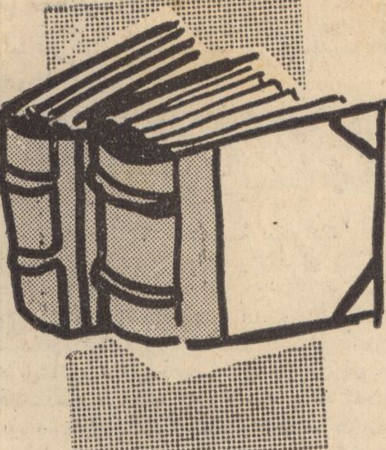

الدكتور جمال الدين الرمادي

من أطرف الكتب التى ظهرت حديثا كتاب الاشتراكية والاسلام بقلم العقيد محمدى السعيد عضو مجلس الثورة الجزائرى الجديد .

وهو على صغر حجمه وقلة عدد صفحاته يتضمن آراء ناضجة وأفكارا ثمينة حول الاشتراكية والاسلام .

فهو يرى أن الله جل شانه لم يامر بتجويع البشر واشاعة المسغبة وهو لا يرضى من أصحاب السلطان ان يغتالوا حقوق الامم ويوزعوها على انفسهم وحواشيهم وتترك فئة صغيرة تستغلها كما أن الاسلام يعمل على سيادة التامين الاجتماعى فهو تارة يعتبر الامة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وتارة يجعل الامة كالجسد الواحد فى شيوع الاحساس والشعور بالألم .

كما جاء الاسلام بتعاليم مالية خطيرة الأثر وهى فى جملتها تستهدف اقرار التامين الاجتماعى وبث الطمانينة فى قلوب الناس ولو طبقناها والتزمناها لسعد مجتمعنا وعزت أمتنا وما وجدنا بيننا فقيرا ولا محروما ولعل ابن عمر رضى الله عنه يصور ذلك بقوله : لقد أتى علينا زمان وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم .

ولما قامت الدولة الاسلامية كانت اول دولة اشتراكية فى العالم حيث سنحت الفرصة العملية لتحقيق تعاليم وقواعد الاسلام فكانت الاخوة المتكافلة فى السراء والضراء المتقاسمة للخير والشر المتساوية فى نيل الفرص أو الحرمان منها .

قد اراد النبى صلى الله عليه وسلم الغزو مرة فقال : يا معشر المهاجرين والأنصار ان من اخوانكم من ليس له مال ولا عشيرة فليضم أحدكم اليه الرجلين والثلاثة . كما قال من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام ثلاثة فليذهب برابع وخامس ..

وروى أن رجلا جاء النبى صلى الله عليه وسلم وقال له اكسنى يا رسول الله فاعرض عنه لعدم استطاعته فعاد الرجل يقول : اكسنى يا رسول الله فقال له : اما لك جار له فضل ثوبين قال : بلى غير واحد فقا ل له : افلا يجمع الله بينك وبينه فى الجنة . وفى حديث آخر : لن تؤمنوا حتى ترحموا قيل يارسول الله كلنا رحيم قال: انه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة عامة الناس » .

وقد دعا الله سبحانه وتعالى الى انفاق المال فى وجوه الخير والبر ونهى عن حجبه وكنزه فقال جل ثناؤه فى كتابه العزيز « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير » .

كما قال سبحانه وتعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » .

وهذا بطبعه القاعدة الاشتراكية الحديثة أعطاء كل قدر حاجته وتكليف كل قدر طاقته .. وهو فى الاشتراكية العربية منع الاستغلال والاحتكار ونشر العدالة الاجتماعية وازالة الطبقية وسلطان راس المال وتذويب الفوارق بين الطبقات وبناء مجتمع سليم قائم على الكفاية والعدل وتحالف قوى الشعب العاملة لأن الثورة الاشتراكية هى ثورة الشعب ويجب ان نعمل من أجل الشعب ومن أجل تحالف قوى الشعب العاملة لا من أجل الاقطاع ولا من أجل رأس المال وخدمة أصحاب رؤوس الأموال الذين زخرت خزائنهم وانتفخت جيوبهم وغرقوا فى تحقيق مصالحهم وقضاء مآربهم الخاصة .

وقد أشار السيد محمدى السعيد الى دعوة الاسلام الصريحة الى منع الاحتكار بجميع صوره وشتى اشكاله وقد جاءت الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة بهذا المعنى فقال صلى الله عليه وسلم .. بئس العبد المحتكر ان أرخص الله الأسعار حزن وان غلاها فرح .. وقال أيضا : « لا يحتكره الا خاطىء » وقال « من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله والله برىء منه »

ويعلق السيد محمدى السعيد على هذه الاحاديث الشريفة تعليقا مفحما سديدا فيقول « واذا كانت غضبة

الاسلام من حبة تغتال فى ميزان او فى جوف مكيال فكم يكون غضبه وعقابه لحقوق شعوب بأسرها تغتال وخيرات افكار واسعة تحتكرها حفنة من رجال .

وقد اشار السيد محمدى السعيد الى الحديث الشريف الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم واستشهد به السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى احدى خطبه منذ سنوات حين قال : الناس شركاء فى ثلاث « الماء والكلا والنار »

ثم قال ان من حق كل انسان الاستفادة من هذه الموارد الطبيعية لحاجة الناس جميعا اليها ومعنى الشركة هنا التاميم .

والتاميم ضرورة للدولة وللمجتمع وفيه من المبادىء ان اصحاب الثروات القليلة واصحاب الحاجات اولى بالانتفاع بالمصالح المؤجرة من اصحاب الثروات الكبيرة وقد حمى النبى ارض النقيع لترعى فيها خيل المسلمين وحمى عمر ارض الربذة وجعلها مرعى عاما .

وقد كان لسمرة بن جندب نخلة فى حائط « بستان » رجل من الانصار فتاذى الانصارى واهله من دخول سمرة عليه فشكا الى النبى صلى الله عليه وسلم تاذيه من سمرة فامر الانصارى بقلع النخلة عندما رفض سمرة بيعه اياها او هبتها له او قلعها .

ويقول السيد محمدى السعيد معلقا على هذه القصة ان هذا انتزاع للملك جبرا عن صاحبه حين ادت ملكيته الى ضرر جاره فكيف اذن اذا ادت الى ضرر المجتمع .

وقد قاسم عمر ولاته نصف اموالهم وهم من كبار الصحابة كعمرو بن العاص وابن عباس وسعد بن ابى وقاص وهذا انتزاع للمال حين اقتضته المصلحة العامة.

وقد اقر الاسلام نظام الشركة واوجب ان يكون الشركاء امناء بما جاء فى الحديث القدسى حيث يقول تعالى : انا ثالث الشريكين مالم يخن احدهما صاحبه فاذا خانه خرجت من بينهما وجاء الشيطان » .

وبين الاسلام الجرائم الاقتصادية التى يحاربها فذكر فى عدادها الربا والاحتكار والاغتصاب ودعا الاسلام الى حرية القول التى يحرص عليها النظام الاشتراكى فلا سيد ولا مسود ولا طبقية بغيضة بين الطوائف والفئات .

وان هذه الحرية كانت قاعدة من قواعد الاسلام المتينة فكم من مرة كان ينهض الاعرابى من مسجد الرسول فيواجه الخليفة ويقول له : لو راينا فيك اعوجاجا لقومناك بهذا ويشير الى سيفه .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان .

والاسلام يدعو الى المساواة والواجبات موزعة على الأسرة الانسانية لايشذ عنها فرد قادر والمسجد يصطف فيه الخاصة والعامة دون شارة مميزة كما أن الحقوق العامة مكفولة على السواء لا فرق فى القصاص بين دم ودم ولا فى الحدود بين شخص وشخص ولا يفلت من القانون السائد اى انسان .

وهذه المساواة صرح بها الرسول صلوات الله عليه حيث قال عند الحكم على امراة من بنى مخزوم كانت قد سرقت : انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها .

كما قال النبى صلوات الله عليه فى حديث آخر لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى .

وهذا يتمشى مع قوله تعالى فى كتابه المطهر الكريم : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

ولما كانت الاشتراكية العربية اشتراكية علمية تقدر العلم حق قدره وترى ان العلم لابد ان يسعى لخدمة المجتمع والا استحال الى نوع من ممارسة السحر الذى يقوم به بعض الكيميائيين فى العصور الوسطى حين تستبد بهم المطامع ويضيع منهم العمر فى محاولة عقيمة لتحويل الحديد الى ذهب فالعلم لابد أن يقوم فى جميع المجالات بدوره كضوء كاشف امام حركة المجتمع وعلى طريق مستقبله فالعلم فى جميع المجالات هو بمثابة المصابيح الكاشفة نوجهها الى كل ماحولنا لننسج بالنور تصورنا لشكل المستقبل ثم لنخطوا بالنور وصولا اليه فبغير المصابيح الكاشفة للعلم فى جميع المجالات فان تصورنا للمستقبل وحركتنا اليه تصبح تحسسا اوتخبطا فى المجهول وفى الظلام .

وقد فهم المسلمون الاوائل هذه الروح وقدروها وعضوا عليها بالنواجذ فواصلوا الليل بالنهار لتحصيل العلم ودراسة المشكلات والتفانى فى حلولها ومن أثار السلف الصالح : علموا أولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم . كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « من أراد منكم الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الاخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم . وحث فى نفس الوقت على العمل فقال تعالى « وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » وقال جل ثناؤه « وان ليس للانسان الا ماسعى وأن سعيه سوف يرى » .

كما قال صلى الله عليه وسلم ان أشرف الكسب كسب الرجل من عمل يده وقال كذلك : لأن يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجته أفضل من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرين ، والطريف أن مؤلف هذا الكتاب «الاشتراكية والاسلام » اشار الى ناحية أخاذة فى الاشتراكية العربية وهى تحقيقها لرسالة الجمال والفن فى المجتمع الانسانى فذكر أن الاسلام يرشدنا الى التدبر والتأمل فيما خلق الله من جبال وسهول وأودية واشجار زين الله بها وجه المعمورة وحبب لنا الطبيعة لننظر اليها ونستريح بعد الكد والتعب وجعل فى السماء سراجا وهاجا لنسعى وراء العيش بالنهار ثم يخلف بالليل قمر ونجوم متلالئة لنرى ونطمئن ثم نرقد ونستجم فقال تعالى « انا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها » كما قال « وزينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ». ويعتقد السيد محمدى صدقا ان هاتين الآيتين الموجزتين تصفان لنا جمال الطبيعة فوق طاقة كل شاعر وكاتب رقيق العاطفة .

وقد احل لنا الطيبات كلها والتمتع بملاذ هذه الدار مادامت فى نطاق الحلال وقلة الاسراف فقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون » .

هذا طرف من الحديث العذب الذى كتبه السيد محمدى السعيد ، وانه لحديث عذب يتدفق كالماء الفرات فينقع الغلة ويروى الظمآن .

فلسطين في شعر المرأة

الأستاذة روحية القليني

كانت الشاعرة في الجاهلية تتغنى بمآثر أجدادها وتشيد بانتصاراتهم الرائعة في القتال وكرمهم في السلم وشجاعتهم في القول والعمل .

وتمتد الاجيال عبر الزمن الى أن تبرز شاعراتنا المعاصرات بكل نبضة قلب وصدق شعور فتشارك الرجل أحاسيسه الوطنية وتسهم معه في معركة الفكر والخيال والدفاع بالكلمة الملتهبة عن حق بلادها بل وطنها العربي الكبير .

ويقلق مضجعها التفكير في قضايانا العربية الكبيرة وتحتل فلسطين الحبيبة مكانة الصدارة من تفكيرها مثل الرجل تماما .

فشعورنا نحو فلسطين ليس فقط من اجل اخوة لنا شردوا ونهبت أراضيهم واحتل المغتصب ديارهم ولكنه من أجل قضية العرب جميعا من المحيط الى الخليج فاسرائيل ليس هدفها هو احتلال فلسطين فحسب ، وانما هو القضاء على أمل العرب جميعا .

وفلسطين يجب أن نحشد لها كل قوانا المادية والمعنوية والحماس الملتهب هو الذي يدفع الناس دفعا الى معركة النصر فللكلمة قوتها في دفع القوى الى ميدان القتال دفاعا عن كرامتنا وعزتنا وماضينا . والمرأة الرقيقة الحانية التي تتمثل فيها الامومة الساجية بأروع مثل لها لا تنسى أبدا أن الوطن وطنها والابناء هم ابناؤها والمستقبل الباسم سيكون لهم لذلك فهي تفيض احساسا عميقا وتترجم هذا الاحساس شعرا ونغما رائعا .

فالشاعرة المصرية جليلة رضا تتغنى بقصيدة طويلة في ديوانها الاجنحة البيضاء فتقول بعنوان (لن نرقب الفجر)

الا ايها اللاجئون الحيارى
ومن شردوا في خبايا الطرق
اصيخوا فان النجوم العذارى
تهدهد سرا حزينا قلق
اصيخوا الى الجبل المشرئب
يحدق فيكم وراء الافق
لزيتونكم لشذا البرتقال
الى المخمل الاخضر المؤتلق
اصيخوا فان الهواء السجين
يود من الاسر أن ينطلق

وفي كل ركن نداء حزين
من البلد الكوكبي الالق
فلسطين ترنو وراء الحدود
فلسطين في دمعها المختنق
تنادي تعالوا تعالوا اني
اكاد من الشوق ان احترق

الى ان تقول على لسان شعب مصر :

فلسطين يا أخت أمي ساتي وشعب العروبة ياتي معي
سامضي على عاصف من رياح فصبري وصبرك لم ينفع
واصرع غاصبك المستبد ولن أستبيح له مصرعي
فشمعته آذنت بانطفاء وصوت مناياه في مسمعي
ساحمل كل قوى بور سعيد وعزم الفدائي في اذرعي
واحضن في قبضتي السلاح وثاري وثارك في اضلعي
ولن ارقب الفجر حتى يضيء ففجري سيوقده مدفعي

وفي قصيدة اخرى رائعة تخاطب ابنها في القصيدة التي عنوانها :

« وصية ام لاجئة » منها :

كم مرة ولدي تركتك نائما
وخرجت أسرح في الطريق الخالي
الليل من حولي يلف وشاحه
والبرد يهزأ من رداني البالي
فتقول لي نفس الام الى متى ؟
أمشي وطيف البؤس في أذيالي
وتقول لي نفسي لأية غاية
احيا وما استحققت غير زوالي
فاشيح عن نفسي ظلام وجودها
ويشع عبر الافق ضوء هلال
ادنو اليه على اسى ايمد لي
درب الغد المفروش بالآمال
فاري جمال على طريق عروبتي
متطلعا للفجر في اجلال
واصيح يا بطلي ومنقذ أمتي
ان الفناء يدب في أوصالي
خذني الى ارض الحقيقة والمنى
اني سئمت توهمي وخيالي
(يافا) تناجيني وتبسط كفها
وربوعها تهفو الى استقبالي
هو ذا فتاي وقد غدا في حاضري
رجلي الوحيد وأسرتي وعيالي
اورثته ثاري وحقدي كله
وبثثت فيه عواصفي ورمالي
عش للفداء وللعروبة والعلا
واتبع مع الأحرار خطو جمال

فجليلة هنا صورت مأساتها في فلسطين ثم حملت ابنها أمانة الدفاع عنها فهي كجدتها الخنساء حين قالت لأبنائها الاربع حينما ذهبوا جميعا للقتال ارجعوا الى اما منتصرين أو محمولين على الاعناق .

ـ فالعربية هي هي من الجاهلية حتى اليوم لا ترضى الذل ولا تقبل الاهانة وهي اليوم بالذات لا تعيش مرتاحة البال لأن الخصم مغتصب بغير وجه حق ، خصم لئيم عنيد ولا بد من حشد القوى كلها للقضاء عليه .

وفدوى طوقان الشاعرة الأردنية المبدعة التي لاتعرف الابتسامة ثغرها منذ فقدت عزيزين فقدت أخاها الحبيب ابراهيم وفلسطين السليبة الحبيبة وطنها الغالي .

تقول في قصيدتها من ديوانها وحدي مع الأيام بعنوان بعد الكارثة :

يا وطني مالك يخنى عليك
روحك معنى الموت معنى العدم
امضك الجرح الذي خانه
أساته في المأزق المحتدم
جرحك ما أعمق أغواره
كم يتنزى تحت ناب الالم
ان الألى استصرختهم ضارعا
تحسبهم ذراك والمعتصم
ما بالهم قد حال من دونهم
ودون مأساتك حس اصم
قلبت فيهم طرف مستنجد
فعزك المدفع المقتحم
ستنجلي الغمرة يا موطني
ويمسح الفجر غواش الظلم
والأمل الطامي مهما ذوى
لسوف يروى بلهيب ودم
فالجوهر الكامن في أمتي
ما يأتلي يحمل معنى الضرم
هو الشباب الحر ذخر الحمى
اليقظ المستوفز المنتقم
غلوا جناحين وقالوا انطلق
وشارف الأفق وجز بالقمم
لكن للثار غدا هبة
جارفة الهول عصوفا عمم
لن يقعد الأحرار عن ثارهم
وفي دم الأحرار تغلي النقم

وفدوى تمتاز عن الشاعرات جميعا ببحورها بالمأساة وهي التي شهدت بنفسها التشريد والألم والظلم والاغتصاب .

نسمعها تقول أنها لا تحس بالعيد ولا بالحياة :

واليوم ماذا اليوم غير الذكريات ونارها
واليوم ماذا غير قصة بؤسكن وعارها
لا الدار دار لا ولا كالامس هذا العيد عيد
هل يعرف الأعياد او أفراحها روح طريد
عان تقبله الحياة على جحيم قفارها

وتعيش فدوى على الدموع والألم الى ان تعود فلسطين الحبيبة كما كانت وعندئذ تعود الابتسامة الحلوة تضيء وجهها الهادي الرزين .

والشاعرة العراقية دكتورة عاتكه الخزرجي تقول من قصيدة لها بعنوان عيد العرب :

أبناء يعرب أنتم
أشبال هاتيك الأسود
آباؤكم كانوا الملوك
وعهدهم عهد السعود
كم طاولوا عرش النجو
م وما توانوا عن صعود
وعنت لمجدهمو الكواكـ
ب ثم خرت من سجود
ابناء قومي قد أتى
أن تبعثوا بعد الرقود
ايليق بالاحرار ان يمسوا
أذل من العبيد
ويقسموا ويشردوا
بل يغصبوا ارض الجدود
ابناؤهم في الأرض تضر
ب بين عبد أو طريد
ابناء قوم ان لي
املا بنشئكم الجديد
كونوا مجنا دون

حوصكمو وكفا من حديد
وتجندوا لا عز
للأقوام الا بالجنود
فالمجد ما أن يبتنى
الا على كتف الشهيد
اليوم عيد يا بنى قومى
ولكن أى عيد
العيد أن توحدوا
أن ترغموا أنف اليهود
أن تنهضوا بعد العثار
وتنشطوا بعد الركود
أن تؤمنوا أن الحياة
لكل جبار عنيد
وترقبوا خلل الظلام
بشائر الفجر الوليد

فعاتكه هنا تخاطب أبناء قومها بروح الأم التى تحفزهم للعمل العمل الجدى فى سبيل الحياة الكريمة الشريفة وفى ظل راية عربية أصيلة ونلاحظ أن دور الشاعرة فى كل ما رأينا ودور الأم الدافعة الرائدة الموجهة فى وعى وفى فهم لقضايا بلادها .

ومن أجمل ما قالت أيضا فى قضية فلسطين :

فلسطين آه من دموعك انها
تؤجج فينا لوعة وغراما
شكواك فى قلب العراق رنينها
يدوى فيبرينا أسى وسقاما
فبغداد أضحت كالعروس نايمت
ولما تزل نشوى تذوب غراما
وعادت بها الأعراس وهم مآتم
وأفراحها أمست تضم سماما
وعاد ضجيج اللهو صمتا مروعا
تخال به الأقوام بتن نياما

الى أن تقول :

لقد جمعتنا يا فلسطين نكبة
كما تجمع الأحزان شمل سامى
فلسطين هيا ثورة عربية
تصير أبراج الطغاة ركاما
فلسطين شئنيها فحولك أمة
قد اعتزمت ألا تقول سلاما
فاما حياة تحت راية وحدة
واما تردينا الطحون زؤاما

فهل هناك ثورة عارمة كهذه الثورة التى تلهب بها الشاعرة النفوس وتدفع بها دفعا الى الدفاع عن الحق المغتصب .

وأقول متفائلة فى قصيدة لجمال عبد الناصر :

وغدا فى القدس لقيانا غدا
نلتقي بالسيف فى باس نغامر
لن أذوق النوم سهدا دون أن
أدفع الصهيون فى جوف المقابر
وتظل العرب جمعا راية
نسجها الود وألوان المفاخر
فى ربا نجد نغنى وحدة
والصدى الفريد يسرى فى الجزائر
يومها يهدأ قلب ثائر
ونغنى مثلما غرد طائر

وفى قصيدة أخرى أقول :

أقسمت بالقرآن هدى حياتنا
بالقانتين العابدين السجد
يدعون ربهمو بأن يحمى الحمى
من كل محتل لنا ومقيد
بمنازل الشهداء باعوا أنفسا
قدسيه من أجل اسمى مؤصد
بكفاحنا الدامى بوحدة أرضنا
بوثيقة الأحرار بالدم واليد
بالأمهات الدافعات الى الوغى
أبناءهن ونعم بذل المفتدى
سنحيل اسرائيل أشلاء فما
بعد الذى ذقناه صبر للغد
وعلى ربا القدس الحبيبة نلتقى
بجنودنا الأحرار حسب الموعد
سنزيل تلك الشوكة النكراء من
قلب الحمى بعزيمة المتوقد
عرب وتبقى أرضنا عربية
لا شبر فيها للخصوم الحسد
ونضم بين محيطنا وخليجنا
أرض العروبة بالهوى المتجدد
ولنا يحج الناس أسرابا كما
يسعى الحجيج بلهفة للمسجد
هذى مواثيقى وكفى فوقه
قلبى يضحى بالدماء ويفتدى

هذه هى الأنغام التى أحالتها المرأة نداء قويا وصرخة مدوية تنادى أبناءها أن يهبوا للدفاع عن أرضها الحبيبة عن عشها الذى كان ناعما سعيدا فأحاله المغتصب أطلالا ليبنى فوق أرضه قصور الغدر والاغتصاب ويسجل على صفحات التاريخ قصة خداعه ..

ولكننا عائدون الى البلد الحبيب ما دام فى القلوب نبض قوى بالأمل القريب وشعور يتدفق عزة وكرامة وما دامت هذه هى صورة المرأة العربية الواعية الدافعة الموجهة . وما دام فى الميدان قائد ملهم مؤمن يسير بشعب يحبه نحو المجد وتحقيق السلام .

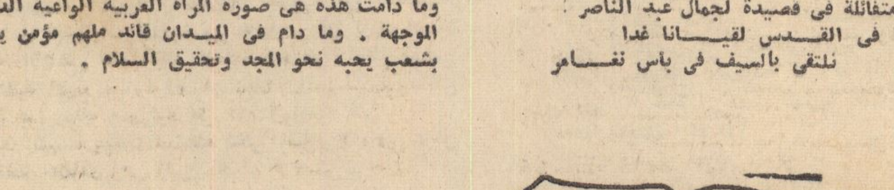

مجلس الدولة في الإسلام

الأستاذ معتمد محرم عبد الغني

مجلس الدولة

١ – مجلس الدولة او القضاء الاداري ، جهاز قضائي ورقابي في ذات الوقت ، فهو يتولى الفصل في تلك المنازعات الادارية والتي تكون الدولة « الادارة »خصما فيها ، وهو بجانب ذلك يراقب سير الادارة من الناحية القانونية ، فهو مستشارها الذي يسهر على تقديم الحلول القانونية كلما تشعبت المسالك او ضاقت الطرق .

وعلى هذا المقتضى يتجلى دور القضاء الاداري كجهاز عامل يساهم في افساح الطريق امام الادارة للوصول الى الغاية المرجوة من التقدم في شتى المجالات ، ويتجلى ايضا كونه عنوانا للحرية والديمقراطية ، اذ لا مجال لعمله الا في الدولة التي تخضع لحكم القانون والديمقراطية ، ولذا نرى نظامه مطبقا في معظم الدول سواء اكانت تفرد له نظاما مستقلا كفرنسا والجمهورية العربية المتحدة او تدمجه في القضاء العادي كالولايات المتحدة وبريطانيا ، وان كانت الدعوة تلح الآن في هذه البلاد الاخيرة نحو اقرار نظام مستقل للقضاء الاداري لما لوحظ من الفائدة الجليلة التي تتحقق من جراء ذلك ، ونزولا على حكم الواقع ، ففي بريطانيا مثلا انشئت هيئات مستقلة لنظر المسائل الادارية داخل القضاء العادي .

تاريخ مجلس الدولة

٢ – الواقع ان القضاء الاداري ليس دخيلا على البيئة العربية ، وانما هو نظام عربي اصيل عرفه العرب قبل الاسلام في صورة مبسطة ، ونماه الاسلام ، ووضع له تنظيما يفوق في دقته وسعته غيره من النظم . وسيتكشف ذلك على وجه اليقين ؛ اذا ما اعطينا البحث حقه في هذا الميدان دون الاكتفاء بالموجز من الاقوال ، واذا ما امتدت اقلامنا تعمل جاهدة لاحياء التراث الاسلامي الخالد ، حتى تؤدي بعض الواجب ازاء ابراز شخصيتنا الاسلامية وقوميتنا العربية التي بدات تحتل بل احتلت بالفعل مكانها في العالم الحديث .

لقد نبتت بذور القضاء الاداري لدى الفرس ، والعرب قبل الاسلام اذ انشا العباس وابو سفيان بالاتفاق مع بطون قريش مجلسا لرد المظالم بمكة ، وتم ذلك على اثر حادثة طريفة ، فقد ابتاع احد الاعراب متاعا من آخر فابخسه حقه ولما لم يجره احد ، اخذ يصيح قائلا :

ما بال قصي كيف هذا في الحرم
وحرمة البيت واخلاق الكرم
اظلم لايمنع من ظلم

ولقد حضر الرسول « صلى الله عليه وسلم » هذا الاتفاق قبل الرسالة

وما ان جاء الاسلام ؛ وهو دين ودولة ، واعلنت للعالم اول دولة عربية اسلامية ، دلة بالمعنى المعرف لنا حديثا في الفقه الدولي والدستوري ، حتى كان للقضاء الاداري نصيب ملحوظ في اجهزة تلك الدولة . وتفسير ذلك ان لكل دولة اجهزتها الادارية المتنوعة ، وفي هذه الاجهزة العاملون والمستخدمون ، وتحتك باصحاب الشان من الجمهور ومن هنا كان لابد ان تتولد الظلامات بين الافراد من جانب وبين الادارة من جانب آخر . ومن هذه الظلامات : التظلم من الضرائب ، نقص العطاء ، وقلة الماهيات ؛ والشكوى من تعسف ذوي النفوذ والجاه .. الخ .. فكما لايخفى انه لايوجد المعصوم من الخطا وكما يسري هذا على الافراد كبشر يسري على الاجهزة الادارية ايضا اذ ان القائمين عليها افراد .

وهذه الظلامات المشار اليها ، تعرف بالاصطلاح الحديث بالمنازعات الادارية ، ولما كان يلزم الا تترك تلك القضايا سدى ، فانه تعين ايجاد قاض لنظرها لانزال حكم الشريعة والقانون . فوجدت – تبعا لذلك – « ولاية المظالم » وهي تعادل في كل شيء القضاء الاداري في ايامنا تلك .

وهكذا يمكن القول دون حرج ان مجلس رد المظالم بدا يحبو في الجاهلية ، وترعرع في ظل الاسلام حتى صار نظاما اساسيا في الدولة

تشكيل مجلس المظالم

٣ – وقد كان المجلس لايباشر عمله الا بحضور فئات خمسة : –

ا) الحماة والاعوان ، لتوفير الهيبة اللازمة لحاكم المظالم ، اذ ان ولاية هذا الحاكم كما يقول الماوردي هي « ... قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة .. »

ب) القضاة والحكام للاستعانة بهم اذ ما اشكل الامر

ح) الفقهاء للرجوع الى اصل الشريعة حتى يكون الحكم محققا للعدالة المجردة

ء) الكتاب لتدوين محاضر الجلسات .

ه) الشهود « بالطبع اذا توافروا »

والواقع ان محكمة المظالم كانت تشكل من الحاكم كرئيس لها وبجانبه الفقهاء والقضاة كمستشارين ، وهو يضارع تشكيل المحاكم الحديثة .

اما غير هؤلاء فلا يدخلون بالطبع في التشكيل ، ولكن حضورهم لاغراض اخرى فالحماة لحماية امن الجلسة ، والكتاب لتسجيل القضايا والاحكام فيها ، اما الشهود ، ان توافروا ، فلخدمة العدالة ولتكوين الطمانينة في نفس القاضي حينما يحكم .

٤ ـ هذا وقد جلس النبى الامين للفصل فى المنازعات الادارية ومن بعده على بن ابى طالب ، وعبد الملك بن مروان .. وهكذا .. حتى خصص لها البعض دارا خاصة .. تقام فيها الدعاوى الادارية تعرف بديوان المظالم او دار العدل .

وكان يحصل فى بعض الاحيان ان ينيب الخليفة احد اعوانه لنظرها ، وقد يكون النائب الوالى او القاضى الذى ينظر القضايا العامة ؛ وفى هذه الحالة كان يتوقف الحكم على امضاء المنيب .

استقلال قاضى المظالم

٥ ـ ولقد لوحظ ان هذا النوع من الظلامات له طبيعة خاصة ، تستدعى افراد قضاء مستقل له ، ذلك أن احد الخصوم فى مركز قوى دائما فهو يحتمى بالادارة وقد يكون هو الوالى او الحاكم او امير المؤمنين نفسه ، ومن هنا تعين اسناد النظر فى هذه القضايا الى هيئة يتوافر لها الاستقلال ولو بقدر ، تتبع الخليفة رأسا حتى لايكون هناك غضاضة فى تنفيذ احكامها على الولاة والحكام .

فلا تدهش حينما نرى الخليفة بنفسه يتصدى لنظر المظالم ، لارساء الحقوق ، واعترافا منه باهمية هذا النوع من القضايا لاتصالها اتصالا وثيقا بحريات الافراد وضماناتهم ؛ ونظرا لما تحتاجه من استقلال يولد الطاقة التخصصية لمعالجتها معالجة تستهدف الموازنة بين مصلحة الجماعة وبين مصلحة الفرد وفاقا لمبادىء السياسة القضائية .

ولا يفهم من حضور القاضى العادى جلسات مجلس المظالم ، أو اتساع اختصاصات حاكم المظالم ، عدم استقلال القضاء الادارى ـ كما ذهب البعض ـ اذ ان حضور القاضى لم يكن الا للاستنارة برايه فقط ، وحتى فى الحالات التى كان يناب فيها كان حكمه لاينفذ الا بامضاء حاكم المظالم فى اغلب الاحيان ، وفقها سبق ورأينا ، مايؤكد ذلك ويعززه افراد دار مستقلة لنظر قضايا المظالم . فاستقلال القضاء الادارى مبدأ اساسى مسلم فى الشريعة الاسلامية نرى هذا من اشتراط الهيبة فى حاكم المظالم ، والهيبة لاتتوافر الا بالاستقلال التام عن اجهزة الادارة والقضاء الاخرى . وهذا مافطنت اليه كثير من الدول الحديثة منها الجمهورية العربية المتحدة وفرنسا

بل اننا لانغالى حينما نقول ان بعض الدول التى لاتاخذ بنظام القضاء الادارى المستقل تنظر بحنان الى تطبيقه ، اذ انها تعانى كثيرا من الصعوبات لكثرة تدخل السلطة القضائية فى اعمال السلطة التنفيذية وخير مثل لذلك حكومة الولايات المتحدة ، والتى تسمى « حكومة القضاة »

اختصاصات قاضى المظالم

٦ ـ واذا تساءلنا عن اختصاصات قاضى المظالم ؛ يتكشف لنا على الفور ، مدى التشابه بينهما وبين اختصاص مجلس الدولة الحديث ، بل ان اختصاصات قاضى المظالم كانت اوسع ، وهذا يتضح جليا مما ذكره العلامة الماوردى فى كتاب الاحكام السلطانية ، فقد اوضح لنا ان قاضى المظالم ينظر فى الآتى :

١ ـ تعدى الولاة على الافراد والجماعات

٢ ـ جور الجباة فيما يجبونه من اموال .

٣ ـ رد ما اغتصبه ولاة الجور وذووا البطش والنفوذ

٤ ـ تصفح احوال كتاب الدواوين والنظر فى الوقوف العامة وامضاؤها على شروط واقفيها .

« ويختص القاضى بنظر تلك الظلامات ولو لم ترفع دعوى من صاحب الشأن ، اذ يكفى فقط ان ينمو الى علمه وقائع المسألة »

٥ ـ تظلم المرتزقة من نقص ارزاقهم او تاخرها

٦ ـ النظر فى الوقوف الخاصة اذا تظلم اصحابها

٧ ـ تنفيذ احكام القضاة التى تعذر عليهم تنفيذها لعلو قدر المحكوم عليهم وعظم خطرهم .

٨ ـ النظر فيما يعجز عن نظره ولاة الحسبة فى المصالح العامة .

٩ ـ مراعاة استيفاء حقوق الله من العبادات الظاهرة كالجمع والاعياد والحج والجهاد .

١٠ ـ النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين . « وهذه المسائل يتعين تقديم طلب لنظرها » .

وموجز هذه الاختصاصات : انها تتعلق بالمنازعات الادارية التى تتعلق برجال السلطان ونوابهم والعاملين باجهزة الدولة على كافة المستويات . وبمقارنة هذه الاختصاصات باختصاص مجلس الدولة العربى الواردة فى المادة «٨» من القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٩ نجد التقارب شديدا . فقد نصت هذه المادة على ان مجلس الدولة يختص بنظر :

أولا : الطعون الخاصة بانتخابات الهيئات الاقليمية والبلدية .

ثانيا : المنازعات الخاصة بالمرتبات والمعاشات والمكافآت المستحقة للموظفين الحكوميين أو لورثتهم

ثالثا : الطلبات التى يقدمها ذوو الشأن بالطعن فى القرارات الادارية النهائية الصادرة بالتعيين فى الوظائف العامة أو الترقية او بمنح علاوات .

رابعا : الطلبات التى يقدمها الموظفون العموميون بالغاء القرارات النهائية للسلطات التاديبية

خامسا : الطلبات التى يقدمها الموظفون العموميون بالغاء القرارات الادارية الصادرة باحالتهم الى المعاش او الاستيداع او فصلهم عن غير الطريق التاديبى .

سادسا : الطلبات التى يقدمها الافراد او الهيئات بالغاء القرارات الادارية النهائية .

سابعا : الطعون فى القرارات النهائية الصادرة من الجهات الادارية فى منازعات الضرائب والرسوم .

ثانيا : احكام ديوان المحاسبات وقراراته القطعية

تاسعا : دعاوى الجنسية .. »

٧ ـ هذا هو مجلس الدولة فى الاسلام ، وقد عرفنا كيف نشأ ومن جلس له وتشكيله واستقلاله ؛ واختصاصاته وهو فى ذلك يقترب من النظم الحديثة ، بقى ان نسجل ان مجلس الدولة فى الاسلام ادى دوره على خير وجه ، واليه يرجع الفضل فى رد الحقوق لاصحابها التى اهدرها بعض الولاة او اصحاب السلطة ممن اخطاهم التوفيق ، وبطون امهات الكتب حافلة بامثلة عديدة من القضاء الاسلامى العادل ، اشهرها تلك الجلسات التى كان يعقدها عمر رضى الله عنه فى موسم الحج ، ويطلب فيها من شعبه ان يتقدموا بظلاماتهم ضد الولاة الذى يعينهم عليهم من قبله ، حتى يأخذ كل ذى حق حقه ..

٨ ـ والذى احب ان اشير اليه اخيرا ، ان هذا النظام لاتكفى لتجليته هذه العجالة الموجزة او ما شابهها من الابحاث ؛ وانما الامر يحتاج الى تعمق شديد ، وافراد دراسة مستقلة له ، ككل نظم تراثنا العربى الاسلامى

وهذا واجب حتمى علينا مادب النفس فى القلم .. فهل صح العزم وانعقدت النية .

الإسراء والمعراج

فضيلة الشيخ أبو بكر محمد ذكري

لخشية الاطالة نرى ألا نتعرض للابحاث اللغوية والاصطلاحية حول كلمتي الاسراء والمعراج . ونكتفي بأن نعرف الاسراء بما تعورف بين المسلمين بأنه انتقال النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى .. أما المعراج فهو الانتقال من المسجد الاقصى في بيت المقدس الى السموات وسدرة المنتهى كما ورد في قصته المعروفة .

والاسراء ليس محل خلاف لوروده بنص القرآن في أول سورة الاسراء .. أما المعراج فلم يرد فيه نص قرآني صريح ، وانما جاءت فيه أحاديث مختلفة تحوجنا الى الاحتياط في الأخذ بها .

وفي كتاب « المعراج» لأبي القاسم القشيري من أعلام القرن الخامس الهجري : أن مدار الروايات الصحيحة في باب المعراج على أنس بن مالك الانصاري رضي الله عنه . وبذلك أخذ البخاري ومسلم وأصح كتب الحديث . وعلى ذلك أيضا اعتمد القاضي عياض رحمه الله في كتابه «الشفا » وهو من أوثق المصادر الاسلامية في سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومآثره وخواصه ومعجزاته .

وعن كتاب «الشفا » نقل لنا حديث الاسراء والمعراج مؤرخنا الثقة المرحوم الشيخ محمد الخضري مابين ص ٥٤ - ٥٨ من كتابه « نور اليقين في سيرة سيد المرسلين » . وتحدث في ذلك أسفار السيرة بما لايحصى من الآثار والأخبار .

وهانحن أولاء نقدم أصح ما ورد في ذلك كما ورد في « نور اليقين » للشيخ الخضري رحمه الله : « وقبل الهجرة أكرمه الله بالاسراء والمعراج . أما الاسراء فهو توجهه ليلا الى بيت المقدس بايلياء ورجوعه من ليلته .. وأما المعراج فهو صعوده الى العالم العلوي .

وقد قال جمهور أهل السنة أن ذلك كان بجسمه الشريف . وكانت عائشة - رضي الله عنها - تمنع رؤية رسول الله ربه وتقول : من قال ان محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله » .

والاسراء مذكور في القرآن قال تعالى في سورة الاسراء « **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير** » .

وأما المعراج فقد ورد في صحيح السنة وأصح أحاديثه ما رواه الشيخان « البخاري ومسلم » ونقله القاضي عياض في شفائه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أتيت بالبراق ، وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد

فصليت ركعتين ثم خرجت فأتاني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة • ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟

قال جبريل ، قال : ومن معك ؟ قال محمد • قيل : وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه .

ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير .. ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى بن مريم فرحبا بى ودعوا لى بخير • ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا واذا أنا بيوسف واذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فذكر مثله فاذا أنا بادريس فرحب بى ودعا لى بخير قال تعالى فى سورة مريم : (ورفعناه مكانا عليا) ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا أنا بموسى فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله واذا أنا بابراهيم وقد أسند ظهره الى البيت المعمور . واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه • ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فاذا أوراقها كآذان الفيلة واذا ثمارها كالقلال . فلما غشيها من أمر ربى ما غشيها لغيرت فما من أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها : فأوحى الله الى ما أوحى ففرض على وعلى أمتى خمسين صلاة فى كل يوم وليلة . فنزلت الى موسى فقال : ما فرض الله عليك وعلى أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجع الى ربك فسله التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك . فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت الى ربى وقلت له يارب خفف عن أمتى فحط عنى خمسا . فرجعت الى موسى فقلت : حط عنى خمسا . قال : ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال : فلم ازل ارجع بين ربى تعالى وبين موسى حتى قال سبحانه : يامحمد . انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة . ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشرا • ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئا • ومن هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة . قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف . فقلت له : قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه — ثم رجع عليه السلام من ليلته .

فلما أصبح غدا الى قريش فجاء اليه ابو جهل بن هشام فحدثه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بما جرى له فقال أبو جهل : يابنى كعب بن لؤى هلموا فأقبل عليه كفار قريش فأخبرهم الخبر فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا •

وارتد اناس ممن كان قد آمن به من ضعاف القلوب • وسعى رجال الى أبى بكر فقال ان كان قد قال ذلك فقد صدق . قالوا أتصدقه على ذلك ؟ قال : انى لأصدقه على أبعد من ذلك . فسمى من ذلك اليوم صديقا ثم قام الكفار يمتحنون رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فسألوه نعت بيت المقدس ، وفيهم رجال رأوه .. أما رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلم يكن رآه قبل ذلك فجلاه الله له فصار يصفه لهم بابا بابا وموضعا موضعا . فقالوا : أما الوصف فقد أصاب فأخبرنا عن عيرنا • وكانت لهم عير قادمة من الشام فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها . وقال : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق . فخرجوا يشتدون فى ذلك اليوم نحو الثنية . فقال قائل منهم : هذه والله الشمس قد أشرقت . فقال آخرون : وهذه العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد : ثم لم يزدهم ذلك الا كبرا وعنادا حتى قالوا : هذا سحر مبين .. وفى صبيحة ليلة الاسراء جاء جبريل وعلم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كيفية الصلاة فى أوقاتها ، على الصورة المعروفة لنا اليوم ، وكان صلى الله عليه وسلم يصلى ركعتين صباحا ومثلهما مساء كما كان يفعل ابراهيم عليه السلام . اهـ

واذ قد انتهينا من سرد الحديث على أصح الروايات ، فمن الخير أن نلخص بعض تعليقات على هامش كتاب (نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين) للمرحوم الشيخ الخضري رحمه الله :

١ – ان الاسراء والمعراج أمر عجيب بالنسبة للطبيعة البشرية بلا شك .

٢ – ان الاسراء بدأ من مكة الى بيت المقدس – والمعراج بدأ من بيت المقدس الى السموات السبع وسدرة المنتهى .

٣ – ان المقصود من المعراج لقاء الحبيب برب العالمين الذى أوحى اليه ما أوحى . واختير الابهام فى وصف الموحى به لتذهب النفس كل مذهب فى عظمته .

٤ – فرضت الصلوات الخمس ركعتين ركعتين فى كل منها فلما تمكن الايمان من قلوب المسلمين زيدت فى الحضر وبقيت فى السفر على مشروعيتها الأولى .

٥ – لما كان الخبر عجيبا بالنسبة لطبائع البشر ارتد اناس ممن لم يكن الايمان قد تمكن من قلوبهم . ولو انهم كانوا على ايمان كامل لما حدث منهم ما حدث .

٦ – حكم من ينكر الاسراء انه كافر بالاجماع لأنه انكر حكما ثابتا بالنص القطعى من القرآن الكريم . واما منكر المعراج فهو فاسق لأنه انكر حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم

٧ – ليس المراد من ذكرى حديث الاسراء والمعراج ، كلما مرت بنا ، مجرد العظة العابرة وامتاع الشعور الدينى بالاصغاء الى حديثها الوقتى يتلى على الاسماع ثم يصير نسيا منسيا ، كأن لم يكن قد تلى على مسامعنا . انما العبرة الحقيقة منها هى استلهام دروس بليغة فى التربية الروحية وتعويد النفس التعمق فى الايمان والثبات فى وجه أعداء الخير وأعداء الحق وأعداء العقيدة الاسلامية الأساسية وزعزعة قواعدها بما يتشدقون به من شبهات وأباطيل ومفتريات . لأن الاسراء والمعراج لم يكن فى الحقيقة سوى درس من التربية العليا للنبى – صلى الله عليه وسلم – حتى يصبح ايمانه ارسخ من الجبال لاتزلزله الحوادث مهما اشتدت ولا الخطوب مهما ادلهمت وأوهت عزائم الابطال .. وان مواقفه المجيدة فى تلك الليلة ما كان ليقدر عليها جن ولا انس ، ولا ملك الا أن يكون مسوقا اليها بتأهيل الهى خاص .

٨ – اختلف الناس فى وقت الاسراء والمعراج حتى قال بعضهم : انه كان قبل البعثة وهو قول ظاهر الفساد ، واكثر العلماء أنه كان قبل الهجرة بعام فى ليلة السابع والعشرين من رجب .

٩ – وخاضوا خلافا كبيرا فى مسألة الرؤية : هل رأى النبى ربه بعينى رأسه ؟ قال بذلك فريق . وانكر فريق منهم عائشة رضى الله عنها . وقال المثبتون : ان عائشة لم تمنع ذلك الا عن طريق العقل والاستنباط استنادا الى ظاهر الاية (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ..) وليس معها اى حديث صحيح تحتج به بينما ابن عباس يثبت الرؤية ويحتج لها بحديث صحيح . والقاعدة ان الاثبات مقدم على النفى .

والحاصل أن الخلاف فى ذلك على ثلاثة اقوال :

١ – أثبتها ابن عباس وطائفة

٢ – توقف فيها طائفة أى لم يثبتوا ولم يمنعوا لعدم الأدلة القطعية للمنع أو الاثبات

٣ – منعت ذلك عائشة ، كما وقع فى صحيح مسلم . وجاء مثله عن أبى هريرة رضى الله عنه وجماعة .. وهو المشهور عن ابن مسعود . واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين .

٤ – رد المثبتون على عائشة ومن ذهب مذهبها بأن معنى لا تدركه الابصار اى ادراك أحاطه وقد يرى الانسان القمر ولا يحيط بحقيقته . فليس يلزم من نفى الاحاطة نفى الرؤية .

٥ - رجح القرطبي رحمه الله التوقف في هذه المسألة اذ ليس لدى المثبتين ولا المانعين دليل قطعي ولما كانت هذه المسألة من المعتقدات وهي لا يكتفي فيها الا بالدليل القاطع وجب التوقف . ولو كانت من العمليات لكفي فيها الدليل الظنى .. انتهت التعليقات من هامش كتاب (نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين) للمرحوم الشيخ محمد الخضري .

ولنا مباحث أخرى فى بعض الايرادات ومحاولة الجواب عنها :

١ - قد يقال وما الداعى الى هذه المعجزة من اساسها مع انها أثارت من الشك والانكار أكثر مما أثارت من حماس التصديق والايمان .. وقد يجاب بان المراد منها اطلاع أعظم الرسل وخاتمهم على أسرار عالم العلويات وعجائبه ليكون ايمانه وعلمه عين اليقين والمشاهدة والاحاطة التى تشوبها شائبة ضعف ولا وهن فتكون ذخيرة للمواقف التى تذوب من هولها قلوب الأبطال فى الجهاد الطويل الذى سيتعرض له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليتعود منها المؤمنون دروسا من الايمان الذى لا تشوبه شائبة فى كل خبر يأتيهم من نبيهم عن ربهم جل وعلا

٢ - قد يقال : وما الحاجة الى البراق وهو من عالم الحيوان بينما نحن بازاء قدسيات عليا وتجردات روحانية كان الاوفق بها أن تستغنى عن عالم المادة بالكلية ؟ وقد يجاب بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان لايزال على مألف البشرية فكان أدعى لامنه وراحته ان يركب دابة بدل ان يطار به فى الهواء من غير وسائل معهودة لان فى ذلك قلقا وشدة لم تألفها البشرية . لانها من خواص الملكية .

٣ - قد يقال : وما الحاجة الى ان يربط البراق بحلقة فى المسجد الاقصى مع ان البراق لا حاجة به الى قائد ولا سائس ولا حارس لأنه مسوس بأمر الهى ؟ .. وقد يجاب بأن فى ذلك تعليما للناس أن يحتاطوا لا حيث لا تدعو الضرورة للاحتياط لان الاحتياط اسلم على كل حال . وربما كان ما لقيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - من البراق من راحة جعله يحرص عليه أشد الحرص ويخشى أن يفقده لان الشىء تكون النفس حريصة عليه بمقدار ما يظهر من نفاسته .

٤ - ما معنى ان يستفتح جبريل عند كل سماء ليفتحوا لهما ؟ مع ان ذلك يفيد ان السموات عبارة عن سقوف مادية . وهذا الرأى يعتبر فى نظر الوعى العلمى لزماننا هذا رأيا بدائيا لم يكن يناسب الا طفولة العقل الانسانى . والجواب أنه ربما كانت هناك سموات غير هذه التى كشفها العلم والتى ليست من فضاء تسبح فيها الكواكب صعوداً وهبوطا وتداخلا دون أن يعوق سيرها عائق .

أو أن تكون للأنبياء مواضع من الكون يعلمها الله ومعنى الاستفتاح الاستئذان عليها بدل التهجم الذى لا يليق بالآداب العليا . ويكون معنى فتح لهما : أذن لهما بالعبور .

٥ - قد يقال كيف يقدم للنبى فى بيت المقدس وبيد جبريل اناء من خمر مع انها أم الخبائث . وقد يجاب بأن الخمر اذ ذاك كانت لاتزال حلالا . لأن حرمتها لم تأت الا بعد الهجرة الى المدينة . وقد يجاب بأنه كان من خمر الجنة وهو سائغ للشاربين وسيكون من نعم الله على عباده الصالحين .

٦ - قد يقال : ما معنى أن تكون فى السماء شجرة سدر مع أن الشجر لا يكون الا فى الارض ؟ وقد يجاب بان مسألة الطبائع لاتستعصى على قدرة خالق الطبائع أو فى قدرته خلق قوانين كونية أخرى غير المألوف لنا . وقد يقال ان الله سبحانه أراد أن يوجد فى العالم العلوى جمالا لم يكن يتاح له الا بهذه السدرة العجيبة الدالة على أعلى مايتصور من القدرة وأبهى مايتصور من الحسن والبهاء أما انها لم كانت سدرة ولم تكن نخلة مثلا فان منهدس الكون الاعظم لا يحتاج الى توجيه مثل عقولنا التافهة .

٧ ـ قد يقال كيف يفرض الله على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وامته خمسين صلاة كل يو م وليلة مع علمه ان ذلك ينافى الطبيعة ولا يقدر عليه مخلوق هذا ينافى الرحمة التى هى من صفاته تعالى . وقد يجاب بأن ذلك لم يكن الا محاورة يظهر بها الله عطف محمد ورحمته بأمته وليكسبه بالدفاع عن أمته شرفا ويهبه فيما سعى أجرا .

٨ ـ ذهب الامام أبو القاسم القشيرى الى ان المعراج مذكور فى القرآن واستدل بقوله تعالى « ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى الخ » مع ان ذلك كان فى بدء نزول الوحى ولم يكن فى حادث المعراج كما فهم رحمه الله . اما الذى يمكن رده الى حادث المعراج فهو الآيات الكريمة : ولقد رآه نزلة أخرى .. عند سدرة المنتهى .. الى قوله تعالى : لقد رأى من آيات ربه الكبرى. ومع ذلك لم يذكر فيها المعراج صراحة فيكون اثباته عن طريق السنة لا من طريق النص القرآنى .

٩ ـ كما أثرت قصة المعراج فى التصوف الاسلامى واكسبته خصوبة لا حد لها حتى طمع بعض المتصوفة فى معارج روحية لا نهاية لمرماها ، كذلك أثرت فى أدب الغرب فى القرون الوسطى حتى نشأ عنها أدب غربى لم يكن لأهله به عهد من قبل . وقد أجمع النقاد بعد الكشوف الهامة أنها هى الأصل الوثيق لكوميديادانتى الالهية كماكانت الوحى لأبى العلاء المعرى بأن يعمل « رسالة الغفران » فقصة المعراج هى الملهمة للمؤلفين العربى والايطالى. بعد أن كان يظن أن كوميديا دانتى الالهية انما كانت استمدادا من رسالة الغفران . وان فى الغرب الآن لحركة أدبية عظيمة تحاول كشف مدى التأثير الذى أحدثته قصة المعراج فى أدب الشرق والغرب على السواء . فلنتخذها مفخرة من مفاخر الاسلام ولنعتبرها من اعظم الكنوز التى ظفر بها الادب الاسلامى وجميع التعاليم الاسلامية الروحية التى تكسف أضواءها مثالية أفلاطون وكل فلسفة ترجع الى هذا المنهل .

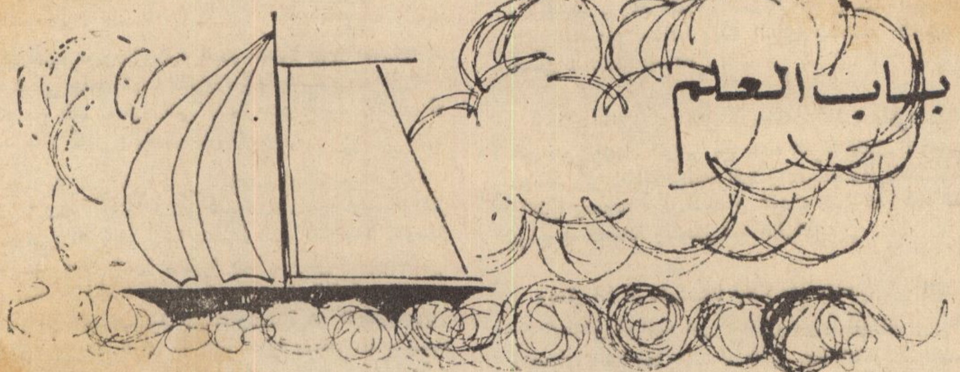

والسماء والطارق، وما أدراك ما الطارق، النجم الثاقب

سورة الطارق

الدكتور محمد جمال الدين الفندى

« والسماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق ، النجم الثاقب » ـ سورة الطارق

يتكرر ورود مثل هذه الآيات الكريمة التى تتحدث عن الكون وما فيه ، وتتعدد أساليبها من حين الى آخر فى القرآن دون غيره من سائر الكتب السماوية ، ذلك لتوجه الأنظار الى ضرورة البحث والتنقيب ، والدراسة العلمية المستفيضة التى يدعم بها الايمان ويثبت فى قلوب الناس، وتصبح آيات الخالق واضحة جلية فى كل ركن من أركان هذا الوجود المترامى الأطراف . ويعبر القرآن الكريم عن هذه المعانى كلها بأنه آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم .

وبينما نجد أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تضمنت سائر المجالات العلمية لقضايا عامة خاطب بها العقول المفكرة فكانت حصنا يلوذ اليه المؤمن ، اذا برسالة عيسى عليه السلام مثلا تكاد تقتصر على « ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .

وفى الآيات السابقة نجد أن القسم بالنجم كما هو ظاهر . والنجم من أجرام السماء العظمى التى تبنى منها السدم والمجرات . وقال السلف انه النجم الذى يخترق ضوؤه ظلماء الفضاء خلال الليل ، فيهتدى بموقعه أو بمجموعات النجوم (البروج) السائر فى البر أو فى البحر.

والنجوم كالشموس تضىء ذاتيا ، لأنها من الأجرام المستعرة التى تحكى القنابل الذرية العظمى التى يتحول فيها غاز الايدروجين بصفة مستمرة الى غاز الهليوم ، بينما تنطلق طاقات عظمى خلال هذا التحول .

وهذه الطاقات المنطلقة هى مصدر الحرارة والنور الذى ينبعث من كل نجم أو شمس . وليست العملية اذا عملية احتراق أو أكسدة كما قد يتصور البعض ، والا ما ظلت النجوم والشموس مستعرة هكذا خلال بلايين السنين .

ويتلألأ النجم فى الفضاء ، كما يبدو ثاقب الضوء أثناء الليل ، رغم بعده عنا بعدا يكاد لا يتصوره العقل . ولهذا تقاس ابعادها بما يسمى السنين الضوئية • والسنة الضوئية هى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة كاملة ، علما بان سرعة الضوء هى ٣٠٠ الف كيلو مترا فى الثانية الواحدة • وأقرب النجوم الينا هو مجموعة قنطورس التى تبعد عنا بنحو عدة سنين ضوئية • وهذا يفسر لنا قيمة المعانى التى يتضمنها قوله تعالى :

« فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » .

ويتكدس غاز الايدروجين الذى يمثل الوقود داخل النجوم ويتراكم فى كل نجم بفضل الجاذبية التى تعمل على

جمعه من الفضاء الكونى عبر مسافات كبرى من حول كل نجم تبلغ عشرات المرات أضعاف قطره . وينجم عن هذا التكدس ازدياد الضغط داخل النجم ، فترتفع درجة حرارته خصوصا قرب المركزحتى تصل عشرات الملايين من الدرجات المئوية ، وعند ذلك تبدأ سلسلة الاحتراق أو التفاعل الذرى ، فيتحول الايدروجين الى هليوم ، بينما تنطلق طاقات عظمى تنتشر من حول النجم عبر الفضاء فى صورة حرارة وضوء وأشعة فوق بنفسجية وأخرى كونية ..

وفى ضوء ما وصل اليه العلم حديثا تبين القارىء ان تعليقنا على هذه الآيات الكريمة انما يفتح أمامنا آفاقا أوسع من تلك المعانى التى تقتصر على مجرد الاضاءة أو تبديد ظلام الليل والفضاء على السواء .

ومهما يكن من شىء ليس الفضاء الكونى فراغا تاما بمعنى الكلمة ، وانما ينتشر فيه ضمن ما ينتشر غاز الايدروجين المعروف علميا باسم (الغاز الكونى) . وتبلغ كثافة هذا الغاز قدرا صغيرا جدا ، ولكن النجم نظرا لعظم حجمه ، عندما ينساب أو يجرى فى الفضاء يجمع من حوله بفعل الجاذبية كميات وفيرة من الايدروجين ، ومخلفا من ورائه فراغا أو نفقا خاليا وسط الفضاء الكونى . وهذا النفق هو أشبه شىء بالنفق الذى يحفره الناس فى القشرة الأرضية لتمر خلاله القاطرات مثلا . وفى هذا المعنى بالذات يقول فريق كبير من علماء الفلك ان النجم انما يثقب الفضاء الكونى ، ويسمون العملية باسم ظاهرة حفر « الانفاق الكونية » .

فهل من المستبعد اذا ما رحنا نعمم معانى النجم الثاقب ، أن نأخذ هذا التعليق فى الاعتبار ، ونقول ان النجم يثقب الفضاء الكونى ؟

ليس من شك أن من اعجاز القرآن العلمى أن اللفظ الواحد قد يقبل تفسيرات مختلفة كلها صائبة بطبيعة الحال ، وبذلك فهى تساير ركب العلم وتهضم كافة الحضارات . انظر مثلا الى قوله تعالى :

« وأرسلنا الرياح لواقح . فأنزلنا من السماء ماء .. »
لقد كان المعتقد أن تلقيح الرياح انما يقتصر على بعض النباتات ، ولكن العلم كشف حديثا أن الرياح تلقح كذلك السحب بما يسمى نوى التكاثف لتجود بالمطر . وقوام هذه النوى جسيمات صغيرة من الأملاح والأحماض والأكاسيد . وقد قلد الانسان الرياح فى هذا العصر فراح يلقح السحب صناعيا بهذه النوى ليستمطر السماء بما يسمى « بالمطر الصناعى » .

وجدير بالذكر ان مثل هذه الآيات كانت حافزا مساعدا على نبوغ العدد الوفير من علماء العرب خلال العصور الوسطى فى الفلك والجغرافيا والطبيعة والرياضيات والطب ونحوها ، كل ذلك فى الوقت الذى كان فيه الغرب يرزح فى الجهالة وتتحكم فيه الخرافات .

ويحق لنا أن ننوه هنا أيضا بأن يتجنب غير المتثبتين من الحقائق العلمية أمر التعليق على آيات الذكر الحكيم وتحميلها أكثر مما يجب . فمثل هذا العمل لا يجوز لاسباب عديدة أقلها الوقوع فى الخطأ العلمى الذى لامبرر له بحال من الأحوال .

ان رسالة المسلم اليوم انما تتضمن اظهار الجانب العلمى فى القرآن الكريم وتوصيله الى الغرب الذى يؤمن بلغة العلم وينقصه هذا النوع من البيان . وبطبيعة الحال لا يفهم من ذلك أن القرآن الكريم مرجع علمى بالمعنى المعروف ، يدرس فيه المتخصصون فى مختلف فروع العلم ما شاء لهم من نظريات وقوانين ومكتشفات ، فليس هذا هو الغرض من كتاب معجز جامع .

الحاقدون

للشاعر عبد الله شمس الدين

ماذا يريد الحاقدونا   باتوا بنا متربّصينا
هل شرعةُ الإسلام ما   زعموا . وهل هم مسلمونا ؟ !
الغدر فى دَمِهمْ . وهَلْ   بالغدر يمشى مصلحونا ؟ !
وعلى الكراهية انطوى   وجدانهم متمرّدينا
تخذوا النَّميمةَ شِرْعةً   والقتْل والتدميرَ دِينا

* * *

لمْ يُرْضِهِمْ أنا نسير   إلى الأَمام فخاصمونا
لمْ يُرْضِهِمْ أنا خرجنا   للمخاطر ثائرينا
أرواحُنا فوق الأَكُف   على الفِدا متعاهدينا

لِنَهُدَّ عَرْشًا فَاسِدًا ولنطرد المستعمرينا
وندُك إقطاعًا سرى كالموت يطوى الكادحينا
ولنصنع التاريخ أَمجـــادًا لنا فى العالمينا
بالشعب قام المصنَعُ الجبارُ يحمى العامليننا
والحقْلُ عاد مُحَرَّرًا حقا لأَيدى الزارعينا
والسّدُّ أَوْمَأَ بالرخا ء . وكان حلما أو ظنونا
وَشَى الصحارى خضرة وصخورها أمشت غصونا
والكهربا فى الكوخ قد رفعت لعزّته الجبينا

* * *

ماذا يريد الكاشحونا بالله ماذا يبتغونا ؟!
ولِأَجْلِ مَنْ زرعوا الدَّسَا ئِسَ فى البلاد مُضَلِّلِينا ؟!
قد حَرَّفُوا كَلِمَ الحقيقةِ عابثين وملحدينا
الأَزهر المعمورُ فى مصر يُحَيّى المؤمنينا
«وجمال» قلبٌ مُؤمِنٌ ومشاعِرٌ صدقت يقينا
لم يخش لومة لائم فى الحق .. لم يخشَ المنونا
كالشمس فى وضَح النهار فما لكم لا تبصرونا ؟!
بالامس عنكم قد عفا ما بالكم لا تخجلونا ؟؟
لكنَّهُ الحِقْدُ الدفينُ أَضلَّكُمْ دنيا ودينا

مختارات من شعر
ابن عربي
في التصوف

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

من اليسير على القارىء الكريم أن يدرك أننى – فى تفسير ما اختاره وأعرضه فى هذه المجلة الكريمة من شعر ابن عربى – انما أقصد أولا الى أوضح ما قاله ابن عربى وأوصله بالشريعة وأبعده عن شطحات المجاز الذى أوقع بعض المتصوفة فى الزلل وأوقع قراءهم فى الشبه وأحوجهم الى الخروج عما توهموه بالتاويل . والثانى اننى أحاول محاولة مضنية فى أن أيسر للافهام وأقرب اليها ما صعب من الكلام وبعد عن المجاز وغمض من الاشارات ، بحيث أهمل كثيرا من مصطلاحات الصوفية التى تغرق القارىء فى بحر لا ساحل له .

والقصد الثالث هو أن القراء لا يحرمون صنفا من الكلام قد استفاض وماجت به اللغة موجا ، ومن حق القراء أن يكون لهم منه متعة ومذاق حلو معسول وهو باب ماهول .

فائتة من الباء :

الحب الصحيح

قال ابن عربى مفرقا بين حبه الالهى والحب المعروف بين الناس :

ما لمجنون عامر فى هواه
غير شكوى البعاد والاغتراب
وأنا ضده فان حبيبى
فى فؤادى فلم أزل فى اقتراب
فحبيبى منى وفى – وعندى
فلماذا أقول ما لى وما بى

يقول ابن عربى ان حب مجنون بنى عامر لليلى كان حب أعراض زائلة وقد تعلق قلبه بصورة عرضية فلم يكن فى الحقيقة حبا وانما هو آلام وأوجاع تصيب البدن وتهزل الجسم ، ولكن حبى هو الحب الحقيقى فحيث ابتعد محبوب المجنون عنه ونأى قرب منى حبيبى قربا شديدا فأنا أحس وجوده فى قلبى وانسه بين أضلاعى بل هو أقرب الى من حبل الوريد .

وأن حبيبى ليس شيئا غريبا عنى كليل من المجنون وانما هو منى ذكر وفى فكر وعندى أنس ونور ، وأنا أبصره وأرى نوره ، ولذلك لا أشكو شكوى المجنون من احساسه باغتراب حبيبه وسوء نصيبه .

هذا ، ولو تركنا الشرح لعلماء الصوفية لقالوا لك انه ترق فى المحبة الى ما هو أعلى منها ، وهو علم بأن الصورة الحقيقية للمحبوب انما هى الصورة التى حصلت عنده منه ، ورسوم الجسم أمور عارضة ولو فارقتها الصورة لما كانت هذه الأعراض شيئا . أما الصورة الحقيقية فهى مجردة فى النفس تمتزج بها امتزاجا عشقيا فتلطف النفس بذلك وتستنير فتقبل الأنوار العلوية وتبصر الصور الروحانية . وهو كلام يطول وأمر يهول .

من قافية الراء :

وعود الخداع

وقال ابن عربى فى « ترجمان الاشواق » وهو أحد كتبه المشهورة :

حملن على اليعملات الخدورا
وأودعن فيها الدمى والبدورا
وواعدن قلبى أن يرجعوا
وهل تعد الخود الا غرورا
وحيت بعنابها للوداع
فأذرت دموعا تهيج السعيرا

فلمـــا تولت وقــد يممت
تريد الخـورنق ثم السديرا
دعــوت ثبـورا عـلى اثرهم
فردت وقالت : أتدعـوا ثبـورا
فلا تدعون بها واحــدا
ولكنما ادع ثبـورا كثيرا

يخيل لمن يقرأ هذا الكلام انه يقرأ غزلا رائقا ونسيبا فائقا ، فالشاعر يحزن لفراق أحبته وركوبهن فيسفرهن الابل الجادة فى الســير وهى المسماة باليعمـــلات ـ وواحدتها يعملة ـ ولا يثق الشاعر بوعد الاحبةبأنهن سيرجعن لأن الحسان لايعدن الا غرورا وكذبا ـ وكان حق ابن عربى أن يقول فى البيت الثانى أن يرجعن ولكنه تجاوز كعادته فى تجاوز قواعد اللغة .

ويصف الشاعر اشارة ليلاه له بأطراف أصـــابعها وتلويحها له بيدها عند الوداع ـ وهى عادة بشرية تكاد تنتظم الناس جميعا فى كل بلادهم وكل أزمانهم ـ وقد أذرت دموعه بهذه الاشارة المؤذنة بالابتعـــاد وهاجت الشوق فى قلبه سعيرا متأججا .

وحين ابتعدت واحتجبت فكأنما تعالت عنه كمن يريد أن يحتجب بالقصور العالية والحصون المنيعة . فحين حدث ذلك أيقنت بالخسران ونطقت به فكأنما قالت لى: انك لمقتصد متهاون فكيف تظن الخسار قليلا كما ظننت وهو خسار طويل وهم ثقيل . ولا يغب عن القــارىء اقتباس الشاعر من القرآن فى البيت الاخير .

وهذا كلام يشرح غزلا لشاعر غزل ، أما والقول تصوف فان ابن عربى يشير الى الهمم الانسانية والقوى المكلفة بالعمل وهى اليعملات ويشير الى الأعمال بالخــدور التى تحوى أسرار العلوم ومعارف التـــكليف وكل ذلك يحتاج الى كد وجهد .

أما الوعود والاخلاف والدموع والسعير فانهااشارات لأحـوال العارف التى يتنقل فيها حتى يستقر به المقام فيستعد العارف لمحاربة شهواته ولا يفتر عن مجاهدتها ويطلب دائما المزيد مادام العارف فى طريق الاكتساب .

والدعوة بالثبور والخسران انما هى على العالم الحسى المقيد عن ادراك العلوم الالهيـــة والاسرار العلوية ، أما الكشف فيريه وجه الحق فى كل ما يراه فلا يحس بألم الفراق ولا اغتراب النياق .

نهاية الحسن

وقال فى ذكرى مرور النبى صلى الله عليه وسلم ببصرى وهو صبى وتبشير بحيرى الراهب بنبوته :

طلعت بين أذرعـات وبصرى
بنت عشر ـ وأربع لى بدرا
قد تعالت على الزمان جلالا
وتسامت عليه فخرا وكبرا
كل بدر اذا تناهى كمــالا
جاءه نقصه ليكمل شهرا
غير هذى فمالها حــركات
فى بروج فما تشفع وترا
حقة أودعت عبيرا ونشرا
روضة أنبتت ربيعا وزهرا
انتهى الحسن فيك أقصى مداه
ما لوسع الامكان مثلك أخرى

يقول ابن عربى ان كل ليلة الرابع عشر من كل شهر عربى ينتهى عندها كمال القمر بدرا ثم يمضى الشــهر حتى تتم أيامه والبدر يتراجع وينقص ، وهـــكذا كل شىء ، غير الليلة التى ابتدأ عندها نور الرسول يظهر وكماله يبهر ، وذلك حين مر ببصرى فى سفره مع عمه أبى طالب للتجارة ورآه بحيرى الراهب فأخبر بنبـوته وقرب طلعته ، وتلك الليلة من الوتر لا يليها شـــفع بعدها اذ انتهى الحسن فيها وبلغ أقصى مداه . وقد قضى الله أن لا يكون مثلها لأن البدر الذى طلع فيهـــا كان أتم البدور وهو سيد الرسل وخاتم الأنبياء .

وهذا الكلام الذى نشرح به هذه الأبيات هو كـلام بين بين فلا هو مكتف بشرح ألفاظ الاشارة ولا هو ذاهب وراء المعانى المبهمة ولكنه يقرب من هذا وذاك ويقرب بينهما . وقـد شبه ابن عربى تلك الليلة بحقة الطيب لما فيها من علم وسر وشبهها بالروضـــــة ذات الأزهار والثمـــار لمـا ناسبهـا من ابتداء فيض العلوم وتفتح الأسرار .

علم الطريقة

وقال ابن عربى يوضح طريقة القوم وسبيلهم :

من ظن أن طريق أرباب العـلى
قــول فجهــل حائل وتعــذر
ان الســـبيل الى الاله عنــاية
منه بمن قـــد شــاءه وتعـزر
عـلم الطـريقة لا ينــال براحة
ومقـايس فاجهــد لعلك تظفر
عزت علوم القــوم عن ادراك من
لا يعتريه صـــبابة وتحـير
وتنفس ممــــا يجـــن وأنة
وجـوى يزيد وعبرة لاتفتر
وتذلل وتوله فى غيبـــة
وتلذذ بمشـــاهد لا تظهـر
وتقبض عنـد الشـــهود وغيرة
ان قام شـخص بالشريعـة يسخر
هــذا مقـام القــوم فى أحـوالهم
ليسـوا كمن قال « الشريعة مزجر»
ثم أدعى أن الحقيقـــة خالفت
ما الشرع جاء به ولكن تســـتر
تبـــا لهـا من قالة من جاحــد
ويل له يوم الجحيم تســـعر

يصف ابن عربى طريقة الصوفية وســـبيلهم التى يمضون فيها ويرتقون من مقام الى مقام ، وهو فى كلامه هنا يسميهم أرباب العلى وينفى أن تكون عدتهم قــولا بلا عمل ومظهرا بلا خشية . ومن قال ذلك عنهم فليس الا جهولا قد حال جهله بينه وبين الحق وتعذرت عليه المعرفة .

أما السبيل الحق الى الله فانما هو أولا بمشيئة الله وعنايته لمن يجتبيه وينصره ويعزره بهذا الاختيــــار والاجتباء ، ولعله الشرط الأول عند المتصوفة اذ لاهداية الا بارادته ولا وصول الا تحت عينه ورعايته .

وعلم الطريقة ـ كما يقول ابن عربى ـ لا ينال مـــع شرط الاجتباء الا بالاجتهاد ، ولا دليل على الرضـــا الا بالاقبال ، ولا على القبول الا بالعبادة ، ومن ارتاح لم يصل ، كما أنه لاقياس بين السالكين فقــد يقبل الله امرءا ويفيض عليه من علمه وهو فى بداية الطـريق . ومن حيث كان القبول غير موقوت والرضـــا غير مملوك

وجب ان يجد السالك ويخلص فى جده فلعله يكون من المجتبين ، واذا كلت مطايا الركوب والاسفار وجب ان لا تكل مطايا الأفكار ولا تخمد جوانح الأذكار .

وعلوم القوم عزيزة بعيدة المنال عمن لا يتصف بالشوق والوله والتوجع والأنين والبكاء مما تفعله محبة الله فى قلب المتذلل الخاشع الذى لا يفيق من غيبته فى الحضرة القدسية والتلذذ بحقائق الجمال المجرد فيها عن أعراض الأجسام وصفات الأبدان .

ومن علامات طريق القوم أنهم يرفضون من يفصل الحقيقة وأهلها على الشريعة وأهلها ، بل يرفضون من يفرق بينهما اذ لاحقيقة الا بشريعة ، بل هما شىء واحد لمن أدرك . ومن قال غير ذلك كان جاحدا مستحقا للويل وعذاب السعير .

وهذا الكلام من القول الفصل لابن عربى فيمن يفرقون بين الحقيقة والطريقة والمتصوفة والفقهاء ، وهو ابعد مما يقوله أتباع هؤلاء وهؤلاء من الفرقة والخلاف تمزيقا وتفريقا بين المؤمنين .

الشهب والرجوم

وقال فى الشهب تحرق الشياطين :

عجبت من رجم نار يحرق النارا
والله يظهره فى العين أنوارا
لابد منه له حفظا لشرعتنا
ولو تسرب انفاقا واغوارا
يشوه الوجه منه عند رؤيته
وثم يخطف أسماعا وأبصارا

يعجب ابن عربى – ويعجب الناس معه – من النار التى تنزل شهبا فتحرق الشياطين الذين خلقوا من النار . والعجب من الشىء يدمر نفسه ويمحوه ،ولكنها قدرة الخالق وحكمته فلا تثير غرابة ولا تبعث عجبا .

وكما تختلف الجواهر والأعراض والحقائق والمظاهر فان حقيقة الشهاب التى هى نار تظهر صورتها للعين نورا ، ولكنه سرعان ما ينطفىء حين تؤدى الحقيقة غرضها ويصيب الشهاب شيطانه .

وكما قال القرآن الحكيم « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا » وسواء أكان ذلك من أول الخليقة أو منذ نزل القرآن فانه قول حق وخبر صدق . وهذا أمر كائن لحفظ شريعتنا التى هى شريعة الوجود، ولن يغيب عن شهاب النار والنور مكان يختبىء فيه الشر والشيطان مهما اختفى عن عينه فى الانفاق والأغوار لانه يراه بنوره . فاذا كان النور لايرى فما مكان الابصار وهى لاترى الا به ؟

ومن قوة الشهاب ان يشوه وجه الشر والشيطان اذا رآه ويخطف سمعه وبصره فلا يثبت وجهه فى اتجاه ولا يهتدى سمعه ولا بصره لخير أو سداد .

طائف جهول

وقال ابن عربى فى طائف حول الكعبة رآه ابن عمر يطوف وهو معرض عن البيت :

يطوف بالبيت من يدين له
لكنه خارج عن البشر
كأنه فى طوافه جمل
يخبط لا يلتوى على الحجر
مثل حنين وقد رآه فتى
من أعلم الناس من بنى عمر
فقال هذا الذى أقول به
فى حق هذا الانيس فازدجر
لكننى قد وجدت معذرة
كان عليها فى سالف العمر
كان له مقطع يطوف به
ومن أتى عادة فلم يحر

كان ابن عمر رضى الله عنه يطوف فرأى رجلا يطوف مع الناس ولكنه لا يتخشع فى طوافه ولا يؤدى فروضه فقال ابن عمر : يطوف بالبيت من يدين له . وهكذا أخذها ابن عربى وشق منها هذه المقطعة التى بلغت غاية الطرافة .

ومن قبل رأى ابن المقفع وابن أبى العوجاء كل الطائفين حول البيت كأنهم خرجوا عن بشريتهم لخروجهم عن الخضوع والخشوع فعجبا من الناس وتندرا بهم حتى أتيا جعفر بن محمد فأخمد أنفاسهما بما حدثهما من علم فلما حدثهما وعرفاه قالا له : الله أعلم حيث يجعل رسالته ، تمجيدا لنسبه من رسول الله .

وابن عربى يرى هذا الطائف زائلا عن انسانيته لزواله عن خشوعه ، وكأنما هو جمل يخبط فى طريقه العشواء، ولا يعرف لطوافه بداية من نهاية لانه رآه لا يقف عند الحجر الاسود ولا يشير اليه ، وكأنه اصم اعمى عاص كجبل حنين .

هذا الطائف الجهول رآه ابن عمر فقال عنه ما يعيد قوله ابن عربى . وكان على ابن عربى ان يقول : فقلت هذا الذى قال به ، ولكن الشعر غلبه فجعل السابق لاحقا والمقتدى به مقتديا .

ومع ان ابن عربى يزجر الناس ان يتوهوا فى الطواف كما تاه الطائف الجاهل فانه التمس له معذرة لانه انما جاء يطوف حول الكعبة دون ان يخلع ربقة العادة التى كان عليها فى جاهليته من الطواف حول صنمه الذى كان يعبده فطاف كما كان يطوف وما زال واقفا عند الوسائط والأسباب .

وليس الأمر اذن فى صورة الطواف اذ هى متشابهة فى كل طواف ، ولكن فى اتجاه القلب وتبدل العلم وادراك الأمور من اولها الى منتهاها . وهو ماقاله ابن عمر ذاته اذ قال : يطوف بالبيت من يدين له . اى لا يحسب طواف لطائف الا اذا كان مسلما خاشعا مؤمنا، اما اذا طاف من غير خشوع ولا علم ولا ايمان فلا طواف ولو ظل حول البيت يطوف سنين .

وقد جاء الشرع باحترام ظواهر تشير الى معان شريفة وارواح لطيفة كاحترام الحجر الأسود لكونه يمين الله فى الأرض والكعبة لكونها بيته . وقد جرت الحكمة الالهية بارتباط الأنوار بالهياكل والأرواح بالأجسام والمعانى بالقوالب ارتباط لطيف بكثيف وعال بسافل ليدل الأدنى على الاقصى والظاهر على الباطن كما يستدل المحب بالدار على الساكن .

وليس التجلى لهذه الآفاق والظواهر وانما هو لما استكن فى الضمائر وأكناف الخواطر .

ندوة الشهر :

نحو مجتمع أفضل

ونحن فى طريقنا لمجتمع افضل ٠ ٠ نتبين دعائمه ونسير على معالمه التى من اهمها وابرزها :

الدين ٠٠

والتربية ٠٠

١ - يتحدث عن الدين الدكتور على عبد الواحد وافى الاستاذ بكلية الاداب سابقا

٢ - وتتحدث عن التربية الدكتورة فتحية سليمان عميدة كلية البنات

يقول الدكتور على عبد الواحد وافى :

الدين فى اصله واحد ٠٠ لا فرق بين يهودية او مسيحية او اسلام ٠٠ « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »

فالدين الذى أوصى الله به محمدا هوالدين الذى أوصى به ابراهيم وموسى وعيسى ٠٠ وانما الخلاف فى الشرائع « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ٠٠ فشريعة موسى ليست شريعة عيسى ٠٠ وشريعة محمد ليست شريعة عيسى او موسى ٠

واذا كان الدين فى اصله واحدا فما هو اذن هذا الاصل الذى نزل من السماء الى الارض على السنة الرسل ؟

الاصل هو الايمان بالله ٠٠ « الله الذى رفع السماء بغير عمد » ٠٠ « الله الذى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر » ٠٠ « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو » ٠٠ هذاهو الاصل الاول الذى ينبغى ان يقوم عليه المجتمع الافضل ٠

اما الاصل الثانى الذى يجب ان يقوم عليه هذا المجتمع هو الايمان باليوم الاخر وما اعد فيه للمحسنين من ثواب وللمذنبين من عقاب ٠٠ « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم » ٠

أما الاصل الثالث لبناء المجتمع الافضل فهو العمل الصالح ٠ ٠ العمل الصالح لبناء الوطن ٠٠ العمل الصالح لبناء النفس ٠٠ العمل الصالح لكل ماينفعنا فى دنيانا وفى ديننا ٠٠ العمل الصالح لكل شئ ٠

وتساءل ٠٠ هل هناك شئ فى القرآن الكريم يدل على تلك الاصول التى اوردها ؟

وأجاب على هذا السؤال بذكر الآية الكريمة « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون »

واستطرد يقول : « ان الذين يقولون أن الدين ليس من مقومات القومية العربية عليهم ان يرجعوا لكتاب الله تعالى ٠٠ وهل نطمع فى ان تقوم القومية العربية على غير الايمان بالله ٠٠ والايمان باليوم الآخر ٠٠ وان نعمل عملا صالحا ٠

ان الايمان والعمل الصالح يضمنان للانسان فى المجتمع حياة طيبة ٠٠ « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » ٠٠ فالايمان والعمل الصالح لابد منهما فى المجتمع الافضل ٠٠ والدين له فضل كبير فى تكوين هذا المجتمع ٠

هذه هى الامة العربية كانت قبل الاسلام قوافل متفرقة متنابذة ، فوحدها الاسلام وجمعها على كلمة واحدة ٠٠ « وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »

وحدها الاسلام توحيدا على اوسع نطاق جعل بعض الخلفاء يخاطب سحابة عابرة فيقول لها « امطرى حيث شئت ٠٠ فحيث تكونى سياتينى خراجك » ٠

يقولون : « لو ابطأ الاسلام قليلا لاكلت بنو تغلب الناس » ٠٠

اذن كان الامر قبل الاسلام فوضى يجور قويهم على ضعيفهم .. فجاء الاسلام فسوى بينهم ، وصفى قلوبهم وانتقل بالناس من حال الى حال .. وهكذا كان للدين الفضل الاول فى تكوين الامم والشعوب ، لانه كان يدعو للاخاء واحترام شخصية الفرد والمساواة .

مساواة فى الانسانية : فلا فرق بين اسود وابيض.. واحترام لحق الحياة .. « من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا » .

ومساواة فى القانون : فلا فرق بين واحد وآخر .. الكل امام القانون سواء .. وهذه قولة امير المؤمنين لابى موسى الاشعرى « آمن الناس فى مجلسك وفى قضائك . حتى لايطمع شريف فى حيفك .. ولا ييأس ضعيف من عدلك »

ومساواة فى التكاليف : تكليف مطلق .. كلف الله به النساء تماما كما كلف الرجال .

اذن فالمجتمع الافضل هو الذى يقدم على المساواة.. على الايمان بالله .. على الايمان باليوم الاخر .. على العمل الصالح .

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا ، وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون » .

وتحدثت الدكتورة فتحية سليمان عن دور النشء فى المجتمع الافضل :

- كانت التربية منذ نشأة الخليقة وسيلة للمجتمع الافضل .. والدارس للتربية على مر العصور يدله التاريخ ان ليس هناك نهضة اجتماعية الا وسبقها اصلاح فى نظم التربية والتعليم .

فهذه نهضة اليونان مثلا .. لقد قامت عقب تحسين فى النظم التربوية للدولة بين قوانينها المتعددة .

وهذا عصر النهضة الزاهر فى اوروبا كلها .. لقد جاء اثر نهضة حركات تربوية ، حركت الافكار ؛ كتلك الحركة التى قويت ابتداء من القرن العاشر .. وما تلك النهضة الحالية التى ظهرت واضحة الا وليدة للحركات التعليمية فى القرن الثامن عشر .. والتى استمرت حتى الان .

والتعليم كان دائما اداة اصلاح المجتمع .. ولم يفت الفلاسفة ذلك .. فافلاطون كتب كثيرا عن التربية والتعليم فى مؤلفه « الجمهورية » وهو مؤلف ضخم فى الاصلاح الاجتماعى .. يقول فيه ان اصلاح المجتمع لا يأتى الا على اساس تعليم تربوى سليم يضمن للمجتمع ان يكون كامل العدالة .

وفيه يقول ايضا ان التربوى المحكم ينهض بالمجتمع نهوضا مثاليا ..

« وجان جاك روسو » دفعته حالة البؤس والانهيار الخلقى فى المجتمع الفرنسى الى ان يفكر فى وسيلة لاصلاح الشعب وافراده .. فهداه تفكيره الى ان يعمل اول مايعمل على تربية النشء تربية سليمة .

واذا قلنا ان تربية النشء هى من وسائل المجتمع الافضل ؛ فانه يمكن القول ايضا انه لا وسيلة اقوى من ذلك فى تربية المجتمع .

ان السنوات التى تقضى فى دور العلم تشكل الشباب .. والشباب عماد المجتمع .

المجتمع كلما تماسك كلما كان مجتمعا افضل .. فوحدة المجتمع هى دلالة على سلامة تكوينه وابعاده عن عوامل التفكك .. ودور التربية هو ايجاد قيم موحدة تكفل ضم اجزائه وتوحيد كلمته ، فيصبح مجتمعا قويا آمنا من عوامل التفرقة .. ولطالما كانت سياسة « فرق تسد » التى انتهجها معنا العدو هى من اسباب تأخر مجتمعنا فى الماضى .

وكلما كانت الوسائل هادفة نحو البناء ، كلما كانت قوى المجتمع جبارة وهائلة وزادت مناعته ضد الانحرافات الاجتماعية .

ثم لخصت واجب القائمين على نظام التربية فى النقاط التالية :

○ تربية النشء تربية صحيحة سليمة ، لان العقل السليم فى الجسم السليم ، ولان صحة الابدان هى من دعائم تقوية المجتمع .

○ توحيد المبادىء والاهداف الاجتماعية بث روح الوعى القومى من الصغر حتى يتعرفوا على مجتمعهم الذى يعيشون فيه وعلى تقاليده وآماله وآلامه ، وما به من مشاكل ونهضة مستقبله .

● تكوين شخصياتهم تكوينا سليما فلا يعتمدون الا على أنفسهم

● تكوين عقولهم وطريقة تفكيرهم بحيث يشبون على التفكير السليم

● تكوين علاقات سليمة بينهم وعلى اساس البقاء لاكثر الناس قدرة على التعاون لا على القوة وحدها ؛ خصوصا وقد ثبت ان الانسان اجتماعى بطبعه

● دفع النشء لان يحيا مع العصر الذى يعيش فيه لا يتخلف عنه فيصبح مطمئنا على مستقبله

رجال من الماضي

الأستاذ حسين الطوخي

● انقشعت غيوم المتاعب من طريق « عبد الملك بن مروان » الخليفة الأموى الخامس ، وصفا له الجو فى جميع الأمصار، واجتمعت عليه الكلمة فى كافة أرجاء الامبراطورية الاسلامية ، بعد أن خلص من آخر مناوئيه ، وقتل « عبدالله بن الزبير » فى مكة عام ٧٣ للهجرة ..

ومن قبل مقتل « ابن الزبير » الذى استمرت خلافته بأرض الحجاز تسع سنوات ، أريقت دماء كثير من المسلمين خضبت بها أرض العراق فى حروب الشيعة والخوارج والقضاء على رجل الفتنة الكبير « المختار الثقفى »

كانت حروبا ضارية استنفدت الجهد الكبير والمال الوفير ، ولولا أن وقف « الحجاج بن يوسف الثقفى » الى جانب عبد الملك ، وبذله اقصى ما يملك من دهاء وسعة حيلة وشدة بلاء ، لما قدر لحكم بنى أمية أن يمتد ويطول الى ما يقرب من مائة عام ..

نعم .. كان « الحجاج » الذهن العربى المتوقد الذى يقف من وراء خطط القتال يرسم لقادته وعماله أسلوب الحفاظ على الاسلام ، ويوجههم الى مواقع الانتصار والقضاء على المتربصين بالدولة الاسلامية الفتية ، ولا يألو جهدا فى اعداد الجيوش من خيرة المحاربين ، وامدادهم بالعتاد وأدوات الحرب ، رغم تعدد الجبهات وبعد الشقة بينها وبين قواعد الامداد ..

وفى أرض الجزيرة والعراق ، كانت رحى الحرب دائرة على أشدها بين « عبدالله بن زياد » الذى ندبه الخليفة للقضاء على « زفر بن الحارث » و « سليمان بن صرد » كبير الشيعة ، و « المختار بن عبيد الثقفى » رجل الفتنة الكبير الذى قتل فى حربه مع مصعب بن الزبير .

وفى الحجاز ، يسير الحجاج بنفسه الى مكة ويضرب من حولها الحصار ليظفر بعبدالله بن الزبير ، ثم يصب عليها قذائف المجانيق بلا هوادة أو رحمة بأهلها ، وفى النهاية يستسلم ابن الزبير ويقتل ثم يصلب على أبواب المدينة المقدسة ..

وفى الهند ، يندب الحجاج القائد العربى الشاب « محمد بن القاسم » لرد عصيانها واعادة كلمة المسلمين عليها ، كما يندب « قتيبة بن مسلم » لحرب فارس التى ما انفكت تشق عصا الطاعة ، وتقتل عمال الخليفة، وتمتنع عن اداء الجزية لبيت مال المسلمين ..

كل هذه الحروب والمعارك فى أكثر من جبهة ، انما كانت امتحانا عسيرا للعرب ولدينهم ، وهو خير دين أنزل للناس ، ولم يكن ليصمد فى هذه المعارك ويجتاز هذاالمعبر الا أصلب الرجال عزما وأشدهم غيرة على الاسلام من أضراب عبد الملك بن مروان ووزيره الأول الحجاج بن يوسف الثقفى .

ومهما عيب على الحجاج انه اراد ان يسوس الناس بالعسف والجور ، الا أن القلب المنصف يلتمس للرجل أكثر من عذر لهذا المنهج الدموى الذى اختطه لسياسته ، فقد كانت الفترة عصيبة تموج بالمزالق والفتن والتشكيك فى صلابة المسلمين لصون دينهم الذى لم تنقض عليه حتى خلافة عبد الملك ، الا قرابة نصف قرن من الزمان ..

ولو قد نجح الطالبيون ، او انتصرت دعوة الشيعة ، أو كسبت الخوارج ، أو ترك أمر فارس والهند ، لو ظفرت أى جبهة معادية بموقع جديد ، لما كتب للأمويين وللمسلمين معهم أن تسود لهم كلمة ..

اخذ على الحجاج قسوته وبطشه وولوغه فى الدماء ، وما درى المؤاخذون أن هذه القسوة كانت كفيلة برد المتربصين على أعقابهم واخماد فتنتهم الى غير عودة ..

ولقد عرف « عبد الملك » كيف يفيد من قدرات « الحجاج » ويستعين بصلابته على مغالبة الشدائد ، ولم يلبث أن عزله عن امارتى مكة والمدينة ، ووكل اليه ضبط أمور العراق وفارس عام ٧٥ للهجرة ولقب يومئذ بأمير العراقين ..

ورضى الحجاج بذلك التكليف من خليفة المسلمين ، وطابت نفسه الطموحة بهذه الثقة على ما فى حملها من مشقات جديدة خلفتها ويلات الحرب الضروس التى زرعت فى كل بيت مناحة على شهيد ومأتما على فقيد .

ودخل الحجاج مدينة الكوفة فى اثنى عشر راكبا من رجاله على النجائب ، واتجه من فوره الى المسجد وصعد المنبروهو متلثم بعمامة خزحمراء ، واجتمع عليه الناس وهو ساكت لا تنبس شفتاه بحرف . وتعمد الحجاج ان يطيل من سكوته وأن يتفرس فى وجوه الناس الذين استبد بهم القلق والتوجس . وعلى غرة كشف اللثام عن وجهه الصارم وقال بيت الشعر المشهور :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفونى

وأخذ يمطر وعيده وتهديده فى اسماع الناس ويقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين، ثم غادر المسجد الى داره، بعد أن حمل الهواء كل ما نطق به لسانه الى البيوت والأسواق والى كل بقعة فى مدينة الكوفة ..

ومنذ اللحظة الأولى التى استقر فيها الحجاج بالكوفة، أخذ يضبط أمور العراق ويولى خلصاء عماله على إماراتها ويطارد فلول الفتنة فى الأطراف البعيدة، ولا ينام فى الليل أو يغفو فى النهار الا قليلا ..

على أن أعظم ما كان يؤرق نوم الحجاج ويقض مضجعه، هى تلك الفتنة التى ما أنفك أهل فارس يذكرون نارها ويقلبون جمرها بين الحين والحين، ليذكروا على بصيصها سالف دينهم وأمجاد الأكاسرة .

وبينما الحجاج يستروح بعض انسام الصيف الضنينة فى قاعة تطل على بستان داره، ومن حوله قادة رأيه ومستشاريه، وظلمة الغروب الرمادية تزحف حثيثة على الكون والكائنات، دخل الحاجب يعلن وقوف رجل بالباب يبغى لقاء أمير العراقين، وسأل الحجاج حاجبه فى غلظة: ومن الرجل، وأى ريح هوجاء ألقت به فى مثل هذه الساعة ؟

أجاب الحاجب على الفور : يقول انه من ذوى قربى الأمير واسمه حسان بن مسعود الثقفى .

غاب الحجاج سرحة طويلة وترك الحاجب واقفا يرقب همس شفتيه، وعاد بخياله القهقرى الى بنى ثقيف .. الى أهله وناسه وأقربائه ومدارج طفولته هناك فى بطاح مكة، ويسأل نفسه : أين هو منهم اليوم بعد أن ضربت بينهم السنون والأحداث وفرقت قريبهم عن بعيدهم، وطوحت بمصير الدانى والقاصى، وشغلت الكبير والصغير بما يجرى فى أرض الجزيرة العربية تارة، أو بما يدور فى أمصار تخضع اليوم لكلمة العرب والمسلمين، وقد كانت من قبل دولا وممالك يحلق حولها خيال العرب، ويتحدث بشأنها الرواة، وتنسج من تاريخها الملاحم والأساطير ..

وطالت سرحة الحجاج، ثم تنبه أحد جلسائه الى وقوف الضيف بباب الدار، فأفاق وأعاد السؤال عن اسم الواقف بالباب، وأجابه حاجبه.. انه حسان الثقفى ابن عمه، فعجب الحجاج فى نفسه من مجيئه اليه هنا فى الكوفة بأرض العراق، وهو الذى لم يبرح يوما مضاربه أو يرضى بعيشة الحضر بديلا عن الحياة فى الصحراء ..

وأومأ أمير العراقين الى حاجبه أن يدخل الرجل، ثم مضت لحظات ظلت الأبصار خلالها معلقة بباب القاعة الفسيحة، ولم يلبثوا أن سمعوا صوت القادم يسبق دخوله ويتساءل عن مكان الحجاج . وحينما لمح ضيفه يخب فى ردائه البدوى، قام اليه باسطا ذراعيه يستقبله ويعانقه فى حفاوة ويتخير له مجلسا الى جواره، ويأخذ فى سؤاله عن حاله وحال قومه وأخبارهم، ويعرج من طرف خفى متسائلا عن أى ريح طيبة حملته الى ترك البادية والقدوم اليه على بعد الشقة وطول المسير ..

وأجاب حسان ضاحكا : اننى حقا رجل من البادية وقد لا ارضى عن معيشتها عوضا أو بديلا، غير أننى علمت منذ حين أنك تملك هذا الحضر بعد أن تركت الامارة على مكة والمدينة، ثم حدثتنى النفس ذات ليلة أن أشد الرحال اليك لأقف بنفسى على ماوصلت اليه من علو القدر، ولأرى بعينى هاتين عظم مكانتك، ولأفخر بين قومى بما أنجبت ثقيف ..

وراق للحجاج حديث ابن عمه فقال : مرحى مرحى يا حسان ومرحبا بك فى دارنا، انما الملك يؤتيه الله من يشاء، ولقد أراد أمير المؤمنين « عبد الملك » حفظه الله أن أكون واحدا من خدام ملكه، فامتثلت لما أمر به ..

وأردف حسان : بخ يا حجاج .. يبدو أن القوم اصدقونى القول . ترى صحيح أنك غدوت تلقب بأمير العراقين يا حجاج ؟

أخذ الحجاج يضحك من سذاجة حسان ولحظ رفاقه انبساط أساريره من حديث ابن البادية ، ولقد أحب الحجاج أن يسترسل فيه ليريح ذهنه المكدود لولا خطورة ما كان يتناوله قبل حضور ضيفه ، فصفق لحاجبه وأمره أن يعمل على راحة ابن عمه بعد وعثاء السفر الطويل ، وعرض عليه أن يقوم الى داخل الدار ليصيب حظا من الراحة والطعام ..

لكن حسان شكر مضيفه أمير العراقين ، وأحب أن يبقى مع القوم ريثما يفرغون من شئون حديثهم ، ثم ينفرد بعد ذلك بصحبة ابن عمه الحجاج ..

واستأنف الحجاج مداولاته مع قادته فى شئون فارس يستعرضون أسماء من يبعث بهم الأمير الى الولايات العاصية ، ويتبادلون الرأى فى صلابة هذا ودهاء ذاك من أشداء الرجال ، ثم بقيت بعد ذلك ولاية « أصفهان » التى خذلت كل من تولى أمرها من قبل ..

وبهر حديث القوم حسان وشد انتباهه وفضوله، فهذا حديث غير حديث البادية والمضارب والابل والرعى والمطر . انه حديث عن مصائر الناس ، وعن ولاة يعتلون كراسى الحكم ويقبضون الرواتب ليعيشوا فى ناعم العيش ووافر النعمة .

ويحدث حسان نفسه .. انه ابن عم الحجاج أمير العراقين الذى يولى الحكام ويبسط لهم فى أسباب الحياة الرخية ، ترى ألا يحق له أن يتولى هو الآخر احدى امارات فارس مثل الآخرين ؟

وفجأة يقتحم حسان الحديث على الحجاج قائلا : أيها الأمير ، أراك تولى أقرانك وصحبك ، فلم لا توليني بعض هذا الحضر ؟

نظر الحجاج مستغربا الى ابن عمه ولم يلبث أن ابتسم فى وجهه وقال : هؤلاء يكتبون ويحسبون ، وأنت لا تكتب ولا تحسب ..

واستبد الغضب بحسان فقال محتدا : بلى انى والله لأحسب منهم حسبا ، وأكتب منهم يدا ..

وكأنما التقطها الحجاج سانحة يروح بها عن نفسه أثقال ما يصطخب فى عقله وقلبه ، واستعذب أن يشاكس ابن عمه مثلما كان يأتيه معه فى طفولته البعيدة ، فاصطنع الجد والوقار ولم يلبث أن قال : ان كنت كما تزعم يا حسان فبين لنا كيف تقسم ثلاثة دراهم بين أربعة رجال ؟

وهنا أخذ حسان يحملق فى وجه الحجاج تارة ، وفى وجوه رفقائه تارة أخرى وهو لا يفتأ يردد .. ثلاثة دراهم بين أربعة رجال .. ثلاثة دراهم بين أربعة رجال .. ثلاثة بين أربعة .. لكل واحد منهم درهم ويبقى رابعهم بلا شىء .. عجيب والله . كم الرجال يا حجاج ؟

وكاد الحجاج أن يفلت من وقاره وهو يلحظ حيرة رجل البادية وأحس بموجة ضحك عاتية توشك أن تعصف به فقال وهو يدارى فمه بيده : أربعة رجال وثلاثة دراهم يا حسان ..

سكت حسان برهة والقوم ينتظرون جوابه ثم قال : نعم أيها الأمير . قد وقفت على الحساب والحسبة . لكل واحد منهم درهم ، وأنا أعطى الرابع منهم درهما من عندى ..

ومد يده الى ثوبه وأخرج درهما قدمه الى الحجاج وهو يقول مغيظا : والله ما رأيت كاليوم زورا مثل حساب هؤلاء الحضريين ..

والى هنا لم يجد الحجاج بدا من اطلاق ضحكه المكتوم من عقاله ، واندفع يقهقه فى دوى جاوبت جدران القاعة أصداءه ، وأخذ صحبه يضحكون من ورائه حتى طفرت الدموع من عيونهم ، بينما حسان ينظر اليهم مشدوها فى أول الأمر ، ثم عصف به الغضب وأخذ يقترب من الحجاج ثم يقول : تراك تهزأ بابن عمك يا حجاج ، كأنك بذلك تهزأ من نفسك أيضا .. لعلنى أخطأت بالقدوم اليك هنا فى الحضر ، وتجشمت متاعب الرحيل ، وما كان أغنانى عن كل ذلك الهراء . غدا يا حجاج أفارق دارك وموقع سلطاتك واحدث أهلك بفظاظتك وسوء خلقك ..

وانتفض حسان واقفا والسخط يرعش بدنه وغادر القاعة ، فصفق الحجاج على حاجبه ليحول دون خروجه فى هذه الساعة من الليل .

ثم أن لمجلس الحجاج انينفض ، وغادر الرجال دار أمير العراقين على ميعاد جديد فى ضحى الغد ، لاختيار وال يصلح لامارة « أصفهان »

وخلى الحجاج الى نفسه قبل أن يبعث فى استدعاء حسان من داخل الدار ، وأخذ يسترجع ما دار فى القاعة قبل أن يفارقه مستشاروه ، وبرقت فى ذهنه فكرة أخذ يجيل فيها وجوه الرأى.. هذه الامارة العاصية«اصفهان» التى يتجمع فيها دهاقين الفرس وكبراؤهم وعمداء تجارهم وأثرياؤهم ، وكلما أتاهم وال اعجزوه ، ماذا لو رميتهم بحسان ابن عمى ببداوته وعنجهيته ، وعساه ينجح فيما لم ينجح فيه من سبقوه ؟ ويمضى الحجاج يحاور عقله ويداوره . لقد لمح فى عينى حسان ومضة ذكاء فطرى وحسن بديهة وحمقا ينفع أكثر مما يضر .

وصفق الحجاج لحاجبه وطلب اليه احضار عشاء له ولضيفه وأشار اليه أن يستدعى ابن عمه من داخل الدار . ودخل حسان وظل واقفا ، وقام اليه الحجاج وأخذ يقبل رأسه ويعانقه ، ثم أمسك بيده وأجلسه الى جواره ، وأخذ يضاحكه معاتبا ثم قال :

ـ ترى ماذا تقول يا حسان لو توليت امارة «اصفهان» من قبل ابن عمك الحجاج الثقفى أمير العراقين ، والخراج مكسور على أهلها منذ ثلاث سنوات ؟

قال حسان متئدا وفى غضب مستور : أراك عدت الى هذرك وسخفك يا حجاج . اننى مفادرك الى البادية فى صبيحة الغد ..

وجاء الطعام وفى خلال تناوله، أدرك حسان أن الحجاج جاد فى هذه المرة ، وسيجربه فى أمر لم يتح له من قبل ، وهو على يقين سلفا بان ذكاءه وحيلته سيكون لهما خير عون ونصير ..

وفى صبيحة الغد خرجت قافلة « حسان بن مسعود الثقفى » أمير اصفهان الجديد الى غايتها بعد أن زودها الحجاج بكاتب للخراج وأعوان للامير ، الى جانب كتيبة من أشداء الرجال راكبى الأفراس ، أمرهم الحجاج بأن يكونوا أطوع لحسان من طرف البنان .

وسارت القافلة أياما اخترقت خلالها ولاية بعد ولاية فى أرض فارس ، وكان حسان ينزل مكرما على أمير كل ولاية يصل اليها ، بعد أن يبرزكتاب الحجاج الذىوجهه اليهم ليهبوا الى نجدته اذا دعت الحال .

وأشار دليل القافلة لحسان على مشارف « أصفهان » قبل أن تدخلها القافلة ، وطوح حسان ببصره اليها ولم يكن قرص الشمس الأرجوانى قد غاب فى الظلمة بعد، فرأى قبابا عالية كأنها أذرع تمتد الى السماء ، انعكست عليها خيوط الشمس المذهبة فبدت متعة للعين والناظرين.

وكلما أوغلت القافلة فى سيرها الحثيث الى مدخل المدينة ، لاحت للعيان الأشجار الخضراء اليانعة تحيط

بقصور الأثرياء وتشير ورودها وأزهارها الى ما يحظى به القوم من عيشة ناعمة وحياة رخية .

قضى حسان أول ليلة له باصفهان فى دار الامارة ساهر الطرف يقلب وجوه الرأى فى هذا المأزق الذى أوقع نفسه فيه . هذه الولاية الفارسية وأهلها من غير العرب ، وقد أعجزوا من قبل كل وال عربى وفد اليها ، ترى ماذا يستطيع أن يفعله وهو لم يتمرس من قبل بمثل هـــذه الأمور .؟

وفى الصباح وفد على دار الامارة وجوه المدينة ورؤساء طوائفها يسلمون على الوالى الجديد ويقبلون يده ويبدون خضوعهم لكل ما يأمر به خليفة المسلمين وعماله من العرب الميامين ..

وتقدم « صفوان » عميد تجار البسط والطنـــافس والسجاجيد لتحية الوالى ، وليبسط تحت قدميه بساط الحكم من أفخر ما انتجته أيدى عمال اصفهان ، ويلتمس قبول هدية المدينة من الطنافس والرياش وأوانى الفضة والبللور التى تليق بمقام الوالى الجديد ..

واشتم حسان رائحة الرشوة فى حديث « صـــفوان » الذى نمقه مثلما ينمق بسطه وسجاجيده الفـــاخرة ، والرشوة من قبل ومن بعد ، سبيل معبد الى قلوب الحكام والولاة وحتى الملوك ، يصلون فى نهايته الى تحقيق بغيتهم حقا كانت أو باطلا !!

وانتفضت عروق الغضب فى جسد حسان وهو يشهد الرجل الفارسى ينشر أمام الملأ بساطا زاهيا فى لون العقيق زركشته زخارف ونقوش تأخذ بالألباب ، ويشـــير الى خدمه ليتقدموا الى حيث يجلس الوالى ويضعوا بين يديه ما حوته الصناديق من فاخر الأثاث والتحف ..

قال حسان فى صوت جهير يرتعد حدة وغضبا : احمل بساطك وتحفك أيها الفارسى فلا حاجة لنا بها . انا لم نعتد المشى على المخمل ، فبساطنا هناك فى بطاح مكة صنعه الله لنا من رمال صحرائنا الصفراء ، ولقد ولانى الحجاج عليكم لأخمد فتنتكم وأرد عصيانكم ، ولا يعجزنى أن أقومكم بالسيف اذا عدتم الى سالف عهدكم ، وهذى جيوشـــنا ترى العين أولها ولا ترى آخرها .. يا كاتب الخراج ..

وجاء كاتب الخراج ووقف الى جوار حسان يمسك بأوراقه فقال حسان يسأله : كم هو خراج اصـــفهان المكسور على أهلهـــا ؟ وأجاب كاتب الخـــراج : انه عشرة آلاف دينار فى كل عام ، وهو مكسور عليهم منذ ثلاثة أعوام ، فيكون المطلوب لبيت مال المسلمين ثلاثين الف دينار بالتمام والكمال .

وقال حسان للقوم المشدوهين : هذا هو مطلوبى يا أهل اصفهان . أتحبون أن أحصل عليه بحـــد السيف ، أو بالقبول الحسن منكم والرضاء ؟

وارتفعت همهمات القوم وما لبث « صفوان » أن اقترب من الوالى قائلا :

ــ أيها الأمير الموصول بالسعد قدومه ، نحب أن تسمع حجتنا ازاء تقصيرنا عن اداء الخراج طوال ثلاث سنوات ، واقض بعد ذلك ما انت قاض ..

ولانت عروق الغضب فى حسان وأخذ يتفرس فى وجـه صفوان ويكاد أن يخترق ضلوعه بنظراته الحادة ثم قال : نسمع اليك يا فارسى واياك والمراوغة . قال « صفوان » وهو يرفع كلتا يديه الى رأسه مبالغة فى توقير الأمير : أصلح الله أميرنا وجمله بواسع الحلم ، ان أهل أصـفهان نزلت بهم شدة أكلت حرثهم ونسلهم ولم تبق فيها دار الا واجدبت من خيرات الله بعد وفرتها ، ونلتمس من الأمير مهلة يسعها حلمه لأداء المكسور علينا من الخراج .

ولم يجب حسان على الفور ، ثم أسعفه ذكاؤه الفطرى أن يقول للفارسى الذى يتحدث بلسان أهلها عاجما عوده : قد قبلنا حجتك ياصفوان ونترك لك أن تحدد بنفسك مهلة يرتضيها أهل صفوان ، ويؤدون بعد انقضائها خراجهم المكسور .

وسرت همهمة سرور فى جموع النـــاس وقد حسبوا زعيمهم قادرا على كسر حدة الأمير ، ثم يفلتون بعد ذلك من وعدهم مثلما أفلتوا من قبل ..

قال « صفوان » للامير وهو يدعو له بطـــول العمر : نرضى بستة شهور أيها الأمير نؤدى بعدها مطلوبك كاملا غير منقوص ..

وهلل أهل اصفهان استحسانا لهذا الكسب ، وأخذوا يدعـــون للامير أن تنتشر ظلال عـــدله على مدى الأيام والأعوام .

ثم لاحت بسمة يسيرة على شفتى حسان قبل أن يقول: وستة شهور أخرى من قبل أمير المؤمنين « عبد الملك بن مروان » حفظه الله ورعاه .

وهنا تعالت أصوات الاستحسان والاكبار لمحامد أمير اصفهان والله وحده يعلم ما يضمرون ..

ولما أن هدأت موجات السرور وخفتت همهماتهم ، اخترق سمعهم صوت الأمير يقول : أما وقد هزكم الفرح بعـــد نوال ما أملتم فيه ، فانى أريد عشرة ضـــمان يتعهدون بالكتابة على صك يبقى تحت يدى ، بالوفاء بالوعد فى موعده .

وقال حسان لكاتب الخراج أن يجهز الصك ليوقع عليه عشرة من وجهاء المدينة بضمان اداء ثلاثين ألف دينار فى نهاية عام يبدأ من اليوم .

وتقدم الضمان العشرة يسبقهم « صفوان » عميد تجار البسط والطنافس ، ولما أن فرغ كل منهم بوضع اســمه على الصك ، أشار حســـان الى رجال شرطته فطوقوهم حتى لا يبرح واحد منهم مكانه ثم قال للقوم المشدوهين :

ــ قد رضينا ورضيتم بمهلة ضاعفناها لكم ، وسيبقى ضمانكم العشرة ضيوفا على خليفة المسلمين فى دمشـــق طوال سنة المهلة ثم نعيدهم الى اصفهان بعد انقضائها وأداء المكسور عليكم من الخراج ..

وأدخل الضمان العشرة قاعة الحبس فى دار الامارة ، وباتوا ليلتهم يضربون كفا بكف ، ويعجبون لهذا الوالى الوافد من البادية الذى غلبهم على أمرهم ..

وتطاير الهمس فى المدينة ، وأصبح مصير الضمان العشرة حديث القوم فى كل دار ومتجر ، فمن قائل أنهم سيرحلون غدا مع قافلة ذاهبة الى دمشق ، وقائل بأن أمير اصفهان سيقطع رءوسهم ليبعث بها الى الحجاج فى الكوفة .

ولم تنم اصفهان فى تلك الليلة . خرج الرجال والنساء يجمعون قطع الذهب من كل دار من كل ثرى وفقير ، ولم يطلع فجر اليوم الجديد حتى تجمـــع الناس أمام دار « صفوان » يحملون أكياس الذهب والفضة ..

واطل حسان من نافذة قاعته فرأى الجموع واقفة أمام داره يرتقبون فتح الباب لابلاغ الأمير أن الخراج المكـــسور عليهم سيؤدونه اليوم وليس بعد عام !

وأفرج أمير اصفهان عن ضيوفه العشرة ، واستقبلهم أهل المدينة كأن دهرا انقضى على فراقهم ، أو كأنما قد عادوا من سفر بعيد ..

وقبل أن يغيب قرص الشمس عن أصـــفهان فى ذلك اليوم ، كانت هناك قافلة تحث الخطى لمغادرة المدينـــة قاصدة الى الكوفة حيث ينتظرها هناك أمير العراقين .

باب
الرياضة
اعداد: ناصف سليم

الفروسية رياضة عربية يجب أن تنتشر !

تفوق العرب من قديم الزمن ببعض الرياضات . حتى أصبحت من معالمهم ، وبزوا فيها غيرهم . من هذه الرياضات ركوب الخيل ، الذى أصبح مظهرا من مظاهر الفتوة ، ساعدهم عليه ، ظروف معيشتهم فى الصحراء . وقد تحدثت كتب التاريخ عن مهارتهم فى هذا الفن، وجاء الاسلام فشجعهم، بل أوصاهم بالعناية بتربية الخيل ، وأرشدهم الى طرق السباق الصحيحة ، التى لا يشوبها حرام .

وقد ميز العرب الجيد من الخيل بعلامات لا يعرفها الا الخبيرون به ، وأقاموا حلقات السباق فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان الهدف من هذه السباقات التدريب على سرعة الكر والفر ، والترفيه عن النفس .

ومن الاحاديث الدالة على عناية العرب والمسلمين بالخيل وتربيته قوله صلى الله عليه وسلم :

« الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة ، واهلها معانون عليها ، المنفق عليها طالب بسط يده بالصدقة » .

وهذا الحديث ما هو الا حث على العناية بتربية الخيل ، يتبين منه ان القائم بهذا العمل مثاب عليه ، وذلك لان الخيل كان من عدة القتال ، ولا فرق فى العناية به وقت السلم أو وقت الحرب .

قال الله تعالى :

« وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم»

وقد يقول قائل : ان الخيل اليوم لم يعد من عدة القتال ، بعد أن اغنت عنه الدبابة والمدفع والطائرة . وللرد على هذا يجب ان نوضح الفائدة الرياضية التى تعود على راكبى الخيل .

فقد ثبت ، فنيا ، ان ركوب الخيل يكسب الجسم رشاقة ، واستعدادا للتحمل ، ويكسبه القدرة على أداء الحركات الصعبة ، لانه حركة مستمرة للجسم .. حركة قد تكون عنيفة فى بعض الاحيان ، وقد ثبت أيضا أن ركوب الخيل ، يكسب الجزء الاسفل من الجسم صلابة ، يحتاجها كل رياضى .

واللياقة البدنية التى نتحدث عنها يحتاجها المحارب اليوم ، كما كان يحتاجها منذ الف سنة أو أكثر ، فالطيار يحتاج الى لياقة بدنية عالية ، وقائد الدبابة يحتاج الى لياقة ، وما معركة سيناء عام ١٩٥٦ ببعيدة ، لقد أثبتت أن كل فرد فى الجيش فى حاجة الى لياقة بدنية ، وعندما قررنا الانسحاب لنقضى بها على مؤامرة الانجليز والفرنسيين وعميلتهم اسرائيل ، عاد بعض محاربينا سيرا على الاقدام ساروا أياما تجاوزت العشرة لبعضهم .. وأثبتوا ان الشباب العربى جلد ، يتحمل المشاق بصبر وايمان .

* * *

واذا كنت هنا أنادى بضرورة العناية بالفروسية ، فلأنها رياضة عربية الاصل ، خطف منها الغرب بعض صفاتها ومزاياها ، وهى عند العرب ليست كما هى عند الغرب.. عندهم كانت تعتمد على القوة وحدها ، ليس فيها من سمو الروح ودماثة الخلق شىء ، أما عند العرب فهى شىء آخر ، يتميز الفارس بسماحة العقل . واتساع الافق ، فيها كثير من الصفات الانسانية ومثلها العليا .

كان لا بد أن يكون الفارس العربى دمث الخلق ، عالى الهمة ، قادرا على تحمل

السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية والسيد أنور السادات رئيس مجلس الأمة يمارسان رياضة ركوب الخيل دائما

التبعات ، يجيد الركوب اجادة تمكنه من الكر والفر وخوض المعارك فى جراة ، وما أكثر فرسان العرب الذين اشتهروا فى هذا المجال، منذ صدر الاسلام ، حتى غابت الاندلس عن العروبة .

وقد استفاد الغرب من فروسية العرب، بعد فتح الاندلس ، عرفوا منا أن الفروسية شجاعة وشهامة ، وليست أبهة ، وترفيها عن النبلاء وحدهم ، عرفوا أن الفارس الجيد ، عزيز النفس ، يتحلى بمكارم الاخلاق ، ويعفو عند المقدرة .. وقد شهدت مواقع كثيرة هناك بذلك ، حتى لقد انتدب ازفونس الكبير ملك اشتورية ، اثنين من مسلمى قرطبة ليعلما ولده الفروسية .

كذلك استفاد الصليبيون فنيا على يد العرب فى هذا المضمار ، تعلموا منا المشاعر الرقيقة ، وأجمل الفضائل الانسانية .. وقد كان صلاح الدين الفارس الاول فى ذلك العهد قدوة للجميع مسلمين ومسيحيين ، شرقيين وغربيين .

وكل هذه الفضائل اكتسبت من ركوب الخيل ، أو كانت مرتبطة به . ومن المعروف لمن مارس هذه الرياضة ، أن ركوب الخيل يكسب النفس ثقة وعزة، الى جانب الرشاقة التى تعود على الجسم .

* * *

كذلك يدعونى الى المطالبة بنشر رياضة الفروسية على أوسع نطاق ، انها أصبحت لعبة أوليمبية ، تتنافس فيها الدول ، وترصد لها الميداليات الذهبية والفضية والبرونزية ، وجدير بأمة لها من تاريخها القديم المثل الاعلى فى هذه الرياضة ، أن تعنى بها ، وان تنشرها، حتى تكون ممارستها فى متناول كل فرد ، وليخصص لها ناد يرتاده أفراد الشعب ، ويمارسون هذه الرياضة باشتراكات زهيدة.

* * *

اننا فى حاجة لاحياء هذه الرياضة بالصورة اللائقة بنا ، وكفانا فخرا أن رسولنا

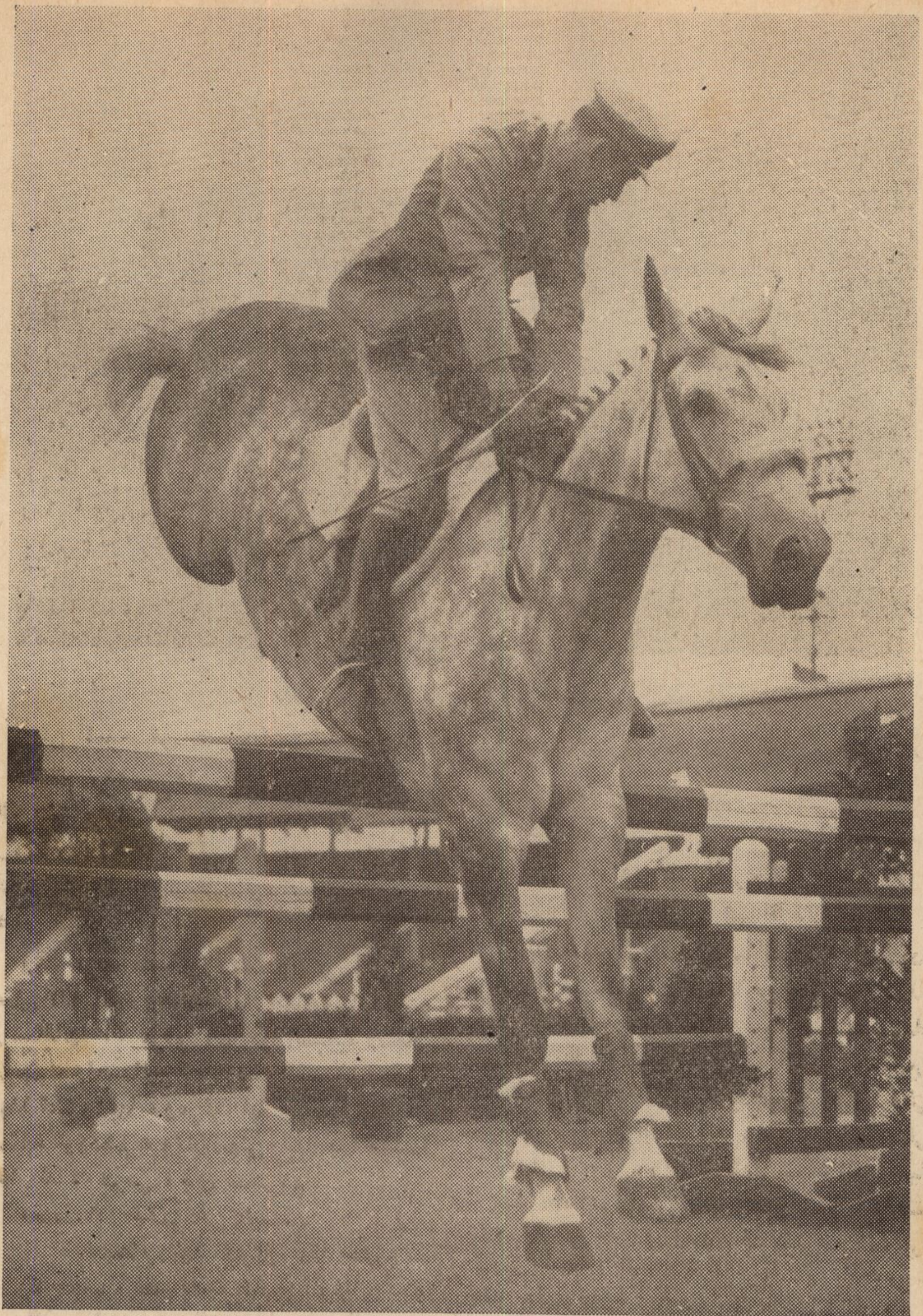

الفروسية الحديثة : قفز السدود بمهارة وعلى مستويات مختلفة

صلى الله عليه وسلم كان خير من يجيد ركوب الخيل ، وتسابق المسلمون أمامه ، ففى الصحيح من حديث ابن عمر قال :

سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخيل ، فأرسلت التى ضمرت منها ، وأمدها الحفياء الى ثنية الوداع ، والتى لم تضمر أحدها ثنية الوداع الى مسجد بنى زريق ..

هذا الحديث يحث على وجود التكافؤ النسبى دائما بين المتسابقين فى أى سباق .

التدريب بالرماح من فوق ظهور الخيل تميز به العرب عن غيرهم

وفى المسند من حديث أنس أنه قيل له :

أكنتم تراهنون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : قال : نعم ، والله لقد راهن رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس له يقال له سبحـــة ، فسبق الناس ، فبش لذلك وأعجبه .

وقد عرف المسلمون المقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم قيمة العناية بالخيل ، وسباقاتها .. عرفوا انها من اسباب اكتمال قوتهم ، واحتمالهم للخطوب والشـــدائد ، لهذا اعتزوا بها ، وعرفوا لها منزلتها وعدوها بمثابة أولادهم ، وكان يهنىء بعضهم بعضـــا اذا ولد له فرس ، قال شاعرهم :

مفـــداة مكـرمة علينـــا
يجاع لها العيال ولا تجوع

ولا عجب ، فقد كانت الخيل أقوى عددهم فى الصحراء ، وهى التى تجلب لهم الخير :

الخير ما طلعت شمس وما غرب
معلق بنواصى الخيـــل معقـود

واذا كان العرب قد اهتموا بالخيل لشدة حاجتهم اليه ، فواجبنا فى هـــذا العصر أن نهتم به ، لشدة حاجتنا الى الاجسام الصلبة والراحة النفسية ، والترويح ، وكل ذلك يتوفر لراكب الخيل ، اذا تدرب عليه مرة واحـدة كل أسبوع .

قال المتنبى :

أعز شىء فى الدنا سرج ســابح
وخير جليس فى الزمان كتــاب

ولا شك ان التنظيمات الحديثة الموجودة الآن ، تستطيع أن تمكننا من ممارسة هـذه الرياضة الجميلة ، فالفروسية لها اتحـــاد يهيمن على شئونها ، يرأسه السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية الذى يعطى هذه الرياضة الكثير من وقته ، ويعمل على اتساع رقعتها ، وقد شاهدنا اتحاد الفروسية ينظم حفلات للمسابقات الحديثـــة ، ولكننا لا ننكر أن وسائل الاعلام قد قصرت كثـيرا تجـاه هذه الرياضة المحببة الى النفس ، الرياضة التى ارتبطت بتاريخنـــا العربى ، وكان لها شأن فى معاركنا الفاصلة عنـدما قامت دولة الاسلام .. ولا أخال العناية بها ، الا تلبية لدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فالفوائد التى ارتبطت بالخيل ، ليست خاصة بزمن دون زمن .

« الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة » .

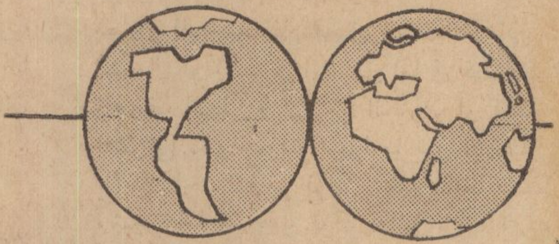

ماذا تعرف عن العالم الإسلامى دوله وشعوبه ؟

دولة الجمهورية السودانية

الدكتورة عنايات الطحاوى

أولا ـ الناحية الطبيعية : يقع السودان فى شمال شرق افريقيا ويمتد بين خطى عرض ٣٠ر٣ ، ٢٢ شمالا وبين خطى طول ٢٢ ، ٣٠ر٣٨ شرقا وتقرب مساحته من مليون ميل مربع . ويقع وسط حوض النيل وتتمثل فيه جميع أنهاره الرئيسية فيجرى فيه بحر الجبل الذى يحمل مياه الهضبة الاستوائية وبحر الغزال الذى يجمع المياه من الحدود الجنوبية الغربية التى تفصل بينه وبين أعالى نهر الكونغو والسوباط الذى يستمد أكثر مائه من الأطراف الجنوبية الغربية للهضبة الحبشية كما يجرى فى السودان النيل الأزرق وروافده ونهر عطبرة وخور القاش وخور بركة .

فكأن جميع أنهار النيل أبت الا ان تجرى فى رحابه الفسيحة وأن تقطع فى أرضه مرحلة عظيمة من مجراها . كذلك يجرى فى السودان النيل الأعظم الذى يجمع مياه جميع الأنهار العليا وينحدر من شمال الخرطوم والعطبرة حتى يصل الى وادى حلفا حيث تنتهى حدود السودان الطبيعية وبعد وادى حلفا ينحدر شمالا الى البحر المتوسط .

اذا انتقلنا الى وصف التضاريس فاننا نجد أن سطح السودان تغلب عليه السهولة وتتدرج أراضيه فى الانحدار من الجنوب الى الشمال تدرجا مطردا كما أنه يتدرج فى الانحدار من الشرق والغرب نحو الوسط . على أن السودان ليس كله أرضا سهلة بل تتمثل فيه بعض المناطق المرتفعة فى حوض النيل فهو مجاور من جهة الجنوب للهضبة الاستوائية وهناك جبال فى أقصى الجنوب تشبه تماما جبال الهضبة الاستوائية كذلك

نجد فى أعالى بحر الغزال أرضا مرتفعة تفصل بين حوض النيل وأعالى الكونغو . ومن الناحية الشرقية يجاور السودان هضبة الحبشة ولكنه لا يمس منها سوى منحدراتها الغربية غير أنه يمتد الى مرتفعات البحر الأحمر وفى السودان فوق ذلك جبال أخرى مثل الجبال الواقعة فى جنوب كردفان . وفى أقصى الغرب نجد جبال مرة . وهذه الجبال جميعها اما محدودة المدى أو واقعة على أطراف السودان بحيث لا تعوق الأتصال بين اجزائه المختلفة .

المناخ :

ويمكن تقسيم مناخ السودان الى ثلاث نطاقات متتابعة هى :

١ ـ **الأقليم الصحراوى** : ويمتد شمال خط عرض ١٩ شمالا وتسود فيه الرياح الشمالية الجافة وهو اقليم جاف شديد الحرارة نهارا والبرودة ليلا فقير من حيث الحياة النباتية .

٢ ـ **الاقليم المدارى** : ويشمل معظم أراضى السودان وتقل امطاره فى الشمال فلا تتجاوز شهرين مثلا فى منطقة الخرطوم حيث يتركز المطر فى يوليو واغسطس . ويأخذ فصل المطر فى الزيادة كلما اتجهنا جنوبا حتى يصل الى ثمانية أشهر فى جنوب السودان . وكذلك تزداد كمية الأمطار من ١٨ سم فى الشمال الى متر ونصف فى الجنوب فى السنة .

٣ ـ **أقليم البحر الأحمر** : وأمطاره شتوية من اكتوبر الى فبراير بسبب هبوب الرياح الشمالية ، ومن الظاهرات الطريفة فى شرق السودان أن المطر يتساقط شتاء على المنحدرات الشرقية لجبال البحر الأحمر ويتساقط صيفا على المنحدرات الغربية فسنكات مثلا مطرها صيفى وبور سودان مطرها كله تقريبا شتوى .

وفى السودان ظاهرة مناخية اسمها **الهبوب** وهى عبارة عن زوبعة اعصارية تحمل مقادير هائلة من التراب والرمل وتهب بقوة عظيمة وتسبب اضرارا بليغة . وأقليم الخرطوم هو الذى اشتهر بحدوث الهبوب والمنطقة المعرضة لحدوثه واسعة وتمتد من طوكر وكسلا شرقا الى الفاشر والأبيض غربا . ويحدث الهبوب فى أشهر المطر أى فى الصيف فى يونيو ويوليو وقد يدوم الهبوب مدة من الزمن تتراوح بين نصف ساعة وعدة ساعات والمتوسط ثلاث ساعات ونصف . أما من حيث مصدر الهبوب ففى فصل الجفاف تأتى من الشمال أو الشمال الشرقى أما فى فصل الصيف الممطر فتاتى من الجنوب أو الجنوب الشرقى . والهبوب كثيرا ما يمر من غير أن يلاحظ أخذ اذا مر فوق منطقة ذات نبات وشجر أما أن هب فوق اقليم تراب ورمل فان الزوبعة تحمله وتلقى به فى مكان آخر .

والهبوب نتيجة تسخين الهواء فى مساحة عظيمة محدودة لمدة أربعة أو خمسة أيام فينشأ تخفيف للضغط يتسبب عنه أعاصير شديدة القوة حلزونية الحركة تندفع من الأرض للسماء ويتأثر اتجاه الهبوب باتجاه الرياح ويصحب مروره انخفاض فى الضغط وبرق ورعد ومطر وانخفاض فى درجة الحرارة هذا فضلا عما يسببه من خسائر وتدمير لبعض المساكن وانتشار للأتربة والحشرات التى تكون سببا فى ظهور بعض الأمراض والأوبئه .

الأهمية الاقتصادية للسودان

تعتبر ثروة السودان النباتية عماد حياته الأقتصادية اذ أن المعادن ذات الأهمية قليلة ولو أن معظم جهاته لا زالت فى حاجة الى دراسة وتنقيب . كما أن الثروة الحيوانية من ماشية وابل وأغنام لا تلعب فى الحياة الاقتصادية الدور الذى كان ينتظر منها أن تؤديه خصوصا وأنها كثيرة العدد وهذا يرجع الى الظروف المناخية من جهة وعدم سقوط الأمطار بانتظام فحينما يقل المطر يهلك جزء كبير من الماشية لعدم نمو النبات الكافى لغذائها . هذا من ناحية كما أن الظروف الاجتماعية لقبائل الرعاة تحول دون الأفادة من هذه القطعان على الوجه الأكمل .

وقد كانت السياسة الأنجليزية توجه كل نشاطها ونشاط السودانيين نحو الزراعة

سكان السودان
"القبائل"

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ذهب المستعمر الى حصر النشاط الزراعى فى أضيق الحدود فأسرع السودان فى تخصصه فى القطن على حين أن الأنتاج الزراعى يشمل الحاصلات المختلفةوالخضروات والفواكه . وقد تبع ذلك التخصص اتجاه التجارة الخارجية نحو انجلترا وقيام البيوتات المالية الأنجليزية بتمويل تلك التجارة والتخصص فى ذلك على حساب تمويل المشروعات الصناعية المحلية وتمويل التجارة السودانية الداخلية التى أصبحت محصورة فى أضيق نطاق .

ومما لا شك فيه أن خروج السودان من ذلك الحصار الذى فرضه الانجليز بعد استقلاله أدى الى اتجاهه نحو التوسع

الصناعى الذى ساعد على زيادة الدخل القومى زيادة كبيرة أدت الى ارتفاع مستوى معيشة السودانيين .

وتتمثل اقتصاديات السودان فيما يلى :

الثروة الزراعية :

وتمثلها غلات تجارية يأتى فى مقدمتها القطن وغلات غذائية من أهمها الذرة الرفيعة والدخن والسمسم والفول السودانى والقمح والذرة الشامية واللوبيا .

أما الذرة الرفيعة فتمثل الغذاء الأساسى لمعظم السكان ويزرع معظمها على المطر والقليل جدا على الرى . وتبلغ مساحتها حوالى مليون ونصف مليون فدان وأهم جهات زراعتها كردفان وكسلا والنيل الأزرق .

وللدخن : المكان الثانى بعد الذرة كغلة غذائية ومساحته حوالى نصف مليون فدان وأهم مراكز زراعته كردفان حيث يزرع ٨٥٪ من المحصول كله ثم كسلا ومعظم الدخن يزرع على المطر .

يلى ذلك **السمسم** ويزرع فى حوالى ربع مليون فدان ويزرع معظمه أيضا على المطر ويتطلب مياها أكثر مما تتطلبه زراعة الذرة أو الدخن ومن ثم كانت زراعته فى الجهات التى تسقط بها الأمطار فى كردفان وجنوب كسلا والنيل الأزرق ويستهلك نصف المحصول محليا والباقى يصدر للخارج .

أما الفول السودانى : فقد زرع فى السودان من زمن بعيد فى أراضى المطر ذات التربة الرملية وأهم جهات زراعته كردفان والنيل الأزرق والنيل الأعلى وتبلغ مساحة أراضيه حوالى نصف مليون فدان ويستهلك أكثر من نصف المحصول محليا والباقى يصدر للخارج . كذلك يزرع **القمح** فى أراضى الرى وتستحيل زراعته على المطر فى السودان لارتفاع الحرارة فى فصل المطر ومن ثم كان القمح غلة شتوية . وتبلغ مساحة الأراضى التى تزرع قمحا حوالى ٢٠ ألف فدان وهو لا يكفى الاستهلاك المحلى ولذا فان السودان يستورد القمح والدقيق .

واللوبيا : تزرع للحاجة اليها كعلف للماشية وكذلك تستعمل حبوبها غذاء للانسان ويستهلك معظم ما يزرع منها محليا والقليل منها يصدر للجمهورية العربية المتحدة .

بالأضافة الى ما تقدم يزرع بالسودان مساحات قليلة من غلات مختلفة كالشعير والفول والحمص والعدس والترمس والفاصوليا والبصل والشطة . كذلك يزرع البن فى المديرية الاستوائية كما أن البلح غلة رئيسية وتجارية هامة فى المديرية الشمالية . ومن أهم الفواكه أيضا الموالح والمانجو والموز ثم الأناناس والباباى . ويمتاز السودان الجنوبى بغناه فى انتاج الفواكه .

ولما كانت الزراعة فى السودان تقوم على المطر والرى معا فان أهم مشروعات الرى توجد فى أرض الجزيرة بعد اقامة خزان سنار وكذلك فى دلتا القاش ودلتا بركة . وقد تم انشاء خزان سنار سنة ١٩٢٥م وكان الفرض من اقامته هو **زراعة القطن** فى أرض الجزيرة فى مساحة تبلغ حوالى ٣٠٠ الف فدان . وقد امكن التوسع فى مساحة الأراضى الزراعية حتى بلغت الآن حوالى مليون فدان يزرع ثلثها قطنا أما باقى المساحة فتزرع حبوبا وعلفا للماشية . ويزرع القطن فى السودان لفرض التصدير ولا يستهلك منه محليا الا قدر ضئيل كما يمثل القطن موردا أساسيا للخزينة ولثروة الافراد . فالمركز المالى للسودان مرتبط بالقطن .

وقد نفذ مشروع المناقل فى الجنوب الفربى لأرض الجزيرة فى مساحة تصل الى ٨٠٠ الف فدان انتهى العمل فيها سنة ١٩٦٢م وسوف يصل محصول القطن فيها الى ٢٥٠ر٠٠٠ فدان . ومن عيوب مشروع المناقل انه يضاعف اعتماد السودان على القطن .

كذلك نجحت **زراعة القصب** بمنطقة جنيد بأرض الجزيرة على النيل الأزرق جنوب الخرطوم بحوالى ١٣٠ كم وتبلغ المساحة المنزرعة قصبا حوالى ٤٥ الف فدان وانشىء

مصنع لانتاج السكر بكميات تعادل نصف احتياجات السكان .

وليست شئون الزراعة فى أرض الجزيرة موقوفة على السودانيين وحدهم بل يشاركهم فيها عدد كبير من عناصر أجنبية تفد من أفريقية الاستوائية ونيجيريا . وقد شجع الاستعمار والشركات المستغله لمشروع الجزيرةعلى دخول هذهالعناصر التى أصحت تحتل نحو ٢٥٪ من مجموع الأيدى العاملة فى الجزيرة . ويرى السودانيون أنفسهم أن لا مبرر لتشجيع هجرة هذه العناصر وهم لا يرحبون بهم اطلاقا ولا ينظرون اليهم كمواطنين حينما يستقرون فى أراضى السودان وقد استقر كثير منهم فعلا فى رحلات خاصة وليس بينهم وبين السودانيين اختلاط أو امتزاج ويسمون (الفلاتا) .

٢ ـ ثروة الغابات :

تحتل الغابات ٣٧٪ من مساحة السودان توجد بها أشجار برية تتمثل فى الدوم والصمغ . وتنتشر أشجار الدوم على ضفاف العطبرة وفى شرق السودان ولهذه الشجرة أهمية اذ تستخدم جذوعها فى البناء وعمل السواقى والسعف فى صناعة الحصر كما تستغل الثمرة فى عمل الأزرار .

أما الصمغ العربى فيؤخذ منشجر الهشاب والطلح وأهم جهاته كردفان ثم أرض الجزيرة ويحتل الصمغ المكان الثانى فى قائمة الصادرات بعد القطن وأهم مراكز تسويقه الأبيض التى تعد أكبر سوق للصمغ فى العالم . كذلك يؤخذ من أشجار السنط القرض للدباغة .

وفى جنوب السودان توجد غابات الماهوجنى الذى يستهلك محليا فى المبانى وفلنكات السكك الحديدية .

٣ـ الثروة الحيوانية :

يمكن القول بصفة عامة أنه لا يكاد يوجد فى السودان أقليم يخلو من المراعى . وتمتد مناطق الرعى من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب . وحتى على جانبى النيل حيث تسود الزراعة يحافظ السكان على الرعى كحرفة أساسية أو اضافية فى معظم الأحيان .

ويختلف توزيع الحيوان بطبيعة الحال من اقليم الى اقليم . **فالابل** مرعاها الشمال حيث تسود المظاهر الصحراوية أو الشبيهة بها . كما ترعى أيضا فى الغرب فى دارفور وكردفان .. على حين ان **الماشية** مرعاها فى الجنوب حيث تنتشر حشائش السفانا فتغطى مساحات فسيحة من السهول . أما **الأغنام والماعز** فتوجد فى كل مكان .

ولا يوجد احصاء دقيق عن ثروة السودان الحيوانية ولكن تبعا لأحدث الاحصائيات نجد أنها تبلغ حوالى ٢ مليون رأس من الأبل ، ٥ر٥ مليون رأس من الماشية ، ٦ مليون رأس من الأغنام ، ٥ مليون رأس من الماعز .

هذه الثروة الحيوانية لا تلعب من الناحية الاقتصادية الدور الذى كان ينتظر منها أن تقوم به ويرجع هذا الى عاملين ـ عامل بيئى من ناحية وعامل اجتماعى من ناحية اخرى .

فالعامل البيئى يتمثل فى اختلاف المناخ فى انحاء السودان المختلفة واضطراب نظام المطر من عام الى عام وهذا أمر تنعكس آثاره على الحيوان . ففى الشمال حيث المطر نادر والمرعى ضئيل وموارد الماء محدودة كان لابد لحيوان الأقليم أن يتعود الجوع والعطش وأن يرعى تحت ظروف صحراوية . فاذا ما اتجهنا الى الجنوب نجد أن المطر اغزر وموارد الماء أوفر . ولكن السكان يحيون حياة رحلة وانتقال ومن ثم كان النظام الاجتماعى السائد هو نظام الملكية الجماعية وهو نظام لا يتيسر معه فى السودان ادخال التحسينات التى تؤدى الى زيادةالمرعى اللازم للماشية . أضف الى ذلك العلاقة القائمة بين الانسان وماشيته وهى علاقة من القوة بحيث تتدخل تدخلا ملحوظا يحول دون نمو الثروة الحيوانية واستغلالها .

وفيما عدا ثروة الحيوانات المستأنسة فهناك حيوانات متوحشة ولكنها لا تسهم فى

الثروة العامة الا بمقدار ضئيل فيؤخذ العاج من فيلة الجنوب والريش من نعام الغرب كما يتجر فى جلود الأفاعى والتماسيح ولكن بنسبة بسيطة من التجارة العامة للبلاد .

٤ ـ الثروة المعدنية والقوى المحركة :

أكثر المعادن انتشارا فى السودان « الحديد » ويوجد فى جهات متعددة فى الغرب وفى الجنوب ولكن أهميته الاقتصادية محدودة نظرا لرداءة نوعه من جهة ولعدم وجود موارد الفحم من جهة أخرى . ويقوم الأهالى بصهره بالطرق الأولية بقصد استخدامه فى عمل الحراب والآلات اللازمة للحاجة المحلية وقد تخصصت قبائل الدنكا فى هذه الصناعة .

ويوجد النحاس فى بحر الغزال وفى دارفور وأهم مراكز استخراجه حفرة النحاس فى أقصى الغرب ولكن صعوبة وسائل النقل تجعل التعدين حرفة متعذرة كذلك يوجد الفحم والكبريت والجرانيت والزنك والرصاص والمنجنيز والميكا وغيرها ولكن بكميات ضئيلة عديمة القيمة الاقتصادية .

أما **الذهب** وهو أهم ما لفت الأنظار الى السودان فى العصور القديمة فهو أيضا لا يسهم فى اقتصاديات السودان الا بقدر ضئيل وأهم مناطق تعدينية فى جهات جبيت ، فى جبال البحر الأحمر ، وفى الجهات المتاخمة للحبشة فى جنوب الرصيرص وفى مرتفعات النوبا .

هذا ولم يسفر التنقيب عن **البترول** عن وجوده ويستخدم الخشب كوقود ولكن الحصول عليه محدود فيستخدم حطب القطن .

ولم تستخدم **القوى المائية** حتى الآن فى توليد الكهرباء رغم كثرة المساقط المائية فى النيل وتولى الحكومة هذا الموضوع عنايتها فانشأت أخيرا محطة لتوليد القوى الكهربائية من سد سنار سنة ١٩٦٣م ولكن الذبذبة فى منسوب مياه الخزانات القائمة على النهر وبعد الأماكن التى يمكن أن تولد فيها الكهرباء من المساقط المائية من الأمور التى تجعل المسألة صعبة الى حد كبير .

هذه صورة عن المعادن وموارد القوى فى السودان ولكننا لا نستطيع أن نجزم بفقر البلاد فى موارد الثروة المعدنية فما زالت معظم جهات السودان فى حاجة الى بحث وتنقيب . وكل ما يمكن قوله هو أن المعادن فى السودان لا تلعب فى الوقت الحاضر دورا بارزا فى اقتصاده القومى بل أهم منها الثروة الحيوانية والثروة النباتية .

٥ ـ الصناعة :

السودان بلد رعوى زراعى فى المقام الأول تعوزه كل مقومات التصنيع فالثروة المعدنية التى تم اكتشافها بعد لم تف بمستلزمات الصناعة وليس فى السودان وقود طبيعى فيما عدا أخشاب الجنوب ولابد من استيراد كل ما يحتاج اليه من الفحم والبترول .

ويوجد عدد قليل من الصناعات الصغيرة انتاجها قليل الأهمية فى الاقتصاد السودانى والعاملون فيها نسبة ضئيلة من المجتمع السودانى .

وتوجد بعض الصناعات الصغيرة التى انشئت من زمن بعيد ومعظمها زراعى فى مظهره مثل النسيج اليدوى والفزل اليدوى ودباغة الجلود وصناعة الفخار وكلها صناعات يدوية .

وصناعة طحن الحبوب يدوية أيضا اللهم الا فى المدن الكبرى كأم درمان والخرطوم وواد مدنى حيث توجد المطاحن الآلية .

كذلك توجد صناعة عصر الزيوت ودبغ الجلود بالطرق البدائية بقصد الاستهلاك المحلى . ويستخرج سنويا آلاف الأطنان من السمن بالطرق البدائية ويستخدم معظمه فى الاستهلاك المحلى .

وقد ظهر بعد الحرب العالمية الثانية عدد من الصناعات المحلية فانشىء مصنع للأسمنت فى عطبرة ومصنع لتعليب اللحوم فى كوستى ومصانع لعصير الطماطم وعمل الحلاوة الطحينية وعصير الفاكهة ـ ومصانع

صغيرة لعمل الأوانى الزجاجية وانتاج الأزرار من نوى الدوم ومصانع اخرى لعمل منتجات الجلود والعاج .

أما صناعة حلج القطن فهى الصناعة المجهزة بالآلات والمقام لها المصانع على أسس حديثة والمحالج منتشرة في أنحاء السودان .

هذا وقد تطورت الصناعة بعد ثورة نوفمبر المباركة سنة ١٩٥٨ م فارتفع رأس المال المستثمر فى الصناعة من ثلاثة ملايين جنيه سنة ١٩٥٨ الى خمسين مليون جنيه سنة ١٩٦٣م فقد انشئت محطة لتوليد الكهرباء من سد سنار وانشىء البنك الصناعى سنة ١٩٦١م وظهرت بعض الصناعات الحديثة كالأدوية والغزل والنسيج وصناعة السكر .

ومستقبل الصناعة فى السودان يتطور سريعا بفضل وجود المادة الخام وان كان يعترضه سوء المواصلات وعدم توفير القوى المحركة .

ويتجه التفكير الآن الى انشاء الطرق والسكك الحديدية عبر انحاء السودان المختلفة كما ترحب الحكومة السودانية برءوس الأموال الأجنبية للتوسع فى الحقل الصناعى وهذا يجعلنا ننصح بضرورة تحول رءوس الأموال العربية الى السودان .

٦ ـ تجارة السودان الخارجية :

يمثل القطن وبذرته نسبة تتراوح بين ٧٠٪ ، ٧٥٪ من صادرات السودان ويليه فى الأهمية الصمغ العربى الذى يسهم فى تجارة الصادر بنسبة تتراوح بين ٦ ، ١٠٪ ثم الفول السودانى ٥ر٥٪ فالماشية والأغنام ٢ر٣٪ ثم السمسم ٨ر٣٪ .

هذا ويستورد السودان اقمشة وعربات وآلات وسكر وبترول ومصنوعات معدنية ودقيق وشاى وبن .

والدول التى يصدر اليها السودان هى بريطانيا بنسبة ٣٥٪ من قيمة صادراته فالهند ١٣٪ فالجمهورية العربية المتحدة ١١٪ وتليها ايطاليا فالمانيا الغربية وفرنسا .

اما من حيث الدول التى تورد للسودان فان بريطانيا يبلغ نصيبها ٢٨٪ من قيمة الواردات ثم الجمهورية العربية المتحدة ١٣٪ فالهند ١٢٪ . وقد كانت العلاقة الاقتصادية بين مصر والسودان أقوى ما تكون قبل ادخال زراعة القطن فى السودان ولكن بعد ادخال زراعته وصارت له الأهمية الكبرى من قيمة الصادرات السودانية أصبحت بريطانيا أهم عميلة للسودان واحتلت بهذا المركز الأول ذلك لأن مصر غير مشترية للقطن .

وفيما عدا تجارة القطن فان مصر اهم عميلة للسودان فهى تستورد منه الحبوب الزيتية كبذرة القطن والسمسم والفول السودانى وكذلك الجلود والبلح والأبل وتصدر اليه الأرز والجلود المدبوغة والمصنوعة والأحذية والأسفلت والموالح .

هذا فضلا عن وجود بعض العقبات التى تعرقل التجارة بين مصر والسودان منها النظام الجمركى والمواصلات ومنافسة بعض الدول الأخرى كالهند . ويمكن تجاوز هذه العقبات وذلك بتخفيف الرسوم الجمركية والتوسع فى عملية الاستيراد والتصدير بين البلدين نظرا لأن السودان يفتقر الى كثير من المصنوعات التى تنتجها مصر وخاصة بعد تقدم مصر الصناعى فى العشر سنوات الأخيرة منذ سنة ١٩٥٤م .

أما بالنسبة **لطرق المواصلات** فى السودان فانه الى جانب الدروب الصحراوية التى تنقل عبرها الأبل بين مصر والسودان توجد سكك حديدية ولكن سعة القضبان مختلفة عنها فى مصر كما قطع الاتصال فيما بين حلفا وأسوان وذلك تبعا للسياسة الانجليزية التى كانت تسيطر على السودان قبل استقلاله لايجاد الفرقة بينه وبين شقيقته مصر . وقد حدثت مباحثات سنة ١٩٥٩م بين الحكومتين السودانية والمصرية بشأن انشاء خط حديدى من أسوان الى حلفا مخترقا الصحراء الشرقية خصوصا وأن مياه السد العالى سوف تغرق حلفا ونرجو ان يتم انشاء هذا الخط قريبا . والسكك الحديدية محدودة الانتشار فى السودان فهى تمتد فى الشمال من حلفا الى

(سوق الصمغ العربى فى الأبيض)

عطبرة فالخرطوم فسنار ومنها الى الرصيرص ومن سنار يتفرع خط غربى الى كوستى بالأبيض ومنها الى نيالا فى دارفور ثم واو فى منطقة بحر الغزال . كذلك مد خط شرقى الى كسلا ثم بور سودان لتصدير القطن الى الخارج .

فيما عدا ذلك تعتبر المجارى المائية أهم وسائل المواصلات فى السودان على الرغم مما يعوقها من جنادل وشلالات فى الشمال وسدود نباتية فى الجنوب .

ومن الصعوبة بمكان أن يتم التوسع فى الصناعة دون التوسع فى المواصلات فلا بد من ربط شمال السودان بجنوبه وشرقه وغربه . وقد كانت السياسة الاستعمارية البريطانية ترمى الى فك أوصال السودان والابقاء على مناطق مغلقة فينعدم الارتباط الثقافى والتجارى والاجتماعى واللغوى والدينى بين السودانيين . مما أدى الى تأخير التطور الاجتماعى والسياسى للقبائل الجنوبية تمهيدا لفصلها عن سائر السودان وهذا ما يبدو الآن من مشكلات فى جنوب السودان ومحاولته الانفصالية وأملنا كبير فى قضاء الحكومة الوطنية الحالية على العناصر الانفصالية الخائنة .

ثالثا ــ سكان السودان

تتمثل فى السودان جميع السلالات البشرية الممثلة فى حوض النيل أى السلالات الزنجية والحاميه والسامية والعربية كما تتمثل فيه ثقافاتها المختلفة . والثقافة العربية لها المكان الأول بفضل الأسلام وبفضل قوة اللغة العربية ذاتها .

ويبلغ عدد سكان السودان تبعا لتعداد سنة ١٩٥٦م ١٠ر٢٦٢ر٥٣٦ نسمة ونسبة الخطأ واحتماله كبيرة حيث تسود حرفة الرعى فى اجزاء كبيرة من هذا القطر . وتبلغ نسبة غير السودانيين نحو ٤٤ فى الألف ويتمثلون فى العناصر التى تعرف فى السودان باسم الغرباء وهى عناصر الفلاتة والبرقو التى كانت تفد الى السودان من نيجيريا وافريقية الاستوائية وفيما عدا هؤلاء توجد قلة من المصريين والهنود واليمنيين والأحباش وبعض الأجانب من الأوربيين .

وسكان شمال السودان ووسطه عرب ونوبيون وبجاه وهؤلاء جميعا يتفقون فى الثقافة العربية واللغة العربية والدين الأسلامى ويمثلون ٦٦٪ من سكان السودان . أما المديريات الثلاث الجنوبية فسكانها

متزنجون وتمثلهم قبائل الدنكا والشلوك والنوير والنوباويين والأنجسنا ويمثلون ٣٠٪ من عدد السكان وتعمل الحكومة على نشر العربية والأسلام بينهم .

والسودان قطر عربى عريق فى العروبة لا يجاريه فى ذلك سوى الجزيرة العربية ذاتها وجميع الكتاب يسلمون بأن الأتصال بين الأطراف الجنوبية لجزيرة العرب وبين السواحل الأفريقية التى تقابلها أمر عريق فى القدم يرجع الى عشرات الآلاف من السنين .

ودراستنا لعروبة السودان ترينا أن العناصر الأساسية الثلاث هى النسب العربى والأسلام واللغة العربية قد اثرت فى السودان تأثيرا واسعا عميقا بحيث عمت جميع ارجائه اذا استثنينا الأطراف الجنوبية التى كانت الى وقت قريب فى عزلة عن العالم كله والتى لم تصل اليها العروبة الا فى وقت متأخر .

وليس فى السودان جماعة اقتبست اللغة العربية وحدها ولم تعتنق الأسلام كما هو الحال فى بعض الأقطار العربية الأخرى بل الاسلام هو الظاهرة الثقافية الأولى التى كان لها اوسع الانتشار واليها يرجع الفضل فى توحيد وامتزاج السكان فى السودان .

والجماعات العربية فى السودان منظمة تنظيما قبليا وقد اضعفت حياة المدنية من الصلات القبلية هذا علما بأن الأغلبية الساحقة لا تزال تحتفظ بصلاتها القبلية حتى اليوم .

وتنقسم قبائل السودان بصفة عامة الى ثلاث مجموعات على اساس الحرف فهناك رعاة الأبل ثم رعاة البقر فالزراع المستقرون .

أما رعاة الأبل وتمتد ديارهم فى شرق النيل وغربه من حدود مصر الجنوبية حتى خط عرض الأبيض (١٣ شمالا) تقريبا .

ومن أشهر قبائل الأبالة فى غرب النيل الكبابيش ويتجولون فى الأجزاء الشمالية من دارفور وكردفان والمديرية الشمالية . أما رعاة الأبل فى شرق النيل فهم من البجاه والهدندوا وتغلب عليهم الدماء الحامية .

ويلى نطاق الأبالة الى الجنوب ديار **رعاة البقر** ومنهم الجماعات العربية التى توجد فى جنوب دارفور وكردفان ويسمون البقارة .

ومنهم الجماعات النيلوتية كالشلوك ويعيشون على الجانب الغربى للنيل الأبيض وفى الحوض الأدنى للسوباط ثم قبائل الدنكا والنوير ويحتلون المناطق المنبسطة فى الأحواض الدنيا لبحر الغزال وبحر الجبل والسوباط وهذه القبائل الجنوبية تحيا حياة بدائية بسيطة قوامها الماشية التى يحتفظون بها لذاتها وقلما يفرطون فيها بالبيع أو الذبح .

وفى وسط هذا المجتمع الرعوى من اصحاب الأبل فى الشمال ورعاة البقر فى الجنوب يعيش **الزراع المستقرون** وتمتد أراضيهم على جانبى النيل فى واديه الضيق شمال الخرطوم وفى هضاب كردفان ودارفور وفى اقصى الجنوب وفى أراضى الجزيرة الجيدة التربة الموفورة الماء .

واهم العناصر المستقرة فى السودان هى بلا شك العناصر الساكنة فى أرض الجزيرة قلب السودان النابض ومركز الحياة الاقتصادية الرئيسى وعلى اكتاف هذه العناصر يقوم استغلال مليون فدان من الأراضى الخصبة الواقعة بين النيلين الأزرق والأبيض .

والى جانب جماعات الرعاة والزراع ففى السودان طبقة مثقفة آخذة فى النمو والأزدياد يمتاز افرادها بالوعى السياسى والالمام بالتيارات السياسية والاجتماعية فى العالم وتتركز هذه الطبقة بطبيعة الحال فى المدن وتضم الموظفين والتجار وارباب المهن الحرة والعمال وبعض الشبان من زعماء القبائل . وفى أحضان هذه الطبقة ولدت الحركة الوطنية السياسية .

رابعا ـ الاسلام فى السودان :

كان بالسودان قبل ظهور الاسلام وانتشاره ثلاث ممالك مسيحية هى مملكة النوبا فى الشمال جنوبى الشلال الأول ثم مملكة علوة فى اقصى الجنوب من بلاد النوبة والثالثة هى مملكة مقرة وموقعها بين الملكتين السابقتين المسيحية عاصمتين هامتين هما دنقلة فى الشمال وسوبا فى الجنوب . وقد أطلق العرب على هذه الأقاليم جميعا اسم النوبة .

والمعروف أن صلة النوبيين بالعرب قديمة ترجع الى ما قبل ظهور الأسلام فلم يكن البحر الأحمر حاجزا يمنع الأتصال بين شواطئه الأسيوية الغربية وشواطئه الأفريقية ولعل التجارة كانت أهم مسائل الأتصال بين النوبة وبلاد العرب منذ العصور القديمة أثناء حكم دول سبأ والبطالمة والرومان .

ومنذ أن تم للعرب فتح مصر اتجهت سياستهم الى فتح النوبة وذلك لضمان المحافظة على حدود مصر فى الجنوب وتأمين التجارة بين البلدين .

فبعد فتح العرب لمصر بعشرة أعوام أى فى سنة ٦٥١م غزا عبد الله بن سعد ابن ابى السرح بلاد النوبة وفتح مدينة دنقلة وعقد معاهدة مع عظيم النوبة جاء فيها نقلا عن المؤرخ النوبى عبد الله بن أحمد بن سليم الأسوانى « بسم الله الرحمن الرحيم ، عهد من الأمير عبد الله ابن سعد ابن أبى السرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته ، عهد كتبه على الكبير والصغير من حد أرض أسوان الى حد ارض علوة »

وجاء فيها : « وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم فلا تمنعوا عنه مصليا وعليكم كنسه واسراجه وتكرمته » الى آخر ما جاء فى ذلك العهد .

والذى يهمنا ان نلفت النظر اليه هو أن المسلمين فى هذا الوقت المتقدم بعد الهجرة بواحد وثلاثين عاما وبعد فتح مصر بعشر سنوات كانوا قد بنوا مسجدا فى عاصمة مملكة دنقلة المسيحية يؤمه المصلون وهذا دليل على وجود نواه عربية فى مملكة دنقلة قبل الاسلام .

ونص فى هذه المعاهدة أيضا على ضغط مصالح المسلمين وحريتهم الدينية ونشر الثقافة الأسلامية فى النوبة بالطرق السلمية. وقد استمر العمل بهذه المعاهدة حتى قيام الدولة المملوكية الأولى فى مصر . ثم أخذت العلاقات بين المسلمين والنوبيين شكلا آخر ادى الى سقوط المملكة المسيحية الشمالية ونشر الاسلام والثقافة العربية .

ولم يكد الأسلام ينتشر فى هذا الأقليم حتى اخذ يتدفق منه الى السودان لا عن طريق دنقلة والنيل فحسب بل عبر الصحراء أيضا وعن طريق العتمور . كذلك كان هنالك طريق آخر سلكته العروبة الى السودان وهو الأقليم الشرقى الواقع بين النيل والبحر الأحمر ذلك الأقليم الذى يسكنه البجاه وكانوا دائما شديدى الاتصال باهل مصر منذ الأزمنة القديمة ولذلك كانوا يتأثرون بسرعة بكل تطور يحدث فى مصر .

ولم يكد ينتصف القرن الرابع عشر الميلادى حتى كان النوبيون بين أسوان ودنقلة قد اعتنقوا الاسلام . وقد أدى سقوط مملكة دنقلة المسيحية الى ازدياد موجة الهجرات العربية وخاصة قبائل جهينه وهى خليط من العدنانية والقحطانية التى تجمعت فى أنحاء النوبة واستولت بالتدريج على معظم اقاليم مملكة « علوة » واستقرت فى كثير من انحائها وظهرت منذ القرن الخامس عشر الميلادى عدة ممالك ومشيخات اسلامية فى حوض النيل الأوسط وكان لظهورها أثر فى تطور الحياة الاجتماعية والسياسية مما ساعد على زوال المملكة المسيحية فى علوة وانتشار الأسلام بين كثير من أهل البلاد .

وهكذا قامت سلطنة الفونج الأسلامية على انقاض مملكة علوة المسيحية . وامتدت من الشلال الثالث شمالا الى أقصى جبال فازوغلى جنوبا ومن سواكن شرقا الى النيل الأبيض غربا . وتداول حكم هذه السلطنة سبعة وعشرون سلطانا كان آخرهم بادى السادس الذى سلم سنار للجيش التركى عام ١٨٢١م.

أما الأقاليم الغربية فى كردفان ودارفور فان قبائل جهينة العربية التى اتخذت أوطانها فيها لم تأت من الجزيرة العربية مباشرة بل كان شأنها كشأن قبائل الجعليين نزلت بمصر أولا ثم اتجهت نحو الجنوب الى النصف الغربى من السودان وكانت تسلك طرقا غربية كالطرق الليبية وطريق درب الأربعين .

وعلى الرغم من انتشار العروبة والاسلام فى شمال السودان ووسطه وشرقه وغربه فقد وقفت قديما عند أبواب جنوب السودان ولم تتوغل فيه وذلك لسببين .

السبب الأول هو أن الجزء الجنوبى من السودان كان بمعزل لا عن السودان فحسب بل عن العالم كله .

الجامع الحديث فى السودان

والسبب الثانى هو أن العروبة قد توغلت فعلا فى السودان الجنوبى وانتشر الاسلام واللغة والتقاليد العربية بين كثير من قبائل الدنكا والشلوك كما انتشرت العروبة فى بحر الغـزال غيـر أن السياسة الاستعمارية البريطانية رسمت خطة لابعاد العـروبة عن السودان الجنوبى وأفسحت المجال للهيئات التبشيرية على اختلاف مذاهبها وبذلت لها الاعانات المالية . وهى سياسـة خاطئة فان العروبة هى أقرب الوسائل الناجحة للنهوض بجنوب السودان وحسبنا .

دليل على ذلك أن نقارن بين المسلمين من الدنكا والمتنصرين من البـارى أو الشلوك لكى نرى الفرق الهائل بينهما .

ولا شك أن الوعى الوطنى اليوم فى السودان من القـوة بحيث يتيح للسـودان وحدته الثقافية والدينية والاجتماعية والعمرانية .

خامسا : التاريخ السياسى للسودان

ظل السودانيون حتى القرن التاسع عشر يعيشـون تحت امرة ملوكهـم وسلاطينهم وزعماء قبائلهم أحرارا من أى سيطرة اجنبية حتى سلطان آل عثمان لم يمتد اليهم وقد مد نفوذه فى جميع الأقطار العربية بحلول القرن السادس عشر فكانت مملكة سـنار وسلطنة دارفور اقـوى الدويلات التى ازدهـرت فى السودان فى ذلك العهد .

وفى سنة ١٨٢٠م غزا محمـد على والى مصر السودان باسم مولاه سلطان تركيا واقام فيه ادارة تركية استمرت ٦٥ عاما وقد ظلت تلك الادارة مثارا لسخط السودانيين حتى أن محمد احمد المهدى لما هب بثورته فى سنة ١٨٨٢م وجد من الناس آذانا صاغية وقبولا حسنا .

وحين احتـل الانجليز مصر عملوا على التدخل فى السودان وانشأوا الحكم الثنائى

اسما والانجليز فعلا وحقيقة . وحين خرج الانجليز من مصر خرجوا من السودان أيضا مما يؤيد فكرة الارتباط بين الدولتين والمصير المشترك بينهما .

وقد سجل السودان ثلاث حركات تحريرية ضخمة فى تاريخه الحديث كانت عاملا فعالا فى فى تحقيق استقلاله وحريته بمولد جمهورية السودان فى أول يناير سنة ١٩٥٥م .

والحركة الأولى هى **الحركة المهدية** التى كانت تهدف الى التخلص من بقايا الحكم العثمانى وحكم أسرة محمد على وذلك بعد أن فسد الحكم فى السودان فسادا لا حد له وساءت معاملة الحاكمين للأهالى ووصل حكام السودان من الترك والشراكسة الى غاية العسف والظلم والقسوة .

وقد قامت الثورة المهدية بعد ثورة عرابى مباشرة تتخذ نفس الأهداف وترمى الى نفس الغاية بل ان الثورتين قد التقتا فى كثير من مظاهرهما . وقد استغلت بريطانيا كلتا الثورتين المصريةوالسودانية لتحقيق أغراضها فى فصل دولتى وادى النيل .

وقد امتدت ثورة المهدى وحققت غايتها واحتلت الخرطوم سنة ١٨٨٥م وأقامت حكومة جديدة غير أن المهدى توفى فى نفس العام وتولى بعده خليفته السيد التعايشى .

وعادت بريطانيا بعد أربعة عشر عاما لاعادة غزو السودان بقيادة كتشنر واحتلاله على أساس جديد يتيح لها بسط يدها فيه وحدها باسم الحكم الثنائى الذى لم يكن لمصر فيه الا المظهر والصورة وارغمت مصر على توقيع **اتفاقية الحكم الثنائى فى يناير سنة ١٨٩٨م ، وبذلك استعادت بريطانيا السودان لصالحها وحدها .**

أما الحركة التحريرية الثانية التى هزت الاستعمار وزلزلت قواعده فهى ثورة عام ١٩٢٢ م المعروفة بثورة اللواء الأبيض بقيادة البطل الباسل « على عبد اللطيف » وكانت الثورة السودانية فى هذه المرة ترسم خطوات ثورة سنة ١٩١٩م المصرية وطالب « على عبد اللطيف » بما طالب به عرابى من قبل وهو اسناد المناصب الكبرى فى الجيش الى السودانيين واندلعت الثورة وشهد السودان أكبر حركة منظمة فى تاريخه . وفى ٢٢ نوفمبر من نفس العام ١٩٢٢م قدمت بريطانيا انذارها المعروف بخروج الجيش المصرى من السودان وذلك بعد مقتل السردار وقامت على الأثر ثورة عارمة تهتف بسقوط الاستعمار وحياة مصر والسودان وحكم على الملازم على عبد اللطيف بالسجن ونفى الى منطقة واو فى بحر الغزال .

أما الحركة الثالثة : فهى حركة مؤتمر الخريجين التى بدأت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتعد هذه الحركة استقلالية تقدمية ذات أثر واضح فى تحقيق الأهداف التى وصل اليها السودان والتى مهدت لتحريره .

وقد أدى هذا الكفاح المتصل للأحزاب السودانية مجتمعة الى توقيع الاتفاق المعروف فى ٢١ فبراير سنة ١٩٥٣م بين مصر وبين بريطانيا فى شأن اقامة الحكم الذاتى فى السودان وممارسة السودانيين حق تقرير المصير بعد فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات .

وعلى الرغم من أن بريطانيا ظلت تعمل بكافة الوسائل على زيادة الفصل بين مصر والسودان الا أن الثورة المصرية الرشيدة بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر قضت قضاء كاملا على هذه الوسائل وفتحت بين مصر والسودان بابا لجو سياسى حر صريح وأجبرت بريطانيا على الاعتراف بحق السودان فى تحرره واتخاذه الأسلوب الذى يرضاه فى حياته السياسية الجديدة .

وهكذا اتخذ البرلمان السودانى فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٥٥م قراره التاريخى بأن السودان سيصبح دولة مستقلة ذات سيادة فى أول يناير سنة ١٩٥٦م ويتأهب السودان اليوم لاستكمال نظامه السياسى بانتخاب رئيس الجمهورية . وقد انضم السودان الى الجامعة العربية والى الأمم المتحدة ووقف موقفا غاية فى الشرف والأخاء ازاء شقيقته مصر ابان معركة بورسعيد .

حقق الله للسودان الشقيق أمانيه وآماله وسدد خطاه بالرفاهية والسعادة والنجاح .

جامع السلطان حسن والى اليمين مسجد الرفاعى بالقاهرة

كان للعرب كل الفضل فى انتشار الاسلام وقيام الامبراطورية الاسلامية وازدهار الحضارة الاسلامية التى امتدت فى ربوع هذه الامبراطورية العظيمة وتجلت آثار الفن الاسلامى من الصين شرقا حتى بلاد المغرب واسبانيا غربا . ولكن الحال فى الفن العربى لم تكن كذلك ، اذ لم تكن للعرب قبل الاسلام أساليب فنية خاصة الا فى اطراف شبه الجزيرة العربية ، حيث كانت البلاد الواقعة فيها على اتصال بالأمم المجاورة لها فتأثرت بأساليبها الفنية مثلما حدث فى اليمن والحيرة وغيرهما .

ويدين قيام الفنون الاسلامية ونهوضها بصفة عامة ولا سيما فى صدر الاسلام الى « الجانب الروحى » ومن هنا نجد أن العناصر التى تألف منها الفن الاسلامى منتسبة الى الشعوب التى تألف منها العالم الاسلامى ، حيث وجدت اساليب فنية زاهرة فى شمال افريقية والشرق الادنى وايران والهند وغيرها .

ولابد للفنون بصفة عامة أن تأخذ عن الفنون التى سبقتها ، خصوصا تلك الفنون الأصيلة العريقة فى القدم كالفن المصرى والفن الصينى والفن الاغريقى .

وباتساع رقعة البلاد الاسلامية كانت الفنون الاسلامية أوسع الفنون انتشارا وأطولها عمرا ، فقد امتدت هذه

مسجد محمد على بالقلعة بالقاهرة

الرقعة من حدود الصين والهند وآسيا الوسطى شرقا الى الاندلس والمغرب غربا كما سبق القول ، ومن حوض نهر الطونة وبلاد القوقاز وصقلية شمالا الى بلاد اليمن جنوبا ، وازدهر الفن الاسلامى ازدهارا يفوق الوصف .

ولد الفن الاسلامى فى القرن الأول الهجرى ، وظل ينمو ويترعرع حتى بلغ مرحلة الشباب فى القرن السابع وما بعده حتى القرن الثانى عشر (الثامن عشر الميلادى) حيث دب اليه الهرم لتكاتف المستعمرين ضده وضد الاسلام وضد المسلمين كسياسة عامة وتخطيط مرسوم لتأمين الاستعمار والامبريالية وبقائهما .

والجدير بالذكر أن نعلم أن تسمية كل انتاج فنى فى الرقعة الاسلامية « بالفن الاسلامى » كان ملائما لحالة البلاد الاسلامية منذ أكثر من ألف ومائتى عام ، أما اليوم فان هذه التسمية أصبحت لا تؤدى المعنى ، ما دام العرب هم أصحاب الفضل الأول فى ظهور هذه الفنون وازدهارها واحتضان لرجال الفن وتشجيعهم والأخذ بيدهم ، وهو الأمر الذى يدعونا دون تردد لأن نطلق على هذه الفنون اسم « الفنون العربية » بمناسبة ظهور طرز وأساليب فنية لها مدارسها وتاريخها وتطورها ، جاءت متأثرة بالأحداث السياسية والاجتماعية . وكانت هذه الطرز والأساليب متباينة مختلفة اختلافا واضحا فى « العمارة العربية » وذلك لأن فن البناء أكثر الفنون ارتباطا بالاقليم الذى ينشأ فيه بينما تجد اقتباس العناصر الفنية وتأثير بعضها فى البعض الآخر أيسر واسهل فى مجالات الفنون الزخرفية والمصنوعات الفنية بسبب سهولة نقلها من اقليم الى آخر على أيدى رجال التجارة الذين كانوا يتنقلون فى أنحاء العالم الاسلامى وهم الذين امتدنشاطهم فى العصور الوسيطة الى الشرق الأقصى وجزر المحيط الهندى وبلاد السودان وجنوب آسيا وسواحل البلطيق وجنوب وغرب أوربا .

وهكذا نجد أن العمائر والتحف الاسلامية ذات طابع خاص وان تميزت عن بعضها البعض واختلفت باختلاف الأقاليم والعصور ، فاختلفت العمائر من حيث مادة بنائها وفى أنواع أعمدتها وتيجان هذه الاعمدة والعقود والاقواس وكذلك فى شكل المآذن والقباب والدلايات وفى أنواع الزخارف الهندسية النباتية والكتابية وحتى فى المواد التى استخدمت فى تغطية الجدران كالجص والقاشانى .

أما المصنوعات الفنية أو التحف فهذه اختلفت باختلاف طرق صناعتها وأساليب زخرفتها والألوان والأشكال التى تصادف هوى فى اقليم دون اقليم آخر .

ومما تقدم نجد أن الأصل والأساس الأول للفن العربى كان « الجانب الروحى » المستلهم من الدين الاسلامى الحنيف . وعلى هذا تكون أهم المبانى العربية وأخطرها شأنا هى المساجد التى كانت فى أول أمرها بسيطة فى تخطيطها فكانت رقعة من الأرض أحيطت بحوائط أو

جدران أربعة . وكان السقف قائما على أعمدة مأخوذة من جذوع النخيل أو من المبانى القديمة المهجورة . ويقصد بكلمة مسجد كما استخدمت فى البداية مكان العبادة الاسلامية ثم جاء بعد ذلك المسجد الجامع والمسجد الأعظم ثم الجامع أو المسجد الكبير الذى يجتمع فيه المصلون يوم صلاة الجمعة .

ولكل مسجد أو جامع نظام يكاد يكون ثابتا فمعظمها له مكان يتوسطه يسمى صحن الجامع مكشوفا كان أو مسقوفا تحيط به أروقة أربعة واحد منها هو رواق القبلة وهى الجهة التى يتجه اليها المصلون وكانت أولا متجهة نحو بيت المقدس ثم بعدئذ اتجهت نحو بيت الله الحرام فى مكة المكرمة . (راجع الآيات ١٤٢ ــ ١٤٥ من سورة البقرة) .

وتطور التصميم الهندسى للمساجد بظهور المدارس الدينية الاسلامية التى كانت مراكز للتدريس والتعليم الدافع الى الخير والتعاون والاشتراكية بين المسلمين .

ولم يحدث أبدا أن كانت بيوت الله مراكز لتدبير المؤامرات أو الانقلابات ، بل خصصت لتدريس الدين على مذاهب أهل السنة وتثقيف العاملين فكانت للدين والدنيا بمعناها الأرفع سوياء وأضيفت اليها ملحقات أقيمت لايواء طلبة الدين والعلم ، وكانت المذاهب الأربعة أو معظمها يدرس فى تلك المدارس التى كانت تشتمل بدورها على صحن يتوسطها محاط بأربعة ايوانات متعامدة بأحدها المدخل المؤدى الى سلم الدور العلوى حيث المساكن .

وكانت المساجد الأولى ذات الأروقة لا تمكن بعض المصلين من سماع خطبة الجمعة ورؤية الامام كما كانت الحال فى جامع ابن طولون ، على حين كانت رؤية الامام وسماع الخطيب أكثر يسرا فى المدارس ذات الايوانات المتعامدة مما دفع بالظاهر بيبرس والناصر بن قلاوون الى اقامة مسجدين أولهما على النظام الأول القديم ذات الأروقة وكان فى أطراف المدينة لغرض اقامة الشعائر الدينية والعبادة ، وثانيهما على نظام المدرسة وكان فى قلب المدينة قريبا من طلبة العلم وأساتذتهم كمدرسة جامع السلطان حسن .

وبهذه المناسبة نذكر أن صلاح الدين هو أول من أقام المدارس فى مصر رغبة فى القضاء على مذهب الشيعة وعدا المسجد والجامع والمدرسة وجدت الأضرحة التى كانت تقام على رفات ولى من أولياء الله الصالحين أو أحد الأئمة ، ويسمى قبة أو تربة يدفن فيها صاحب الضريح عليها « تركيبة » من الحجر أو تابوت خشبى .

ولمصر العربية دور خطير فى ميدان العمارة العربية ، ففيها مجموعة رائعة عظيمة الشأن من المساجد قل أن يكون لها نظير فى بلد آخر ، وهى تكون سلسلة متصلة الحلقات فى تطور فن العمارة برغم افتقاد بعضها فى العصور الاسلامية الأولى ، كما أنها سجل صادق للصناعات الفنية والتحف الرائعة التى استخدمت لتجميلها وزخرفتها .

ولابد لنا لكى ندرك هذه الحلقات المتصلة أن نقسم المساجد والجوامع بما اشتملت عليه من تحف ومصنوعات فنية الى عصور أولها عصر الفسطاط الذى لا نجد له من الآثار سوى الأطلال ، وجامع عمرو بن العاص الذى امتدت اليه يد التوسيع والتبديل فأصبح بحالته الراهنة مخالفا

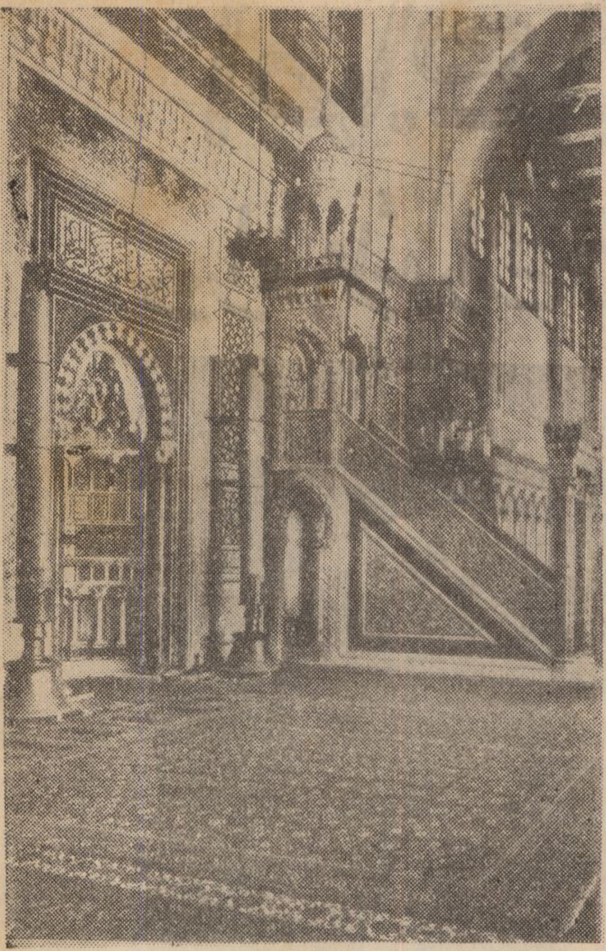

القبلة والمحراب
بالمسجد الاموى بدمشق

لما كانت عليه حاله من قبل ولو أن الأربع صوامع التى أمر معاوية بانشائها بأركان الجامع فى سنة ٥٣ هجرية من الظاهرات الجديرة بالذكر فهى أشبه شىء بالأبراج التى كانت بأركان المعبد القديم بدمشق . ولابد أن نذكر أن هذه الصوامع هى النواة الأولى لاقامة المآذن فى مساجد وجوامع القاهرة بعد ذلك . أما المحراب المجوف الذى أحدثه قره بن شريك فى سنة ٩٣ هجرية فهو على نمط نظيره الذى أحدثه عمر بن عبد العزيز بمسجد المدينة سنة ٨٨ هجرية .

وليس للعصر الطولونى فى مصر سوى جامع أحمد بن طولون الذى قضى زهرة عمره فى سامرا العباسية ، ولهذا وبالنظر الى بساطته واتساعه وجمال زخارفه ومنارته التى أقيمت على طرازها فانه يعد مفخرة العصر الطولونى ولا شك .

« له بقية »

أصابع الاستعمار

وراء الأحداث فى العالم العربى

* أحداث عدن الأخيرة
* حركة التمرد فى جنوب السودان
* مأساة فلسطين

أخى العربى

فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ شعبنا المكافح يتطلع العالم العربى فى أمل وترقب الى اليوم الذى يصبح فيه كل شبر من الوطن العربى نظيفا من كل مؤامرات الاستعمار والرجعية الخائنة . وان يعم أرضنا الحبيبة سلام دائم الى الأبد بعودة اللاجئين الى ديارهم واوطانهم وتحرير الجنوب العربى من براثن الاستعمار البريطانى الغاشم .. والنكسات التى يعانى منها شعبنا العربى منذ بداية هذا القرن وقبل بدايته. كان الاستعمار – الذى ابتلينا به ردحا من الزمان – هو السبب الأول والأخير فى كل ما أصاب الأمة العربية من هزات عنيفة فى الميادين الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وطعنها بسلاح التأخر والتخلف حتى استطاعت بقوة عزمها وصلابة كفاحها أن تتخلص من ذلك الكابوس الاستعمارى الذى ظل كاتما أنفاسها زمنا طويلا وكانت ارادة الشعوب اقوى مما يتصوره الاستعمار والمستعمرون .

واليوم نحاول القاء الأضواء على بعض الأحداث الهامة فى الوطن العربى والذى كان الاستعمار هو السبب المباشر لقيامها وسنكشف الستار عن حقيقتها وأنها جزء من المخططات الاستعمارية والأحلاف العدوانية .

السيدان خليفة عبد الله وقحطان الشعبى عضوا الوفد الذى سيعرض قضية عدن والجنوب فى الامم المتحدة ..

وهذه النقاط هى :

- أحداث عدن الأخيرة .
- حركة التمرد فى جنوب السودان
- مشكلة فلسطين

وسنخص بالكلام هذه الأمور الثلاثة بحسبانها الشغل الشاغل لكل مواطن فى أرضنا العربية .

الجنوب وبداية الصراع البريطانى

وقضية الجنوب المحتل فى مقدمة القضايا التى ظفرت بعناية العالم اليوم فقدا بدا واضحا مدى اغتيال بريطانيا لهذا الشعب المناضل فى بسالة عن حريته واستقلاله وأصبح من الأمور التى لا تقبل الجدل أن وجود بريطانيا فى هذا الجزء العربى انما هو امتداد تعسفى للاعمال الاستعمارية فى العالم العربى .

وقد كان للأحداث الأخيرة فى الجنوب المحتل صداها فى العالم العربى كما استنكرتها الحكومات والشعوب الحرة فى كل مكان .

والأمانة العامة للجامعة العربية تتابع باهتمام كبير أحداث المنطقة وتطوراتها الحربية والسياسية وهى على اتصال مستمر بالهيئات والمنظمات السياسية تتشاور معها فيما يحسن اتخاذه لمناصرة قضية الجنوب المحتل العادلة . كما تسهم بامكانياتها المادية والمعنوية وكذلك بمكاتبها فى الخارج ـ خاصة الوفد الدائم للجامعة فى نيويورك ـ من أجل نصرة القضية وتعريف الرأى العام العالمى بحقائق الأوضاع فى المنطقة .

ولا ريب أن الموقف فى الجنوب المحتل خطير للغاية وأن مصيره مصير العرب جميعا . والأمة العربية كلها لتشد على أيدى المكافحين من أبناء الجنوب وهى معهم بكل مشاعرها تشاركهم فى محنتهم ولن تتخلى عنهم فى نضالهم المقدس .

آخر المؤامرات الاستعمارية

وقد كانت آخر المؤامرات البريطانية فى الجنوب هى وقف العمل بدستور حكومة عدن والغاء السلطات التشريعية والتنفيذية وفرض الأحكام العرفية وحظر التجول وتبعا لكل هذا اعتبرت حكومة عبد القوى مكاوى ملغاة ولم يؤثر هذا فى التيار الشعبى الجارف فرد الوطنيون بقوة وعنف على هذه الاجراءات الارهابية فأطلق الثوار الوطنيون الرصاص على الجنود البريطانيين فى أنحاء متفرقة من المدينة واستبد الذعر بالقوات البريطانية واتخذت تدابير مشددة لحماية البريطانيين من هجمات الثوار واندلعت الثورة الشعبية فى كل مكان متظاهرة فليسقط الاستعمار وهتفت الجماهير بسقوط بريطانيا وأمام غضبة الشعب الثائر أعلن حاكم عدن البريطانى رفع حظر التجول .

اتركوا أرضنا

وقد وجهت منظمة تحرير الجنوب المحتل نداء الى كل مواطن شريف يخشى الله أن يرفض القيام بأية مسئولية سواء كان معينا كوزير اتحادى أو مستشار للمندوب « السامى » البريطانى فى ظل هذا الحكم الارهابى وقال البيان الذى أصدرته المنظمة ان شعار معركة اليوم هو «اتركوا أرضنا أيها المستعمرون أتركوا قاعدة عدن فورا»

مؤامرة بريطانية جديدة

وكشف البيان : المخطط الجديد للحكومة البريطانية فقال ان لدينا معلومات تؤكد أن الحكومة البريطانية تنوى اجراء محادثات مع حكومة ما يسمى باتحاد الجنوب العربى وحدها باعطائها استقلالا ذاتيا زائفا للتوقيع معها على عقد استئجار القاعدة العسكرية فى الجنوب وربما يمثل عدن فى المحادثات المندوب « السامى » البريطانى الذى آلت اليه كل السلطات بعد سريان وقف العمل بدستور حكومة عدن والغاء السلطات التشريعية والتنفيذية .

ومنظمة تحرير الجنوب التى لها شرف الاسهام فى العمل العسكرى والسياسى فى الجنوب العربى تؤكد انها سوف تقاوم بكل قوتها المخطط الاستعمارى الآثم الى ان تنتصر ارادة شعبنا وتتحقق أهدافه كاملة فى التحرير التام

من الاستعمار وضـــمان الاستقلال الحقيقى والوحـدة والاشتراكية .

الاهمية الاستراتيجية لقاعدة عدن

لماذا يستميت الانجليز فى التمسك بقاعدة عدن . ولماذا يرتكبون الحماقات ويخرجون على كل منطق ولماذا فتحوا على انفسهم هذه المعركة اليائسة ؟

هذه قصة الاستعمار مع عدن وهى اشبه بقصته مع كل بلد ابتلى بالسيطرة الاستعمارية .

● يلخص الكتاب الابيض لوزارة الدفاع البريطـــانية الصادر فى فبراير سنة ١٩٦٢ دور قاعدة عدن بانها احدى ثلاث قواعد رئيسية لبريطانيا والقاعدتان الأخريان همـا سنغافورة والجزيرة البريطانية نفسها .

● ويحدد مهمة عدن فى حماية المصالح البترولية فى المشيخات ومواجهة أى تهديد للمصـــالح البريطانية فى الشرق الأوسط وشرق افريقيا وتعتبر عدن قاعدة اساسية تشترك فى تحمل مسئولية الاحلاف الثـــلاثة ، المركزى والاطلنطى وجنوب شرقى اسيا .

● تحولت عدن بعد سقوط حلف بغـــداد الى مركز لقيادة الجيوش البريطانية فى شبه الجزيرة العربية ثم الى مركز لقيادة الشرق الاوسط .

● تقدر التكاليف التى انفقت على عملية التطـــوير للقاعدة البريطانية فى عـــدن بحوالى ٢٥٠ مليون جنيه استرلينى فى الفترة من ١٩٦٢ الى ١٩٦٤ .

● تخصص الميزانية البريطانية ٥ ٣مليون جنيه سنويا للصرف على القاعدة .

● فى عام ١٩٥١ أثر قيام الدكتور مصـــدق بتاميم الشركة الانجلو ايرانية للبترول قررت بريطانيا بناء مصفاة للزيت فى عدن وفى خلال ما لا يزيد على أربعة أعـــوام صرف عليها أكثر من ١٣٠ مليون جنيه وفى عام ١٩٦٤فقط أقر مشروع لتوسيع المصفاة على سنتين ورصد للمشروع ٧٠ مليون جنيه .

● فى عام ١٩٦٢ صرح وزير الدفاع البريطانى بان عدن أصبحت مستعدة للدفاع ضد أى هجوم ذرى عليها .

● نجحت سياسة بريطانيا التقليدية « فرق تسد » فى تحويل المنطقة الى ما يزيد على ثلاثين مقاطعـــة وامارة وسلطنة .

هذه يا أخى العربى أهم الأسباب التى من أجلهـــا تتمسك بريطانيا بقاعدة عدن ومن أجلها تنتهك أبسط القواعد الانسانية ، ولكن ارادة الشعوب فوق كل شىء وسيدوى بعد أيام صوت الجنوب فى أروقة الأمم المتحدة يندد ببريطانيا وسياستها الماكرة ويوضح للعالم كله عدالة المطالب العربية بضرورة جلاء الانجليز عن المنطقة وحرية الشعب فى تقرير مصيره .

توحيد القوى الوطنية

ومن اجل ذلك بدأت القوى الوطنية فى عدن والجنوب المحتل فى تجميع صفوفها ليضـــمها تنظيم ثورى واحد يواجه الاستعمار ويقود النضال ضده وقد تمت الاتصالات بين أعضاء الحكومة التى أقالها الاستعمار البريطانى وبين أعضاء منظمة تحرير الجنوب والجبهة القومية لهـــذا الغرض وقد تم انصهار جميع هذه المنظمات الوطنية فى شكل موحد وستكون أول خطوة على هذا الطريق هى تكوين وفد واحد يمثل هذه المنظمات لحضور اجتماعات الامم المتحدة باسم «وفد عدن والجنوب المحتل» وذلك عن طريق الجامعة العربية كل ذلك من أجل ايجـــاد خطة نضالية واحدة لمواجهة المخطط البريطانى .

القاهرة ومساندة الحركات التحررية

ولأن الجمهورية العربية المتحدة أخذت على نفســها العهد بمساندة كل الحركات التحررية فى العالم العربى وكل الشعوب المحبة للسلام المتطلعة الى الحرية من أجل هذا المبدأ رفض السيد الرئيس جمال عبد الناصر مقابلة الوزير البريطانى « طومسون » .

وقد أثار رفض الرئيس عبد الناصر هذه المقابلة دويا فى جميع عواصم العالم وتحدثت الصحافة عن فشل هـــذه الزيارة التى كانت تعلق عليها الحكومة البريطانية امالا كبارا فى تحسين علاقاتها مع القاهرة .

وفى القاهرة وفى نهاية الأسبوع الأول من أكتوبر الحالى وقع زعماء وممثلو عدن واتحاد الجنوب قبل ســـفرهم الى نيويورك وثيقة من ٦ مبادىء أجمعوا على تنفيذها وتم التوقيع فى مكتب الدكتور سيد نوفل الأمين العام المساعد للجامعة العربية وقد وقعها السادة :

عبد القوى مكاوى وخليفة عبدالله خليفة عن حكومة عدن والسلطان أحمد الفضلى ومحمد باسندوه عن منظمة التحرير وقحطان الشعبى وسيد الضالعى عن الجبهـــة القومية .

أما المبادىء التى تضمنتها الوثيقة فكان من اهمها :

● تركيز الحملة على الاستعمار البريطانى وتأكيـــد الوحدة الوطنية .

● التمسك بوحدة المنطقة .

● ضرورة التصفية الفورية دون قيد أو شرط للقاعدة البريطانية فى عدن وســـائر القواعد البريطانية فى أنحاء وجزر المنطقة .

● توفير الضمانات الأساسية لممارسة الشعب حقه فى الحرية وتقرير المصير .

تلك هى أهم النقاط التى تم الاتفـــاق على اثارتها فى الأمم المتحدة لقضية الجنوب .

والأمة العربية من أقصاها الى أقصاها لتتوجه الى الله العلى الكبير أن يحقق النصر الكبير لهذه القطعة العزيزة من أرض الوطن وكلنا أمل أن يسود السلام هذه المنطقة ويأخذ الاستعمار عصاه ويرحل من هذه البلاد الى الأبد وأن النصر لقريب .

أحداث السودان

ولأن الاستعمار لا يريد اســـتقرارا لأى دولة ما فانه — ما لم يستعمرها — يعمل على اثارة الفتن والقلاقل داخل الدولة الواحدة باثارة النزعات القبلية ويســـعى جاهدا لبث الانقسام المذهبى أو الجغرافى والتحزب الطائفى أو غير ذلك مما يراه كفيلا بتحقيق مخططه الاستعمارى الدامى الذى يكون غالبا على حساب البلد .

وآخر هذه المؤامرات الاستعمارية داخل النطاق العربى هى تلك القلاقل التى حدثت فى جنوب السودان أخيرا .

وان الانبـــاء المزعجة عن جنوب السودان تدل على أن أعداءنا لا يتوقفون عن تهديدنا وهى تؤكد لنا ما سبق

قوله وهو : اننا لا نملك الخيار فى الوقوف الى جانب الحركة الثورية . فان لم يقف السودان الى جانب الكونغو وقف رجعيو الكونغو ضد السودان واذا لم نقف نحن مع السودان ضد التآمر الاستعمارى هدد السودان وأصبح مركزا للرجعية المعادية لثورتنا ولذا فنحن نقف ضد التآمر الاستعمارى على وحدة السودان واستقلاله ونقف بجانب الشعب السودانى بكل قوانا فى هذه المعركة .

حقيقة المشكلة

وحقيقة المشكلة أن الاستعمار يريد تحويل مشكلة أقليات جنوب السودان الى حرب سافرة تحشد لها الطائرات والدبابات والسيارات المصفحة .

ولكن لم يكن من السهل أن تتفاقم المشكلة لو لم يهتم بها ويحركها دعاة الحروب ومعاونوهم الصغار ربائب الاستعمار فى كل قارات العالم .

والسبب ليس لمغنم اقتصادى فى جنوب السودان بالتحديد لأن ثرواته الطبيعية لا تساوى تكاليف انتاجها وتسويقها ... ولكن لأن جنوب السودان يطل على القارة كلها . ويفتحها أو يغلقها فى أغلب الجهات الأصلية والفرعية .. فجنوب السودان ملاصق تماما لخمسة بلدان افريقية هامة هى : الكونغو وأثيوبيا وأوغندة وكينيا وأفريقيا الوسطى .

وبريطانيا عندما استعمرت السودان لم تكتف بمجرد الحكم بشأن مستقبل جنوب السودان . لقد عزلته عن الشمال سياسيا وثقافيا واقتصاديا ودينيا بكل الوسائل غير المشروعة . وقد استخدمت أكثر من مرة سلطات الادارة خلال احتلالها الطويل لانشاء كيان خاص للجنوب تحت مختلف الأشكال « المشروعة » وغير المشروعة .

ودعت عام ١٩٢٥ الى ما سمى بمؤتمر جوبا حيث فشلت فى انتزاع قرار منه بكيان انفصالى للجنوب ومع ذلك فلم تفشل بريطانيا تماما .

لقد تركوا آثارا تدل عليهم بين البعض من قادة ومثقفى الجنوبيين واستغلت هذه القيادات أخطاء تقليدية ترتكب أحيانا مع الأقليات لتخرج بالمشكلة الى نزعة عنصرية كاملة تطالب بالانفصال وتجزئة الوطن الواحد .

وربما لا يجادل احد نظريا فى حق قومية مختلفة فى الانفصال ولكن فى اطار الاوضاع الواقعية للسودان ولافريقيا لا يمكن أن يكون الانفصال محققا لمصلحة أحد فى الجنوب أو الشمال فمن المؤكد أن الجنوبيين لا يتمتعون بوضع اقتصادى يحرمهم منه الشماليون ومن المؤكد أن شمال السودان هو المنفذ الطبيعى والتاريخى والحضارى لجنوب السودان وعندئذ لا تبقى سوى مصلحة الاستعمار وعملائه والذين يقفون وراءه فى القارة الافريقية .

لهذا كان من المتحتم أن يتحرك السودان بجيشه وشعبه للدفاع عن أرض الوطن ويصبح من الطبيعى أن يتضامن معه الجميع دفاعا عنه وعن أنفسهم .

ويصبح من المتحتم أيضا أن يفهم من لا يفهمون مغزى ومضمون دور بلادنا فى تدعيم حركات التحرر فى العالم وفى افريقيا والوطن العربى بشكل خاص لأنه فى النهاية ليس سوى دفاع أمامى عن حدودنا قبل أن يصبح الدفاع عن شوارعنا وبيوتنا .

مأساة فلسطين

مما لا شك فيه أن قضية فلسطين ليست من القضايا التى تشغل الرأى العام العربى فحسب .. ولكنها من أهم المشاكل التى تهم الرأى العام العالمى كله .

وان قيام اسرائيل فى فلسطين منذ ١٩٤٨ وبقاؤها حتى الآن : لمن أكبر العوامل على اثارة الفتن والقلاقل فى منطقة الشرق الاوسط وما يتبع ذلك من آثار على مجريات الأحداث العالمية مما يهدد فى كثير من الأحيان باندلاع حرب عالمية ثالثة .

وقد بدأ التاريخ الحديث للمشكلة الفلسطينية مع صدور قرار الأمم المتحدة المجحف برقم ١٨١ «٢» يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ الذى أوصى بتقسيم فلسطين الى دولة عربية وأخرى يهودية مع تدويل القدس تحت وصاية الامم المتحدة .

وصدر هذا القرار باغلبية ثلاثة وثلاثين صوتا واعتراض ثلاثة عشر صوتا وامتناع عشرة عن التصويت .

وما من شك فى أن تكوين الأمم المتحدة الآن يختلف عن تكوينها حين أصدرت هذا القرار المشئوم فقد زاد عدد الأعضاء على الضعف وجميع هذه الدول التى انضمت بعد عام ١٩٤٧ من الدول التى استقلت حديثا وظهرت مجموعة دول باندونج ومجموعة دول عدم الانحياز وهى كلها تشكل تيارا عنيدا يصارع الاستعمار وقد استطاع هذا التشكيل الجديد أن يحبط كثيرا من المؤمرات الاستعمارية والصهيونية .

وعد بلفور .. وقيام اسرائيل

وقصة اصدار وعد بلفور أو قيام ما يسمى باسرائيل هى قصة التزاوج الآثم بين المصالح الاستعمارية البريطانية والصهيونية العالمية . وقصة الديبلوماسية الصهيونية فى أبرع مراحل خداعها وأضاليلها . وقصة السياسة البريطانية المناقضة لكل القيم والمعايير الأدبية والخلقية .

وقد قامت اسرائيل بعد مؤامرات بلغت حبكتها عام ١٩٤٧ وقد بدأت هذه المؤامرات بظهور كتاب « تيودور هرتزل » « الدولة اليهودية » سنة ١٨٩٥ والذى رسم فيه الخطوط العريضة لاقامة دولة يهودية ثم تبع ذلك عقد المؤتمر الصهيونى الأول فى بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ وأصدر التوصيات الآتية :

- تشجيع الاستعمار اليهودى لفلسطين .
- تنظيم الحركة اليهودية وتوحيد هيئاتها .
- ايقاظ الوعى اليهودى .
- القيام بمساع للحصول على موافقة الحكومة على أهداف المعركة .

الاستعمار دائما

وتلعب التوصية الأخيرة الدور الأكبر فى تحقيق أهداف الصهيونية فلجأوا أولا الى السلطان العثمانى لكنه رفض

الاستعمار والصهيونية العالمية وراء تشريد مليون لاجىء عربى ..

الاستجابة الى مطالبهم . وحاولوا مع امبراطور ألمانيا الا انه رفض اقامة دولة يهودية فى فلسطين تحت حماية ألمانيا خوفا من تاليب فرنسا وبريطانيا عليه . ولذلك اتجهوا الى انجلترا .

وكانت كل الدلائل تشير الى أن بريطانيا هى خير سند للصهيونية . وقد كان البريطانيون يمهدون ليوم تستيقظ فيه شعوب هذه المنطقة وعندئذ تصبح المصالح الاستعمارية بحاجة الى من يحميها وتقدم الصهاينة يعرضون خدماتهم فى هذا السبيل .

وهكذا تلاقت الاطماع الصهيونية مع الأهداف البريطانية ونتج عن هذا التلاقى صدور وعد بلفور المعروف .

وقد اعترف اليهودى « وايزمان » فى كتابه المحاولة والخطا Trial and Error أنه أقنع المسئولين البريطانيين أنه اذا قامت دولة يهودية فى فلسطين فانها ستكون درعا للمصالح البريطانية وحاميا لقناة السويس. واعتبر اليهود وعد بلفور وثيقة التزمت بكيانهم كشعب له الحق فى اقامة وطن قومى فى فلسطين .

مشاريع التقسيم ودور الصهيونية العالمية

سار المخطط الاستعمارى الصهيونى فى تنفيذ اغراضه فأصبح لليهود اعداد لا باس فى فلسطين وأصبح لهم أراض يمتلكونها بعد أن كانوا لا يمتلكون شيئا فيها وابتدأت مرحلة جديدة سنة ١٩٤٧ هى مرحلة مشاريع التقسيم.

واذا كانت نهاية الحرب العالمية الأولى قد تمخضت عن حصول اليهود على وعد بلفور فان الحرب العالمية الثانية قد تمخضت عن حصول اليهود على قرار تقسيم فلسطين واكتسبت تأييد « ترومان » رئيس الولايات المتحدة فى ذلك الحين حتى أصبح أكثر حماسا لتحقيق أهدافها من كثير من اليهود أنفسهم .

وتبنت أمريكا قضية الصهيونية فى الأمم المتحدة وباشرت ضغطها على الدول المختلفة حتى صدر قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ وأعطى النقب لليهود وتمسك الصهاينة بهذا القرار واستماتوا فى الدفاع عنه وعندما عارض العرب هذا القرار الخطير وخشيت أمريكا أن يؤدى هذا الى قلاقل فى الشرق الاوسط أرادت أن تتراجع وتقدم « الكونت فولك برنادوت » بمشروع يعطى صحراء النقب للعرب الا أن اليهود لم يطيقوا مجرد مناقشته فاغتالوه . وهكذا قضى على مشروعه .

وهكذا تمت المؤامرة الاستعمارية بقيام ربيبة الاستعمار الكبرى « اسرائيل » على حساب عرب فلسطين .. نعم على حسابهم وعلى حساب أرضهم وديارهم وأصبح السلام فى هذه المنطقة مستحيلا وكيف يكون سلام أو تعايش سلمى وأرض العرب مغتصبة وحقوقهم مسلوبة .. لم يعد سوى حل واحد هو هجرة اليهود الى حيث كانوا وعودة اللاجئين الى ديارهم ومزارعهم مع تعويضهم عن ما أصابهم من خسائر مادية وأدبية طوال الاعوام التى سلفت .

ومن العجيب أن الصهيونية العالمية بدهائها وسيطرتها على وسائل الاعلام استطاعت ايهام العالم أن العرب هم الذين يهددون السلام برفضهم عقد صلح مع اسرائيل .

والسلام كما تفهمه اسرائيل ليس السماح بعودة عرب فلسطين ولا الكف عن فتح أبواب الهجرة واحلام التوسع. وانما هو اعتراف الدول العربية بها وبسيادتها على الأرض المحتلة ورفع المقاطعة العربية وفتح قناة السويس للبواخر التى تحمل علم نجمة داوود .

يا للعجب .. انا رأيى ــ كما هو رأى كل عربى ــ بل كل مواطن حر فى جميع أنحاء العالم أنه ليس لها من علاج حاسم سوى قبضة واحدة من حديد تدفعها يد عربية واحدة لتقذف بها عرض البحر وتعيد المشردين الى حيث كانوا قبل التشريد .

أسماء

بنت أبي بكر

اعداد عائشة حسني

هذه سيدة اشتهرت برواية الحديث والشجاعة والبسالة ، دفعت ابنها الى الموت دفاعا عن الاسلام ولم يردها حنان الأم على ولدها تجاه ما راته له من مجد فى مقتله ، ومن نجاة من عار الاستسلام .

هى : اسماء بنت أبى بكر الصديق الصحابى الأول وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . زوجة الزبير ابن العوام وأم عبد الله بن الزبير واخت عائشة زوجة الرسول عليه السلام .

كانت أسماء مثالا للمرأة القوية بايمانها وعزيمتها فكانت تذهب كل ليلة بالزاد والماء للنبى وصحبه فى غار حراء فكانت تقطع ثلاثة أميال فى الليل بين اسنة الصخر متخفية حذرة مترقبة حتى تصعد الى الجبل فتوافى رسول الله وصاحبه بما قصدت له .

فهذه حقيقة أسماء التى تركت الأطفال فى ملاعبهم يأوون الي صدور أمهاتهم ، وتذهب الى حيث يعجز أشداء الرجال وأبطالهم . وبذلك نستطيع أن نقول انها ساهمت فى اداء الرسالة وحفظها مع النبى واصحابه من المؤمنين والمؤمنات . فكانت مثلا رائعا ونفسا طيبة من النفوس التى استخلصها الله لدينه واصطفاها لدعوته ، ونفث فيها من روحه .

وجدت اسماء الطريقة امامها عثرة كما لاقته من بلاء قريش وأذاهم . فقد أحاط بها رجال القوم ذات صباح ليتعرفوا منها أمر أبيها ، فأنكرت أمره فآذوها حتى لقد لطمها أبو جهل بن هشام لطمة طار لها قرطها فلم يقلل ذلك من عزيمتها .

وهكذا عاشت اسماء تشق طريقها المخيف بايمان وعزم وفى الليلة المتفق عليها لمفارقة الغار الى عرين الانصار امدتهما بزاد السفر كله . فلما آذن رسول الله بالرحيل نهضت لتعلق سفرة الزاد ، فاذا ليس لها عصام فلم تجد ما تعصمها به الا نطاقها ، خرجت عنه وشقته نصفين فعصمت السفرة بنصفه ، ووكات السقاء بباقيه فابدلها الله بنطاقها ذلك نطاقين فى الجنة وبذلك سميت بذات النطاقين حدثتنا اسماء فقالت : لما خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم وخرج ابو بكر معه ، احتمل أبو بكر ما له كله خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف فتعلق بها ، قالت : فدخل علينا جدى ابو قحافة ، وقد ذهب بصره . فقال : والله انى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قالت : قلت كلا يا ابت ! انه قد ترك لنا خيرا كثيرا . قالت : فاخذت احجارا فوضعتها فى كوة فى البيت ، كان أبى يضع ماله فيها .. ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يالأبت ضع يدك على هذا المال . قالت ، فوضع يده عليه فقال : لا بأس اذا ترك لكم هذا فقد احسن ، وفى هذا بلاغ لكم ولا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكنى اردت ان أسكن الشيخ بذلك .

فهل يوجد مثلا أدل على سمو المرأة وعظم منزلتها من هذا ؟ وبمالها من مواقف ومشاهد ملء المسامع والأبصار ؟ .

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الحافظ الأمين لحقوق المرأة ولذلك نجده يوم وافى المدينة ، بسط يده للنساء وبايعهن كما بسطها للرجال فبايعهن

وتتجلى شجاعة اسماء حين سار الحجاج بن ابى عبيد الثقفى الى مكة وحاصرها وضرب الكعبة بالمنجنيق وأرغم اهلها على طلب الامان وانضم اليه بعض اتباع الزبير وغيرهم من ذوى قرباه ، وبقي عبدالله بن الزبير ومعه عدد قليل من انصاره . وفى تلك الفترة الحرجة من حياة ابنها عبدالله استحثته على الاستمرار فى القتال دون أن تحفل بما قد يصيبه من شر ، مادام يدافع عن الحق ويذود عنه .

وهكذا دفعت أسماء ابنها عبدالله بن الزبير الى الموت فى قتاله الحجاج ، عامل الأمويين ، ولم يردها حنان الأم على ولدها بان تدفعه الى المجد والفرار من عار الاستسلام .

وروى انه لما تفرق عن عبدالله اصحابه وخذله من معه خذلانا شديدا ، وجعلوا يخرجون الى الحجاج ، حتى خرج اليه نحو عشرة الاف . وكان ممن فارقه ولداه حمزة وخبيب . فاخذا من الحجاج لنفسيهما الأمان . دخل عليها فقال : يا اماه ! قد خذلنى الناس حتى ولدى وأهلي ، ولم يبق معى الا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوننى ما اردت من الدنيا فما رأيك ؟ فقالت انت والله أعلم بنفسك ، ان كنت تعلم أنك على حق واليه تدعو ، فامض فيه ، فقد قتل عليه اصحابك ، ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني امية . وان كنت أردت الدنيا فبئس العبد انت ، اهلكت نفسك ومن قتل معك ، وان كنت على حق ، فلما وهن اصحابى ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ، ولا أهل الدين . وكم خلودك فى الدنيا ؟ القتل احسن . فقال لها : يا أماه ! اخاف ان قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبونى . فقالت : يا بنى ! ان الشاه لا تتألم بعد الذبح . فاقض على بصيرتك واستعن بالله . فقبل رأيها وقال : هذا رأى ، فطفقت امه تدعو له وتشجعه وقالت : انى لأرجو من الله أن يكون – عزائى فيك حسنا أخرج حتى انظر ما يصير اليه أمرك . فخرج وقاتل حتى قتل . – على أن النصر كان فى النهاية حليف الحجاج ، وقتل ابن الزبير ، ولكن أمه بثت فيه من روحها ما جعله يقابل الموت بصدر رحب ، وتجنب ذكر اسمه فى التاريخ مقرونا بالجبن والتردد .

وكانت اسماء بنت ابي بكر تقول لبناتها ونساء آلها : انفقن وتصدقن ولا تنتظرن الفضل فانكن ان انتظرتن الفضل لم يفضلن شيئا ، وان تصدقتن لم تجدن فقده

فاسماء لم تكن شجاعة فقط بل كريمة تحب الخير وتتصدق على المحتاج .

وقيل عنها بانه تقدم اليها ولدها المنذر بن الزبير من العراق بثياب رقاق عتاق بعد ما كف بصرها ، فلمستها بيدها ، ثم قالت : ردوا عليه كسوته فشق ذلك عليه وقال يا أمة انها لا تشف فقالت ان لم فانها تصف

وبذلك كانت أسماء من الأمهات اللواتى انبلج عنهن فجر الاسلام وسمت بهن عظمته وصدعت بقوتهن قوته وعنهن ذاعت مكارمه ورسخت قوائمه فهى مهبط الشرف والعز والمجد .

وهكذا كانت حياة أسماء صفحة حافلة بالبطولة والبسالة والشجاعة وتوفيت سنة ٧٣ هـ وتبلغ من العمر مائة سنة .

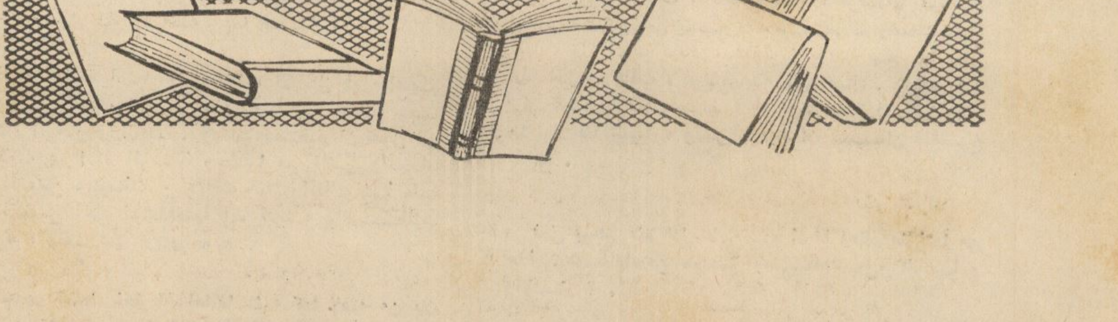

المرأة المسلمة في موريتانيا

اعداد : نجاة الزنيري

في عدد سابق من المجلة كنت قد التقيت بسفير موريتانيا الجديد بالقاهرة السيد الخضرمي بن خطرى .. وحدثني سيادته عن كفاح موريتانيا السياسي وتاريخ دخول الاسلام ونظم التعليم ومراحله ونشاط الجمعيات الاسلامية هناك . ولم أشأ أن أغادر السفارة قبل أن استكمل صورة موريتانيا في ذهني وعلى صفحات المجلة .. فماذا عن المرأة الموريتانية واين وقفت في مراحل الكفاح السياسي في الماضي .. وما هو مكانها في معركة أبناء المجتمع الموريتاني الناهض . ومن مستشار السفارة حصلت على المعلومات التي أردت أن أصل اليها

المرأة الموريتانية شاعرة . وفقيهة . وتاجرة :

كان التعليم لكل من الفتى والفتاة خلال فترة ماقبل وحتى الاستقلال قائما على نظام الكتاتيب حيث يدرس القرآن الكريم وعلوم الدين مثل الفقه والتوحيد وكذلك علوم اللغة العربية وآدابها . غير أن الفتاة في بعض المناطق كانت تحصل على قسط أقل من الفتى .

أما في الوقت الحاضر وان كانت الفتاة في بعض مناطق البادية مازال تعليمها كما كان من قبل الا أنها في المدن وفي بعض البوادي في الوقت الحاضر وبعبارة أخرى بعد الاستقلال قد دخلت المدارس الحديثة اسوة بالفتى في المرحلتين الاول - الابتدائي والثانوي - وليس هناك ما يقف في طريق الفتاة الموريتانية لاستمرار تعليمها في المستوى العالي خارج البلاد حيث لا يوجد تعليم جامعي في موريتانيا . غير أن بعض العائلات الموريتانية مازالت تجد من الصعب السماح للفتاة بالاستمرار في التعليم العالي الذي يحتم سفرها للخارج . الا أن الأمور تتغير في البلاد بسرعة مذهلة .. واليوم يوجد العديد من المدارس لكل من الفتيات والفتيان في مدارس منفصلة - وفي البلاد الآن مدرسات وطنيات موريتانيات تخرجن من المدارس العالية حيث حصلن على قسط وافر من التعليم بحيث يستعملن اللغتين العربية والفرنسية . والمرأة الموريتانية شاعرة تنظم قصائد الشعر في مختلف المناسبات وهناك مطربات تغني قصائد الشعر بعد تلحينها على آلات موسيقية خاصة فالشعر والغناء من أهم ما تمتاز به الحياة هناك .

والمرأة الموريتانية أيضا دارسة للفقه وفقيهة .. وهي أيضا تمارس مهنة التجارة لتساعد في رفع المستوى الاقتصادي للاسرة .. الا أن المرأة الموريتانية تميل بطبعها اكثر ما تميل الى ان تكون ربة بيت متفرغة لرعاية أطفالها وزوجها .

كل ميادين العمل مفتوحة أمام المرأة الموريتانية :

ان الزائر الى مكاتب الدولة في العاصمة وغيرها يستطيع بسهولة أن يرى الفتيات الموريتانيات يعملن جنبا الى جنب مع الرجال في الاعمال والوظائف الكتابية مثل الحاسبات وكاتبات السر ومدرسات وممرضات وقابلات . وهناك الآن عدد غير قليل من الفتيات يتدربن اداريا على الاعمال الادارية بعد أن حصلن على شهادات تؤهلن الى مثل هذه الأعمال . غير أن أهم ما في الأمر أن الفتاة الموريتانية لا تعاني من أي مركب نقص في نفسها مطلقا من حيث مكانتها في المجتمع فلا توجد أية مشكلة تمنعها من الحصول على المراتب التي يحصل عليها الرجل في العمل ولم تضع الحكومة الموريتانية أي عائق في سبيل تقدمها وتطورها وحصولها على أية وظيفة تريدها ولم تحدد لها الوظائف التي لا تستطيع مزاولتها .. فالميادين كلها مفتوحة أمامها بدون استثناء .

نشاط الجمعيات النسائية :

اشتركت الفتاة الموريتانية في نشاط مكاتب حزب الشعب الموريتاني في كافة أقطار البلاد كما نظمت المرأة فروعا خاصة لتزيد من نشاطها في الميادين الاجتماعية على اختلاف أنواعها فقد انشئت المنظمات لرعاية الطفولة من أجل توجيه المرأة توجيها سليما يتفق وروح ومتطلبات العصر الحديث اذ أن هذه هي مخططات حزب الشعب الموريتاني فيما يختص بالتطور الاجتماعي في البلاد وتوجد منظمات نسائية من أجل تعليم المرأة العديد من الحرف واعمال البيت اليدوية والفنية مما يساعد المرأة على نشاطاتها اليومية . ولكل جمعية من هذه الجمعيات فروع في أمهات المدن وذلك حتى تضمن الجمعيات فعالية واستمرار تقدم نشاط الفتاة في البلاد .

وقد لعبت المرأة دورا مهما بمساعدة مكاتب حزب الشعب الموريتاني فاشتركت في الاجتماعات الدولية وخاصة التي نظمت في المناطق الافريقية المجاورة .

وسافرت المندوبات للقرى والاقاليم المجاورة لنشر التوعية بين الاسر . وتساهم الاذاعة في نشر البرامج النسائية لتوجيه المرأة الى كل ما هو افضل واحسن في طرق التربية الحديثة وفن الحياة السوية السليمة وحل المشكلات الاسرية وعن طريق الراديو الترانزستور الذي دخل كل بيت وكل خيمة دخل الوعي الى كل الأسر الموريتانية .. وفي مراحل الكفاح السياسي كانت المرأة تخرج في مظاهرات وطنية حماسية حاملة الاعلام والشعارات بالاستقلال .

ومركز المرأة قوى ممتاز يتميز بشعور قوى بالذات لأنها ليست محرومة من أى حق ولا تشغلها المطالبة بحق المساواة لأن المساواة متحققة فعلا فى كافة الميادين وحزب الشعب يشجع التوعية السياسية بين صفوف النساء وللمرأة حق التصويت لكنهن لسن ممثلات فى مجلس الامة وسيتحقق ذلك فى المستقبل القريب ان شاء الله وفى كل خلية من خلايا الحزب يجب ان توجد سيدة ممثلة فى كل قرية وبذلك تتمكن المرأة من ابداء رأيها ومناقشة كافة الموضوعات المعروضة للبحث .

اهم مميزات الأسرة الموريتانية :

يتكون الشعب الموريتانى من مريتانيين عرب وموريتانيين زنوج و٧٥ ٪ من سكان موريتانيا من ابناء البوادى .. ونسبة المسلمين ١٠٠ ٪

وبما أن التقاليد اسلامية عربية فان التغير من قرية الى قرية ليس قويا .. الا أن هناك بعض العادات التى تتباين وتختلف من قبيلة لاخرى ومن قرية لاخرى ومن مدينة لاخرى كما أن عادات البادية تختلف عن عادات المدينة . والمرأة الموريتانية مركزها قوى فى الاسرة ولها سيطرة اجتماعية بين أفراد أسرتها . وفى كثير من البيوت تجلس المرأة مع ضيوف زوجها من الرجال الان المرأة فى البادية اكثر تحفظا فهى ان استقبلت ضيوف زوجها لا تستطيع أن تجلس معهم وانما تجلس فى مكان جانبى لهم . وتعدد الزوجات منتشر بين الاسر الزنجية ويضم البيت الواحد أكثر من زوجة .. أما المرأة العربية فلا تقبل التعدد الا فى حالات نادرة وتلجأ الى المحاكم فى رفض التعدد .. ولا تقبل السكن مع زوجة ثانية اطلاقا ..

والاسرة الموريتانية تحب الطرب والغناء ويتوارثه الأبناء عن الآباء وقديما كان الزوج وزوجته يتعايشان من الغناء عند الامراء ويعودان باموال طائلة وما زالت هذه الوسيلة للرزق موجودة فى البادية وان كانت قليلة فى المدن بعد أن تعلمت المرأة والتحقت بالوظائف الحكومية .

وقديما كانت خطبة الفتاة تتم من الصغر .وتستمر حتى يتحقق الزواج ما بين سن الرابعة عشرة والخامسة عشرة لكن بحكم التطور والتقدم ارتفع سن الزواج الان وخاصة فى المدن . وفى حفلات الزواج يستمر الحفل اسبوعا تقام فيه الولائم وتذبح الخراف بكثرة بقصد التفاخر والتباهى ويستمر الرقص الشعبى والطبول التقليدية ويغنى الرجال وترقص النساء فى تشكيلات جماعية وفردية ويقوم الزوج بتاسيس المنزل بكل احتياجاته .

وفى البادية تقام للزوج ما يسمى « بالقبة البيضاء » وهى تقام داخل الخيمة عند أسرة العروس ويقيم فيها الزوج وزوجته الى مدة معينة قبل انتقالهما الى خيمتهما الخاصة التى هى بمثابة منزلهما الجديد . وقد يستمر بقاء الزوج وزوجته عند أسرة الزوجة حتى تلد مولودها الأول . وهذه كلها تقاليد تختلف من قبيلة لاخرى ويلاحظ أيضا قيام نوع من التحفظ فى العلاقة بين الزوج ووالد زوجته بمجرد أن يتم زواجه . اذ يصعب عليه التحدث مع والد زوجته الا بتحفظ .

والشعب الموريتانى يحب الافراح والاعياد والغناء والطرب . والعروس نهتم جدا بالحنة تتجمل بها فى يديها وقدميها وأيضا « ظفرة الرأس » أى تصفيف شعرها ورغم ان الزوج يدفع مهرا مرتفعا جدا الا انه يقوم باعداد منزل الزوجية حتى ملابس العروس يحضرها هو

الطعام الشعبى الموريتانى :

ويعتبر « الكسكسى » هو الطعام الشعبى الذى لايخلو منه اى منزل موريتانى وكذلك « اللحم المشوى » وتكثر ذبائح الخراف فى المناسبات والاعياد وعند استقبال الضيوف وهذا كنوع من المغالاة فى المظاهر .

ملابس المرأة .

لايمكن التفرقة بين ملابس المرأة الموريتانية والمرأة السودانية نفس الثوب الطويل الذى يغطى الجسد كله والشال الكبير الذى يلتف حولها كاشفا عن وجهها فقط الا أن المرأة فى البادية ترتدى اللون الاسود دائما. اما فى المدن فثيابها ملونة .

شبابيك أداة لبناء مستقبلك

ومن جريدة الشعب التى تصدر فى موريتانيا باللغة الفرنسية . ومن صفحة المرأة أنقل موجزا لمقال موجه الى الاخت الموريتانية ..

يقول المقال : « أيتها الموريتانية .. اختاه لو كنت تعلمين حقا أن شبابك اداة لبناء مستقبلك . لو كنت تعلمين انه يستطيع أن يصنع حياة أفضل للجيل المستقبل لتفهمى كم كان من واجبك أن تستغليه وتثريه لتستفيدى منه أقصى استفادة . الا أن هذه الاداة القيمة التى يمثلها شبابك لن تستطيعى استخدامها لفائدتك مالم تتمتعى بعوامل مساعدة أخرى تمكنك من النمو من تكوين شخصية فريدة . فردى اذن منذ اليوم التخلى عن كل عقد النقص وارفضى البقاء أسيرة للتقاليد والعادات التى تعطل تحررك ستكتشفين حينئذ افاقا جديدة بل ستكتشفين العالم ستسيرين حينئذ بخطى أكثر ثباتا نحو مصيرك ولكن هذا المصير لا تخضعى له بل يجب أن تصنعيه بنفسك ولهذا يجب أن تتعجلى فى تحديد هدف بذاته واهداف واضحة المعالم وبذلك تتفادين التشتت وتعرفين كيف تستخدمين طاقاتك وامكانياتك لتحقيق مثلك الاعلى والدفاع عنه. انصتى اذن لقول الشاعر

وقف دون رايك فى الحياة مكافحا
ان الحياة عقيدة وكفاح

ليكن سلوكك واضحا واعملى بشجاعة واخلاص وتسلحى بالصبر وستحصدين بكل تأكيد ثمار عملك . سيتم هذا بالصفات التى ستحصلين عليها بالصبر والتى ستؤكد شخصيتك ببطء ولكن بتاكيد وثبات دائم . اعتمدى على الفهم والادراك ولا تقبلى الاعتقادات الساذجة والدعايات . كونى واقعية وتابعى بحزم واصرار الانجازات المادية والايجابية .. ان الواجب يدعوك لتحمل المسئوليات لا تبقى سجينة العادات القديمة .. تخلى عنها تفتحى للعالم والاهتمامات الخارجية استفيدى من دروس الحياة ومزايا المدنية الحديثة .

لقد كنت مهملة أثناء السنوات الطويلة الماضية لان مجتمعك الذى انت عضو فيه كان يعيش مرحلة الخسوف فى حياته وتطوره .. واليوم بعد ان اصبحت حرة فى مجتمع حر . حررى نفسك من كل العقد ولتكن لك التزامات جديدة متعددة وتقدمى للامام دائما ـ الاسلام والحزب والمجتمع يحميك ـ تاملى هذه الكلمات يااختى .. واتمنى لك حياة عائلية سعيدة .. »

دولة الحشاشين ...

[redacted]

الأستاذ: محمد فهمي عبد اللطيف

الا ماأشبه الليلة بالبارحة ، كما يقول المثل • وما زال الهوس آفة الدعوات الرشيدة فى كل عصر ، وما زال الحقد شر ما منيت به أعمال الخير بين الناس فى كل زمن • وأن هذا الذى يتناقله الناس اليوم ، عن جماعة من الارهابيين المنحرفين ، اتخذوا الاسلام وسيلة وشعارا لايذاء النـاس والاضرار بمصالحهم ليقـابله طرف من التاريخ لايختلف فى صورته ووسائله وأهدافه والصورة التى تتمثل اليوم فى أعمال هذه الجماعة ووسائلها هى نفس الصورةالتى تمثلت من قبل فىأعمال تلك الجماعة التى عرفت فى التاريخ الاسلامى باسم جماعة الحشاشين وكان زعيمهم رجلا حاقدا على الناس موتورا من حكام الاسلام وقادة المسلمين فاتخـذ من الاسلام شعارا لهدم كل مافى الاسلام من معنى شريف وغرض نبيل ، وفى سبيل غرضـه أحل القتل وسفك الدماء ، واباح لاتباعه الفسوق والفجور وادمان الشهوات وعول على الغدر والغيلة فأنشأ جهازا ارهابيا أفزع به العباد والبلاد واننا اذ نبعثقصة هذا الرجل من التاريخ وذلك لكى يحذر الناس أن تتمثل هذه القصة الاجرامية تحت بصرهم وسمعهم مرة أخرى • ولكى لاينخدع أحـد بتلك الشعارات البراقة التى يتخذها أصحاب المـآرب المتهمة وسيلة لتحقـيق مآربهم ، ثم لنؤكد الحقيقـة السافرة التى تقول : الجريمة لاتفيد •

فمن هو ذلك الرجل ؟ وما هى قصته فى التاريخ ؟ كان ثلاثة من الشـبان يطلبون العلم فى نيسـابور فتعاهدوا فيما بينهم على أنه اذا أقبل الحظ علي أحد منهم ونال فى الدنيا جاها او منصبا فعليه أن يأخـذ بيدى صاحبيه وأن يجعل لهما من جاهه نصيبا يرتفع بهما الى المثانة بين الناس والمكانة فى الحياة •

أما أول الثلاثة فهو العالم الشاعر عمر الخيام • فقد نبغ فى علم الفلك والرياضيات وكان له فى الشـعر موهبة وذوق وفن • وقد غمـرته روح صـوفية عميقة فانصرف عن الدنيا والحياة وما يتكالب عليه الناس من أطماع الدنيا والحياة •

واما الثانىفهو نظام الملك • كان رجلا رزينا مستقيما اقبلت عليه الدنيا فنال الرياسة وتـولى الوزارة ومن آثاره الخالدة المدرسة النظامية التى اسسها لنشر المذهب السنى ومواجهة المذهب الشيعى الباطنى الذى كان ينشره الفاطميون فى مصر •

والثالث الحسن الصباح ، وكان رجلا ذكيا ، ولكنه لم ينبغ فى علم ، ولم ينل حظا من الدنيا ، فتوجه الى صاحبه نظام الملك فى بغداد ، وسأله أن يوفى بمـا تعاهدوا عليه وهم يطلبون العلم فى نيسابور ، فأوفى الرجل بعهده ، وولى الحسن الصباح منصبا كبيرا ، وجعله أمينا على أموال الدولة ، ولكن الحسن كان ينطوى على نفس شريرة ، وبدلا من أن يحمد هذا لصاحبه وأن يكون موضع ثقته فانه أخذ يغش ويدلس فى الامور وينهب أموال الدولة • ووقف نظام الملك على حقيقـة الرجل ، وخشى أن يظهر أمره للناس فيهلك وكانت بين جوانح نظام الملك نفس خيرةفرعى للحسن حق رفقةقديمة وعهد سابق ولم يشأ أن يتركه للتهلكة فستر عليه جرمه ونصحه بالهرب حتى تضيع معالم السرقة وينجو من الموت والهلاك •

وهـرب الحسن الصباح ، وخرج من بغـداد يضرب فى فجاج الارض ، وفى نفسه حقد دفين على نظام الملك وانه لينفسعليه مامناله من الوزارة . فأخـذ قصـده الى القاهرة وانضم الى مدرسة الحـكمة التى أنشأها الحاكم بأمر الله لنشر المـذهب الشيعى الباطنى الذى أنشأ نظام الملك المدرسة النظاميـة لمقاومته • وكانت تعاليم مدرسة الحكمة تهدف الى تقويض الخلافة الاسلامية فى بغداد وهدم كل مايتصل بهذه الخلافة من التقاليد والتعاليم والمظاهر ، بل هدم جميع الشرائع التى يعيش عليها الناس ويتوارثونها جيلا بعد جيل •

وكان التعليم فى مدرسـة الحاكم بأمر الله يتم فى مراتب • ففى المرتبـة الاولى يلقنون الطالب تفسـيرا للقرآن يتفق مع تعاليمهم ، ويسمونه بالتفسير «المكتوم» •• وفى المرتبـة الثانية يفرضون عليه ايمانا وأقساما يقسمونبها ويبالغون فى حفظها ، وفى الثالثة يعرفونه الائمة المقامين من الله تعالى والذين هم فى مذهبهم أصل كلمعرفة ويعرفون المستودين وعددهم سبعة.وبعد ذلك ينتقلون الى المرتبة الرابعة فيزعمون له أن لكل واحد من هـؤلاء السبعة المستورين اثنى عشر رسـولا للدعوى الى الايمان الصحيح ثم تكون المرتبة الخامسـة وهى مرتبة فحص السنن والتعاليم الاسلامية فيلقنون الطالب أن جميع الشرائع باطلة ، وأن مايأخذ به النـاس من تعاليم الاسـلام انما هى مظاهر كاذبة وان الاسلام الحقيقى هو ذلك الاسـلام الباطنى « المكتوم » الذى يختصونه به • ثم تكون مرتبـة الاسرار ومن هذه انكار الجنة والنار وابطال الاعمال وانه لا ثواب ولا عقاب على عمل فى الدنيا أو فى الاخرة • اما المرتبة الاخيرة فهى مرتبة الانقيـاد والاستسلام ، فلا يعصى الطالب لشيخه أمرا ولا يحق له ان يجادله فى هذا الامر مهما يـكن خطـره •

تخرج الحسن بن الصباح في هذه المدرسة واظهر ذكاء وبراعة في فهم تعاليمها الهدامة فاختاره القوم ليكون كبير دعاتهم في الافاق . فانطلق ذلك الشيطان الرجيم يعمل على تقويض معالم الدولة الاسلامية وكل ماهو قائم في الاسلام ليبني على انقاض ذلك دولة لنفسه يسيطر بها على بلاد العرب والعجم .

كان اول ما عمله الحسن ان رتب الدعاة وسيرهم الى حلب وبغداد وبلاد فارس وجميع الاطراف في الشام والعراق . ثم اتخذ له مقرا في « قلعة الموت » بولاية جيهان من بلاد فارس واخذ يجمع الاتباع الاشياع من حوله ويرتبهم الى ثلاث طوائف :

● الرفاق هم الذين اعتنقوا المذهب وخضعوا خضوعا تاما للسلطة الدينية والمدنية التي هي الرئيس وحده دون غيره .

● الدعاة وهم الذين يدعون الناس الى المذهب ويرشدونهم الى طريقتهم

● الفداوية وهم عدة الرئيس وسلاحه وسيف نقمته على الملوك والسلاطين وكل من يريد الغدر بهم واذلال من يعمل على اخضاعهم لسطوته وسلطانه ، او هم « الجهاز الارهابي » كما نقول في التعبير الحديث .

اعداد الجهاز الارهابي :

وكان الحسن يبدأ في اعداد هؤلاء الفداوية او الجهاز الارهابي بمرحلة تلقينية على يد الرفاق الدعاة فيعلمونهم ان سلامة الواحد منهم معلقة بنداء روحه وان عقاب المخالف شديد جدا وان جزاء المطيع منهم الجنة الخالدة والنعيم المقيم . وكانوا يقولون لهم اذا كانت الازارقة والخوارج قد سمحوا ببذل ارواحهم في قتال بني امية فكيف تبخلون ببذل نفوسكم في نصرة امامكم وانتم تعلمون مانزل ببيت اهل المصطفى من الظلم والعدوان .

وبعد هذه المرحلة التلقينية كان الحسن ينتقل باولئك الارهابيين الى مرحلة عملية يضعهم فيها بدليل الواقع او على الحقيقة بدليل الحيلة والخداع .

وانها لمرحلة تثير العجب من الحيل الشيطانية لذلك الرجل . ذلك انه انشا حديقة فسيحة زرع فيها الاشجار المثمرة والازهار العاطرة واحاطها باسوار عالية جعل فيها المجالس الفاخرة والقاعات المزخرفة والينابيع الجارية والنوافير المتدفقة وجلب اليها مالا بحصى من الطنافس العجيبة والرياش الرومية والاواني الذهبية والزجاج الملون واطلق فيها اسرابا من الفتيات الجميلات والولدان الحسان وهم يختالون في ثياب رقيقة تشف عن اجسامهم .. فهي في اعدادها صورة لما يروى عن الجنة .

وكان الحسن اذا ما اراد امتحان الشبان الارهابيين واختبار مدى استعدادهم للتضحية والفداء دعاهم الى الطعام على مائدته ثم سقاهم من الحشيش حتى يفقدوا ادراكهم ثم يامر بنقلهم الى تلك الحديقة فاذا ما افاقوا من تخديرهم اخذتهم الدهشة والروعة مما يروه وتعلقت لفهتهم بذلك النعيم الوارف ولكنه يسرع فيسقيهم الحشيش حتى يفقدوا ادراكهم ثم يامر بنقلهم الى الخارج ، وهنا يتلقاهم الدعاة فيقولون لهم : لقد رايتم باعينكم الجنة الموعودة للطائعين وهذا جزاء كل من يكون في طاعة الرئيس ، وان لكم من هذه الجنة على قدر طاعتكم واستجابتكم لتنفيذ امره حتى ولو امركم بقتل انفسكم .

كل صاحب حرفة :

وتنتهي مرحلة الاعداد الى مرحلة استخدام . فكان الحسن يقسم هؤلاء الارهابيين الى طوائف ، ثم يعلم كل طائفة حرفة من الحرف ، وخاصة الحرف المنزلية ، فكان منهم الطباخون ، والخياطون ، والحلاقون ، والفراشون ، والبستانيون ، والمدربون للخيل . وبهذه الوسيلة كانوا يخدمون في قصور الامراء والوزراء والكبراء ، ويخالطون عامة الناس . وبهذا كانوا عيونا لرئيسهم ، ينقلون اليه ما يقع في القصور من حوادث في النهار ، وما يجرى فيها من اسرار بالليل . واذا ما طلب منهم اغتيال احد من هؤلاء كان ذلك اقرب الى متناولهم ، واسهل في الوصول الى غرضهم .

نقمة على العباد :

لم يستخدم الحسن هؤلاء الارهابيين ضد اعدائه والمناوئين له فحسب ، ولكنه بثهم في انحاء العالم الاسلامي ، ودخل بهم الى كل قصر ودار فكانوا سيوف نقمته المسلطة على رقاب الكبراء والحكام . وكان من ضحايا الحسن على يد هذا الجهاز الارهابي صاحبه الوزير نظام الملك في بغداد وعشرات من الامراء في الموصل وصيدا وسائر البلاد الاسلامية . فلم يكن هناك احد من رجالات العالم الاسلامي يأمن على نفسه من خطر اولئك الارهابيين .

ولهذا كان الوزراء والقواد والحكام لا يسيرون في الطرقات . ولا يقيمون في مكان الا وهم يلبسون الزرد تحت ثيابهم اتقاء لغدرهم . كانهم في حرب قائمة دائمة . وصار كل منهم يشك في خدمه وخلصائه حتى ذهب الامن والامان بين الناس .

يروى ان السلطان ملكشاه ارسل جوابا الى الحسن بن الصباح يامره بالكف عن بث اصحابه لقتل الامراء والعلماء ويتوعده بالشر والحرب اذا هو لم يمسك عن ذلك فلما وصل الرسول بالجواب تركه الحسن واقفا بين يديه ، ثم نادى بجماعة ممن حوله ، وقال لهم : اني اريد ان ارسلكم في حاجة فمن ينهض لها منكم ، فاشراب كل منهم لذلك ، فاشار الى شاب منهم وقال له اقتل نفسك : فانتزع خنجره وضرب به عنق نفسه فخر ميتا ، ثم قال لآخر : ارم نفسك من القلعة ، فالقى بنفسه فتمزق اربا ، ثم التفت الى رسول السلطان ملكشاه وقال : اخبر مولاك ان عندي من هؤلاء عشرين الفا هذا حد طاعتهم لي ، وهذا هو الجواب .. فلما عاد الرسول وحدث السلطان ملكشاه بما راى اخذه العجب ، وترك ابن الصباح وشانه .

انقلاب في العالم الاسلامي :

وفي يوم اراد الحسن ان يدخل بهذا الجهاز الارهابي مدخلا يقلب به كيان العالم الاسلامي راسا على عقب . ذلك انه اخذ يستغوي الجنود في الجيوش الاسلامية ، ويحببهم في مذهبه ، ويدس اتباعه من ناحية اخرى الى الدخول في هذه الجيوش ، واذا به يصبح صاحب نفوذ كبير في هذه الجيوش ، وصار له فيها كثيرون من اصحاب الكلمة المسموعة المتبوعة . وفطن السلطان بركيارق الى هذا الخطر الداهم فكتب الى الملوك والسلاطين يحذرهم مغبة هذا الخطر ، ويهيب بهم الى قتال الحسن وشيعته قبل ان ياخذهم على غرة ، فاستجابوا له ، وارسلوا جيوشهم لقتال اولئك الحشاشين ، وقطع دابرهم ، وكانوا ان امعنوا في تتبعهم وقتلهم ، وجمع ابو القاسم بن منصور الفقيه

البقية ص ٢٣٦

أنت تسأل .. ؟

والمفتى يجيب ...

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون

س ١ : من السيد فوزى عبد الجواد عبد المجيد شعيب :

يسأل عن حكم الزواج من زوجة لآخر كانت المحكمة قد نفت زواجها منه نظرا لعدم وجود عقد رسمى :

الجواب :

الزواج عقد بين الرجل والمرأة يتم اذا توفرت أركانه وشرائط صحته وذلك بايجاب وقبول شرعيين من الرجل والمرأة أو وكيليهما مع حضور شاهدين ، فاذا حصل ذلك وكانت المرأة محلا للعقد وليس هناك مانع شرعى يمنع زواجها منه صح العقد وتم وترتبت عليه حقوق الزوجية ولا يصح زواجها من غيره الا اذا طلقها وانقضت عدتها منه - وتوثيق العقد أمر تنظيمى قضائى حفظا لحقوق الزوجين ومنعا من التلاعب .

فاذا رفضت المحكمة دعوى الزوجية ، أو قررت عدم سماعها لعدم ثبوتها بعقد زواج رسمى أو بشهود أو للعجز عن الاثبات لأى سبب من الأسباب فان ذلك لا يحلها لرجل آخر لأنها ما زالت زوجة شرعية لزوجها الأول فلا يصح زواجها بالغير الا بعد طلاقها من الزوج الأول وانقضاء عدتها منه ، وحكم المحكمة برفض دعوى الزوجية للعجز عن اثباتها أو بعدم سماعها لعدم تقديم مؤيد السماع لا ينفى ثبوت زواجها زواجا صحيحا منه ولا يحلها لرجل آخر الا بعد طلاقها منه أو موته عنها وانقضاء عدتها .

س ٢ : من نفس السائل :

يسأل عن حكم صلاة الجمعة بعد أداء ركعتى العيد ؟

الجواب :

اذا جاء يوم العيد يوم جمعة أدى المسلمون صلاة العيد فى وقتها ثم صلاة الجمعة بعد ذلك فى وقتها ولا مانع شرعا من الجمع بينهما فلكل من صلاة العيد وصلاة الجمعة موجباتها الشرعية وشروط أدائها وشروط صحتها .

س ٣ : من نفس السائل :

ما حكم الاستنجاء بعد الوضوء لعذر أو لغيره ؟

الجواب :

الاستنجاء ازالة النجاسة بعد قضاء الحاجة بماء أو حجر أو نحوهما ، وهذا يتم عادة قبل الوضوء ، واذا عرض للمتوضىء ازالة نجاسة عارضه لم تخرج منه ولا تنقض وضوءه جاز له أن يزيل هذه النجاسة بالماء دون أن يكون ذلك ناقضا للوضوء ، أما اذا كان الاستنجاء بعد الوضوء لازالة نجاسة خرجت من المتوضىء فان ذلك بنقض وضوءه ويوجب عليه الوضوء من جديد .

س ٤ : ومن نفس السائل :

انجب رجل أربعة أولاد ـ وقد علم اثنين منهما واصبحا فى مركز مرموق ، وترك اثنين ليباشرا أعمال الزراعة ، ولهذا الرجل أربعة أفدنة ويسأل السائل هل يصح لهذا الرجل أن يوصى بأطيانه لولديه المزارعين تعويضا لهما عن عدم تعليمهما سواء رضى اخواهما أم أبيا ..

الجواب :

ينبغى للمورث أن يسوى بين أولاده فى العطية كما بين ذلك الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حديث متفق عليه ويدخل فى هذا تعويض من لم ينفق عليه منهم بمثل ما أنفقه على باقى أولاده ونظرا لأن السائل قد علم ولدين تعليما أهلهما لمنصبين مرموقين كفيلين بتحقيق السعادة لهما وترك ولديه الآخرين يعملان بالزراعة فان هذا يبرر أن يوصى لهما أى يوصى لولديه غير المتعلمين فى حدود ما بينه قانون الوصية رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ وهو القانون المعمول به أمام محاكم الأحوال الشخصية للان ، وقد نصت المادة ٣٧ من مواد هذا القانون على أنه يصح الوصية بالثلث للوارث وغيره وتنفذ من غير اجازة الورثة وتصح بما زاد على الثلث ولا تنفذ بالزيادة الا اذا أجازها الورثة بعد وفاة الموصى وكانوا من أهل التبرع .. عالمين بما يجيزونه وأفضل أن يتم ذلك باتفاق بين الوالد وأبنائه الأربعة حتى تصفو النفوس ويتم التعاون بينهم على الخير فى حياته وبعد وفاته .

قال الله تعالى « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » واذا كانت بعض الطرق تذكر الله ذكرا غير الآداب الشرعية فان واجب المسلم أن لا يشارك فى ذلك وأن يؤثر ذكر الله منفردا على ذكره فى جماعة لا تراعى آداب العبادة فى الذكر ..

بقية « دولة الحشاشين »

الشافعى جموعا كبيرة من الناس لقتالهم وحفروا الاخاديد وأوقدوا فيها النيران ونادى فى العامة بالزحف عليهم وصاروا يأتون بهم افواجا حتى حرقوا منهم جمعا كثيرا .

وفى الحق ان هؤلاء الحشاشين الفتاكين كانوا من اكبر النكبات التى منى بها المسلمون فى تاريخهم ، وكانوا من افدح الاخطار التى تهدد الاسلام بالزوال . فقد صادف ان كان ظهورهم فى ذلك الوقت الذى نكب فيه العالم الاسلامى بالغزو الصليبى المتعصب لازالة الدولة الاسلامية من قواعدها ، فكان ان انصرف حكام المسلمين واهل الشعوب الاسلامية الى مواجهة الجحافل الصليبية التى كانت تاتى فى موجات متتالية ، وفى عناد واصرار للقضاء على الاسلام ، ففى هذه الغمرة التى شملت العالم الاسلامى حكامه وشعوبه ، وجد اولئك الحشاشون الفتاكون فرصة لتجميع جموعهم ، والتمكين لوسائلهم وخدعهم ، وكانوا بذلك عونا للصليبيين على المسلمين وحكامهم بل انهم كثيرا ما اتصلوا بالصليبيين وتعاهدوا معهم على اقتسام الغنيمة . وكان من اكبر شنائعهم فى ذلك انهم دبروا مؤامرة لقتل الناصر صلاح الدين وهو فى الميدان يقاتل الصليبيين ويدفعهم عن وطن المسلمين ودينهم . قال المؤرخون : « ودبر سنان رئيس الحشاشين وخليفة الحسن الصباح مؤامرة لقتل السلطان صلاح الدين . فارسل اربعة من اشجع رجاله وهم يلبسون لباس العساكر والتحقوا بجيش صلاح الدين وهو يحاصر عزاز على الصليبيين . وحاربوا فى صفوف عساكره ، واظهروا بسالة عظيمة حتى اطمان الجند لهم ، وصاروا موضع ثقتهم ، وفى يوم كان السلطان يجلس فى خيمة الامير جاولى الاسدى فوثب عليه احدهم وضربه بخنجر على راسه ، وكان السلطان يلبس زردية على راسه لانه كان فى خوف دائما من غدر هؤلاء الملاعين فلم تؤثر الضربة فى رأسه ، وهم الحشيش بضرب السلطان فى وجهه ، ولكن السلطان أسرع فأخذ يعنفه وضربه أحد الامراء بسيفه ضربة قاتلة وهجم الحشيش الثانى على السلطان فاعترضه أحد الامراء فطعنه الحشيش طعنة مات فيها بعد ايام ، وحاول ثالثهم أن يهجم على السلطان فأسرع الامير ابوالفوارس واحتضنه من تحت ابطيه وعاجله أحد الواقفين بطعنة فى بطنه فصرعه . اما الرابع فحاول أن يفر ، ولكن الجنود لحقوا به وقطعوه بسيوفهم وهاج العسكر وماج لهذه الفعلة الشنعاء ، وحسبوا أن السلطان قد أصيب بسوء فخرج السلطان من خيمته حى يراه الجميع . ولكن صلاح الدين أكبر طغيان هذه الجماعة وجراتهم الى هذا الحد ، فنادى فى عسكره بالخروج ، فخرجوا فى عدد وعدة كبيرة وساروا حتى مواطن اولئك الحشاشين ودكوها دكا . وحصر قلعة مصيان ، وهى من أكبر قلاعهم ، وضيق الخناق عليهم ، غير أن صلاح الدين لم يشأ أن يبدد جهوده وجنوده مع هذه الجماعة التى نكب بها الاسلام ، فلم يلبث أن تركهم وانصرف الى المعركة الكبرى ، معركة الحرب مع الصليبيين .

واما بعد ذلك فتلك صفحة سوداء من تاريخ تلك الفئة الضالة التى نكب بها الاسلام فى احوج فترة من تاريخه ، وهى فترة الغزو الصليبى . وما اشبه الليلة بالبارحة كما قلت ، اذ نجد القصة نفسها تستعيد فصولها فى صنيع جماعة من المنحرفين اتخذوا الاسلام شعارا لهدم الاسلام وهو يواجه معركة ضارية اليوم ضد الاستعمار والصهيونية . ولكن الله ابر بدينه من أن يصير نهبا لاطماع أعداء الله .

مع القراء

اعداد : فؤاد هيبة

ان ذكرى الاسراء والمعراج هي ذكرى القدرة الالهية والمكانة المحمدية والنفحات السماوية ، لما حفلت به من أسباب الحفاوة والتعظيم لرسولنا الكريم الذى تجاوز فى معراجه الكون كله الى سدرة المنتهى الى حيث لا يبلغ ملك مقرب ولا نبى مرسل .. وما تزخر به من عظات بالغة وآيات هادفة .. فمن دليل قوى مرئى على عظم شأن فريضة الصلاة وما لها من علو القدر .. الى كون الاسراء والمعراج جاء تعويضا كريما لرسول الانسانية عن فقده عمه وزوجه ورد الطائف له ، واعزازا لدعوته وارهاصا بنصرته اذ عزل ضعاف النفوس المترددين عن الجماعة الاسلامية التى تزودت من هذه الذكرى بالصدق المبين والخلق القويم حتى أصبحت الدعوة الاسلامية مهيأة تماما لاجتياز المرحلة الحاسمة فى تاريخها بايمان صادق وكفاح فياض فكانت الهجرة وكان التاريخ والفتح العظيم والنصر الأكيد للأمة الاسلامية .

الجنة والناس .. وحفلات الزار ؟

السيد / محمود حامى عبد الحميد الفندور – السنبلاوين – دقهلية :

لقد عرضنا خطابك الذى تسأل فيه عن موضوع الجن ، والزار ، والمراة التى تزاول استحضار الجن على فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى وقد تفضل فضيلته – مشكورا – بالاجابة عليه على النحو التالى :

١ – سبق أنى كتبت فى « منبر الاسلام » عدد يوليه ٦٣ كلاما واضحا عن الجن من كل ناحية .. ونؤكد من جديد أن الجن موجودون فى الدنيا قبل وجود الانسان والله يقول « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » وحادث ابليس وعدم سجوده لادم معلوم لكل متعلم ، والجن يوجد فى كل بقعة من الارض ، ولهم حركات ونشاط فى الدنيا ، وهم يروننا ونحن لانراهم ، والله يقول عن الشيطان والجن جميعا « انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم » .

٢ – والجن فيهم طيبون متدينون ؛ كما فى الناس ، وفيهم أشقياء خبثاء ، وغير متدينين كذلك ، ومن أعمال الاشقياء منهم أنهم يؤذون بعض الناس بأنواع من الاذى كالمرض ، والصرع ، واحتجاب الزوج عن زوجته ، أو كراهية أحد الزوجين للآخر وهكذا .. وحينما يكون الجن ملامسا لاحد من الناس يعاوده من وقت الى وقت وقد يطلب أشياء خاصة .. وأحيانا يحب التهريج بالرقص والسماع كما يحب ذلك بعض التافهين من الناس فتكون حفلات الزار فرصة تعجبهم ؛ وأحيانا يحضر الجن ومعه معلومات سمعها من أصحابها فيخبر بها عند استحضاره كما تفعل السيدة المسئول عنها فى هذا الخطاب .. ولكننا نقول مع ثبوت هذا كله ، لايمكن تصديق كل مايقال ، فان الناس يكذبون كثيرا ويخدعون ولايمكن تكذيب هذا كله ، فان الواقع يثبت بعضه يقينا ..

« الهامة والصاروخ » .. و « الزار خرافة »

السيد / ثابت محمود ابراهيم – ناظر مدرسة البياضية الانجيلية المشتركة – بملوى :

ان موضوع الهامة والصاروخ من أبحاث « الزار خرافة » للاستاذ على الجندى الذى سبق له تناول الهامة فى باب الزار خرافة فى عدد « ذو القعدة ١٣٨٤ » ثم عاد الى مقارنة الهامة بالصاروخ فى عدد صفر ١٣٨٥ فى نفس الباب .

ثورة الاحرار .. صوت الحق

السيد / محمد عبد السلام عطا – ناظر مدرسة النصر الابتدائية – الزقازيق :

ينظم لنا بعاطفة الشاعر الصادق ، وانطباعات المربى الفاضل ، وفكر الحر الثائر ، قصيدة بعنوان « يا شباب الشرق » يدعو فيها الشباب الى العمل الجاد المتواصل ، فى ظل مرحلة الانطلاق العظيم ، اعلاء لصوت الحق صوت الاحرار ، ودعما لوحدة الهدف ووحدة الصف .. حيث يقول فيها :

يا شباب الشرق والأعمار فى ألق الخواطر
انتم المجداف للفلك وركب النصر سائر
ثورة الاحرار تبغى همة الجلد المثابر
وحدوا للحق صفا تهدموا أحلام غادر
انما للحر دنيا تجتلى فيها المفاخر
ان صوت الحق يعلو ليس للوحدة قاهر

ثورتنا الخالدة .. عدل ورحمة

السيد / عبد الرحيم عباس ابو الحمد – مدرس بمدرسة اولاد الشيخ شرق جرجا :

حقا يا أخى .. « ان ثورتنا هى ثورة بلد ظمآن بالعطف أرواه جمال .. وبوحدة الصف وبالعدل والحب استقام .. اليوم لا فقير يشكو الظلم والحال .. ولا غنى بالجاه يسمو على الشعب ويختال .. ولكن الكل تحت ظل الاشتراكية جذلان .. فى وحدة يبنون صرح الوطن أشد بنيان .. وجمال يقودنا الى المجد والخلد فى ايمان .. فى طريق مصابيحه أبواب من الميثاق » .

بريد التعارف

الاسم : سالم ابو بكر باحميد
البلد : أثيوبيا
السن : ١٥ سنة
المهنة : طالب ثانوى بمدرسة الجالية العربية
الهواية : المراسلة وتبادل الصور والطوابع
العنوان : ص.ب ٣٢٦ ـ أسمرة ـ أثيوبيا

الاسم : فائق عطية التكريتي
البلد : الجمهورية العراقية
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : جمع الطوابع ومراسلة شباب العالم الاسلامى
العنوان : الجمهورية العراقية ـ تكريت محلة صلاح الدين الأيوبى

الاسم : محمد عبد المنعم عبد اللطيف
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : المراسلة ـ جمع الصور الطبيعية والطوابع .
العنوان : قسم الدرب الاحمر ـ شارع حيضان الموصلى ـ سيدى عنبر ١٣

الاسم : محمد احمد سايس
البلد : المملكة المغربية
لسن : ١٧ سنة
لهنة : طالب
هواية : جمع الطوابع ـ تبادل الكتب والمجلات والمراسلة .
العنوان : الدار البيضاء ـ المملكة المغربية درب ابن حمان الزنقة ١٦ الدار رقم ١٠ ـ المدينة القديمة .

الاسم : محمد سالم البكرى
البلد : حضرموت
السن : ٢٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : القراءة وجمع الصور
العنوان : المكلا حضرموت ص.ب رقم ١٢٢

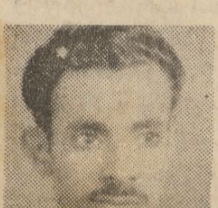

الاسم : محمد الادريسى
البلد : المملكة المغربية
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة الادبية والفكرية
العنوان : سيدى اسحاق ـ درب العنبوب رقم ٣٠ مراكش ـ المغرب

اقرأ فى هذا العدد :

معالم الطريق ٣

زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة ٨

أجهزة التنظيمات الشعبية والحكومية ... ... السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ١١

تثبات به ارواحنا وتمنيناه ... ... فضيلة الشيخ محمد محمد المد ١٤

الاسباب والمسببات ... ... فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبك ١٨

لمحات الى جهود المسلمين العلمية ... ... الدكتور أحمد الحوفى ٢٠

كنوز الجبال ... ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ٢٤

الصوفية فى الهامهم ... ... الاستاذ حسن كامل الملطاوى ... ٢٦

ما لا يجوز الخلاف فيه ... ... فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ٣٠

من الميثاق ... ... الاستاذ محمود كمال ٣٦

اللحظات الالهية والمشاهدات المحمدية ... فضيلة الشيخ عبد الرحيم فرغل البليتى ٣٩

مقارنة الاديان ... ... الدكتور أحمد شلبى ٤٣

مؤتمرات القمة العربية ... ... الدكتورة عائشة راتب ٤٧

الجانب الذى يجب أن نذكره فى قصة الاسراء ... ... فضيلة الشيخ عبد الرحيم فوده ... ٤٩

الاسراء والمعراج تشريف وتكليف ... ... الاستاذ محمد محمد السباعى ... ٥١

الاسراء والمعراج فى صور فنية ... ... الدكتور سعد الدين الجيزاوى ... ٥٧

ضيافة ربانية فى حادث الاسراء والمعراج ... فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى .. ٦٢

الاسراء والمعراج ... ... المقدم صلاح الدين عطية ٦٥

حول الاسراء والمعراج ... ... فضيلة الشيخ عطية صقر ٧١

دعوة الميثاق الوطنى ... ... الاستاذ حسنى عبد المجيد ٧٤

الازهر بين الماضى والحاضر ... ... فضيلة الشيخ عبد العزيز قنديل ٧٧

الاسلام عقيدة وعمل ... ... الاستاذ منصور نسيم ٨٠

العربية لغة العالم الاسلامى ... ... الاستاذ أنور الجندى ٨١

من اعجاز القرآن ... ... الدكتور حفنى شرف ٨٣

الحركات الثقافية ... ... الاستاذ اسماعيل كشميرى ٨٦

من جهود المسلمين العلمية ... ... الدكتور مصطفى الجوينى ٨٨

الاسلام فى الادب الغربى ... ... الاستاذ ابراهيم عوضين ٩٠

من توجيهات النبوة ... ... فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع ... ٩٢

عبد الناصر .. صانع السلام ... ... الاستاذ كامل عبد المجيد ٩٦

القاضى عياض ... ... فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق ٩٨

دراسات فى التاريخ الاسلامى ... ... الدكتور أحمد ابراهيم الشريف ... ١٠٠

حياة المقر الشهابى ... ... الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى ١٠٢

أضواء على التاريخ الاسلامى ... ... الاستاذ محيى الدين الالوائى ... ١٠٧

القيم فى الثورة العربية ... ... الاستاذة سهيلة الريماوى ١١٢

مكانة العرب فى العالم الاسلامى ... ... الدكتور محمود جلال الدين الجمل ١١٤

الاسلام بين العقل والنقل ... ... الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى ١١٨

المبلدون اخوان الشياطين ... ... الاستاذ على العمارى ١٢١

أسس اسلامية اشتراكية ... ... الدكتور محمد كمال شبانة ١٢٣

اعتراف الاجانب بالدين الاسلامى ... ... سماحة الاستاذ مبشر الحسينى ... ١٢٦

مع موكب النور	فضيلة الشيخ حسين احمد هاشم	١٢٩
جانب العقيدة فى الاسراء	الاستاذ سعد شاكر على	١٣٢
التكافل الاجتماعى	الدكتور محمد سلام مدكور	١٣٤
حديث السيف	الاستاذ محمد فرج	١٣٧
خلق الابل	الدكتور عبد الحافظ حلمى محمد	١٤٠
الفتوة وعلاقتها بالجهاد والفروسية	الاستاذ محمود الهجرسى	١٤٣
مواقف فى التاريخ لشعب أبى	الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور	١٤٥
سياسة الهدم فى التاريخ الاسلامى	الدكتور ابراهيم شعوط	١٤٧
قربة السيف المقدس	الدكتور اسحق الحسينى	١٥٠
الم تقم دعوة الاسلام على السيف	الاستاذ محمد عطية الابراشى	١٥٢
الايمان بالله	الدكتور عبد الباسط جميعى	١٥٤
المواطن الصالح	الدكتور سليمان الحكيم	١٥٦
فى الثقافة الشعبية	الاستاذ حسن الشيخه	١٥٨
الزار خرافة	الاستاذ على الجندى	١٦١
بين عمر بن الخطاب وسعد بن أبى وقاص	الاستاذ عبد العال شعيب	١٦٣
التصوف ضرورة حتمية	الاستاذ زكريا عبد الحافظ عامر	١٦٥
الحقوق والواجبات	الدكتور محمود حلمى	١٦٨
حل الازمات فى الاسلام	الدكتور فؤاد فخر الدين	١٧١
الاسراء والمعراج	فضيلة الشيخ محمد محمد أبوشهبة	١٧٣
الاجهاض فى نظر المشرع	الدكتور حسن المرصفاوى	١٧٧
كتاب جديد حول الاشتراكية	الدكتور جمال الدين الرمادى	١٧٩
فلسطين فى شعر المرأة	الاستاذة روحية القلينى	١٨١
مجلس الدولة فى الاسلام	الاستاذ معتمد محرم عبد الغنى	١٨٤
الاسراء والمعراج	فضيلة الشيخ ابو بكر ذكرى	١٨٦
باب العلم	الدكتور محمد جمال الدين الفندى	١٩١
الحاقدون	الشاعر عبد الله شمس الدين	١٩٣
الشعر الدينى	الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل	١٩٥
ندوة الشهر	الاستاذ عبد الرحمن الشربينى	١٩٨
رجل من البادية	الاستاذ حسين الطوخى	٢٠٠
باب الرياضة	اعداد ناصف سليم	٢٠٤
الجمهورية السودانية	الدكتورة عنايات الطحاوى	٢٠٩
باب الفن	الدكتور أحمد موسى	٢٢١
أصابع الاستعمار	تحقيق من اعداد : رياض خليفة ــ عبده الزينى	٢٢٤
اسماء بنت أبى بكر	اعداد عائشة حسنى	٢٢٩
المرأة المسلمة	اعداد نجاة الزنيرى	٢٣١
دولة الحشاشين	الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف	٢٣٣
انت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر	٢٣٥
مع القراء	اعداد فؤاد هيبة	٢٣٧
بريد التعارف		٢٣٨

مجموعة اسطوانات

الصلاة

تحتوى على 7 اسطوانات شاملة
الأذان * الوضوء
الصلوات الخمس

اسطوانات

المصحف المرتل

فى ٤٤ اسطوانة

ترقبوا فى منتصف كل شهر عربى

سلسلتى

كتب إسلامية

و

دراسات فى الإسلام

تضمن الحصول على
مكتبة اسلامية جامعة
بأقلام كتاب متخصصين

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية